

شیخ مقام الزکری

المعروف بالشری

ابن العباس احمد بن عبد المؤمن الفیسی شری

عشر مقامات حسب مساج

الوفاق المدارس العربیه

تحقیق

محدث أبو الفضل ابراهیم



منشورات
إدارة القرآن
کراتشی

اعنی بطبعه
فیہ الشرف

شرح مقامات الحری

المعروف بالشری

لأبی العباس أحمد بن عبد المؤمن الفیسی شری

عشر مقامات حسب منهج الوفاق المدارس العربیہ

تحقیق

محمد أبو الفضل إبراهیم

النشر

دار الفکر العربیة والعلوم والآداب

۴۳- ڈی - سید چوک - کراچی ۷۴۵۵۰ - فون ۴۲۳۶۸۸ - ۴۲۱۶۳۸۸

الطبعة الثانية : ١٤١٨ هـ
أشرف على طباعته : فهم أشرف نور

من منشورات

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

D / ٤٣٧ كاردن ايسٹ، لسيلہ كراتشي - ٥ ، باكستان

الهاتف : ٧٢١٦٤٨٨ فاكس : ٧٢٢٣٦٨٨ - ٠٠٩٢٢١

E. Mail: quran@biruni.erum.com.pk

ويطلب أيضا من :

المكتبة الإسلامية باب العمرة مكة المكرمة - السعودية

مكتبة الإيمان السمانية، المدينة المنورة - السعودية

مكتبة الرشيد الرياض - السعودية

إدارة إسلاميات انار كلی لاہور - باكستان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

مقامات الحريري

١ - لم يبلغ كتاب من كتب الأدب ما بلغت هذه المقامات - التي أبدع إنشاءها الأستاذ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي الحريري - من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ، واستطارة الشهرة . فإنه لم تكد تصدر منها النسخة الأولى في بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات ؛ ذكروا أن الحريري وقع بخطه في شهر ر سنة أربع عشرة وخمسة مائة على سبعمائة نسخة^(١) ؛ كما أن العلماء في جميع الأقطار العربية أخذوا يتدارسونها في المدارس والمعاهد ، ويقرءونها في الأندية والمحافل ، بل إن شهرتها امتدت في حياته إلى الأندلس ، فوفد فريق من علمائها على الحريري ببغداد - منهم الحسن بن علي البطليوسي ، والحجاج بن يوسف القضاعي ، وأبو القاسم عيسى ابن جهور - وقرءوا عليه بمنزله هذه المقامات ، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء ، وتناولوها رواية وحفظاً ، ومدارسة وشرحاً . .

ولمؤرخي الآداب العربية أقوال مختلفة في سبب إنشائها . .

نقل ياقوت من عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النقور البزاز ببغداد ، قال : سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات . يقول : أبو زيد

السُّرُوجِيّ ، كان شيخاً شجاعاً بليفاً ، ومكدياً نصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حرام ، فسلم ثم سأل الناس — وكان بعض الولاة حاضراً ، والمسجد غاص بالفضلاء — فأعجبهم فصاحته ، وحسن صياغة كلامه وملاحته ، ثم ذكر أسر الروم ولده . . واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل ، وما سمعت من لطافة عبارته وتحقيق مراده ، وخرافة إشارته في تسهيل إيرادها ؛ فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل ومجلسه مثل ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت ، وكان يغير في كل مسجد زينة وشكله ، ويظهر في فنون الحيل فضله ، فتعجبوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تلون إحسانه . فأنشأت المقامة الحرامية ، ثم بنيت عليها سائر المقامات ، وكان أول شيء صنعت . وذكر ابن الجوزي هذه الحكاية في تاريخه ، وزاد فيها أن الحريري عرض هذه المقامة الحرامية على أنوشروان بن خالد وزير السلطان ، فاستحسنها ، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها ، فأتمها خمسين مقامة^(١) .

وفي رواية لابن خلصكان ، قال : لما عمل الحريري المقامات أنشأها على أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاه ، فلم يصدق ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فادعاه . فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشيء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة بعينها ، فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٣ .

من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير أنشأ ابن مفلح :

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رِبْعَةِ الْفَرَسِ بَنْتَفُ عَشُونُهُ مِنْ الْهُوسِ
أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ كَمَا رَمَاهُ وَسَطَ الدِّيَّوَانِ بِالْخُرْسِ

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفرس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن مشارف البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات آخر ، وسيرهن إليه ، واعتذر من عييه وحصره في الديوان لما لحقه من المهابة ^(١).

وقال ابن خلكان أيضاً : رأيت في شهور سنة ست وخمسين وخمسمائة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات ، وجميعها بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب أيضاً بخطه على ظهرها أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن ابن أبي المزعل بن صدقة وزير المسترشد . قال : ولا شك أن هذه الرواية أصح لكونها بخط المصنف ^(٢).

٢- وقد نسب الحريري رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همام ، وعنى بهذا الاسم نفسه ، ونظر في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم حارث وكلكم همام » ، فالحارث الكاسب ، والهمام كثير الاهتمام بأموره ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام .

وجعل بطل هذه المقامات أبا زيد السروجي ؛ وتختلف الروايات أيضاً في حقيقة أمره ، فمن قائل : إنه اسم خيالي وضعه الحريري واستوحاه من صورة الشحاذ الذي لقيه في مسجد بني حرام بالبصرة . ومن قائل بأنه كنية اسم حقيقي

(١) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ . (٢) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

لرجل اسمه المطهر بن سلام ، ذكره القفطى فى إنباء الرواة ضمن تراجم النحاة ، وقال فى حقه : صاحب أبى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى ، أنشأ المقامات على لسانه ، وكان فيه فضل وأدب ، وله معرفة بالنحو واللغة والعربية ، قرأ على أبى محمد الحريرى بالبصرة ، وتخرج به ، وروى عنه ^(١) .

وأبنا كان الخلاف حول سبب إنشاء هذه المقامات وبطلها أبى زيد ، فإن هذه المقامات عمل فنى رائع منقطع القرن ، حوى من متخير الألفاظ ومتنخل الأساليب وناصع البيان ، مع إحكام السبك وإشراق الديباجة والبعد عن الركاكة والابتذال - ما جعلها قمة فى الآداب العربية ترتفع عن مقام المتحدى والمعارض على السواء . وقد صاغها مجالس متنوعة تختلف موضوعاتها باختلاف البلاد التى تخيل أنه زارها ، ورحل إليها ، ما بين فرغانة وغانة ، وأفرغها فى قوالب طريفة فى الأدب والنقد والوعظ والفكاهة ، يتخللها وصف للمجتمع وأحوال الناس ، وجعلها فى أسلوب السجع الكامل ، بعد أن وشأها بألوان البديع ؛ من الجناس والطباق والمقابلة ، أو كما يقول المؤلف فى صدر كتابه : أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة - خمسين مقامة تحتوى على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودرره ، وملح الأدب ونوادره ، إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجى النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبكرة ، والخطب المحبرة ، والمواعظ المبكية ، والأضاحيك الملهية .

وكان أول لقاء وقع بين الحارث بن همام وأبى زيد السروجى فى صنعاء ؛ وكانا فى رُواء الشباب وربيع العمر ، حيث لقي الحارث أبازيد خطيبا واعظا ، ثم عرفه بعد ذلك مخادعا مخاتلا ، وعليه بنى الحريرى المقامة الأولى وأسماها المقامة الصنعانية . ثم

أخذ الحارث يقطع الأسفار ، ويجوب الفياض والقفار ؛ ليلقى أبا زيد ؛ مرة في
ساحة القضاء ، وأخرى في مجالس الولاة ، وآونة في أندية الأدباء ؛ واعظا أو
شاعرا ، أو شعاذا أو محاصما ؛ ثم يمضي بهما العمر وتتابع الأيام ؛ إلى أن يلتقيا في
أخريات عمرهما بالمسجد الجامع بالبصرة بعد أن خلقت جذتهما ، وذوى عودهما ، ورث
برّد شبابهما ؛ وإذا أبو زيد يقف في حشد الناس ؛ يعلن توبته ، ويندم على ما قدم
من ذنوب وآثام ، وينشد :

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديتُ
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحمت في الغف واعتديتُ
وكم تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت
فلأيتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجنر ما جنيتُ
يا رب عفوا ، فأنت أهل للعفو عني ، وإن عصيت
ثم يختفي أبو زيد ويعود إلى بلده سرّوج ، يلبس الصوف ، ويؤم الصفوف ،
ويمتنح الحارث بعدها إلى الراحة ويكفّ عن الأسفار ؛ ويكون هذا آخر لقاء بينهما ،
وبه تنهى المقامة الخمسون ، آخر المقامات .

٣- ولم يكن الحريري مبتدع فنّ المقامات ولا أبا عذرها ، بل سبقه إلى هذا
الفن بديع الزمان الهمداني ، وإلى ذلك يشير بقوله في صدر المقامات يتحدّث عن
سبقه : هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبق غايات ، وصاحب آيات ،
وأن المتصدّي بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتى بلاغة قدامة ، لا يفترق إلا من
فضالته ، ولا يسرى هذا المسرى إلا بدلالته ؛ والله درّ القائل :

فلا قبل مبكها بكيت صباة

بسعدى شفيت النفس قبل التندّم

ولكن بكت قبلي فتهيج لي البكا بكاهما فقلت الفضل للمتقدم
ومع ذلك فإن من جاء بعدها من كتاب المقامات ؛ إنما قصد محاكاة
الحريري والنسج على منواله ، والسَّير في دربه ؛ فمنهم من حاول ولم يوفق ، ومنهم
من عمل ولكنه أخفق . . .

فممن حاول ذلك علي بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحلي ، قال ياقوت :
وردت أمد في سنة ثلاث وتسعين وخمسة وأثاني عنفوان الشباب وريعه ؛ فبلغني
أن بها علي بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحلي - وكان من العلم بمكان
ممكن ، واعتلق من حباله بركن ركنين ؛ إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم
المتقدمين ولا المتأخرين وزناً ، ولا يعقد لأحد فضيلة ، ولا يقر لأحد بإحسان
في شيء من العلوم ولا حسن ، فحضرت عنده ، وسمعت من لفظه إزاراه على أولى
الفضل ، وتندبه بالعب عليهم بالقول والفعل ؛ فلما أبرمني وأصجر ، وامتد في
غيه وأصعر ، قلت له : أما كان فيمن تقدم على كثرتهم وشفف الناس بهم عندك
مجيد قط ؟ فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : المتنبى في مديحه خاصة ،
ولو سلكت طريقه لما برز علي ، ولست فضيلته نحوى ونسبتها إلي ، والثاني
ابن نباتة في خطبه ، وإن كانت خطبي أحسن منها وأشهر ، وأظهر عند الناس
قاطبة وأشهر . والثالث ابن الحريري في مقاماته . قلت : فما منعك أن تسلك
طريقته ، وتنشد مقامات تحمد بها جهرته وتملك دولته ؟ فقال : يا بني ، الرجوع
إلى الحق خير من النمادى في الباطل ؛ ولقد أنشأتها ثلاث مرات ، ثم أتأملها
فأستزذ لها ، وأعمد إلى البركة فأغسلها ؛ ثم قال : وما أظن الله خلقني إلا لإظهار
فضل الحريري ^(١) !

ومنهم أبو الطاهر محمد التميمي السرقسطي الأشتراكي ^(٢) المتوفى بقرطبة سنة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ - ٢٦٩

(٢) منسوب إلى أشتر كوى ، من أعمال طليقة ، من بلاد الأندلس .

٥٣٨ ، أنشأ كتاب «الحسين مقامة الزومية»^(١) عارض بها مقامات الحريري، ولزم في نثرها ما لا يلزم ، متأثراً بالمعري في لزومياته، فأبعد النجعة، وأتعب خاطره، وكدّ ذهنه ، وأسهر جفنه ، وصعب على نفسه المسالك ، وقيد كلامه نظماً ونثراً. واتخذ راويه المنذر بن همام، وجعل بطله السائب بن تمام؛ ولكن هذه المقامات ذهبت بها عوادي الأيام ، فلم تصل إلينا .

ثم قام جارا لله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ أيضاً، فأنشأ مائة مقامة كالمقالة ، تدور كلها حول الوعظ ؛ ولكن ليس فيها راوٍ ، ولا بطل ؛ بل خاطب في جميعها نفسه ، وذكرها بالآخرة ، ورغبها في الأعمال التي تؤدي بها إلى نعيم الله ورضوانه .. وكان الزمخشري أحسن في هذه المقامات بمقصوده عن غاية الحريري ، ويُمدّه عن مداه ، فقال :

أقسم بالله وآياته ومشر الحج وميقاته
أن الحريري حريّ بأن نكتب بالتبر مقاماته

ثم توالى المقلدون جيلاً بعد جيل ، كابن الجوزي وأبي العلاء أحمد بن أبي بكر الرازي وابن ناقيا وابن الصيقل الجزري وابن حبيب الحلبي وابن الوردى والسيوطي وغيرهم ؛ إلى أن انتهى إلى خاتمة المقلدين الشيخ ناصيف اليازجي ، أحد أعيان البيان بلبنان في القرن التاسع عشر الميلادي؛ فدرس مقامات الحريري وحفظها ، ثم أخذ يروض قلمه على مقامات تنحو نحوها ؛ وتسلّك نهجها ، وما زال يلتمس الوسائل ، ويتطلّب الدرائع ، ويرتاد نواحي الظفر ، ويتوخّى وجوه النجح، حتى عمل أكثر من ستين مقامة سماها «مجمع البحرين» ، أي النثر والنظم ؛ وجعل راويها سهيل بن عباد، وبطلها ميمون بن حزام ؛

(١) فهرست ابن خلدون ٣٨٧

وتنقل بسهيل بن عباد في البلدان — كما تنقل الحريري بالحارث بن همام —
ليلقى ميمون بن حزام ، سالكا مسالك أبي زيد في المكابد وطرق التنكر
والتعلق بفصيح الكلام ...

وعلى الرغم من دقة المحاكاة في بعض هذه المحاولات ، فإن الحريري يبقى
منفردا بفنّه ، واحداً في أسلوبه ؛ لا يدانيه أحد منهم في نثره أو نظمه ، بذّ من
قبله ، وأتعب من بعده ، وستظلّ مقاماته من أجود ما جادت به القرائح ، وأجمل
مانضحت به الأقلام ؛ على مرّ العصور والأيام . .

٤ - وإن كان لهذه المقامات منزلة عند القدماء ، عبر عنها ياقوت بقوله :
« واقع من السعد ما لم يوافق مثله كتاب ، جمع بين الجودة والبلاغة
واتّسعت له الألفاظ ، حتى أخذ بأرقها وملك ريقها ، وأحسن نسقها ؛ حتى
لو ادّعى الإعجاز لما وجد من يدفع صدره ، ولا يردّ قوله ، ولا يأتي بما يقاربها ،
فضلا عن أن يأتي بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق
على استحسانها من الموافق والمخالف ما استعقت به وأكثر ... » ، فإنها
لم تخل من نقدٍ بمضهم وتجريحهم له ؛ منهم ابن الأثير في المثل السائر وابن الطقطقي
في الآداب السلطانية .

ومن أشهر من نال منه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن
الخشاب ، وضع رسالة جمع فيها المأخذ التي وقع عليها في المقامات ؛ قال في
مقدمتها : « وله أشياء في أثناء مقاماته لورجع فيها لأقرّ مع الإنصاف بالخطأ
ساكتاً فسلم ، أو لنازع مباحثاً . وأنا أسوقها على التوالي موضعاً فموضعاً ، مع
تمهيد عذره ؛ لعلّها في جنب صوابه ، وما مر به من الحسن في أثناء كتابه ،
علماً بأن الكامل من عدّت سقطاته ، والفاضل من أحصيت هفواته » .

وقد قام الإمام عبدالله بن بري فألف رسالة انتصر فيها للحريري من

مأخذ ابن الخشاب ثم جاء عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، فنصب نفسه حكماً بينهما ، ووضع رسالة أسماها الإنصاف بين ابن بري وابن الخشاب في كلامهما على المقامات .

٥- وبجانب الحركة الفكرية والأدبية التي أحدثتها المقامات في المشرق ؛ في العراق والشام ومصر ، فإن مثل هذه الحركة قامت في الغرب أيضا ؛ في أسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ؛ وكان أول ما عمل من ذلك ما قام به المستشرق الهولندي جوليوس سنة ١٦٥٦م ، من ترجمة المقامة الأولى إلى اللغة اللاتينية ، ونشرها في الطبعة الثانية لكتاب تعليم اللغة العربية أريينوس في ليدن . ثم نقل المستشرق الهولندي شولتنس ست مقامات بين سنتي ١٧٣١ ، ١٧٤٠م ونقل بعده فانتوردي بارادي منتخبات من سبع عشرة مقامة بين سنتي ١٧٨٦م و ١٧٩٥ إلى اللاتينية أيضا .

وفي فرنسا قام المستشرق كوساندي برسفال بنشر المتن العربي الكامل ، وطبع سنة ١٨١٢م كما قام الأستاذ دي ساسي بجمع مخطوطات المقامات وشروحا ، وعمل منها شرحا عربيا ، وطبع المتن والشرح في باريس سنة ١٨٢٢م ، ثم طبع مرة أخرى في باريس أيضا بين سنتي ١٨٤٧ ، ١٨٥٣م ، واشتهرت هذه الطبعة في الشرق والغرب ، وتصدى لها بالنقد الشيخ ناصيف اليازجي .

أما في ألمانيا ، فقد قام العلامة رُكْرْت ، وترجم هذه المقامات سجعاً باللغة الألمانية ، وقد اقتضى منه ذلك جهداً في استعمال كلمات نادرة الاستعمال في هذه اللغة حتى قال بعض النقاد الألمان : إن ركْرْت أجبر لنته على الألعاب الرياضية الشاقة ؛ وقد تمتعت هذه الترجمة بشهرة عظيمة في عالم الاستشراق .

وفي اللغة الإنجليزية قام تشنري بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية في سنة ١٨٦٧م وتبعه استجاس فترجمها أيضا في سنة ١٨٩٨م .

وفي أسبانيا ترجم الشاعر اليهودي بوراي الحريزي هذه المقامات إلى العبرية، وطُبعت هذه الترجمة في لندن سنة ١٨٧٢ م.
وفي كثرة هذه التراجم والطبعات دلالة على ما ناله الحريزي في الحلقات الاستشرافية من التقدير في نواحي الغرب^(١).

٦- وقد كانت المقامات من أوائل ما طبع من الكتب العربية؛ وأول طبعة لها كانت هي الطبعة التي ذكرت أنها كانت في باريس سنة ١٨١٩م بعناية كوسان دي يرسفال، ثم توالى طبعتها بعد ذلك في باريس ولندن وليدن وكلكتة ولكناو ودهلي بالهند وبولاق والقاهرة وتبريز وبيروت^(٢).

أما النسخ الخطية من هذه المقامات فلا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات العربية في الشرق والغرب من عدد وافر منها متناً أو شرحاً، وفي دار الكتب المصرية من المقامات أكثر من ثمان وعشرين نسخة؛ غالبها نفيس، ومنها نسخة برقم ١٠٥- أدب منقولة من خط المؤلف بعد سماعها عليه، وفي أولها إجازة بخطه، ونسخة برقم ٤٤٧٩- أدب طلعت، وعليها خط المؤلف أيضاً، ونسخة برقم ٢٥٩- أدب، عليها سماعات مؤرخة سنة ٦٦٣، ونسخة بخط مرتضى الزبيدي كتبت سنة ١١٦٥، ونسخة برقم ١٥٢٩- أدب بخط ابن نجدة كتبت سنة ٧٢٩، هذا عدا النسخ الخطية المشروحة^(٣).

(١) أفدت هذه المعارف الاستشرافية؛ ما كتب به إلى العلامة الدكتور أرنت بارت أستاذ اللغات الشرقية في جامعة فيينا.
(٢) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس ٧٤٨، ٧٤٩.
(٣) انظر فهرس دار الكتب.

صاحب المقامات

١ - ومؤلف المقامات هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريريّ منسوباً إلى صناعة الحرير أو بيعه ، ولد سنة ٤٤٦ هـ بالمشان ، وهي قرية قرب البصرة ، ثم رحل إلى البصرة وسكن في محلة بني حرام - وهم قبيلة من العرب سكنوا بالبصرة - وتأدب بها ، وقرأ العربية على أبي الحسن بن فضال الجاشميّ شيخ إمام الحرمين ، والفتى على أبي إسحاق الشيرازي . وعيّن صاحب الخبر بالبصرة ؛ وهو منصب ظل به إلى أن مات ، فتوارثه أولاده من بعده ، وظلّ فيهم إلى عهد العباد الأصبهانيّ الذي زار البصرة سنة ٥٥٦ هـ .

وكان الحريريّ - إلى جانب علمه وأدبه وتمرسه بفنون العربية جميعها - من ذوى الجاه واليسار ، كان له بالمشان أكثر من ثمانية عشر ألف نخلة ، يفلحها ويتردد عليها ، وكان له منزل بالبصرة يقصده الأدباء والعلماء يقرءون عليه أو يفيدون من علمه ، وخاصة بعد أن ألف المقامات وذاع أمرها بين الناس . وكان مرهف الشعور صادق الحسّ والتخمين ، حكى أنه زاره شخص غريب ليأخذ عنه شيئاً ؛ فلما رآه استزرى شكله . ففهم الحريريّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يُبليّ عليه قال له : اكشِب :

ما أنت أول سارٍ غَرَّه قَمَرٌ ورائد أعجبتَه خُضرة الدُّمَنِ
فاختر لنفسك غيرى إلتى رجل مثل المعيدى فاسمعُ بى ولا ترنى
نحجل الرجل وانصرف عنه .

٢ - وللحريريّ ديوان رسائل أورد ياقوت شيئاً منها ، وله الرسالة السينية التي ألزم في جميع كلماتها حرف السين ، والرسالة الشينية التي ألزم في جميع كلماتها حرف الشين ، أوردتها ياقوت أيضاً .

وله شعر في غير المقامات ، ذكر منه ابن خلكان قوله :
قال المواذل ما هذا الغرامُ به أما ترى الشعر في خَدَيْهِ قد نبتَا

فقلت والله لو أن الفئدة لى تأمل الرشد فى عينيه مائتتا
ومن أقام بأرض وهى بمجدبة فكيف يرحل عنها والربيع أتى !
وأورد له صاحب الخريدة :

كم ظباء بمحاجر فتمت بالمحاجر
ونفوس نفائس خُدرت بالخادر
وتثنى الخساطر هاج وجداً للخاطر
وعذر لذار لأجله عاذلى عاد عاذرى
وشجون تضافرت عند كشف الضفائر
وأورد له ياقوت :

لا تخطون إلى خطء ولا خطئ من بعد ما الشيب فى فوديك قد وخطا
وأى عذر لمن شابت ذوائبه إذا سرى فى ميادين الصبا وخطا
وله غير الشعر والرسائل والمقامات ما يأتى :

١ - درة النواص فى أوهام الخواص ، بين فيه أغلاط الكتاب فيما
يستعملونه من الألفاظ بغير معناه فى غير موضعه . طبع فى مصر سنة ١٢٧٢ هـ ،
وفى ليبسك سنة ١٨٧١ م ، وطبع مع شرح الخفاجى فى الأستانة سنة ١٢٩٩ هـ .
٢ - ملحّة الأعراب فى صناعة الإعراب ، وهى أرجوزة ، وأولها :

أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذى الطول شديد الحول
طبعت فى باريس وبيروت ومصر ، وقد شرحها بحرق الحضرمى ، وأسمى
الشرح « تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب » ، وطبع بمصر مرارا أيضا .

٣ - قصيدة من وزن الخفيف ، منها نسخة مخطوطة فى مكتبة برلين برقم
٧٧٩ ، وأوردها السيوطى فى الزهر ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ ، وأولها :

أبها السائل عن الظاء والضّاء د اكىلا تُضِلُّهُ الألفاظُ

شرح المقامات

١ - وتعتبر مقامات الحريري أكثر الكتب حفظاً فيما وقع لها من شروح ، وما أديرَ حولها من تعاليق ، أحصى صاحب كشف الظنون أكثر من خمسة وثلاثين شارحاً ، منهم محمد بن علي بن عبد الله الحلبي ، ومحمد بن علي المعروف بابن حميدة ، ومحمد بن محمد المكي الصقلي المعروف بابن ظفر ، وأبو المظفر محمد بن أسعد المعروف بابن حكيم ، وعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلبي ، وسليمان بن عبد الباقي بن سلامة الضرير ، والشهاب الحجازي ، وعبد الله بن الحسين العكبري ، وقاسم بن قاسم الواسطي ، عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، وأبو الفتح ناصر بن السيد المطرزي ، ومحمد بن عبد الرحمن محمد بن مسعود الفندجيهي ، وأحمد بن عبد المؤمن القيسي المعروف بالشريشي ، وسليمان ابن عبد القوي الحنبلي المعروف بنجم الدين الطوفي ، وأحمد بن المظفر الرازي وغيرهم .

ومن قام بشرحها من المتأخرين المستشرق دي ساسي - كما ذكرنا - عمل شرحاً من الشروح التي وقعت له ، وأضاف إليه فوائد من كتب الأدب والنحو والتاريخ . وطبع هذا الشرح في باريس مع فهرس للألفاظ والأمثال والأعلام .

ولعل كثرة هذا العدد من الشارحين يرجع إلى ما زخرت به المقامات من الكلمات العربية ، والأمثال والأحاجي والألغاز ، والنكات النحوية والبلاغية مما يجعل ميدان الشرح ذا سعة وأودية الاستطراد كثيرة .

٢ - وتختلف هذه الشروح إيجازاً وإطناباً ، وأسلوباً ومنهجاً ، ومن أوسعها مجالاً ، وأجمعها الثبوت الفرائد ومنثور الفوائد ، ومنشعب الأغراض ، هذا الشرح الذي

وضعه العلامة أحمد بن عبد المؤمن القيسي المعروف بالشريشي . وقد وقعت له نسخة المقامات مما رواه عن أبي القاسم عيسى بن جهور وأبي الحجاج يوسف القضاعي وأبي الطاهر الخشوعي ، وهم ممن ذكرنا أنهم رحلوا إلى المشرق من علماء الأندلس ولقوا أبا محمد الحريري في بغداد ، وقرأوا عليه المقامات في منزله ، وعادوا إلى بلادهم يحملون المقامات ؛ ضمن الكنوز النادرة التي حملوها من المشرق إلى المغرب عن طريق الرحلة والرواية ...

وقد وقف الشريشي بهذه حقبة على هذه المقامات ، يتدارسها مع العلماء ، ويستوعب الكتب والأسفار والدواوين والشروح والتعاليق ، ليتخذ العدة لشرحها ؛ ولهذا الغاية يقول : لم أدع كتاباً ألف في شرح ألقاها ، وإيضاح أغراضها إلا وعيته نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وترددت في تفهّمه ورِداً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ... ولم أترك في كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقها ، ولا غريبة إلا استلحقتها ... فاجتمع من ذلك حفظاً وخطاً أعلاق جمة ، وفوائد لم تهتم بها قبله همة ؛ ثم لم أقنع بتدوين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء الأعصار .

وجعل من أهم مقاصده في هذا الشرح أيضاً التعريف بالأمصار المذكورة في المقامات - ما وسعه الجهد - ثم شرح الأمثال . وترجم للمشهورين من الآباء والأبناء والشعراء والأدباء والأعيان ، مع العناية بصنوف البديع وبسط أنواع الأدب وفنونه . والإكثار من الشعر في كل مناسباته . . . وخاصة الشعر الأندلسي فإنه حشد فيه مجموعة من مختار هذا الشعر ، وانفرد بنصوص نادرة منه لا تجدها في غير هذا الكتاب .

وبهذه المزايا مجتمعة كان هذا الشرح مرجع الباحث وغنية المتأدب، وغاية المطالع والمستفيد .

٣ - والشارح هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي ، ولد بشريش سنة ٥٧٧ - وكانت شريش من أجمل بلاد الأندلس ، وأحفلها بأشجار الكروم والتين والعنب والزيتون - عاش فيها صدر شبابه ، وتلقى بها على أبي الحسن بن ليثال وأبي بكر بن الأزهر وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي الحسين بن جبير . ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى شريش ، وتوفي بها سنة ٦١٩ هـ .

وقد ألف من الكتب غير هذا الشرح مختصرا لنوادر أبي على القالي وشرحا لكتاب الإيضاح لأبي على الفارسي وآخر لشرح الجمل للزجاجي ، وجمع مشاهير قصائد العرب ؛ كما وضع رسالة في العروض . وكان أيضا شاعرا مطبوعا شائق اللفظ رشيق المعنى .

ومن نموذج شعره تلك الأبيات التي أوردها القري في ترجمته^(١) ، وكان قد سافر إلى الشام وشغف بها ثم رحل عنها ، فقال ينشوق إليها :

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ	فإن قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم	مالد للعين لا نوم ولا سهر
إذا تذكرت أوقاتا نأت ومضت	بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنَّيرَين ^(٢) ضحى	والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد ، والأغصان راقصة	والدَّوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفع ، أين عشيائي التي سلفت	لي منه ، فهي لعمري عندي العمر !
سقك ياسفع ، سفع الدمع منه ملاما	وقل ذاك له إن أعوز المطر

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الشرح واحد من ثلاثة شروح وضعها

(١) فتح الطبيب ٢ : ٣١٧ (٢) النيرين ، من قرى دمشق .

المؤلف : أولها مختصر ، وثانيها متوسط ، وثالثها هذا المطول ؛ وهو الذي اشتهر في الخافقين ذكره ، وأقبل عليه العلماء والمتأدبون دون غيره . . . ومن قصد البحر استقل السواقيا .

• • •

٤ - وحينما قمت بتحقيق هذا الكتاب تحيرت النسخ الآتية للرجوع إليها :
(١) نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب برقم ١٧٥ - أدب ، مكتوبة بقلم معتاد ؛ إلا أنها تخلو من الضبط ، ، وتقع في ٤٣٢ ورقة ، وفي كل صفحة ٣٥ سطرا ، وكل سطر يشتمل على ٢٢ كلمة تقريبا كتبت سنة ١١٣٠ هـ ، وفي أولها وقفية على خزانة جامع شيخون سنة ١١٩٣ هـ وبعض التمليكات ، وقد رمزت لها بالحرف (ا) .

(٢) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٧٨ - أدب ، تقع في ١٢٧ ورقة ، وفي كل صفحة ١٩ سطرا ، كل سطر يشتمل على ١٢ كلمة تقريبا ؛ وهي نسخة جيدة صحيحة فيها بعض الضبط إلا أنها ناقصة تشتمل على شرح ١٧ مقامة فقط ، وبهامشها المقامات ، وقد رمزت لها بالحرف (ب) .

(٣) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٨٠ - أدب ، وهي نسخة خزائنية كتبت بخط نسخ واضح ، ولكنه خال من الضبط ، وتقع في ٤٥٢ ورقة ، وفي كل صفحة ١٠ كلمات تقريبا ، وتحتوي على شرح خمس وعشرين مقامة . وقد رمزت لها بالحرف (ج) .

(٤) نسخة طبعت في بولاق سنة ١٣٠٠ هـ بتصحيح محمد الحسيني ، وقد رمزت لها بالحرف (ط) .

وجميع هذه النسخ كتب على هامشها المقامات .

هذا عدا ما رجعت إليه من كتب الأدب واللغة والتاريخ ومجموعات
الشعر ودواوين الشعراء .

ويطيب لى فى هذا المجال أن أنوه بفضل الصديق العلامة الحجة الدكتور
محمود مكى الذى تفضل بقراءة هذا الجزء بعد طبعه ، وكانت له ملاحظات قيمة
أثبتها فيما بعد ، هذا بالإضافة إلى المعارف والمعلومات التى أفدتها منه ، وخاصة
فى الأدب الأندلسى وتاريخه .

ويقع هذا الكتاب - إن شاء الله - فى ستة أجزاء ، وسألحق بآخره إن شاء الله
الرسالتين السينية والشينية للحريرى ، وحواشى ابن الحشاش وابن برى وغيرهما على
المقامات ؛ فضلا عن النهارس الفنية العامة .

ومن الله العون والتوفيق ؟

رمضان سنة ١٣٨٩ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

شرح المفاتيح الحريية

لأبي العباس أحمد بن عبد المنوم القيسي الشريفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأستاذ اللغويّ النحويّ أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن
ابن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسي الشريشيّ، تغمده الله برحمته
ورضوانه، وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه آمين :

الحمد لله الذي اختصّ هذه الأمة بأفصح الألسنة وأفصح الأذهان، وشرف
علماءها بالافتنان في أفانين البلاغة والبيان، وميّزنا بين سائر الأمم بالثغر المتفق
الفقر والنظم المعتدل الأوزان .

نحمده على أفئدة هداها، وألسنة أطال في شأو البلاغة مداها، ونصلى على
سيد المرسلين، وخيرة العالمين، الذي ختمت بنبوّته العامة النبوة، ونسخت بشرعته
النّامة الكتب المتلوّة، محمد سيد هذا العالم والمحصوص بعلوّ المكانة، وعموم
الدّيانة في ولد آدم، وعلى آله وصحبه الذين عزّروه ووقّروه، وآووه إيواء
الموفين بالعهود ونصروه، ونقلوا شرعَه الكريم قل التواتر وآثروه، وسلم
تسليماً، وآتاهم من لدنه رحمة وأجرأ عظيماً .

ورضى الله عن الإمام المعصوم، المهديّ المعلوم، مجدّد معالم الديانة، والملي
بأداء الأمانة، والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة، وعن
خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى، والتالين له في شرف ذلك المدي، والقائمين
بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبداً .

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الأئمة الراشدين،
سعداً يعلّى أعلامه، ونصراً يصحب قلمه وجسامه، وتأيداً يُظهر أمره وينصر
اعتزاه، حتى ينتظم شذّان^(١) الأمصار في سلك ملكه، وتزدحم وفودُ الأمر

(١) الشذان، بالضم والفتح: المفرق، وأمله في المحصى والإبل .

على غمر برّه ، وتنطوى ضمائر القلوب ومحبّات الغيوب على إخلاص طاعته
والإشناء لأمره .

أما بعد ؛ فإن العلم أربحُ للسكاسب ، وأرجحُ المناصب ، وأرفعُ المراتب ،
وأنصعُ المناقب ، وحرقة أهل الهمم من الأمم ، ونجدة أهل الشرف من السلف ،
لم يتقلد سلكه إلا جيدٌ ماجد ، ولم يتوشح برؤده إلا عطف جاد في طاب الكمال
جاهد ، ولم يستحق اسمه إلا الواحد الذئ بعد الواحد ، وهو وإن تشعبت
أفانينه ، وتنوعت دواوينه ؛ فعلم الأدب علمه ، والأس الذي يبنى عليه كله ،
والروح الذي يخبّ في ميدان الطروس قلعه ؛ ولذلك كان أولى ما اقترحه
القرايح ، وأعلى ما تجنح إليه الجوانح ؛ فذوو الأخطار في سائر الأقطار يتنافسون
في اقتنائه ، ويتصافنون في عافئ إنائه^(١) ، ويرتاحون لأوضاعه وتآليفه ،
ويستريحون إلى أعبائه المكدودة وتكاليفه ، فإنه زمام المنظوم والمنثور ،
وقوام^(٢) نطق الألسنة وفكر الصدور ، ومنشط المقال من عقاب النهاية ، ومميز
الأقدار بالمهابة والنباهة .

ولم يزل في كل عصر من حتمته بدر طالع ، وزهر غصن يانع ، وعلم ترنو إليه
أبصار وتوحيء إليه أصابع ، وصناعة البراعة بينهم تتمكن وتتأصل ، وتنويع
البديع ينضبط ويتحصّل ، والآخر يكذّ ذهنه في تميم ما شادده الأول ؛ إلى أن
اعتدلت كفتاه ، وامتلاأت ضفّته ، وراق مجتلاه ومجتناه ، وتناهى في الحسن
والإحسان لفظه ومعناه .

وكان آخر البلغاء وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق ، وأولاهم بسمة
السباق ، والفدّ الذي قد عقلت عن توءمه فتية العراق ، وفارس ميدان البراعة ،

(١) يقال : تصافن القوم الماء ؛ إذا قسموه بالحصص . والعاق : ما فضل في القدر ؛
والكلام على الاستعارة .

(٢) قوام الأمر بالكسر : نظامه وعماده .

ومالك زمام الفرطاس والبراعة ، والمالئ عند استدعاء دُرر الفِقر بالسمع والطاعة ،
أبو محمد القاسم بن عليّ الحريري - سقى الله ثراه صَوْبَ رحاه ، وكاناً إحسانه
في الثناء عليه بحسنه - فبسط لسان الإحسان ، ومدّ أفنان الافتنان ، ومهد جادة
الإجادة ، وقوى مادة الإفادة ، ولم يبق في البلاغة متعباً ، ولا للريادة مترقباً ،
لاسيما في اللغات التي ابتدعها ، والحكايات التي نوّعها وفرّعها ، والمُلح التي
وشّحها بدُرر الفِقر ورصّعها ؛ فإنه برز فيها سابقاً ، وبرّ البلغاء فاتحاً ، وأتى بالـغنى
الدقيق للفظ الرقيق مطابقاً ، وخلّدها تاجاً على هامة الأدب وتِقْصاراً^(١) في جيد لغة
العرب ، وروضة تحوم أنفاس الهم عليها ، ولا تصل أبدي المطامع إليها .

ولما كانت من البراعة بهذا الحلّ الشبير ، وسارت مسير النّيرين بين
مشاهير الجاهير ؛ جعلتُ الاعتناء بها سهم نهمي ، والعكوف عليها حرز عزمي ،
والدّءوب في حفظ لغاتها وفكّ مخبّآتها أهمّ همّي ، وصيّرت تحفّظها فرض عيني ،
والفكر الذي لا يحول وسني بينه وبيدي . فبدأت بروايتها عن الشيوخ والثقات ،
وتقييد ألقاها عن أعلام هذه الجهات ؛ حتى لا أقبل لفظاً إلا عن تحقيق ، ولا أثبت
ضبطاً إلا من طريق .

فكان أوّل من أخذت عنه روايتها ، وتلقّيت منه درايتها ، ببلدي ،
الشيخ الفقيه المقرئ أبو بكر بن أزهر الحجريّ ، حدّثني بها عن صهره
الفقيه المحدث الراوية أبي القاسم بن عبد ربه القيسي المعروف بابن جهور ،
عن منشئها أبي محمد الحريري . وحدّثني بها أيضاً ببلدي الشيخ الفقيه الراوية
أبو بكر بن مالك الفهرّي عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ الفقيه
أبي الحجاج الأبدّي القضاعيّ ، كلاهما عن أبي محمد الحريري . وحدّثني بها
أيضاً إجازة الشيخ الفقيه المحدث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجريّ

(١) التّقمار والتّقصارية ، بالكسر : القلادة ؛ سميت بذلك لازوماً قصره الفنى .

عن القاضي . وحدثني بها أيضا الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ
الجليل بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعي عن
الحريري . وحدثني بها أيضا الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذر مصعب بن محمد بن
مسعود الخشني بسنده ، بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لي بتكميله .
وتلقيت بها جماعة من جلة الأشياخ أكثر في العدد ممن ذكرت ؛ لا يعدمني
واحد منهم إفادة ضبطية أو لفظية ، ولا يفقدني زيادة هزلية أو وعظمية ، فأخذتها
أخذ متثبت ، عن واعي منكث .

ثم لم أدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها ، وتبيين الإنصاف
بين انفصالها واعتراضها إلا وعيته^(١) نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وترددت
في تفهمه وزدأ وصدراً ، وعكفت على استيفائه بيطاً كان أو مختصراً ؛ حتى
أتيت على جميع ما انتهى إليه وسمى ممن فسر لها ، واستوعبت عامة فوائده
الممكنة بأسرها ؛ ولم أترك في كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة
إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقها ، ولا غريبة إلا استأقمتها ، ولا غادرت في
موضع منها مستحسناً يشذ عن جمعي ، ولا مستجداً ينبو عنه بصري أو سمعي .
فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلاق جمّة ، وفوائد لم تهتم بها قبلي همة ،
ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ، ولا اقتصرْتُ على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت
بها صدور الأمصار ، وعلماء هذه الأعصار ، فباحثت وناقشت ، وتناولت
وتداولت ، وطالبت التحفظ بالأداء ، والتميقظ بالإبداء ؛ حتى لم أبق في قاذحة
زناً إلا اقتدحته ، ولا مقلداً إلا افتتحت ، فتحصل لي من ذلك أيضاً عيون
صائبة النواظر ، وفنون قلما توجد في مخبات الدفاتر .

وأنا في خلال ذلك ألتبس مزيداً ، ولا أسام بحثاً وتقييداً ، إلى أن عثرتُ على

(١) طب : «أوعيته» ، وأوعى العوى : حفظه ؛ مثل وعى ..

شرح الفنجديهي^(١) للمقامات - والفنجديهي هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد ابن عبدالرحمن بن محمد المسعودي ، من قرية فنجدية من عمل خراسان - فرأيت في شرحه الغاية المطلوبة ، والبغية المرغوبة ، والضالة التي كانت عني إلى هذا الأوان مطوية محجوبة ؛ فاستأنفت النظر ثانياً ، وشمرت عن ساعد الجد لا متكاسلاً ولا وانياً ، وعانيت نور المعنى في نور اللفظ فأصبحت مجتلياً جانبياً ، فاستوعبته أيضاً أبلغ استيعاب ، وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله في كتاب ، وأخذت منه أحاديث مسندةً أورها ، وآثاراً مرفوعة قيدها تليق بالباب الذي أوردت فيه ، وتورد مصححةً إما لألفاظه وإما لمعانيه ، وحذفت أسانيد - وإن كان قد أورها - تخفيفاً عما يريد المتن ويبتغيه ؛ فتم لي بهذا الغرض استيفاء مقاصده ، واستيعاب فوائده . وتركته مستلب المعاني ، مطروق المعاني ، كالروض ركبت ريمه ، والجسم قبض روجه ؛ فانضاف من فوائد هذا التأليف البديع - إلى القوائد الملتقطة من الألسنة والمأخوذة من التصانيف للاستحسنة - روض كله زهر ، وسلك كله دُرر ، وأدب إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر .

فاستخرت الله تعالى في ضم ما انتشر من فوائدها ، ونظم ما انتثر من فرائدها ، والاعتناء بتأليف في المقامات يُغني عن كل شرح تقدم فيها ، ولا يحوج

(١) الفنجديهي ؛ منسوب إلى فنجدية ، قال ياقوت : « فنجدية ، بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم وكسر الهمزة وياء ثم هاء خالصة ، وينسب إليها فنجدية . بلدة فيها خمس قرى ؛ قد اتصلت عمارة بعضها ببعض ، قرب مرو الروذ . وهو أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود المسعودي ، التوفي سنة ٥٨٤ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ووصفه العماد في عذرات الذهب بالرحال الأريب وقال : مات عن اثنتين وثمانين سنة بدمشق ، وسمع من أبي الوقت وطبقته ، وأملى بمصر مجالس ، وعنى بهذا الشأن ، وكتب وسمى ، وجمع فأوعى ، وصنف شرحاً طويلاً للمقامات ، قال يوسف بن الخليل العائظ : لم يكن في نقله بثقة ، وقال ابن النجار : كان من الفضلاء في كل فن ، في الفقه والحديث والأدب ، وكان من أطرف المشايخ وأجلهم » .

إلى سواه في لفظ من ألفاظها ولا معني من معانيها ، فتم من ذلك مجموع جامع ،
وموضوع بارع^(١) ، أودعته من اللغات أصحها وأوضحها ، وأساسها قياد لفظ
وأصحها ؛ وأولاها بالصواب في مظان الاختلاف وأرجحها ؛ ونسبت المشكل
منها إلى قائلة من جهابذة العلماء ، وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء ،
وسبكت العبارة عن المعاني سبكاً يدل على الإلقاء والإصفاء . وهذا الفصل وإن
سبقني إليه من تقدمني من الشارحين قبل ، نلى فيه مزينة إيراد اللفظ البعيد عن
الإشكال ، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال .

ثم زدت في فوائد هذا التأليف التعريف بالأمصار المذكورة في المقامات
على أوفى ما يمكنني ؛ من ذكر مواضعها وأقذارها واختطاطها ، ومن عقد صلاحها ،
أو تولي فتحها ؛ وهذه فوائد لا يخفى مكانها ، ولا ينكر استحسانها ، فالحاجة إلى
التعريف بالمكان ، تتلو الحاجة إلى غوامض اللسان .

ثم استوعبت شرح الأمثال ونسبتها ، جمعاً بين القائلين والأقوال ، ولم أغفل
منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال ، وهذا الفن لم يقبعه أحد على الكمال ،
وإن ذكره فإتماً يذكره استطراداً بحسب الحال .

ثم استوفيت أيضاً ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتم استيفاء ،
وعرفت المشتهرين من الآباء والأبناء ، وبيّنت أنسابهم وأمكنهم ، وأخبارهم
وحرفتهم ، وآثارهم ومدتهم ، زيادة في التهم^(٢) والاعتناء . وهذا الفن أيضاً لم
يورده الشارحون حق إirاده ؛ ولا اعتمدوه بالتبليغ حق اعتماده ، وهو مهم
في الإفادة ، وعلى مغفله في الوقت ببعده الإعادة .

ثم زدت فيه فصولين مفيدتين لم أر من اعتنى بهما ، ولا من قصد قصدهما ، سوى
أبي سعيد التمنجديهي في بعض المواضع ، فإنه ألمح وألمع ، وأورد اليسير فما شفى
ولا أقنع :

(١) ١ : «نصار ذلك مجموعاً جامعاً ، وموضوعاً بارعاً» .

(٢) ط : « التهم » ، تحريف ، صوابه من ١ .

أحدهما : تبين مأخذ الحريرى فى الكلام ، وإخراج الإحالات المودعة فيه من حيز الإبهام ، والرد إلى المنشأ فى آية أو أثر ، أو خطبة أو خبر ، أو حكمة فائقة ، أو لفظة رائعة ، أو بيت نادر ، أو مثل سائر ؛ وهذا تتميم بين ، وتكميل متعين .

والفصل الثانى : التنبيه على صناعة البديع ، وتوفية أسمائه ؛ كالتجنيس والتسيم والترصيع ، والإتيان بهذا النوع من التبين والتنبيه على الجميع ، وبسط أنواع الأدب وافتنائه ، والإكثار من الشعر فى مظانته من الجد والهزل فى الموضع اللائقة باستحسانه ، ومقابلة كل باب بما يزيد فى حسنه وبيانه ، والجري مع أبى محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه .

ومن تمام التصنيف رد الفرع إلى أصله ، والجمع فى الترتيب بين الشكل وشكله ، فأثبتت المواضع بما يزيد لها أثراً فى القلوب ، وأردفت المسليات بما يعينها فى إجلاء الكروب ، وسأكت هذه المسالك فى سائر الأساليب وأنواع الضروب ؛ فإن وُجد فى هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل ، أو معنى ينسب فيه إلى المذل ؛ من وصف نور وثمر ، وذكر نديم وخمر ، أو نعت حُسن وحسن ، أو مدح سماع وأذن ، فلأن أبا محمد بدأ بأمر فتم ، وخص نوعاً فعم ، مع أن صنعة الأدب مبنية على الملح ، وخواطر الأدباء جائشة بما سنع . فجاء من هذا الترتيب الغريب ، ما يضرب فى الإجابة بسهم مصيب ، ويثبت لى فى الجد والدعوى أوفر نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفتجديهي وابن ظفر^(١)

(١) هو محمد بن أبى محمد بن محمد بن ظفر ؛ صاحب التمانين المتنوعة السائرة ؛ ذكره الففطى فى الإنباء ٣ : ٧٥ ، وقال : « ورأيت له شرح المقامات ، قد صنفها لأهل المغرب ، وقد نقل ألفاظها من نسخة سقيمة فصحف وشرح التصحيف ؛ وسمعت أنه كان يحذر من ذلك إذا قيل له ، ويقول : هذا أمر أحدثته العجلة وبعد الدار . وذكر صاحب كشف الظنون هذا الشرح وسماء : « التنقيب على ما فى المقامات من الغريب » .

قد جردوا من شروحيهم مختصرات وجيزة ، اقتصروا فيها على إيراد اللغات ،
فحذوتُ حذوهم في مختصرٍ أوردتها فيه على الكمال ، ووفيتها حقها من رفع
النلط وكشف الإشكال ، ولم أخل في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه
ولا حال من الأحوال ، فجاء غاية في هذا الباب ، مفضيا في اللغات الغريبة عن
كل كتاب ؛ فإن فاتته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات ،
فلذلك الفرع شُوف الاسديعاب في اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف
والشاهد من الشعر والآيات .

وكل ذلك بلطف الله تعالى ، وبسعد من شرفت كتابي بخدمته ،
وبنيتُ تأليني على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسي لأهف بيابه الأعلى ، وأترين
بلم تربته فأنا العبد وهو المولى ؛ عماد الأنام ، والظل المدود على المسلمين
والإسلام ، ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام ؛ منفق سوق المصارف ،
ومفجر بحور المن والعوارف ، المجير بفضلته وعدله من المفقر الفادحة والخاوف ،
سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن إمام الأئمة الراشدين وولي
عهده سيدنا الأمير الأجل أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم ، وأيد بيضتهم
وحزبهم ، وجمع القلوب على الانقياد لهم ، والوجوه على التوجه قباهم .

وهذا الكتاب وإن كان المعبر عن حسنه ، والغاية الملتزمة في فقهه ، والجامع
لما افرق في سواه ، والمبرز بما وشحه من الزيادات وحللاه ، فإنه لم يتم جماله ،
ولا استوفى احتواءه على الفوائد واشتماله ، إلا ببركة مولانا الخليفة ، واقتران اسمه
الكريم باسم ولي عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة . فالحمد لله على التوفيق
لخدمتهم ، والمونة على شكر نعمتهم ، والتعرض لخيري الدنيا والآخرة في ظل حرمتهم .
وقد بذلت في الخدمة جهدي ، وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس
ما عندي ، ولم أتعاط قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحق الراتب ؛ فاقول
يقصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليم من سبيل .

وقد كنت حين أتممتُ هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلي الأعباء التي
 له والتكليف ، وجلوته كالحسناء ألفت في المنصة النصيف ، كثرت خطابه
 إلى من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستعانة ، فقلت : حتى
 يشرف بلم اليمين العليا ، ويتخصص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابه الأسمى
 يلتقط درة المنظوم ، ويركاته يسطع مكنه العقيق^(١) المختوم .

وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الأهدى ، وبنجته المتقلد منه
 صفة وعهداً ، في شرح الخطابة كلمة كلمة ، وإيضاحها حتى لا أدع لفظة مبهمه ،
 ثم أشرح المقامات على الولاء ، وأسلك الجمع بين الإيجاز والاستيفاء ، ولا حول
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم
 أفضل التسليم .

(١) ط : « العقيق » نصيف ، صوابه من أ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصِّدْرُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ ، وَأَلْهَمْتَ مِنَ
التَّبْيَانِ ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْغَطَاءِ ، وَأَسْبَلْتَ
مِنَ الْغَطَاءِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ ؛ اللَّهُمَّ اسْمُ خَصَّصْتَهُ الْمِيمَ الشَّدِيدَةَ فِي آخِرِهِ بِنَدَاءِ الْبَارِي
سُبْحَانَهُ ، وَالتَّزَمَ مَعَهَا حَذْفَ حَرْفِ النَّدَاءِ لَوُقُوعِ الْمِيمِ خَلْفًا عَنْهُ ، وَلِحُلِّ الْاَلَامِ فِي
أَوَلِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَلِي حَرْفَ النَّدَاءِ لَامُ التَّعْرِيفِ إِلَّا فِي قَوْلِهِمْ : « يَا اللَّهُ » ؛ لِتَكُونَ
الْاَلَامُ الزَّائِدَةُ نَائِبَةً عَنْ حَرْفِ أَصْلَى ، وَهِيَ هَمْزَةُ « إِلَه » ، فَصَارَتْ كَالْأَصْلَى ،
وَفِي غَيْرِ هَذَا الْاِسْمِ تَتَجَرَّدُ الْاَلَامُ لِلزِّيَادَةِ فِي أَوَلِ الْاِسْمِ . وَ « يَا » زَائِدَةٌ فِي أَوَلِهِ
كَذَلِكَ ، وَهِيَ جَمِيعًا لِتَخْصِصِ الْاِسْمِ وَإِزَالَةِ شِيَاعِ التَّنْكِيرِ عَنْهُ ، فَلَمَّا تَقَارَبَا فِي الْمَعْنَى ،
وَتَشَابَهَا فِي الزِّيَادَةِ ، وَطَلَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ الْاِسْمَ دُونَ صَاحِبِهِ ، تَرِكَ
اسْتِعْمَالَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فِي أَوَلِ الْاِسْمِ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّاعِرِ لِإِقَامَةِ الْوِزْنِ . وَأَمَّا الْاَلَامُ
فِي قَوْلِهِمْ : « يَا اللَّهُ » فَلَمَّا كَانَتْ نَائِبَةً عَنْ حَرْفِ أَصْلَى خَفِيَ زِيَادَتُهَا ، فَلَمَّا زَادُوا
الْمِيمَ فِي آخِرِهِ فَضَحَتْ الْاَلَامُ وَشَهَرَتْ مَعْنَى الزِّيَادَةِ ، فَامْتَنَعَتْ « يَا » مِنْ أَوَلِهِ
إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ كَامْتِنَاعِهَا فِي الرَّجُلِ وَالْعِلَامِ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ الْمِيمُ هِيَ الْمَوْجِبَةُ لِمَنْعِ
« يَا » مُحَلَّ الْاِسْمِ مَعَهَا مَعْنَى « يَا » فَصَارَ مُخْتَصًّا بِالنَّدَاءِ مَمْتَنَعًا مِنْ غَيْرِهِ .

وَنَحْمَدُكَ ، مَعْنَاهُ ثَنَى عَلَيْكَ بِآثَمِ وَجْهِهِ الثَّنَاءِ كُلِّهَا ، فَيَدْخُلُ تَحْتَهُ الشُّكْرُ ،

والشكر ثناء يقابل به معروف ، وفي الحديث : « الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره »^(١) ، والحمد ذكر الرجل بتمامه من صفات جليلة . والشكر ذكره بماله من أفعال جزيلة ، من قولهم : دابة شكور ، إذا ظهر بهام السمن فوق مائتا كل من العلف . ويقال : أشكر من برّوكة^(٢) ، وهي شجرة معروفة تنصب بأدنى مطر ؛ ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم والشكر في مقابلة الكفر ، فاختلاف تقيضيهما دليل على اختلافهما في أنفسهما .

البيان : وضوح المعنى وظهوره ، والتبيان : تفهم المعنى وتبينه . والبيان منك لغيرك ، والتبيان منك لنفسك ، مثل التبيين تقول : بينت الشيء لغيري بياناً وتبينته أنا تدياناً ؛ وقد يقع التبيان بمعنى البيان ؛ حكى أبو منصور الأزهري رحمه الله : بينت الشيء تديناً وتدياناً ، قال تعالى ﴿ تَدِينَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣) أي يبين لك فيه كل ما تحتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين ، فهو لفظ عام أريد به الخاص . وقد جمع البيان لكثرة الكلام ، ويُعدُّ ذلك من النفاق ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياء والعق شعثان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعثان من النفاق » أخرجه الترمذي^(٤) . وقال : « العي قلة الكلام والبذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام » . ألهمت : تبهت عليه وفهمته . وأسبغت : أتممت وكثرت . وأسبلت : أطلت . والفتاء ، أراد به ستر الله على عبده .

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ اللِّسَنِ ، وَفُضُولِ الْهَذَرِ ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ
مَعْرِةِ اللَّكَنِ ، وَفُضُوحِ الْحَصْرِ . وَنَسْتَكْفِي بِكَ الْإِفْتِنَانَ بِإِطْرَاهِ

(١) الجامع الصغير ١ : ٢٦٠

(٢) الميدان ١ : ٣٨٨ ، قال في شرحه : « هي شجرة تخضر من غير مطر ، بل ظلت بالسحاب إذا نشأ - فيها يقال » .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) نقله في الجامع الصغير ١ : ٢٦١ عن الترمذي وأحمد والحاكم .

النَّادِح ، وَإِغْضَاءُ الْمُسَامِيحِ ؛ كَمَا نَسْتَكْفِي بِكَ الْإِتِّمَابَ لِإِزْرَاهِ
النَّادِح ، وَهَتَاكَ الْفَاضِيحِ .

• • •

نعوذ، أى نستجير . شَرَّةٌ : حدة، واللسن : حدة اللسان وإدلاله على الكلام .
فضول : زوائد . الهذر : إكثار الكلام بغير فائدة . معرَّة : شدة وصعوبة، والمعرَّة :
المعيب والعار . وقيل : هى كل ما يؤذيك ، وفلان يعرِّقومه ، أى يدخل عليهم
مكروها يلطّخهم به ؛ وأصله من العرَّة وهى الفعلة القبيحة ، أو من العرّ وهو
الجرب . واللكن : احتباس اللسان عند الكلام . فضوح : شهرة وفضيحة . الحصر :
العمى ، وحصر حَصَرًا إذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره . واستعاذ من شرّة اللسن
لأنه من اقتدر على الكلام أداه إلى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة
الحق ، وفيه إثم على فاعله ، وأصل الشرّة القلق والانتشار ، ومنه الشرّ ؛ وقد شرّ
يُشُرُّ ، ومنه شرر النار . ثم استعاذ من ضدها وهى المعرّة ، لأن صاحبها لا يتم لفظه
فيشين بذلك نفسه ، ويقصر عن مراده من البيان . ثم قرن بها الحصر لأن مَنْ
يعتربه يتوالى عليه الوهل والخلجل ؛ فلا يستطيع الكلام ، فيفتضح ويشهر عيبه .
وهذا الفن من الكلام يسمّى فى صنعة البديع المتقابلة ، وأول من صدر به كتابا
عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان^(١) ، فقال : اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول ،
كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن ، كما نعوذ بك
من العجب بما نحسن ، ونعوذ بك من السلاطة والهذر^(٢) ، كما نعوذ بك من العمى
والحصر ؛ وقد يما نعوذوا بالله من شرهما ، ورغبوا إليه فى السلامة منهما ؛ وقد قال
النَّعْرِ بن تولب :

(١) البيان والتبيين ١ : ٣ ، مع اختصار وحذف .

(٢) السلاطة : حدة اللسان والصغب : والهذر : كثرة الكلام فى خطأ .

أَعَذَّنِي رَبٌّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعْلَجَهَا عِلَاجًا
وقال محمد بن علقمة^(١) :

لَقَدْ وَارَى الْقَابِرُ مِنْ شَرِيكَ كَثِيرٍ تَحْلُمُ وَقَلِيلٍ عَابِ
صَوْتًا فِي الْحَافِلِ غَيْرِ عِيٍّ جَدِيرًا حِينَ يَنْطَلِقُ بِالصَّوَابِ

ثم استرسل في ذكر العي والبيان إلى غاية بعيدة ، واستشهد على النوعين بآيتين ؛ بقوله تعالى : ﴿سَلَقُوا كَمِثْلَ السِّنَةِ جِدَادٍ﴾^(٢) ، وفي الضد بقوله تعالى : ﴿أَوْ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣) ؛ فاحتذى الحريري هذا الخدو ، فجاءت تشبيهاته أطبع وأصنع ، وزاد عليه بأن ابتداء بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ ، وبيان المقابلة في كلامه أنه قابل شررة بعمرة واللسن بالكن ، والهدر بالحصر ؛ فإذا تفهمت مواقعها في كلامه قست عليها ما يشبهها في النظم والنثر . وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة ، فقال : هي أن يضع الشاعر ألفاظا يعتمد التوافق بين بعضها وبعض في المخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف ، وأنشد في ذلك :

فيا عجباً كيف اتفقنا فَنَاصِحٌ وَفِي وَمَطْوَى عَلَى الْفِشِّ غَادِرٌ^(٤) !
فجعل بإزاء « ناصح » ، « وفي » ، « غاشاً : غادراً » . ومثله :
فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا^(٥)

نستكفي : معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا الافتتان ؛ وذلك أن تصاب بفتنة الإعجاب ، وأصل الفتنة اختبار الفضة بالنار ، قال تعالى في الاختبار : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾^(٦) ، أي اختبرناك . والفتن : الفضة المحرقة ، والفتن أيضاً : الحجارة المحرقة ، وهي الحجارة تُدَلَّكُ بها الأقدام في الحمام . والإطراء : الاسترسال في مدح

(١) في البيان والتبيين : « محرز بن علقمة » .

(٢) الأحزاب ١٩ .

(٣) الزخرف ١٨ .

(٤) تحرير التعبير ١٨١ — قال : وأحسبه لكثير . وانظر العمدة ٢ : ١٤

(٥) للناطقة الحمدي ، ديوانه ١٧٤ .

(٦) سورة طه ٤٠ .

الإنسان بحضرة ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، وإنما أنا عبد الله ورسوله » .

إغضاء : تجاوز ومسامحة ، وأصله أن يبدو لك الشيء فتدني جفنيك وتقصّر نظرك كأنك لم تره . والإغضاء : الإغماض وأغضيت عنه وأغضت ، إذا تغافلته عنه . المسامح : الموافق لغرضك ، المتجاوز عن عيبك . الانتصاب : الظهور والاعتراض أمام الشيء . إزراء : تقصير وتنقيص . القادح : العائب ، وقدحت الدود في الأسنان والشجر : أكلتها ، فكان فعل هذا العائب في أعراض الناس فعل الدود في الشجر . والقادح أيضا : الذي يضرب الزند بالحجر ليورى . هتك : شق ، وهتك الستر : خرقته . الفاضح : الذي يشهر عيوبك ، وفضحت الشيء : كشفتته .



وَنَسْتَغْفِرُكَ مِنْ سَوَاقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سَوَاقِ الشُّبُهَاتِ ؛ كَمَا نَسْتَغْفِرُكَ مِنْ نَقْلِ الْخَطَوَاتِ إِلَى خِطَطِ الْخَطِيبَاتِ . وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا قَائِدًا إِلَى الرُّشِيدِ ، وَقَلْبًا مُتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ ، وَلِسَانًا مُتَحَلِّيًا بِالصِّدْقِ ، وَنُطْقًا مُؤَيَّدًا بِالْحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ الزَّيْغِ ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ ، وَبَصِيرَةً تُدْرِكُ بِهَا هِرْفَانَ الْقَدْرِ .



نستغفرك : نسألك المغفرة ، وهي من غفرت الشيء سترته . الشبهات : جمع شبهة وهي ما يشبه عليك أمره . والخطوات : جمع خطوة ؛ وهي ما بين القدمين . الخطط : جمع خطة وهي الطريق يخطه الرجل في الأرض يجعله حداً للشيء يحوزه ويعتمده . والخطّة ، بالضم : المنزلة والمزية . والخطيئات : الذنوب ، وهي من الخطأ ، وجعل مساقه .

في المقامات كأنه شهوة اشتبهت عمارها ، ثم اشتبه عليه : هل في ذلك رضا الله أم
سخطه ! فكأنه ساق شهوة إلى سوقٍ يجهل التَّبَاع فيها فلعنه فيها خاسر الصنعة .
فإنَّه استغفر الله منها ، الرُّشد : الهداية رشده الله رشداً وأرشده : هدام . ورشدهو
رُشدًا ورشادا : اهتدى . متحلِّياً : متصفاً ومتزیناً . مؤيداً : مُعاناً . وأصابني
كلامه إصابة : إذا نطق بالصواب ، ورمى فأصاب لم يخطئ . وقوله تعالى : ﴿ رُخَاءَ
حَيْثُ أَصَابَ ﴾^(١) ، أى حيث أراد ، قال القراء : اختلفتُ أنا وعيسى النعوى في
الآية قات : ما أحدٌ أعلم بهذا من رؤية ، قال : فسرنا إليه فلقيناه يتوكأ على اثنين .
فقال : أين تصيبان ؟ أى أين تريدان ؟ ، قلت لصاحبي : كُفِّيتَ السُّؤال^(٢) . ذائدة :
دافعة . الزَّيغ : الميل ، وزاغ عن الحق : مال عنه إلى الباطل . العزيمة : الجد ، وعزم
على الشيء : جدَّ فيه . قاهرة : غالبة . وهوى النفس : ما تحبّه وتميل إليه . بصيرة :
يقينا ، والبصيرة القلب ، والبصر للعين . عِرْفَانُ القدر ، أى معرفة أقدارنا .

وَأَنْ تُسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الدَّرَايَةِ ، وَتَعْضُدَنَا بِالْإِعَانَةِ
عَلَى الْإِبَانَةِ ، وَتَمْنِصَنَا مِنَ الْغَوَايَةِ فِي الرُّوَايَةِ ، وَتَصْرِفَنَا
عَنِ السَّفَاهَةِ فِي الْفُسْكَاهَةِ ؛ حَتَّى نَأْمِنَ حَصَائِدَ الْأَسِنَّةِ ،
وَنُسْكِنَ غَوَائِلَ الزُّخْرَفَةِ ؛ فَلَا نَرِدَ مَوْرِدَ مَائِمَةٍ ، وَلَا نَقِفَ
مَوْقِفَ مَنْدَمَةٍ ، وَلَا نُرْهِقَ بِتَبِيعَةٍ وَلَا مَعْتَبَةٍ ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى
مَعْدِرَةٍ عَنْ بَادِرَةٍ .

° ° °

(١) سورة ص ٣٦ .

(٢) الخبر في الكشاف ٤ : ٧٤ ، وروايته : « عن رؤية ، أن رجلين من أهل اللغة
قصداً لبسألام عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما ، فقال : أين نصيبان ؟ فقالا : هذه
ملبتنا ؟ ورجعنا » .

الدراية: مصدر دَرَيْتُ الشيءَ دِرَايَةً ودَرِيًّا، علمته . تعَضُدًا تعَوِّدُنَا، وعَضْدُه :
أعانه وكان له عَضْدًا . الإبانة : مصدر أبنت الشيء ، أى بَيَّنَّته . تعصمنا من
الغواية ، أى تمنعنا من الضلالة والفساد ، والغواية : مصدر غَوَى غَيًّا وغَوَاية
وغَوَى أيضًا غَوَاية ، وهما ضدَّ رَشَدٍ ورُشْدًا . الرواية : نقل الحديث من صاحبه
إلى طالبه . تصرفنا: تزيلنا . السفاهة : الجهل ، والفكاهة : المزاح وما يستريح
به النفوس وهى فى الكلام كالفاكهة فى الطعام . حصائد الألسنة : شر
كلامها وقطعها فى أعراض الناس، وأراءهم . جاء فى حديث معاذ بن جبل رضى الله
عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إنا لنؤاخذ بما نتكلم ؟ فقال : « تكلمت أملك يا معاذ !
هل يكبُّ الناس فى النار على رؤوسهم إلا حصائد ألسنتهم ! » فدعا الله أن يتمَّ سعيه
بأن يؤمِّنَه عادية الألسنة . والحصائد فى الأصل : جمع حصيدة وهى الحزْمة من
الزراع المحصود فهى فَعِيلَةٌ بمعنى مفعولة ، والحصيد : الشيء المحصود .

نكفى : نمنع . غوائل : قوائل ومهلكات ، واحدها غائلة ؛ وغالته المنية
أهلكته . الزخرفة : تزيين الباطل ، وأصلها تزيين الشيء بالزُّخرف وهو الذهب .
تَرَدُّ : نقصد . مورد مأثمة : موضع إثم ، والمورد أصله للوضع يُشرب منه الماء .
مندمة : ندم . نرهب : نُتَّهِم ونعاب : والزهق : العيب ، وتبعة : خطيئة يتبعه
ضررها بعد الموت . معتبة : سخط ، وهى من العتاب ، وهو تقييح القول على جهة
الإشفاق ، وأصله من عتبتُ الأديمَ ، أى رددته إلى الدِّبَاغ ليصلح ، ومنه : إنما
يعاتب الأديمُ ذو البَشَرَةِ^(١) . ويقال : عتب علىَّ فى كذا عتبا فاعتبته ، أى رجعت
إلى ما يريد وأرضيته . وباء « تبعة » وتاء « معتبة » يكسران ويفتحان . تلجأ :
نُحْوَج . معذرة : اعتذار . بادرة : سَمَطَةٌ وَزَلَّةٌ ، وقد بدرت الكلمة والفعلية :

(١) الميداني ١ : ٤٠ ، قال : « والمعابة : المعاودة ، وبشرة الأديم : ظاهره الذى عليه

الشعر ، أى أن ما يعاد إلى الدِّبَاغ من الأديم ، ما سلت بشرته » .

خرجت من غير أن يدبر موقمها ، وفلان تخشى بواذره ، أى فلتاته .

اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُنِيَّةَ ، وَأَنْلِنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ ، وَلَا
تُضْجِنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ ، وَلَا تَجْمَعْنَا مُضْغَةً لِلْمَاضِغِ ؛ فَقَدْ
مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَبَحَعْنَا بِالِاسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمُسْكِنَةِ ،
بِوَأَسْتَنْزِلْنَا كَرَمَكَ الْجَمِّ ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ ،
وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ . ثُمَّ بِالْوَسْطِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَالشَّفِيعِ
الْمَشْفَعِ فِي الْمَحْشَرِ ، الَّذِي خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ
فِي عِلِّيِّينَ . وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ
الْقَائِلِينَ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ ^(١) . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَالْحَادِيثِ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ ، وَاجْعَلْنَا لِهَدْيِهِ وَهَدْيِهِمْ
مُتَّبِعِينَ ، وَانْقَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ أَنْجَمِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

المنية : ما يتمنى . والبغية : ما يطلب . أنلنا : أعطنا . تضجنا : تكشفتنا .
ظلك السابغ : سترك المديد ، وأصل الظل الستر ، والموضع الذي لا تبلغه الشمس ،
وفي الحديث « ضجاً ظلاً » ، أى عدم فأنكشف موضعه للشمس . مضغة :
لقمة ، وكل ما يعض لقمة ، والماضغ هنا : العائب الآكل أعراض الناس ،
وجعل العرض حين يعيبه مضغة له ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا عُرِجَ

بى سررتُ بأقوامٍ لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقامت :
 مَنْ هَؤُلَاءِ يا جبريل ؟ فقال : « هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ
 فِي أَعْرَاضِهِمْ » . المسألة : الحاجة والفقير . بخمنا : أقررنا ، ونجمع له بحقه أقرب به ،
 ونجمع نفسه : قتلها غيظا ، ومنه : ﴿ فَأَعْلَلْتُ بِأَخِيحَ نَفْسَكَ ﴾^(١) فالتمعية بالباء غير
 التمعية بنفسها . الاستكانة : الخضوع . والمسكنة : الفقر والذلة . استنزلنا :
 طلبنا أن تُنزل علينا ، والاستنزال السؤال بتلطاف . والجَم : الكثير . فضلك :
 إحسانك . عَمَّ : شمل . ضراعة : ذلة . البضاعة : المال يُتجر به . الأمل :
 الرجاء ؛ يقول إن تجارتنا التي نحصل بها منك إحسانك ، رجاؤنا توكلنا عليك .
 التوسل : التقرب . البشر : الخلق ، وهو في الأصل جمع بشرة ، وهي ظاهرة الجلد ،
 وسُموا بشرا ، لظهور أبقارهم خلافا لغيرهم من الحيوان . الشفيع : الطالب
 لغيره . والمشفع : الذي أُعطي الشفاعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خُيرت
 بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ،
 أَرَوْنَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ! لَا وَلَكِنهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَايَا »^(٢) .

الحشر : موضع اجتماع الناس يوم القيامة ، والحشر أيضا : الحشر وهو
 الأشبه باليوم . ختمت : جعلته خاتمهم ، أى آخرهم . درجته : منزلته . عليين :
 أعلى الجنة وكأنه جمع عليّة . المبين : البين . رسول كريم ، قيل : هو
 جبريل ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . مكين : رفيع المنزلة . ثم : معناه
 هناك ، قال الزجاجي : هي إشارة إلى ما كان متراميا من الأماكن ، والأشهر
 أن المراد به في الآية جبريل ؛ ولذا رجع الحريري آخرها فأزال الآية من كتابه ،
 واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم ،
 وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣) ، وليس رجوعه عن القول .

(٢) نقله في الجامع الصغير ١ : ١٨ .

(١) الكهف ٦ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٢ .

جيب ، بل هو حسن ، إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجباً ، إلا أن
 «الثابت عند ابن جهور» (إنه لقول رسول كريم) ؛ قال ابن عباس رضي الله
 عنهما : هو جبريل وهو الرسول لحمد بالقرآن . ذى قُوَّة : لأنه قلع بأحد جناحيه
 أربعَ مدائن لقوم لوط ؛ وهى سدُوم ودامورا وصابورا وعمُورا ؛ فى كل
 مدينة مائة ألف إنسان سوى ما فيها من الدواب والأنعام . آله ، أى أهله وأصله
 «أأل» فأبدلت الهمزة ألفاً ، وأكثر ما نضاف إلى الظاهر ، وقد سُمِعَ إضافتها إلى
 المضمَر فى الشعر والكلام النصيح ، خلافاً لأبى جعفر النعمان وأبى بكر
 «الزُّبَيدى» فإنهما منعاً من إضافتها إلى المضمَر ، وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من
 هاء «أهل» وصوابه أنها أصل فى بابها ، من آل يثول إذا رجع لأنهم يرجعون إليه
 ويُرجع إليهم . الهادين : المرشدين إلى طريق الخير ، وقد هديته الطريق ، إذا
 أرشدته . شادوا : رفعوا وبنوا . هديه وهديهم : طريقته وطريقتهم ، وقال النبى
 صلى الله عليه وسلم «الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرَضاً بعدى ، فمن أحبهم
 فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن
 آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» . جدير : حقيق .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بَعْضُ أُنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّتِي رَكَدَتْ فِي
 هَذَا الْمَضَرِّ رِيحُهُ ، وَخَبَتْ مَصَابِيحُهُ ، ذِكْرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي ابْتَدَأَهَا
 بِدَيْعِ الزَّمَانِ ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ
 «الْإِسْكَندَرِيَّ» نَشَأَتَهَا ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ رِوَايَتَهَا ، وَكِلَاهُمَا مَجْهُولٌ
 لَا يُعْرَفُ ، وَنَكِيرَةٌ لَا تُعْرَفُ .

• • •

أندية : مجالس واحدها ندى ، والندى والنادى والمنتدى : مجلس القوم

للحديث ، وقيل هو من الندى وهو الكرم ، لأنهم يُقصدون فيه فيعطون -
وقيل : هو من النداء الذى هو الصوت لأنه ينادى فيه بعضهم بعضاً ليجتمعوا -
وقيل : هو من الندى وهو المرق لأن الداخل فيه يختشم فيمرق . والأدب : معرفة
الأخبار والأشعار ، وفلان أديب ، إذا كان متفناً مشاركاً . ركبت : سكنت ،
والمقامات : المجالس ، واحداً مقام ، والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامه
ومجلساً ، لأن المستمعين للحديث ما بين قائم وجالس ، ولأن الحديث يقوم ببعضه
قارة ، ويجلس ببعضه أخرى ؛ قال الأعمى : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض
على فعل الخير .

[بديع الزمان الهمداني]

ذكر البديع أبو منصور الثعالبي في يتيته ، فقال : « بديع الزمان هو أبو الفضل
أحمد بن الحسين الهمداني ، مفخر همدان ، ونادرة الفلك وبكر عطار د ، وفريد
الدهر ، وغرة العصر ؛ ومن لم يُلف نظيره في ذكاء التريخ وسرعة الخاطر
وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه في ظرف النثر ومآحه
وغرر النظم ونكته ، ولم يُرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسرّه ، أوجاء
بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها
أنه كان يُنشد القصيدة لم يسمعها قط ، وهي أكثر من خمسين بيتاً ، فيحفظها
كأباً ، ويوردها إلى آخرها ، لا ينخرم حرف منها . وينظر في الأربع والخميس الأوراق
من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا
ويسردها سرداً . وكان يُقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى غريب
وباب بديع ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عما فيها ، وكان ربما يكتب
الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطورده ، ثم هلم جراً إلى الأول ، ويخرجه
كأحسن شيء وأماحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من
إنشائه ، فيقرأ من النظم النثر ، ومن النثر النظم ، ويعطى التوافى الكثيرة ، فيصل

بها الأبيات الرشيدة . ويُقترح عليه كل عروض من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يباعه ، و نفس لا يتعاضد ؛ وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارة القلم ومجاراة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة . خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص الود ، حلوا الصداقة ، مر العداوة . فارق همدان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة ، غرض الخدائنة . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع عنده واستنفذ علمه ^(١) . وورد حضرة صاحب أبي القاسم بن عباد ، قنود من ثمارها ، وحسن آثارها . وورد نيسابور في سنة اثنين وثمانين وثلثمائة ^(٢) ، فنشر بها برزّه ، وأظهر طرزّه ، وأملأ أربعائة مقامة نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدبة وغيرها ، وضمها ما تشهى الأنفس ؛ من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام . وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ... ^(٣) ثم ألقى عصاه بهراً ، فعاش فيها عيشة راضية . وحين بلغ أشده ، وأرنب على أربعين سنة ؛ ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ؛ فقامت نوادب الأدب ، واثلم حد القلم ، وبكاه الفضائل مع الأفاضل ، وورثاه الأكارم مع المكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقى على الأيام نظامه ونثره ؛ والله عز وجل يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه ^(٤) .

(١) البيهقي : « واستنفذ علمه ، واستغزف بحره » .

(٢) في ط : « وولى » ، تحريف ، والعبارة في البيهقي : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكناهم ، والاعتباس من أنوارهم ، واختص بالامتنان أبي سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضائمه لديه ، وتوفر حظله من عادته المعروفة و إسدائه المعروف ، والإفضال على الأفاضل . ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح عله في سفرته فوافاها في سنة اثنين وثمانين وثلثمائة . . . » .

(٣) حذف المؤلف هنا من كلام الثعالبي ما يزيد عن صفحة .

(٤) بيته الدهر : : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن الذي سبب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته ، هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً ، ذكر أنه استنبطها من بنابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، على طبع العرب الجاهلية ، بألفاظ بعيدة حوشية ، فعارضه البديع بأربعمئة مقامة ، خفيفة الأغراض والمقاصد ، بديعة المصادر والموارد (١) . انتهى كلامه .

والذي جاء بها ، فيه قلة الإمتاع للسامع من حديثها ، وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطر ، فجاءت مقامات الحريري أحفل ، وأجزل وأكمل ؛ فلذلك فضلت البديعية . وقد صرح علماء الأدب في كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ، ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع ، قال :

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنَّ قَتَشْتُ فِي لِقَائِهِ

وسئل بعض علماء الأدب من أهل عصرنا عن الحريري والبديع ، فقال : لم يبلغ الحريري أن يسمى «بديع يوم» ؛ فكيف يقارن بديع زمان !
وَجَرَى ذِكْرُ مَقَامَاتِهِ فِي مَجْلِسِ بَعْضِ أَشْيَاخِنَا ، وَكَانَ حَافِظًا أَدِيبًا ، فَقَالَ :
مَقَامَاتُ الْبَدِيعِ نَحْكِي أَنَّهَا ارْتَجَالٌ ، وَأَنَّ الْبَدِيعَ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ فِي آخِرِ مَجْلَاسِهِ : اقْتَرِحُوا غَرَضًا نَبْنِي عَلَيْهِ مَقَامَةً ، فَيَقْتَرِحُونَ مَا شَاءُوا ، فَيَعْمَلُ عَلَيْهِمُ الْمَقَامَةَ ارْتِجَالًا فِي الْغَرَضِ الَّذِي اقْتَرَحُوهُ ؛ وَهَذَا أَقْوَى دَلِيلٌ إِنَّ صَحَّ عَلَى فَضْلِ الْبَدِيعِ قَوْلُهُ عَلَامَةٌ : أَيِ كَثِيرِ الْعِلْمِ ، وَهِيَ بَذْيَةٌ لِلْمَبَالِغَةِ .

[ذَكَرَ هَمْدَانُ]

وهمدان ، بفتح الهم ونقط الذال : بلد بخراسان . وقيل : همدان من كور الجبل . وبلد همدان واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور ، افتتح سنة ثلاث وعشرين ، ويشرب أهلها من عيون وأودية . وقال اليعقوبي : من أراد السير من الدينور إلى همدان سار متزهاً إلى موضع ، يقال له : أسد آباز مرحلتين -

ومن أسد آباد إلى مدينة همدان مرحلتان - وهي كثيرة البرد - وقال فيها ابن خالويه - وهو همداني ، واستوطن حلب عند بني همدان :

إذا همدانُ اعتَرَّها البردُ وانقضى بزعمك أيلولُ وأنت مقسمُ
فميناك عَمَشَاوانِ وَأَنْفُكُ سَائِلٌ ووجهك مودَّ البياض بهيمُ
بلادٌ - إذا ما الصيفُ أُقبلَ - جنةٌ ولكنها عند الشتاء جعيمُ

ولبعضهم :

همدان متلفة النفوس ببردِها والزَّمهريرُ ، وحرَّها مأمونُ^(١)
غاب الشتاء مصيبتها وخريفها فكأنما تموزها كأنونُ

وكل الرواة يروونها « همدان » بفتح الميم ونقط الذال ، إلا ابن اللبابة فإنه رأيت في شرحه : همدان بكون الميم ودال غير معجمة ، وهي قبيلة يمانية ، قال فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

ولو كنت بواباً على باب جنةٍ لقات لهمدان ادخلوا بسلام^(٢)

والرواية الأولى أثبت . قوله : « عزا » أي نسب يقال : عزيتك عزياً ، وعزوتك عزواً : نسبةً ، واعتزى إلى بني فلان : انتسب إليهم ، وأبو الفتح في البديعة بمنزلة أبي زيد في الحريرية ، وعيسى بمنزلة الحارث . نشأتها : صنعتها . روايتها : إسناد أحاديثها . والنكرة التي لا تعرف ، هي في غير الأسماء .

فأشار مَنْ إشارَتُهُ حُكْمٌ ، وَطَاعَتُهُ غُفْرٌ ، إِلَى أَنَّ أَنْشِيَّ
مَقَامَاتٍ أَتْلُو فِيهَا تِلْوَةَ أَنْبِيَاءٍ ، وَإِنْ كَمْ يُدْرِكُ الظَّالِمُ شَأْنَ
الضَّالِّيمِ ، فَذَا كَرَّتُهُ بِمَا قِيلَ فِيمَنْ أَلْفَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ ، وَنَظَمَ

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٧٦ ، ونسبهما إلى كاتب بكر .

(٢) من مقطوعة له ، وأوردها ابن رشيق في العمدة ١ : ٣٤ .

يَتَنَا أَوْ يَتَيْنِ ، وَاسْتَقَلْتُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ ،
وَيَفْرُطُ الْوَهْمُ ، وَيُسْبِرُ غَوْرُ الْعَقْلِ ، وَتَبِينُ قِيَمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ ،
وَيُضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَعَطِيبٍ لَيْلٍ ، أَوْ جَائِبٍ رَجُلٍ
وَخَيْلٍ ، وَقَلَمًا سَلِيمٍ مِكْثَارًا ، أَوْ أَقِيلَ لَهُ عِثَارٌ .

° ° °

[السبب في إنشاء الحريري للمقامات]

عَنْم : غنيمه . وحكى الفنجديهي في شرحه للمقامات : أن الذي أشار عليه بها
هو شرف الدين أنوشروان بن خالدوزير الخليفة ، أمره بإنشاء المقامات وحكم عليه
بها . وقيل : أمره بها صاحب البصرة وواليتها . وقال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر
عبد الله بن محمد بن أحمد بن النُّقُور البزَّار ببغداد يقول : سمعت الشيخ الرئيس
أبا محمد الحريري يقول : أبو زيد السَّروجي كان شجاعاً بليغاً ، ومكدياً
فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حَرَام يتكلم ، ويسأل
شيئاً ، وكان بعضُ الولاد حاضراً ، والمسجد غاص بالفضلاء ، فأعجبهم بفصاحته ،
وحسن صناعته وملاحته ، وذكر أسرار الروم ابنته ، كما ذكرنا في المقامة الحرامية :
وهي الثامنة والأربعون ، قال : فاجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من معارف
فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيتُ لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل ، وسمعت من
لطافة عبارته في تحصيل مُرَادِهِ ، وطرافة إشارته في تسهيل إيرادِهِ ؛ فحكى كلُّ
واحد من جلسائي أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت ، وأنه
سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت . وكان يغير في كل مسجد زِيَّةً
وشكله ، ويظهر في فنون احتياله ، فمجبوا من جريانه في ميدانه ، وافتنانه في
إحسانه ؛ قال الحريري ؛ فابتدأت في إنشاء المقامة الحرامية تلك الليلة ، حاذياً حَذْوَهُ ،
فلما فرغت منها أقرأتها جماعة من الأعيان ، فاستحسنوها غاية الاستحسان .

وأنهوا ذلك إلى وزير السلطان ، واقترحوا على أخواتها ، والله المستعان .

وهذا الذي ذكر المتجديهي قد حدثني بنحوه مَنْ يوثق به من الطائفة « بسند متصل بأبي محمد الحريري ، وأن الحريري وفد مع أهل البصرة ببغداد ، فوجدوا بواسط أبا زيد السروجي^(١) ، فقال : يا أهل البصرة ، أنتم تزعمون أنكم لا تكادون ولا تخدعون ، وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم ، فما تعذر علي فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب من المكر . فلما بلغوا ببغداد أخبروا بالقصة وزير السلطان ، فأمر الحريري بجمع المقامات .

لكن الذي ثبت عندنا ، هو ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو بكر بن أضر . أن الفقيه الراوية أبا القاسم بن جهور ، حدثه أن الحريري حدثه أن قصة المقامة الثامنة والأربعين حق ، وأن رجلاً قام بمسجد بني حرام ، فأظهر التوبة من ذنبه ، وسأل عن الوجه في كفارته ، فقام رجل من بين الناس ، فذكر أسر ابنته ، فنظم الحريري القصة وجعلها مقامة ، وأنها أول مقامة أثبتت في الكتاب . وكان ابن جهور يقول : إن الذي أشار إليه بها في قوله : « فأشار مع إشارته حكم » هو المستظهر بالله العباسي ، وكان لهذا المستظهر رغبة في الطلب ، وحفظ من الأدب ، وعناية بأهل العلم .

وحدث ابن جهور أنه دخل بغداد في أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل حامل علم ، وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان في الديوان ، وأجرى على كل واحد من المال بقدر حفظه من العلم . وكان ابن جهور يحدث أن الحريري ألف المقامات كلها على الركاب ، وذلك أن المستظهر بالله لما أمره بصنعتها ، أخرج كالحافظ على العمال ، فكان يخرج في الأبردين يتمشي في ضفتي دجلة والفرات ، ويصقل خاطره بنظر الحضرة والمياه ، فلم ينقض فصل العمل إلا وقد اجتمع له

(١) السروجي ، بفتح السين : منسوب إلى سروج : بلدة قريبة من حران واسم أبي زيد السروجي المظهر بن سلال القنوي ، وأحد من اشتغل بالتحقيق في البصرة ، ذكره القنطي . في إنباء الرواة ٣ : ٢٧٦ .

مائتا مقامة ، تخلص منها خمسين وأتلف البواقي ، وصدر الكتاب ، ورفع إلى
السلطان ، فبلغ عنده أسنى المراتب .

قوله : « فذا كرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتاً أو بيتين » ،
قال أبو عمرو بن العلاء : الإنسان في فسحة من عقله ، وفي سلامة من أفواه
الناس ، ما لم يضع كتاباً أو يقيل شعراً .

وقال العتابي : من صنع كتاباً فقد استشرف للمدح والذم ، فإن أحسن
قد استهدف للحدود الغيبة ، وإن أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان .

غيره : من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس . وقال حسان :
وإنما الشعرُ عقلُ المرءِ يعرضُهُ على البرية إن كَيْسًا وإنْ حُمْيًا^(١)
وإنْ أحسن بيتٍ أنت قائلهُ بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقاً

واستقلت : طابت الإقالة . المقام : موضع القدمين وأنت قائم . يحار :
يتحير : يفرط : يسبق . الوهم : الغلط . يُسَبَّر غور العتل ، يختبر قدره ومنتهاه ،
وأصله في الجراحات يُختَبَر غورها ، أي بعد قعرها . والمسبار : الحديدة التي يقاس بها
حقدار غور الجراحة ، وسبرها : قاسها به ، يفعل ذلك الطبيب للتقصص أو للدواء ،
ويقال لحديدته : السَّبار والمِسْبار والمِسْبَر والمِسْجَل والمِيل والمِرود والجراف .
تبيين : تبيين . يضطر : يُلجأ . حاطب ليل : جامع الخطب بالظلام ، وهذا مثل
لأكرم بن صيفي حكيم العرب ، ذكره أبو عبيد في الأمثال^(٢) ، وقال : إنما شبهه
مخاطب الليل لأنه ربما نهشته الحية أو لسعته العقرب في احتطابه ليلاً ، فكذلك
المبذار ربما أصابه في إكثاره بعض ما يكره ، قال الفرزدق :

كمحتطبٍ ليلاً أسوداً هضبةً أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه^(٣)

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما يختطب ، فهو يؤلف بين
الخطب الكبير والصغير ، التوى والضعيف ، والجيد والردى ، فكذلك المكثار

(١) ديوانه ٢٩٢ . (٢) فصل المقال ٢٥ ، ولفظ المثل فيه : « المكثار كحاطب الليل » .

(٣) ديوانه ٥١

يأتى بالضعيف من الكلام والتقوى والجيد والردى، فشبّهه لذلك بالحاطب، وأراد
بـ «جالب رجل وخيل» ما أراد بحاطب الليل، لأن الرجل ضعيف والفارس
قوى. والمبكر: الكثير الكلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَثُرَ
كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَ ذَنْبُهُ، وَمَنْ كَثُرَ ذَنْبُهُ كَانَتْ
النَّارُ أَوْلَى بِهِ، أَلَا مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»^(١).
أقيل: أقيم ورفع. عثار: انكباب وسقوط، وإقالة العاثر أن ترفعه من
سقطته، ومنه الإقالة في البيع ونحوه.

• • •

فَلَمَّا لَمْ يُسَعِفْ بِالْإِقَالَةِ ، وَلَا أَعْنَى مِنَ الْمَقَالَةِ ، لَبِثَتْ
دَعْوَتُهُ تَلْبِيَةً الْمَطْبِعِ ، وَبَدَأَتْ فِي مُطَاوَعَتِهِ جُهْدَ الْمُسْتَطْبِعِ ،
وَأَنْشَأَتْ - عَلَى مَا أَعَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ ، وَفِطْنَةٍ خَامِدَةٍ ،
وَرَوِيَةٍ نَاصِبَةٍ ، وَهُمُومٍ نَاصِبَةٍ - خَمْسِينَ مَقَامَةً ، تَحْتَوِي عَلَى جِدِّ الْقَوْلِ
وَهَزْلِهِ ، وَرَقِيقِ اللَّفْظِ وَجَزْلِهِ ، وَغَرَرِ الْبَيَانِ وَدُرَرِهِ ، وَمُلْعِ الْأَدَبِ
وَنَوَادِرِهِ ، إِلَى مَا وَشَّحَتْهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، وَمَحَاسِنِ الْكِنَايَاتِ ،
وَرَصَمَتِهِ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَاللَّطَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَالْأَحَاجِي
النُّحْوِيَّةِ ، وَالْفَتَاوَى الْأَنْوِيَّةِ ، وَالرَّسَائِلِ الْمُبَشِّرَةِ ، وَالْخُطَبِ
الْمُحَبَّرَةِ ، وَالْمَوَاعِظِ الْمُبْكِيَةِ ، وَالْأَصَاحِيكِ الْمُلْهِمَةِ ، بِمَا أَمْلَيْتُ
جَمِيعَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ ، وَأَسْنَدْتُ رِوَايَتَهُ إِلَى
الْحَارِثِ بْنِ هَاشِمٍ الْبَصْرِيِّ .

• • •

يُسَعِفُ: يُوَاتِي وَيُنِيلُ الرِّغْبَةَ ، وَأَسْعَفَتِ الرَّجُلَ بِمَطْلَبِهِ : سَاعَدَتْهُ عَلَيْهِ .

(١) الجامع الصغير ٢ : ٢١٤ .

والإسفاف المصدر ، وساعفته مساعفة : قضيت إرادته . ولا أعنى من لقالة ، أى
لم يُعفى من كلامه وإحاليه ، وأعفيت : الرجل وعافيته : أزلت عنه ما يشق عليه ،
وأصله الترك ، ومنه إعفاء اللحية . وهو أن يتركها على حالها ، ومنه : عفا الله عنك .
لنيت : أجبت وقلت : ليك . أنشأت : ابتدأت وأخذت أفعل . أعانيه : أعالجه ،
وأصلها من القضاء وهو التعب . قريحة : ذهن ، وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ،
ومنه القريحة للجراحة ، لأن أصلها مادة وشبه الدهن بذلك لما يتولد عنه من
اللعانى . فطنة : ذكاء ، والفطن : الذكى . خامدة : ساكنة ، وخدت النار :
سكن لها . روية تدبر ، وروأت الأمر ، تدبرت كيف تصنع ، وأصل الروية
بالهمز واستعملت بغير همز . ناضبة : جافة ، ونضب الماء : غار في الأرض .
ناصة : متعبة ، وهم ناصب على معنى النسب ، أى ذو نصب ، ولو جاء على
القياس ل قيل : منصّب ، لأن فعله أنصبه لهم ، وقال بشر :

تَعْنَاكَ هَمٌّْ مِنْ أُمِيمَةٍ مُنْصِبٌ وجاء من الأخبار ما لا يكذب^(١)

ونصب نصباً : أعيا من التعب . جزلة : غليظة ومتينة . غرر : جمع غرة وهي
خيار الشيء ومنه غرة الفرس وهو البياض في جبهته فجعلها للبيان مجازاً . دُرَرُه :
جمع دُرَّة ، وهي الجوهرة العظيمة ، والكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر . ملح :
جمع ملحة ، وهي مליح الكلام . نوادره : غرائب . وشعثها : زينتها . الكنايات :
خرب من الألفاظ ، وأصل الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه ، إما لإبهام على
جائسك أو لتعظيم أو لتحقير ، فالإبهام أن تذكر لفظاً يُفهم من ظاهره غير
مرادك ، مثل قوله تعالى حاكياً عن هود عليه السلام ، حين قال له قومه : ﴿إِنَّا
لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ...﴾ قال يا قوم ليس بي سفاهة^(٢) ، فليس في اللفظ زيادة على نفي

(١) مطلع قصيدة في ديوانه ٧ - ١٢ ، ورواية المطر الثاني فيه :

• كَذَى الشَّوْقِ لَنَا بَنَاهُ وَسَيْذَهَبُ •

(٢) - سورة الأعراف ٦٦ ، ٦٧ .

السفاهة ، وقد تضمن الكلام التكذيب لهم والتعظيم ، مثل كناية الرجل بأبي فلان ، ترك اسمه وعدل إلى كنيته تعظيماً له . والتحقيق : أن يكون الشيء خيباً فتأفف من ذكره فتذكره بغير اسمه ، مثل قوله تعالى : ﴿ كَانُوا يَا كِلَانَ الطَّمَامِ ﴾^(١) فكنى عن الحدث بالأكل لما كان يتولد عنه . رصعته : نظمته ، وألصقت به بعضه ببعض ، وتاج مرصع : مزين بخرز وجوهر ينظم فيه . اللطائف : الرقائق والكامة اللطيفة ، أى الرقيقة المعنى التى تحل فى القلب فتلطّفه . الأحاجى : ضرب من الألفاظ واحداً أحجية ، وهى قولك لصاحبك : أخرج مافى يدي ولك كذا ، تقول العرب : أحاجيك مافى يدي ؟ وحجّياك مافى يدي ؟ وهى من الحجى ، وهو العقل .

الفتاوى اللغوية ، أراد بها المسائل المائة التى فى الثانية والثلاثين ، والفتيا : إظهار الشيء المستول عنه عند السؤال . المبكرة : التى لم يسبق إليها ، وبكر وابتكر خرج بكرة ، ومنه الباكور وهو المبكر من كل شيء فى الإدراك ، وبكر كل شيء : أوله . الحبرة : المزينة ، وحبرت الشيء تحبيراً زينته ، وأصلها من الحبر ، وهى ثياب تصنع باليمن فيها رقوم وتزيين . أمليت : ألقيت ، وأمليت على الصبي : ألقيت عليه ما يكتب . أسندت : رفعت .

وَمَا قَصَدْتُ بِالْإِنْحَاضِ فِيهِ ، إِلَّا تَنْشِيطَ قَارِنِهِ ، وَتَكْثِيرَ سَوَادِ طَالِيهِ . وَلَمْ أُوْدِعْهُ مِنَ الْأَشْعَارِ الْأَجْنِبِيَّةِ إِلَّا يَتَيْنِ قَذْبِنِ ، أَسَسْتُ عَلَيْهِمَا بَنِيَّةَ الْمَقَامَةِ الْخُلَوَانِيَّةِ . وَآخَرَيْنِ نَوَآمِينَ ضَمْنَتْهُمَا الْمَقَامَةُ الْكَرْجِيَّةُ^(٢) ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَخَاطِرِي أَبُو عَذْرِهِ ، وَمُتَّضِبِ حُلُوهِ وَمُرِّهِ .

(١) سورة اللّٰهة ٧٥ .

(٢) ١ ، ط : « خواتم للمقامة الكرجية » ، وما أنهت من ج .

هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِأَنَّ الْبَيْدِيعَ رَحْمَةُ اللَّهِ سَبَّاقُ غَايَاتٍ ، وَمَا حِبُّ
آيَاتٍ ، وَأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ بِمَنْدِهِ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ ؛ وَلَوْ أَوتِيَتْ بِبِلَاغَةٍ
قُدَامَةٍ ، لَا يَتَعَرَّفُ إِلَّا مِنْ فُضَائِلِهِ ، وَلَا يَتَرَى ذَلِكَ الْمُنْتَرَى
إِلَّا بِدَلَالَتِهِ .

• • •

الإحماض : الانتقال من شيء إلى شيء ، وأصله في الإبل ترى الخلَّة ، وهي
حُلْو المرعى فتتمله فتنتقل إلى الحِمَض تأكل منه فيذهب الحمض عن قلوبها استيلاء
الحلاوة ، فتنشط بذلك على الرعى فيقال : أحض الرجل إحماضا ، والعرب تقول :
الخلَّة خبز الإبل ، والحمض فأكمتها ، فأراد به تنقله في المقامات ، من حكاية فائقة ،
إلى قضية راقية ، ومن موعظة تبكي إلى ماعية تُسلى ، وفي ذلك تنشيط وترغيب
في قراءتها ، وَتَقَى اللَّيْلَ وَالْكَلَّ عَنْ قَارِئِهَا . سواد : أشخاص ، ويسمى الشخص
سواداً ، لأنه يسود الأرض بظله . أودعه : أضمنه . الأجنبية : التي ليست من شعره .
والأجنبي : من ليس بينك وبينه قرابة ، من الجنابة وهي البعد . فذَيْن : منفردين .
هذا من شعر وهذا من آخر . توأمين : أخوين من شعر واحد . أسست :
أصلت ، والأساس أصل الحائط . الخوانية والكرجية : منسوبتان إلى حلوان
والكرج ، وهما بلدان . ماعدا : ماجاوز . خاطري : ذهني . أبو عُذْرَه ، أى
أول صانع له ، يقال للمرأة : فلان أبو عُذْرَها ، أى أول زوج تزوجها فوجدها عذراء
فافتحها وأزال عُذْرَها ، أى ما بها من صموبة . مقتضب . مقتطع . حُلْوِه ومُرّه :
جيده ورديته .

غَايَات : جمع غاية وهي طَاقٌ ^(١) الخليل ، والسَّباق منها الذي يحىء أبداً سابقاً ..

(١) الطلق : الشوط الواحد في جرى الخيل .

التصدى : التعرض . بلاغة : فصاحة ، وأصلها أن يبلغ الإنسان من الكلام والحجة ما أراد .

[ذكر قدامة بن جعفر]

قدامة ، هو أبو الوليد^(١) بن جعفر ، كان بليغاً مجيداً عالماً بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها ، وله كتاب يعرف بسرّ البلاغة في الكتابة ، وترجمته تدلّ على متضمنه ، وله تحقيق في صنع البديع يتميز به عن نظرائه ، وتديق في كلام العرب يُرَبِّي فيه على أكفائه ، وتحديق في علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه ؛ فلذلك سار للمثل ببلاغته ، واتفق المتقدم والتأخر على فضل براعته .
الفضالة : البقية من الماء وغيره ، وهي ما فضل عن الحاجة . واغترفها : أخذها بيده . يسرى ذلك السرى : يقصد ذلك المقصد ، وأصل يسرى ، يسر بالليل . دلّالته : تقدمه وهدايته ، وتفتح دالها وتكسر ، والفتح أكثر . والدليل بالقلاة : الذي يهدي القوم قصدم .

• • •

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَاتِلِ :

فَلَوْ قَبْلَ مَبْنِكَاهَا بَكَيتُ صَبَابَةً

بِسُعْدَى شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَأَكِنَ بَكَتِ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ

بُكَاهَا ، فَقُلْتُ : الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

• • •

(١) كنيته في معجم الأدباء ١٨ : ١٢ : أبو الفرج ، واسمه قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب . قال : « كان أحد البناء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ؛ ومن يشار إليه في علم النطق » .
(٢ - شرح مقامات الحريري)

مبكاه : بكاءها . صباة : شوقا . هيج : حرك ، والبيتان لدى بن
الرقاع ، وقبلهما :

ومما شجاني أننى كنت نائماً أعلل من فرط الكرى بالتشم^(١)
إلى أن دعت ورقاء فى غصن أيبكى تُردد مبكاهاً بحسن الترم
فلو قبل مبكاهاً . . .

[عدى بن الرقاع]

وعدى هو أبو زيد بن مالك ، ينتمى إلى معاوية بن الحارث ، وينسب
إلى الرقاع وهو جدُّ جدّه . وكان شاعراً مقدّماً عند بنى أمية ، مداحاً لهم ، خاصّاً
بالوليد بن عبد الملك ، ومنزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ،
وكان من أوصاف الناس للمطية ، وكذا ذكره صاحب الأغاني^(٢) فى ترجمته .
وقال نوح بن جرير لأبيه : من أنسب الناس^(٣) ؟ قال : ابن الرقاع فى قوله :
لولا الحياء وأن رأسى قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم^(٤)
وكانها بين النماء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنت فى عينه سِنَّة وليس بنائم



أقرّ الحريرى هنا للبديع بالفضل ، وجعله سباقاً للغايات ، وما أحسن هذا
الأدب منه ، مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، ومن أدل دليل على ذلك
أنه منذ ظهرت مقامات الحريرى لم تستعمل مقامات البديع ، ثم إنه طبق استعمالها
آفاق الأرض ، إلا أنه أسرّ هنا شيئاً ، لأنه ختم كلامه ، بأن البديع فضله بالتقدم ؛
وهذا منه مذهب مستحسن ، ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ،

(١) السكامل للبدر ٣ : ١٢٥ ؛ قال أبو الحسن الأختس : الصحيح أن الشعر لتصيب .

(٢) الأغاني ٩ : ٣١٠ (٣) الأغاني : الشعراء .

(٤) الأغاني ٩ : ٣١٣ ، وعسى ، أى اعتد واتقصر .

ثم لم ير نفسه قدراً في قوله : « وإن لم يدرك الظالمُ شأوَ الضليع » ؛ فجعل نفسه كالفرس الأعرج الذي جريه إذا اجتهد دون مشى الصحيح ، وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوة . ثم لما بلغ إلى هذا الموضع بعد أسطار صرح في الظاهر للسامع بأن البديع سبق غايات ، وصاحب آيات ، وأومى لمن فطن ، أنه إنما فضله بتقدم الزمان . ثم خلط الكلام في الخفاء بين المتقدمين والمتأخرين ، ثم تناسى ذلك إلى آخر الكتاب في السابعة والأربعين ، وصرح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع ، حيث يقول :

إن يكن الإسكندري قبلي فالطل قد يبدو أمام الويل
• والفضل للوايل لا للطل •

ولو كان غير من العلماء المنسوبين إلى سوء الأدب ، ورأى فضل مقاماته ، لذم البديع وقص كتابه فكان ينعكس الذم عليه ؛ وكذا رأينا في الغالب من ادعى لنفسه فضلاً ، وازدري غيره ، أنه قلما يكون إلا ممقوتا ، فلما أظهر الحريري مدح البديع ، ووفاه قسطه من التفضيل والترفع ، ولم ينظر إلى نفسه إلا بطرف خفي قل من يتفطن له ، ستر الله عليه ورفع صيته ، ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة . فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب^(١) فلا يذم كتابه إلا أحد الرجلين فذين ذكرهما ؛ إما جاهل ، أو حاسد .

• • •

[القديم والحديث في الأدب]

ومذهب الناس في تفضيل الحديث على القديم ؛ وأكثرهم على تفضيل القديم ، وقد أحسن حبيب حيث يقول :

قل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول^(٢)

(١) ط : « مغرب ... مشرق » ، والوجه ما أتيت من الأدب .

(٢) ديوانه ٤٥٧ .

كم منزل في الأرض بألفه التي وحيته أبداً لأول منزل
وقال :

لَا زِلْتَ مِنْ شَكْرِي فِي حُلَّةٍ لَا يُسْبَا ذُو سَلْبٍ فَآخِرٌ^(١)
يقول من تفرع أسماعه : ما ترك الأول للآخر
وذكر ابن شرف علة ذلك فقال :

أولع الناس بامتداح القديم وبذم الحديث غير الذميم^(٢)
ليس إلا لأنهم حسدوا الحق ومالوا إلى العظام الرميم^(٣)
وللتأخرين شعر كثير في تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين ؛ من أحسنه
قول للمري :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتي بجالم نستطعه الأوائل^(٤)
وقال ابن عمار :

أنا ابن عمار لا أخفي على أحدٍ إلا على جاهل بالشمس والقمر
إن كان آخرني دهرى فلا عجبٌ فوائد الكتب يستلحقن في الطرر
والذي ذكر أبو العباس في الكامل هو الحق ، قال : وليس تقدم العهد
يفضل القائل ، ولا لحدائثة العهد يهضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق^(٥) .

[القول في الحمام]

وأما بيت عدى في الحمام ، فالحمام قد ذكر العرب لها في أشعارها ، ونلم
هنا بفصل منها ؛ يروى عن علي رضي الله عنه أنه اشتكى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحشة فقال له : « اتخذ حمامة تؤنسك وتصيب من فراخها ، وتوقظك
للصلاة بتفريدها » .

(١) ديوانه ١٠٤٣ .

(٢) ألف باء ١ : ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) سقط الزند ٥٢٥ .

(٤) الكامل ١ : ٢٩ .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا الحمام فإمها
تلهي الجن عن صبيانكم »^(١) .

وروى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يحبه النظر إلى
الحمام الأحمر وإلى الأترج .

وكان إبراهيم بن سيار يعجب بالحمام ، وكان إذا ذكرها يقول : إن الله
جمع فيها حسن المنظر ، وكريم الخبر ؛ تكفيك مؤنتها ، وتكثرك معونتها ؛
فهى للطارق عُدَّة ، وللمستوطن لَذَّة ، تطعم في الصحراء ، وتعود عليك بالسَّراء ،
ويأنس الوحيد بحركاتها ، وتُغني عن الأوتار بنغماتها ؛ وغيرها من الطير يستعجم
وهى ناطقة ، وينفر عنك وهى داجنة ، وفي طباعها سكون إلى الناس واستئناس
بهم ، وهى طير عفيف ، يبقى الذَّكر بعد الأُنثى مفرداً ، والأُنثى مثل ذلك ، مع شدة
اتفاقهما على المحبة ، إن طارا طارا معاً ، وإن وقعا وقعا معاً ، لها سرعة طيران ،
لا تكاد تصيدها سباع الطير إلا بحيلة .

ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتغريد البلبل والورشان ، وقد
ذكرت العرب من رقة تسجيعة ما يبعث التذَّكر ، ويولد الشجون ، ويهيج
الأسى ، ويجدد رقة القلب ؛ حتى يجعل البكاء فرضاً معها ، والتصابي لازماً لأجلها ،
وأعراب وادى القرى إذا ظفروا بشراب الطائف ، أتوا حوائط النخل عند
استعلاء الظهيرة ، إذا صارت الوراشين والقواخت إلى تلك الظلال ، فيشربون
هوياً سون بتغريدهن ، وقيمون ترجيع أصواتهن مقام المزامير والأوتار . وأنا
أأسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر ، كقول أبي صخر الهذلي :

ولم أَدْعُ غَوْرِيَّةُ الْإِيكَ سَجَّعَتْ فسَجَّعَ دَمْعِي يَسْتَهْلُ وَيَسْتَشْرِى^(٢)

(١) الجامع الصغير ١ : ٩ ، وانظره : « اتخذوا هذه الحمام المقاصيص » .

(٢) زيادات شرح أشعار الهذليين ١٣٣١ ، عن الشريشي .

بذكري شجوي دعاه حمامة وبيعت لوعات الصبابة في صدري
بكت حزناً رزء الهديل وشفني فراق حبيب ضاق عن فقد صبري
وأشد الأصمعي فقال :

أيها البابل المرد في النخل غريباً عن أهله حيراناً
أفراقاً تشكوه أم ظلت تدعو فوق أفنان نخلة ورشانا !
هاج لي صوتك المرد شجواً رب صوت يهيج الأحزاناً
وقال آخر :

أحن إلى حوائط ذات عرق تغريد الفواخت والحمام^(١)
ألم بها بكل فتى كريم من الفتيان مخلوع الزمام
وقال آخر :

إذا غنت على الأغصان ورق أجبتناها بإعمال الدمام
وقال آخر :

سيفنيك عن مزار آل محرق وصرعهم تغريد تلك الحمام
بأبكة أطيار تجاوبن بالضعى على باسقات مائلات فواعم
وأشد أبو علي عفا الله تعالى عنه :

ومن بستان إبراهيم غنت حمام بينها قنن رطيب^(٢)
قلت لها وقيت سهام رام ورقط الريش مطعمها الحبوب
كما هيجت ذا حزن معني على أشجانه فبكي الغريب
وقال نصيب :

لقد هفت في جنح ليل حمامة تبكي على إلف وإني لنائم^(٣)

(١) ذات عرق : مهل أهل العراق . وهو الحد بين نجد ونهامة . بالقوت .

(٢) البيت الأول في معجم البلدان ٢ : ١٧٨ ، وقال : « وأشد الأيوردي لبعضهم »
وبستان إبراهيم في بلاد أسد .

(٣) من أبيات أربعة في ديوان المهزون . وكذا نسبها صاحب تار الأزمار ٢٥ .

كذبتُ وبيت الله لو كنتُ عاشقاً كما سبقتني بالبكاء الحارمُ
 وأنشد أبو العباس لمحمد بن ثور :
 وما حاجَ هذا الشوقَ إلا حمامةٌ دعت ساقَ حرٍّ ترحمةً وترنماً^(١)
 مُجَلَّاةٌ طوقٍ لم يكن من تيميةٍ ولا ضربَ صَوَاغٍ بكفيه درهما
 تَفَنَّتْ على غصنٍ عِشاءٍ فلم تدعْ لسانيةٍ في نوحها متلوماً
 إذا حَرَكَتهُ الريحُ أو مال ميلةٌ تَفَنَّتْ عليه مائلاً ومُقَوِّماً
 عجبت لها أني يكون غناؤها فصيحاً ولم تَفَرَّ بمنطقها قماً
 فلم أرَ مثلي شاقه صوتُ مثيها ولا عريباً شاقه صوتُ أعجمها
 وقال حبيب :

لتضمضت عبراتُ عينك أن دعتُ ورقاه حين تضعض الإخلام^(٢)
 لا تشجيني لها فإن بكاءها ضحك وإن بكاءك استغرامُ
 من الحمام ، فإن كسرت عيافةً من حائنين فإنهن حمامُ
 وسمع حبيب بخراسان غناءً بالفارسية ، فلم يدر ما هو ، غير أنه شوقه فقال :
 حَدَّثَكَ لَيْلَةٌ شَرُفَتْ وطالتُ أقام سهادها ومضى كراها^(٣)
 سمعتُ بها غناءً كان أولى بأن يقتاد نَفْسِي مِنْ غَنَّاها
 ومسمعةٌ يحارُّ السمعُ فيها ولم تصممه لا يصمم صدأها

(١) الكامل ٣ : ١٢٤ ، قال : « أما قول حبيب : دعت ساق حرٍّ ؛ فإنما حكى صوتها » . ولشرح الديوان : هو ذكر القمارى . وبسده في الكامل :

إذا شئتُ غَنَّنِي بأجزاءٍ يَشَّةٍ أو النخل من تثليث أو بيلها
 مطوقة خطباء تسجعُ كُلماً دَنَا الصَّيْفُ وانجاب الربيعُ فأنجمها

انجمال : ألقم . وانظر ديوان حبيب ٢٤ - ٢٧ .

(٢) ديوانه ٢٧٩ وروايته « انصبرت » .

(٣) ديوانه ٤٦٧ ، وروايته :

شَكَرْتُكَ لَيْلَةً حَسَنَتْ وطلبتُ أقام سرورها ومضى كراها

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شعجأها
وظلت كأنتى أعمى معنى يحب الغانيات ولا يراها
يعنى بهذا الأعمى بشاراً حيث يقول :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(١)
قالوا بمن لا ترى تهذى ! فقلت لهم : الأذن كالعين توفى القلب ما كانا^(٢)

وَأَرْجُو أَلَّا أكونَ فِي هَذَا الْهَذَرِ الَّذِي أوردتهُ ، وَالْموردِ
الَّذِي تورّدتهُ ، كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ ، وَالْجَادِعِ مَارِنَ
أَنْفِهِ بِكَفِّهِ ، فَالْحَقُّ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

قوله : « الهذر الذى أوردته » ، أى الإكثار الذى أتيت به ، وقد تقدم
المورد^(٣) . وتورّدته : اقتحمته . الباحث : المفتش ، والظلف : للبقر والغنم كالخافر
للخيل والحير . وهذا مثل للعرب ؛ وذلك أن ماعزة كانت تقوم ، فأرادوا ذبحها
فلم يجدوا شفرةً ، فنبشت بظلفها فى الأرض ، فاستخرجت منها شفرة ، فذبحوها
بها ، وقالوا : بحثت عن حنفها بظلفها ، فارت مثلاً . وقال الشاعر :
وكانت كعنز السوء قامت بظلفها إلى مديّة تحت الثرى تستيرها^(٤)

(١) الأغاني ٣ : ٢٣٨ .

(٢) توفى ، أى تبلغ . (٣) صفحة ١٨ من هذا الجزء

(٤) لفرزدق ، ديوانه ٧١ ، وروى أبو عبيد قبله :

وكان يُجِيرُ النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فَأَصْبَحَ يَبْنِي نَفْسَهُ مَنْ يُجِيرُهَا

وقال أبو الأسود :

خلا تلك مثل التي استخرجت بأخلافها مذبذبة أو يفيها^(١)
 فقام إليها بها ذابح ومن يذبح يوماً شعوباً ينجيها^(٢)
 ولفظ المثل عند أبي عبيد « كالمز تبحت عن المذبة »^(٣) والجادع : القاطع
 الأنف. والمارن : طرف الأنف ، وأراد به قصيراً مولى جذيمة الأبرش. وقد ذكرنا
 قصته في شرح الرابعة والعشرين. ورجا المصنف ألا يدركه من الضرر ما أدركا^(٤)
 من الضرر حين جنياً على أنفسهما وانتفع غيرهما. ضل سعيهم : خابت أعمالهم ،
 وأصل ضل ، تحير فلم يدرك أين يتوجه ، وأصل السعي المشى بسرعة . سمع أعرابي
 رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ، فقال : أنا أعرفهم ، قيل له :
 من هم ؟ قال : الذين يبرّدون ويأكل غيرهم .

على أنني وإن أغمض لي الفطن المتعابي ، ونضج عني
 المحب المتعابي ، لا أكاد أخلص من غمر جاهل ،
 وأو ذى غمر متجاهل ، يضع مني لهذا الوضع ، ويندد بأنه
 من مناهي الشرع .

ومن تقد الأشياء بعين المعقول ، وأنعم النظر في مبانى
 الأصول ، نظم هذه المقامات ، في سلك الإفادات ، وسلكها
 مسلك الموضوعات ، عن المعجّات والجمادات .

(١) ديوانه ٢٢ (ضمن مجموعة نقائس المخطوطات) .

(٢) رواية الديوان : « ومن يذبح يوماً شعوباً » ، والشعوب : علم على النية .

(٣) فصل المقال ٢٨٨ . (٤) كذا في الأولى ط : « أدركها » .

أغمض : سامح وسد عينيه عما لم يرض . والفطن : الذكي . المتغابي : المتجاهل
عن الشيء وهو عارف به ، وهو مما يُحمد به الرجل ، قال حبيب :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي (١)

ونضح بالماء : غسل . الحبابي : الذي يفضلني على غيري ، وحباني : اختصني
بالمعطة ، وأصل حباباه أن تعطيه ويعطيك ، وقد يكون في معنى «حبابه» . الغمر :
الجاهل . ذي غمر : صاحب عداوة . متجاهل : مستعمل للجهل وهو على خلافه ؛
يقول : إن سد عينيه عن عيب فطن ذو عقل ، أو تغابي حين يبصر لي خطأ ، أو رأى
لي ذلك العيب محبة ، فجعل يفصله عني لمحبه لكلامي ؛ فلا أخلص مع ذلك ،
إما من جاهل يعيب ما لا يفهم ، أو من عارف يظهر لي عداوة وحدا ، فيرد حسني .
قبيحاً ، وهو عارف بحسني ؛ فيشج في الناس أن المقامات أكاذيب ، وهو
عارف بفضائلها وما قصد بها .

[من أقوالهم في الحقد مدحا وذمًا]

والغمر : الحقد ، وصاحبه مذموم ، ولا أعرف من تعرض من الفصحاء
لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جاء به إلى الرشيد في
قيوده ، فقال له ابن خالد - وأراد أن يبيته : باغني أنك حقود ، قال عبد الملك :
أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر ؛ إني لباقيان في صدري -
وفي رواية أخرى : إني لصدري خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر -
فقال الرشيد : والله ما رأيت أحدا احتج للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ،
فتفتح الباب لابن الرومي ، فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد :
لئن كنت في حفظي لما أنا مودع من الخير والشر انتحيت على عرضي .

(١) ديوانه ، الورقة ١٥٤ مخطوطة دار الكتب رقم ١٢٩ - أدب

لَمَّا عَيْبَتْنِي إِلَّا بِفَضْلِ أَمَانَةٍ وَرَبِّ أَمْرِي يُزْرِي عَلَى خُلُقِي مُحَضٍّ^(١)
وَلَوْلَا الْحُقُودُ لِلْمُسْكِنَاتِ لَمْ يَكُنْ

لِيَنْقُضَ وَتَرَا آخِرَ الدَّهْرِ ذُو قَضٍ
وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوْعَمُ الشُّكْرِ فِي الْفَقْرِ
وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبُ إِلَى بَعْضٍ

غَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ
فَمَنْ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْمَوْضِعِ
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيَّةِ، فَاتَّعَلَّ الْمَذْهَبُ الْأَعْلَى، وَقَالَ يَعْيبُهُ، ضَارِبًا بِهِمْ
إِلَى الْبَلَاغَةِ فِي الْوَجْهِينِ :

يَأْمَدُ الْحَقْدُ مَحْتَالًا لَهُ شُبُهًا	لَقَدْ سَلَكْتَ إِلَيْهِ مَسْلَكًا وَغَاثًا ^(٢)
يَادْفِنِ الْحَقْدُ فِي خِصْفِي جَوَانِحِهِ	سَاءَ الدَّانِينَ الَّذِي أَضَعْتَ لَهُ جَدَثًا
الْحَقْدُ دَاءٌ دَوِيٌّ لَا دَوَاءَ لَهُ	يَرَى الصَّدُورَ إِذَا مَا جَمُرَهُ حُرْبًا
فَاسْتَشْفِيْنُهُ بِصَنْحٍ أَوْ بِمَحَادَّةٍ	فَإِنَّمَا يُبْزَأُ الْمَصْدُورُ مَا نَفَثَا
إِنَّ الْقَبِيحَ إِذَا أَصْلَحَتْ ظَاهِرُهُ	يَعُودُ مَا لَمْ مِنْهُ حَرَّةٌ شَيْئًا
كَمْ زَخْرَفَ الْقَوْلَ ذُو زُورٍ وَلَبَّسَهُ	عَلَى الْعُقُولِ وَلَكِنْ قَلَا لَبَا

• • •

قوله : « يضع مني » أي يحط من منزلتي . الوضع : الكتاب . يندد : يشهر
العيب ، وندد به ، إذا أسمعته للكروه . قد الأشياء : فتش وبحث عاينها . العقول =
العقل . أنعم : بالغ . وأصل النظام جعل حبات الجواهر في خيطها وضمها فيه لغيرها ؛
ثم مُمَيَّ يَتُّ الشعر نظاما ، لأن الكلام فيه ملتصق ببعضه ببعض كحبات الجواهر ،

(١) الديوان : « إلا بما ليس عائي وكم جاهل يزري » .

(٢) ديوانه الورقة ٥ : ، مخطوطة دار الكتب ١٢٩ - أدب .

والبيت يضمه كالخيط ، والسلك : خيط الجوهر . والإفادات : الفوائد . سلك : قصد . الموضوعات : الكتب المؤلفة ، أى أدخلها مدخل هذه الكتب . العجاوات : البهائم ، وسميت واحدها عجماء لأن صوتها لا يفهم منه معنى . والجمادات : ما عدا الحيوان ، وأراد ما أُلّف من الكتب مما لا حقيقة له فى الظاهر ، وقد مضمّن الحكم الشافية فى الباطن ، مثل كتاب كيلة ودمنة وغيره مما أُلّف على السنة ما لا عقل له ولا روح . وكذلك المقامات ، وإن كان ظاهرها كذبا فالتصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله ، وأن يكتسب تجارب الدنيا من حكايات السُّروحي ، فيكون متنبها لما يطرأ عليه من التوازل ، فتؤمن على عقله الغفلة والخديعة ، إلى ما ينضاف إليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر ، فإنها أعون شئ عليها .

[مما روى من الحكم على السنة البهائم وغيرها]

ومما يحكى على السنة البهائم ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينا راع فى غنم إذ عدا عليها الذئب ، فأخذ شاة منها ، فطلبه الراعى منه حتى استنقذها ، فالتفت إليه الذئب وقال : من لها يوم السَّبْع ، يوم ليس لها راع غيرى ! « (١) » .

بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها ، فالتفت إليه البقرة فكلّمته فقالت : أنا لم أخلق لهذا ، وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! تعجبا وفزعاً ؛ أبقرة تتكلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نأى مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر » (١) .

السَّبْع ، بسكون الباء : أرض الحشر والسبع : الفزع .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقتلوا اليهود وحتى يختبئ اليهودى وراء الحجر فيقول الحجر : يا عبد الله ، يا مسلم هذا يهودى ورأى فاقته » (٢) .

(١) صحيح مسلم ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ (٢) صحيح مسلم ٢٢٣٩

لَطْف سؤال الرجل ، إذا رَقَ لفظه ولم يكن فيه جناء ، فتقبله القلوب ، وألطفه .
الرجل سؤاله ، إذا سألك بحنان وتلطّف ، واللفظ الرفق ، وألطفك أيضا : برزتك .
وأكرمك ، فالإلطف مصدر اللفظ ، ويروى : «الألطف» جمع لُطْف وهو الرفق ،
يقال : لطف الله بالعباد لُطْفًا ، رَفَقَ بهم رَفَقًا ، وهو راجع إلى الأول . نادٍ : مجلس .
رحيب : واسع . محتو : مشتمل . نحيب : بكاء . ولجت : دخلت . غابة الجمع :
وسط الناس ، وأصل الغابة الشجر الملتف يغيب فيه مَنْ يدخله . لأسبر : لأفقس .
وأراد دخلت بين الناس لأجرب وأعرف ما الذي أبكاهم وجلب دموعهم .
ويروى ، «نخابة» بالخاء ، وهي من الحلب ، يقال : انحلبت عينه ، إذا سالت بالدمع .
بُهْزة : وسط . شَخَتْ : دقيق ورقيق ، والشَخَتْ : الحطب الرقيق : أهبة :
السياحة : آلة العبادة ، وهي مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك .
يطبع الأسجاع ، أي يرتبها ويصنعها ، تقول : طبعت الدرهم والسيوف إذا صنعتها .
وطبعت الكتاب إذا ختمته ، وكانت الملوك تكتب في فصوص خواتمها « لا إله
إلا الله » و « الملك لله » وتطبع بذلك كتبها ، وهذا المعنى أليق بطبع الأسجاع ، أي يرتبها
ويختتمها بجواهر كلامه ، ومن روى « لجواهر » باللام فعلى « يصنعها » لا غير .
والتفسير على الروایتين أخذته عن أبي ذر . والأسجاع الكلام المنقّر ، له قافية :
كقافية الشعر ، وكان من كلام الكهان ، وهذه الموعظة التي في المقامة من الأسجاع ،
وسجعت الحمامة ، إذا غنّت على طريقة واحدة . يقرع : يضرب . الأسماع : الآذان .
زواجر : نواجر ، وزجره : نهاه وانتهره . أحاطت : حلفت : أخلاط : أصناف .
مختلطون . الزُمَر : الجماعات . الحالة : الدارة حول القمر من نوره ، والطفأوة : الدارة
حول الشمس . والساهور : هو غلاف القمر الذي يستتر فيه ما نقص منه . الأكمام :
جمع كِمٍّ ، وهو الغلاف الذي ينشق عن الثمر ويحيط به . وُسْمِي كِمًّا لأنه يستتر ما تحته .
والأكمام : جمع قليل ، والكثير كام . والثمر حمل الأشجار . دلفت : قربت .
ودلف الشيخ في مشيته ، إذا أسرع من ضعف فقارب خطوه . اقتبس من فوائده :

التمس وطلب أخذها واكتسابها . والفرائد : شذور الذهب تفصيل ما بين الجوهر .
 خب في محاله : أخفى كلامه ، والخبّ عدو سهل ، وهو الذى تسميه العامة السير ،
 وفرس ميسر . والجال للخيول : موضع تصرفها وجريها . هدرت : صوتت .
 شقاشق : جمع شقشقة ، وهى النفاخة يخرجها فحل الإبل من حلقه عند هياجه ورغائه ،
 ويرجع فيها هديره ؛ شبه صوت الواقع حين يرفعه ويزجر به الناس بصوت البعير
 يهيج ويتابع الهدير ، قال الأخطل :

إِذَا هَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَنَشِبَتْ لَهُ الْأُظْفَارُ تُرِكَ لَهُ الْهُدَارُ^(١)
 أراد: نَشِبَتْ وَتُرِكَ ، فَخَفَّ .

أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَائِهِ ، السَّادِلُ ثَوْبَ خَيْلَانِهِ ، الْجَامِيعُ
 فِي جَهْلَاتِهِ ، الْجَانِعُ إِلَى خَزَائِنَاتِهِ . . . إِلَامَ تَسْتَرٍ عَلَى غَيْكَ ،
 وَتَسْتَرٍ مَرَعَى بَيْتِكَ ! وَحَتَامَ تَنْتَاهِي فِي زَهْوِكَ ، وَلَا تَنْتَهِي
 عَنْ لَهْوِكَ !

السَّادِر : الراكب هواه ، لا يردّه شيء استطالة وبغياً ، ويقال للذى يطيل
 الجلوس فى الشمس حتى يتحير بصره : قد سدر فهو سادر . فى غلوائه : فى ارتفاعه
 للشرّ ولجأه فيه ، وهو من غلا يغلو فى الأمر ، إذا جاز الحد ؛ فيقول : يَا أَيُّهَا الْأَعْمَى
 الْكَثِيرُ اللَّجَاجِ فِي رُكُوبِ الْمَعَاصِي ؛ هَلَّا نَظَرْتَ بَعَيْنَ الْبَصِيرَةِ ، وَرَجَعْتَ عَمَّا أَنْتَ
 عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ ! السَّادِل : المرعى . خَيْلَانُهُ : كِبَرُهُ . الْجَامِيع : الجارى إلى غير

(١) ملحق ديوانه ٣٥٨ مما نقله عن الشريشى .

تجابه ، وقد جمع الفرس إذا أكب رأسه ، وجرى في غير قصد ، فيريد أنه أكثر الفساد حتى جرى منه في غير طريق . الجاحح : المائل . الخزعبلات : الأباطيل ، وهو ما يترأى للإنسان في نومه من الخيال . تستمر : تدوم في زورك . غيبك : خلاك . تستمرى : تستلبيب من المرى ، وهو ما يلتذبه من الطعام . بنيك : ظلمك . تناهى : تباع النهاية ، ونهاية الشيء ، آخره . زهوك : كبرك وعجبك . اللهو : ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب .

[نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر]

وقال القاضي أبو جعفر^(١) بن عمر في ذم الكبر وما يتعلق به :
 وَلَا تُنْسَبْ إِلَى كِبَرٍ فَهَذَا أَبُوكَ التُّرْبَ يَخْفِضُكَ انْتِسَابًا
 وَلَا تَصْغَبْ أَخَا كِبَرٍ وَقَدَّمَ عَلَى النَّفْسِ الْأَعَادِيَّ وَالصُّحَابَا
 وَلَا تَحِبَّ بِحَابَةِ بَمْدَحٍ كُنِيَ بِالْمَرْءِ حُوبًا أَنْ يُحَابِي
 وَحَازِرًا أَنْ تُرَى فِي الْقَوْمِ رَأْسًا وَلَا تَنْسِ الذُّنُوبَ وَكُنْ ذُنَانِي^(٢)
 تَرَابًا كُنْ هُنَا فَمَاكَ إِلَّا تَمَنَّى أَنْ تَكُونَ غَدًا تَرَابَا
 وقال أبو نواس :

حَذَرْتُكَ الْكِبَرَ لَا يَنْشَاكَ مِيسَمُهُ فَإِنَّهُ مَابَسَّ نَازَعَتَهُ اللَّهُ^(٣)
 يَابُوسَ جَلِدٍ عَلَى جَوْفٍ مُجَوَّفُهُ يَحْوِي مَقَازِيرَ إِنْ كَلِمَتُهُ تَاهَا^(٤)
 يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا يَبِينُ بِهِ إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانُ وَالْجَاهَا
 إِنِّي لَأَمَقْتُ نَفْسِي عِنْدَ نَحْوَتِهَا فَكَيْفَ آمَنُ مَقْتَ اللَّهِ إِيَّاهَا

(١) ط : « أبو خسر » ، وما أثبتته من ١ . (٢) الدنانى : أذئاب الناس .

(٣) رواية الديوان ١٩٧ :

يَابُوسَ جَلِدٍ عَلَى عَظْمٍ مَحْرَقُهُ فِيهِ الْخُرُوقُ إِذَا كَلِمَتُهُ تَاهَا

وقال أبو المتهية :

عجبتُ للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يُقبرُ (١)
ما بال من أوله نطفة وجيفةً آخره يفخرُ !
أصبح لا يلك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذرُ

تبارزُ بمتصيتك ، مالك ناصيتك ، وتجترى بقبعر
سيرتك ، على عالم سريرتك ، وتتوارى عن قريبك ، وأنت بمرأى
مريبك ، وتستخفي من مملوكك ، وما تخفى خافيةً على ممليكك .
أتظن أن ستنفك حالك إذا آرتحالك ! أو ينقذك مالك ،
حين توبقك أعمالك ! أو يُعني عنك ندمك ، إذا زلت قدمك !
أو ينطف عليك مشرك ، يوم يضمك محشرُك !

قوله : « تبارز » ، أى تكاشف وتقابل . والبارز : الظاهر المنكشف . والناصية :
شعر مقدم الرأس . تجترى : تقدم وتشجع . والجريء : الشجاع المقدام . سيرتك :
عادتك ، وجمعها سير وهي ما يعامل به الناس من خير أو شر ، وتقول : سرت
سيرة من خير أو شر ، إذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك ، فصارت عادة لهم ،
ولذلك نسرنا السيرة بالعادة حيث وقعت ، وأصل السيرة هيئة عمل السير ، وذلك
أنك تقول : جلس فلان جلسة بالفتح ، وهي المرة الواحدة من جلوسه ، فإذا

(١) ديوانه ١٠٣ ، ورواية صوره فيه : « ما احب الإنسان في فخره » .

كسرت الجليم فهي هيئة جلوسه، ومثله ركب ركبة، والركبة هيئة ركوبه، وتقول :
 سار هذا الفعل سيرة، والسيرة بالكسر : هيئة سيره في الناس من حسن أو قبح.
 أو صواب أو خطأ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : هيئة أفعاله حيث كانت.
 تتوارى : تستر . بمراى من رقيبك ، أى بمنظر ربك أو بحيث يراك ، ورقب
 الشئ : حافظه وحارسه . ملىكك : مالكك ، وأراد أن الإنسان إذا خلا برية ،
 استتر بها عن أخيه وعبدته حياء منهما ، ولا يستحي من ربه الذى يطلع على
 معاصيه ، ولا يخفى عليه خافية، وأشار إلى قوله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ
 وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ... ﴾ الآية ، وقال عمر بن عبد العزيز
 رضى الله عنه :

إن كنت تعلم أن الله ياعمرُ يرى ويسمع ما يأتى وما تذرُ
 وأنت فى غفلة من ذاك تركب ما نهاك عنه ، فأين الخوف والحذر !
 تجاهر الله إقداماً عليه ، ومن حثالة الناس تستعجى وتعتذرُ
 وقال نابغة بنى شيبان :

إن من يركب الفواحش سراً حين يخلو بسرّه غير خال^(١)
 كيف يخلو وعنده كتابه شاهداه وربّه ذو الجلال !^(٢)
 وقال أبو نواس :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلُ خلوتُ ، ولكن قل على رقيب^(٣)
 ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ
 لهونا لعمر الله حتى تراكم^(٤) ذنوبٌ على آثارهن ذنوبُ

(١) ديوانه ٦٤ .

(٢) الديوان : « ذو الحال » .

(٣) ديوانه ٧٠١ .

(٤) رواية الديوان : « لهونا بغير طال حتى ترادفت » .

حالك : عزتك ومالك . آن : حان وقرب . ارتحالك : انتقالك . توبقك : تهلكك ، يقال : أوبقته الذنوب ، أهلكته فوبق ، أى هلك ووبق أيضاً . وقال أعشى قمدان :

أستغفرُ اللهَ أَعْمَالِي الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ عَثْرَةٍ إِنْ يَغَاقِبْنِي بِهَا أُبِقِ
زَلْتُ : زلقت . معشرك : قومك . محشرك : موضعك الذي تُحشَرُ إليه .

هَلَا أَنْتَهَجْتَ مَحْجَةً اهْتِدَائِكَ ، وَعَجَلْتَ مُعَالَجَةَ دَائِكَ ،
وَقَلَّتْ شِبَاةُ اعْتِدَائِكَ ، وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ أَكْبَرُ
أَعْدَائِكَ !

أَمَا الْحَمَامُ مِيعَادُكَ فَمَا إِعْدَادُكَ أَوْ بَأْسُ شَيْبِ إِنْذَارِكَ ، فَتَلَا
أَعْدَارُكَ ، وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ ، فَمَا قِيلُكَ ! وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ
فَمَنْ نَصِيرُكَ ! طَالَمَا أَتَقَطَّكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ ، وَجَذَبَكَ
الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ ، وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبرَةُ فَتَمَامَيْتَ ، وَحَصَصَ لَكَ
الْحَقُّ فَتَتَمَارَيْتَ ، وَأَذْكَرَكَ الدَّوْنُ فَتَنَاسَبْتَ ، وَأَمَّا كُنْكَ
أَنْ تُوَايِسَ فَمَا آسَيْتَ .

انتهجت : ركبت . والنهج المنهج والمنهاج : الطريق الواضح . محجة : طريق ،
من حَجَّه يُحْجُّهُ ، إِذَا قَصَدَهُ . اهتدائك : استقامتك . معالجة : مداواة . قلت :
كسرت . شباة : حد . اعتدائك : جورك وظلمك . قدعت : كفت

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس عدوك الذي إن قتلتك كان لك نوراً ، وإن قتلك دخلت الجنة ، ولكن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » . قال الأصمعي : كنّا بطريق مكة في بعض المنازل ، إذ وقفت علينا أعرابية فقالت : أطعمونا ثمّا أطعمكم الله ، فناولها بعض التوم شيئاً فقالت له : كسبت الله لك كل عدو لك إلا نفسك .

قوله : « أما » : حرف إخبار^(١) واستفتاح كالأ . الحام : الموت ، من حُم الأمر ، قضى . اليعاد : الموعد . ما إعداك : ما استعددت له ، والإعداد مصدر أعدّ للأمر إذا هيأ له ما يحتاج إليه من عُدّة ، يقول : الموت هو الذي واعدت به أن بأتيك ولا بدّ ، فاستعدّ له من أفعال البر .

وللفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران :

يا صاح في الموت لنا حكمة بالغة لو أننا نتفهم
فأعمل له قبل مفاجاته ويحصد الزارع ما قد زرع
لا حيلة تُنجيك منه ولا ذو وزر عنه به يتمنع
كم أمم أنفاسهم قبلنا وشمل قوم شته فانصدع
ولحيب :

لقد أيقنت بالموت نفسي لأنني رأيتُ النايَا يَخْتَرِمَنَ حياتيَا^(٢)
فيا ليت أني بعد موتي ومبعثي أكونُ رُفَاتًا لا على ولا ليا
الشيْب : الشيب ، يقال : شاب رأسه شيباً أو مشيباً . إنذارك : إعلامك ، هو أنذارك : أعلمك بما تحذر وخوفك منه ، وأراد قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾^(٣) ،
حوافظ هذا المعنى في الحادية والأربعين مستوفى نقلاً ونثراً .

(١) قوله : « أما » : حرف إخبار . . . الظاهر أن هذا استفهام تقريرى — حاشية ط .

(٢) سورة فاط ٣٧ .

(٣) ديوانه ٤٨٤ .

قالوا خرج أسد وذئب وثمانيتون، فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنبا، فقال الأسد للذئب : أقسم بيننا هذا ، فقال : الحمار للملك ، والغزال لي ، والأرنب للشعلب ؛ فرفع الأسد يده فضربه ضربة ، فإذا هو مجذّل بين يديه . ثم قال للشعلب : أقسمها ، فقال : الحمار يتغذى به الملك ، والغزال يتعشى به ، والأرنب بين ذلك ، فقال الأسد : ويحك ما أقضاك ! مَنْ عَمَلَك هذا القضاء ؟ قال : رأس هذا الذئب . وحدث الشعبي ، قال : صادر رجل قُبْرَةً ، فقالت : ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك وأكلك ، فقالت : والله ما أشبع من جوع ، وخير لك من أكلتي أن أعملك ثلاث خصال : واحدة وأنا في يدك ، والثانية وأنا على الشجرة ، والثالثة وأنا على الجبل . قال : هاتي : قالت : لا تلهفنّ على ما فات ، نخلي سبيلها ، فلما صارت على الشجرة قالت : لا تصدّقنّ بما لا يكون أنه سيكون ، فلما صارت على الجبل قالت له : يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلي درّتين ، كل واحدة عشرون مثقالاً ، قال : فعضّ الرجل على شفته تأنّها ، ثم قال : هاتي : الثالثة ، فقالت : أنت قد نسيت فتين فكيف أخبرك بالثالثة ! ألم أقل لك : لا تلهفنّ على ما فات ، ولا تصدّقنّ بما لا يكون أنه سيكون ! أنا ولحي ودمي وريشي لا يكون في عشرون مثقالاً ، فكيف يكون في حوصلي درّتان كل واحدة عشرون مثقالاً ! ثم طارت وذهبت . وأمثال هذه المثلح أكثر من أن تحصى .

وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ نَبَأِ مَمْنُوعٍ عَنْ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ ، أَوْ أَتَمَّ رُؤَايَاهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ .

ثُمَّ إِذَا كَانَتِ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَبِهَا انْعِقَادُ الْعُقُودِ الدِّيْنِيَّاتِ ، فَأَيُّ حَرْجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلَحّاً لِلتَّنْظِيرِ ، لَا لِلتَّمْوِيهِ ، وَنَحَا بِهَا مَنَحَى التَّهْدِيْبِ ، لَا الْكَازِيْبِ ! وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ مَنْ

«تَدَبَّرْ لِمَلِيْمٍ ، أَوْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ !

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أَتَحِلَّ الْهَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ ، لَا عَلَى وَلَا يَأْ

قوله : «نبا سمعه» أى ارتفع ، وأصله فى السَّيْفِ إذا ارتفع فلم يعض فى الضربة .
 آثم : جعلهم أصحاب آثم . انعقاد العقود ، أى ارتباط العقائد . حرج : إثم ، وأصل
 التحريج التضيق . للتنبيه ، أى لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر . تحا
 منعى : قصد مقصد . التهذيب : التلخيص ، وهذا بت الطالب : أخرجه وخلصته ،
 ورجل مهذب : مخلص من العيوب . ويروى : ندب وانتدب ، فندب دعا ، وانتدب
 أجاب . وهدى : أرشد . صراط مستقيم : طريق معتدل ، ومن فعل ما ذكر
 مأجور غير آثم ، لكنه مع هذا رضى أن يخلص ممن يتكلم فى كتابه بتعيب ،
 وأن يخرج من هذا الكتاب كفافاً لأجر ولا وزر ؛ بل نرجو له الأجر على تبة
 بالإفادة والتعليم ، إن شاء الله تعالى .

وَبِاللّهِ اعْتَصِمُوا ، فِيمَا أَعْتَمِدُ ، وَأَعْتَصِمُوا بِمَا يَصِمُ .
 وَأَسْتَرْشِدُ ، إِلَى مَا يُرْشِدُ ؛ فَمَا الْمَفْزَعُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا
 الْإِسْتِعَانَةَ إِلَّا بِهِ ، وَلَا التَّوْفِيقُ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا الْمَوْزِلُ
 إِلَّا هُوَ ؛ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، وَهُوَ
 نِعْمَ الْمُعِينُ !

أعتضد : أستعين . أعتمد : اقتصد . أعتصم : أمتنع . بصم ، يعيب . أسترشد :
أستهدى . يرشد : يهدى ويدلّ على الخير . والمفرع : الملجأ ، وكذلك الموئل .
وتقول : فرعتُ إلى فلان ، إذا لجأتُ إليه واستعنتُ به ليحميك ويمنعك ، وفرعت
منه : خفته ، والمفرع الذي ذكره مصدر بمعنى الفرع . وتقول : وألت من ذلك ،
إذا نجوت منه ، وأنت موئلي منه ، أى الذى تنجيني منه . والمفرع : الموئل
والحصن ، تفرع إليه فينجيك من طالبك . أنيب : أرجع . والإنابة : الرجوع
إلى الله تعالى والتوبة إليه .

المقامة الأولى وهي الصنعانية

حدث الحارث بن همام قال : لما اقتعدت غارب الغراب ،
وأنتني المتربة عن الأتراب ، طوحت بي طوائج الزمن ، إلى
صنعاء اليمن ، فدخنتها خاوي الوفاض ، بأدى الإنفاض ؛ لأملك
بلغة ، ولا أجد في جراي مضغة .

إن قيل : لأي معنى اختار الحريري حارثاً وهماً وأبا زيد ، دون غيرهم من
الأسماء ؟ فالجواب أنه إنما قصد لهم لأتسموا بأسماء الأصديق الأسماء ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الحديث المرفوع : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحبُّ الأسماء إلى الله
عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة »^(١) .
وصدقهما أنه ليس أحدهما إلا وهو يحرث ، أي يحاول الكسب أو يهتم بحاجته .
وأما أبو زيد ، فإن صدق أنه إنسان بعينه كما تقدم في الصدر وقع الاكتفاء
به ، وإن لم يصدق فقد حكى أهل اللغة أنه كنية الكبر ، وأنشد ابن قتيبة :
أعار أبو زيد يميني سلاحه وحذ سلاح الدهر للرم كالهم^(٢)
وكنت إذا ما الكلب أنكر أهله أفدى ، وحين الكلب جذلان نائم
سلاحه : العصا . وإنكار الكلب أهله ، إذا لبسوا السلاح . وجذلان نائم ، في
الجذب إذا ماتت المواشي فيشبع من لحومها وينام . وقال ابن الأعرابي : يقال للشيخ
الكبير : أبو زيد وأبو سعيد . والسروجي في الغالب إنما يصفه بالكبر والهرم .

(١) نقله في الجامع في الصغير ١ : ٢٢٤

(٢) ما يحول عليه ، مصورة ، مكتبة المجمع القوي الورقة ٢٠١ .

فوقمت التسمية لغوية، وإنما عني بالحارث بن همام نفسه، لأنه يصفه بأشياء لا تليق
إلا بالدهر، مثل قوله :

وكل سرح فيه ذئبي عاثٌ حتى كآني للأثام وارثٌ

* سامهم وحامهم ويافث *

ومثل قوله :

ووترت أرباب الأرا نك والدّرانك والسجوف

وهي كثيرة، وفي الخمين له كلام لا يابق إلا بالدهر، فجعل أخذ الحارث
من أبي زيد، كناية عن علم الحريري بما جرب من صروف الدهر.

قوله : « اقتعدت » أي ركبت، وأصله اتخذت قعدة أو قعوداً، وهما اسمان
للبحير يقعد عليه راكبه . والغارب : مقدم سنام البعير . والاعتراب والغربة :
التحول في البلدان والبعد عن الأوطان، وسيأتي ما أصابها، وأراد : لما اتخذت
ظهر الغربة قعوداً. أناثى : أبعدتى . المترية : الفقر . الأتراب : الأصحاب
على سنن واحد . طوّحت : رمت .

وطوايح : نوايب ؛ تقول : طوّحت بالرجل ، إذا رميت به إلى الهلاك ،
وقياس الطوايح المطاوح لأنك تقول : طوّحت فهي مطوّحة والجمع مطوّحات
ومطاوح . قال أبو عبيد : جاءت الطوايح على حذف الزيادة ، وردّ الفعل إلى
أصله ، فإنه من طاحت فهي طائحة ، والجمع طوايح ، قال أبو عمرو الشيباني :
جاءت على النسب ، مثل لابن وتامر ، أي ذولين وذو تمر وذات تطويح ،
قال الشاعر :

لِيُبَيِّنَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخْصُومَةٍ وَغَتَبَطُ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَامِحُ^(١)

ومثله ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾^(٢) : تقديره ملاقيح ، لأنك تقول :
أَلْقَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ إِذَا جَمَعَتْهُ وَأَلْقَتْهُ . وضارع مرتفع بمضمر تقديره : يبكيه
ضارع ، وهو الذليل .

* * *

[مدينة صنعاء]

صنعاء ، بلد باليمن ، وأضافها إلى اليمن ، لأنَّ تَمَّ صنعاء أخرى ، وهي قرية
بدمشق . وكان اسم صنعاء في القديم « أزال » ، قال ابن الكلبي والشرقي^(٣) :
ولما واقعها الحبشة قالوا : نعم ، فسمي جبلها نعم^(٤) أي انظر ، فلما نظروا إلى
مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا : هذه صنعاء ، وتفسيرها هنية ،
فسميت صنعاء^(٥) .

وحكى الهمداني قال : وأهل صنعاء يقولون في الإسلام : إنها القرية
المخفوفة ، وأنهم سمعوا هاتفا يقول في بعض أيام من حاربهم : كلُّ عليكِ
يا أزال ، وأنا أتمنن عليك !

وأقدم قصور اليمن وأنبيها ذكرًا ، وأبعدها صيتًا عُمدان وقصر أزال ، وهي
صنعاء .

(١) تهشل بن حري ؛ في مرتبة له ؛ وهو من شواهد الكتاب على أن الفصل المسند
لك ضارع ، حذف جوازا ، أي يبكيه ضارع . خزائن الأدب للبغدادي ١ : ١٤٧ .
(٢) سورة الحجر ١٥ .

(٣) هو الشرقي بن القطلبي ، واسمه الوليد والشرقي لقب له .

(٤) في ياقوت : « نعم ، أحد حصون اليمن » .

(٥) في ياقوت : « قالوا : هذه صنعة ، ومعناها حصينة » .

والذى أسس عُمدان وابتدأ بنيانه، واحتفر بئرہ الذى هو اليوم سقاية لمسجد جامع صنعاء، سام بن نوح عليه السلام، على ما يذكره علماء صنعاء واليمن، وذلك أنه لما مات نوح اجتوى بعده السكنى فى الأرض الشمالية، فأقبل طالماً فى الجنوب يطلب أطيب البلاد، حتى صار إلى الإقليم الأول، فوجد اليمن أطيبه مكاناً، وصنعاء أطيب اليمن، فوضع مقراته — وهى المحيط الذى يقدر به البناء ويبنى على حدّه — فوضع الأساس فى ناحية فج عُمدان فى غربى الجبل، وهو اليوم معروف بصنعاء، فلما ارتفع بعث الله طائراً، فاخطف القرارة فطار بها، وتبعه سام، لينظر أين يقع؛ فأم بها جنوب النعم من سفح نعم، فوقع بها، فلما أتبعه طار بها، وطرحها على حرة عُمدان، فلما قوت، علم سام أنه قد أمر بالبناء هنالك؛ فأسس عُمدان، واحتفر بيده بئرہ المسقى كرامة، ويستقى منها إلى اليوم لكنها أجاج^(١).

خاوى الوفاض: فارغ الزاود، ويقال: خوى الرجل، إذا سجد فترك بين جسده وبين الأرض خواء، وخوى البعير: برك على هذه الحال. والوافاض: جمع وفضة وهى شبه الجراب، وهى أيضاً كنانة السهام إذا كانت من جلد لا من خشب، فإن كانت من خشب مجلد أو غير مجلد فهى كنانة أو جعبة.

ابن سيدة فى المحكم: الوفضة خريطة يعمل فيها الراعى أدواته وزاده. والوفضة: جعبة السهام. قال أبو منصور الأزهري معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنه أمر بصدقة [أن] توضع فى الأوافاض»: ^(٢) إنهم أخلاط الناس. قال الفراء: هم أهل الصفة. أبو عبيد: هذا كله عندنا واحد؛ لأن أهل الصفة أخلاط من قبائل شتى، ويمكن أن يكون مع كل واحد منهم وفضة، فعلى هذا من قصر الوفضة

(١) معجم البلدان ٤ : ٣٨٦ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٥ : ٢١٠ ، قال فى شرحه : هم الفرق والأخلاط من الناس .

على الجُمُعة ، وخطأ الحريري بأن الزاد لا يكون في الجُمُعة ، فهو المخطئ .
والجاهل باتساع اللغة . بادی الإنفاض : ظاهر الفقر ، وقد أنقض ، إذا فني زاده ،
وأنقض الجراب إذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ، ومنه قولهم : التفاض
يَقَطَّرُ الجَلَبُ ^(١) ، أي فناء زادهم يحمل إبلهم قطاراً ، أي مربوطة بعضها خلف
بعض ، تساق إلى السوق فتباع ، فيأكلون ثمنها ، قال الهذلي :

لَهُ ظَبْيَةٌ وَلَهُ عُكَّةٌ إِذَا أَنْفَضَ الْقَوْمَ لَمْ يَنْفَضِ ^(٢)

ظَبْيَةٌ : جَرَبٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدِ ظَبْيٍ . بُلَغَةٌ : زَادَ لِلْمَسَافِرِ يَبْلُغُ بِهِ مِنْ يَوْمِهِ
إِلَى نَدْوِهِ . الْجَرَابُ : وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يُصْنَعُ لِلزَّادِ . مُضْمَةٌ : لُقْمَةٌ .

فَطَفَقْتُ أَجُوبُ طُرُقَاتِيَا مِثْلَ الْمَاهِمِ ، وَأَجُولُ فِي حَوَامَاتِيَا
جَوْلَانِ الْمَاهِمِ ، وَأَرُودُ فِي مَسَارِيحِ لَحَاتِي ، وَمَسَايِعِ غَدَوَاتِي
وَرَوَاتِي ، كَرِيثًا أُخْلِقُ لَهُ دِيْبَاجَتِي ، وَأُبُوحُ إِلَيْهِ مَحَاجَتِي ،
أَوْ أَدِيْبًا تُفَرِّجُ رُؤْيَتَهُ غُمَّتِي ، وَتُرَوِّي رِوَايَتَهُ غُمَّتِي ؛ حَتَّى
أُدْتَنِي خَاتِمَةُ الْمَطَافِ . وَهَدَتْنِي فَاتِحَةُ الْإِطَافِ ^(١) ، إِلَى نَادِ رَحِيْبٍ ،
يُخْتَوِي عَلَى زَعَامٍ وَنَحِيْبٍ ، فَوَلَجْتُ غَايَةَ الْجَمْعِ ، لِأَسْبُرَ تَحْجَابَةَ
الدُّمْعِ ، فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْخَلْقَةِ ، شَخْصًا شَخَّتَ الْخَلْقَةَ ، عَلَيْهِ

(١) مثل ، ذكره صاحب اللسان ، وقال في شرحه : • يقول : إذا ذهب طعام القوم
أو برتهم فطروا إبلهم التي كانوا يخدمون بها ، فجلبوها للبيع فباعوها واشتروا بثمنها مرة • .
(٢) لأبي التلم الخزاعي . شرح ديوان الهذليين ٣٠٥ . العكَّة : النعش الصغير
وأنقضوا : ذهب ما عندهم .

(٣) متن المقامات : • الألفاظ • ، بفتح الهمزة .

أَعْذَارُكَ: جمع عذر ، والإعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر في طلب الحاجة إذا بالغ فيها . قال ابن السبتي وجنس قوافيه :

الشَّيْبُ فِي مَفْرَقٍ حَلَا وَعَقْدُ عَهْدِ الْمَلِاحِ حَلَا
وَكَانَ كَالْأَبْنُسِ رَأْيِي فَاحْتَلَاهُ عَاجُهُ فَحَلَا
وَحَرَمَتْ وَصْلِي الْغَوَانِي وَقُلْنَ قَتْلُ الْعَمِيدِ حَلَا

اللحد : خفرة في جانب القبر ، ولحد الميت وألحده : شق له في جانب القبر .
وأصل اللفظة الميل . ومقيلك : مقامك ، وأصله النوم في القائلة . قيلك : حديثك
القول وحجتك الواضحة ، والقول مصدر كالطحن والذبح ، والقيل : اسم للمقول
كالطحن بالكسر : اسم للدقيق المطحون ، والذبح اسم للمذبوح . يعقوب : قال
والقيل اسمان لا مصدران . ابن سيده : القيل في الأصل مصدر ، وحكى الفارسي
قوله قولاً وقيلاً ، مثل ذكره ذكرأ ، والقال يجوز أن يكون مصدراً ، فإن سيويه
حكى : ذامه ذاماً وعابه عاباً ، إلا أنه لم ينص على القال . مصيرك : رجوعك . نصيرت
معدول عن ناصر للبالغة . تناعست ، أي أظهرت أنك ناعس . جذبك :
قادك بعنف ، ويقال : جذب ، وجذبوهي أقل من الأولى ، وصحفت العامة هذه الثانية
وقالوا : «جبد» بدل غير منقوطة . تناعست : تأخرت وتقصبت وتشبهت بالأفص
وهو الذي دخل ظهره وخرج صدره ، أي قادك الوعظ إلى الخير فلم تنقذ له .
والعرب تقول : عزة قعساء كأنها تنقص عن الذلة . تجأت : ظهرت . والمبر :
ما يُتَخَوَّفُ ويُتَعَظُّ به عند رؤيته . حصص : تبين ، من الحص وهو ذهاب الشعر
فيتبين ما تحته ، والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة ، وإذا اجتمع الأمثال في مثل
هذا ، أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفاً من جنس الحرف السابق ، ومثله
حششت ورققت ، أصابها حشش ورققت ؛ هذا قول الكوفيين ، وقال البصريون :

هما لغتان تقاربتا ، إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله أو من مقاربه في المخرج ، وهذه الحروف متباعدة لا يصح إبدالها . ما ريت : شككت : تؤاسي : تعطى .

تَوْثِرٌ فَلَسًا تَوْعِيهِ ، عَلَى ذِكْرِ تَعْيِيرٍ ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ ،
عَلَى بَرٍّ تُولِيهِ ، وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ،
وَتُغَلِّبُ حُبَّ نَوْبٍ تَشْتَمِيهِ ، عَلَى نَوَابٍ تَشْتَرِيهِ .
يُؤَاقِبُ الصَّلَاتِ ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِبِ الصَّلَاةِ ، وَمُغَالَاةِ
الصَّدَقَاتِ ، آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ ، وَصِخَافُ الْأَلْوَانِ ،
أَشْمَى إِلَيْكَ مِنْ صَعَائِفِ الْأَذْيَانِ ، وَدُعَابَةُ الْأَقْرَانِ ، آنَسُ لَكَ
مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .

تَوْثِرٌ : تَفْضُلٌ . تَوْعِيهِ : تَجْعَلُهُ فِي وَعَاءٍ . بَرٌّ : إِحْسَانٌ . تُولِيهِ : تَعْطِيهِ
وَتُلَاصِقُهُ بِمَنْ تَبَرَّهَ . هَادٍ : مَرشِدٌ لَطِيفٌ خَيْرٌ . تَرْغَبُ عَنْهُ ، أَيْ تَتْرَكُهُ .
تَسْتَهْدِيهِ ، أَيْ تَسْتَرْشِدُهُ وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَتَسْتَهْدِيهِ الثَّانِيَّةُ : تَطْلُبُ
أَنْ يَهْدِيَ لَكَ هَدِيَّةً . يَقُولُ : تَتْرَكُ مَنْ يَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ ، فَلَا تَسْأَلُهُ
لِلْهَدَايَةِ ، وَتَقْصِدُ أَعْرَاضَ الدُّنْيَا مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَغَيْرِهَا ، وَتَرْغَبُ أَنْ تَعْطَى مِنْهَا
هَدِيَّةً ، قَالَ الزَّاهِدُ ابْنُ عِمْرَانَ :

تَوْقٌ وَحَازِرٌ مِنْ قَبُولِ هَدِيَّةٍ	وَإِنْ جَاءَكَ فِيهَا الْحَدِيثُ الْمَرْغَبُ
فَقَدْ حَدَّثْتُ بَعْدَ الرِّسُولِ حَوَادِثُ	تَحَذَّرْنَا مِنْهَا ، وَعَنْهَا تَرْغَبُ
وَكَانَتْ هَدِيَّاتُ الْأَوَائِلِ قَبْلَنَا	تَوَلَّفَ فِيهَا يَنْهَمُ وَتَحِبُّ
فَعَادَتْ بَلَايَا بُمَرْغِ الْمُنْ نَحْوَهَا	تَسْرِقُ فِيهَا يَنْسَا وَتَحِبُّ

وله في مثله :

احذر هدايا الناس تأمن المس بها أو قول واشي بشي
 قل من يهديك إلا امرؤ من رغبة أو رهبة قد خشي
 التيس الأمر فلا تقدم وأخش مقام الله فيمن خشي
 كانت هدايا ثم عادت رشا وفي الرشا الهلك لمن يرتشي
 حذرنا منها نبي الهدى إذ لعن الراشي والمرشي

الثواب : المكافأة على العمل ، وأراد به ما يجازى الله به عباده على إحسانه
 من الأجر ، وهو من ثاب يشوب إذا رجع ، وأثبت الرجل : أعطيته الثواب ،
 وهو المكافأة على فعله . قوله « يواقيت » : أى جواهر . الصلات : المطايا .
 أعلق : ألصق . مواقيت : أوقات ، وهى جمع ميفات .

[من لطائف التجنيس]

ومما يستحسن من تجنيس الصلّات والصلّاة ، حكاية أحمد بن المذّبر - وكان
 إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره ، قال لفلانه : امض به إلى المسجد فلا تفارقه حتى
 يصلى مائة ركعة ، ثم خلّه ، فتحمامه الشعراء إلا الأفراد المجيدين - فجاء الحسين بن
 عبد الرحمن البصرى المعروف بالجلل ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : أعرفت الشرط ؟
 قال : نعم ، وأنشد :

أردنا في أبي حسن مديحاً كما بالمدح تنتجع الولاء
 قلنا أكرم الثقلين طراً ومن كفاه دجلة والفرات
 قالوا قبل المدحات لكن جوائز على المدح الصلاة
 قلت لهم : وما تنغي صلاتي عيالى ، إنما تنغي الزكاة !

فَأَمَّا إِذَا أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَتُنِي الْمُحُومُ الشَّاعِلَاتُ
 فَيَأْمُرُنِي بِكُسرِ الصَّادِ مِنْهَا أَمَلِي أَنْ تَنْشُطُنِي الصَّلَاتُ
 فَيُصْلِحُنِي عَلَى هَذِي حَيَاتِي وَيُصْلِحُنِي عَلَى هَذِي الْمَاتُ

فضحك واستظافه ، وأمر له بمائة دينار ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال :
 من قول أبي تمام :

هَنَ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِينَ فَإِنَّهُمْ حِمَامٌ^(١)

قوله : «مخالاة الصدقات» ، أى الزيادة فى المهور ، وغاليت : زدت فى ثمن.
 السُّلْمَةُ ورددتها غالية ، والصدقات واحدها صدقة وهى الصداق ، قال النبى صلى الله
 عليه وسلم : «من يُمن المرأة تيسر صداقها وخِطابتها» ، قال عروة : وأنا أقول :
 من أول شؤمها أن يكثر صداقها . آثر : أفضل وأكثراً ثرة . موالاة : متابعة .
 صحائف : جمع صحيفة ، وهى الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس . دُعابة : مزاح ،
 وفى فلان دُعابة ، وتداعب الرجال : تمارحاً ، وفى الحديث : «كانت فيه صلى الله عليه
 وسلم دُعابة» ، وفى حديث جابر رضى الله عنه : «هَلَّا بَكَراً تَدَاعِبُهَا وَتَدَاعِبُكَ !» .
 الأقران : الأصحاب والأمثال . تلاوة : قراءة ، وتلوته : قرأته ، واختلفوا فى
 اشتقاق القرآن ، فقال أبو عبيدة : سُمِّيَ قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها ، قال الله تعالى :
 ﴿إِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^(٢) أى إذا جمعنا لك شيئاً فضمه واعمل به ، وقال قطرب :
 سُمِّيَ قرآنًا لأن القارئ يُظهره ويبينه ويلقيه من فيه ، من قول العرب : ما قرأت
 الناقة سلاقطاً ، أى ما رمت به . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «إن القلوب لتصدأ
 كما يصدأ الحديد» ، قالوا : يا رسول الله . ما جلاؤها ؟ قال : «قراءة القرآن» .

(٢) قل هو الله فى النهاية لابن الأثير ٢ : ١١٨ .

(١) ديوانه ٢٧٩ .

(٣) سورة القيامة ١٨ .

تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْهَى عَنْ جِهَاهُ ، وَتَحْجِي عَنِ الشُّكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ ،
وَتُزْجِرُ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَفْشَاهُ ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ . ثُمَّ أُنْشِدَ :

تَبَا لَطَالِبِ دُنْيَا تَنَى إِلَيْهَا انْصِبَابَهُ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامَا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابَهُ
وَلَوْ دَرَى لَكِفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صَبَابَهُ

• • •

العرف ، أى المعروف . تنهك : تبالغ فى تناوله بما لا يجوز . جهاه :
ما حذى منه ومنع ، وأصل الحذى موضع العشب يحميه الرجل لإبله . وانتهاكه :
استئصال عشب الرعى ، ونهكت الجلد وانتهكته ، إذا أخذته بشفرة حتى يرق وبضعف .
الشكر : النكر . تتحاماه : تتباعد عنه . تزجر عن الظلم : تنهى عنه غيرك
وتزيله . وتفشاه : تأتبه وتبشره . تخشى : تخاف . وقال ذو الرمة فى هذا المعنى ،
وهو أحسن شعر قاله :

يَا رَبِّ قَدْ أَسْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مَخْرَجَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِي إِذَا احْتَضَرْتُ وَنَارِجَ الْكَرْبِ زُخْرِي عَنِ النَّارِ^(٢)
دعا لنفسه أن يكون من الفائزين ، لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾^(١) .

قوله : « تَبَا » ، أى خسراناً وهلاكاً ، وتبت يده : خسرت . قال تعالى :
﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ ﴾^(٣) ، أى غير خسار وهلاك ، قال الشاعر :

(١) ملحق ديوانه ص ٦٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة هود ص ١٠١ .

عَرَادَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ أَلَا تَبَىٰ لِمَا عَمِلُوا تَبَايَا! ^(١)

تَبَىٰ : عطف وردّ . انصبابه : جريه . يستفيق : يستريح ، وأفاق من المرض : استراح . غراماً : شدة حب لازم له غير مفارق ، ومنه سُمِّيَ الغرم ملازمته التقاضى وإلحاحه فيه ؛ قال تعالى : ﴿ إِنِّي عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ ^(٢) أى مُلِحًّا دائماً ، ومنه ﴿ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴾ ^(٣) ، وقلان مغرم بالنساء : يحبهن ويلازمهن ، وقال حاتم :
فَمَا أَكَلْتُ إِنْ نَلَيْتُهَا بِغَنِيمَةٍ وَلَا جُوعَةٍ إِنْ جَعَتِهَا بِغَرَامِ
أى بهلاك وملازمة .

فرط صباية : شدة شوق ومجاورة حدّ فى ذلك . يروم : يطلب . صباية .
حِقَّةُ الماء .

[نبذ من الأشعار فى ذم الدنيا]

وهذا الشعر مستحسن القوافى ، ومثله فى ذلك قول الزاهد ابن عمران ^(٤) ،
هو كثيراً ما كان يستمدّ فى شعره من أدب المقامات :

تَبَا لِدَى جَهْلٍ دَعَا لِمَبْرَةٍ وَأَجِبْتُهُ بِرًّا بِهِ فَأَذَاعَهَا
مَنَا وَقَدْ كَافَأْتُهُ بِهَبَاتِهِ وَذَخَرْتُهَا عِنْدَى لَهُ ، فَأَضَاعَهَا
فَأَقْلَّ اللَّثَامَ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَجِبُ مَهْمَا دَعَاكَ وَجَّعْتَنِ أَوْ ضَاعَهَا

وقال آخر :

(١) لجرير ، ٨٣ ؛ وهو عرادة النخبرى راوية الراعى ، وقبله :
أَتَانِي عَنْ عَرَادَةٍ قَوْلُ سَوْءٍ فَلَا وَأَبَى عَرَادَةٍ مَا أَصَابَا

(٢) سورة الفرقان ٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ٦٦ .

(٤) هو أبو عمران موسى بن عمران المازنى الإشبلى ، ذكره ابن سعد فى الغرب
١ : ٤٠٦ ، وأورد بعض شعره .

يا من يضجُّ عُمرُهُ متادياً في اللّهُو أمسِكَ
واعلم بأنَّك لا محالاً ذاهبٌ كذهابِ أمسِكَ
ولنصور التقيّة في الشعر المردف (١) :

إذا كُنتَ تزعمُ أنَّ الفِرَاقَ فراقُ الحياةِ قريبٌ قريبٌ
وأنَّ المقدّمَ ما لا يَفُوتُ على ما يَفُوتُ مصيبٌ مصيبٌ
وأنتَ على ذاك لا ترعوى فأمرُكَ عندِي عجيبٌ عجيبٌ

وقال القاضي أبو حفص عمر في معنى شعر الحريري في ذم الدنيا :

بَارَا كِضاً في طلابِ دُنْيَا لَيْسَ لِمَنْ تَصْرَعُ انتعاشُ
لَمْ تُخْشَ نَارَ هَوَى لَظَاهَا بَمَنْ لَهُ نَحْوَهَا انمِشَاشُ
أَعْدَرَ مِنْكَ الْفِرَاشُ حَالاً عَلِمْتَ مَا يَجْمَلُ الْفِرَاشُ
تَطْلُبُهَا لَا تَنَامُ عَيْنُ عَنْهَا وَلَا يَسْتَقِرُّ جِاشُ
نَعْنُ لَكَ بِالرَّيِّ مِنْ شَرَابٍ يَشْتَدُّ مِنْ شَرِبِهِ الْعِطَاشُ
دَعَا فَطْلَابُهَا رِعَاغُ طَاشَتْ بِأَلْبَابِهِمْ فَطَاشُوا
لَمْ يَرِدُوهَا فَهَمُ رِوَاةٍ وَوَارَدُوهَا هُمُ الْعِطَاشُ
فَاطْمَأَنَنْتُ رَوَى ، وَكُنْ كَقَوْمٍ سَقَوْا بِهَا غَبَّةً فَعَاشُوا (٢)
كَأَنَّ آمَالَنَا ظَبَاءٌ وَنَحْنُ مِنْ حَيَرَةِ خِدَاشُ
إِنْ لَأَمَانَا انْبِسَاطٌ وَنَحْنُ بِهَ لَأَعْمَارُنَا انْكَشَاشُ
كَأَنَّ آجَالَنَا صُقُورٌ وَنَحْنُ مِنْ تَحْتِهَا خَشَاشُ

ولابن الرومي رحمه الله :

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بُدَارٌ إِقَامَةٌ إِذَا زَالَ عَنْ عَيْنِ اللَّيْلِ غَطَاؤُهَا

(١) المردف في الشعر: حرف ما كن من حروف المد . واللين يقع قبل حرف الروي ،
ليس بينهما شيء ، فإن كان الهمزة لم يجر معها غيرها ، وإن كان واواً جازمه الياء . وانظر اللسان .
(٢) ب : هـ ماتوا بها عفة فعاشوا .

فكيف بقاء الناس فيها وإنما يُنال بأسباب الفناء بقاءها :
وقال آخر :

ومن محمد الدنيا لعيشٍ يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
ولابن سارة رحمه الله تعالى :

بنو الدنيا يجهل عظاموها فجئت عندهم وهي الحقيرة^(١)
يُهارش بعضهم بعضاً عليها مهارشة الكلاب على العقيرة

ثم إنه لبَدَّ عَجَاجَتَهُ ، وَغِيضَ مُجَاجَتَهُ ، وَاعْتَضَدَ شَكْوَتَهُ ، وَتَأَبَّطَ
هِرَاوَتَهُ . فَلَمَّا رَأَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَى تَحْفُزِهِ ، وَرَأَتْ تَأَهُبَهُ لِمَزَايِلِهِ مَزَكِرَهُ ،
أَدْخَلَ كُلُّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، فَأَفْغَمَ لَهُ سَجَلًا مِنْ سَيْبِهِ ، وَقَالَ :
اصْرِفْ هَذَا فِي تَفَقُّتِكَ ، أَوْ فَرَّقْهُ عَلَى رُفَقَتِكَ . فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ مُنْضِيًا ،
وَأَثْنَى عَنْهُمْ مُثْنِيًا ، وَجَعَلَ يُودِّعُ مَنْ يُشِيبُهُ ، لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَهِيَّةُهُ ،
وَلِيَسْرِبُ مَنْ يَنْبِئُهُ ، لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبِئُهُ .

قوله : « ثم إنه لبَدَّ عَجَاجَتَهُ » ، أى سَكَّنَ غَيْرَتَهُ المرتفعة حتى لصقت بالأرض .
غِيضَ : جَفَفَ . الْمُجَاجَةُ : مَا يُبْلَقُ مِنْ فِيهِ . وَقَدْ مَجَّ الرَّجُلُ رَيْقَهُ ، إِذَا سَالَ مِنْ
حَقِّ أَوْ كِبَرٍ . وَأَرَادَ بَلَدَ عَجَاجَتَهُ ، قَطَعَ كَلَامَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ اسْتَرْسَلَ ، وَأَخَذَهُ
مِنْ قَوْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ وَفَدَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا .

(١) ثلاث المقيان ٣٠٩ .

وتكلم بعدم رجل قبيح المنظر فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلام
سحابة لبدت عجاجا .

وأراد بـ « متيئض مُجاجة » ما كان يسيل من عينيه وأنفه عند البكاء .
« اِعْتَصَدَهَا » جعلها تحت عَصْدِهِ . والشكوة : ركوة الماء تُصْنَع من جلد الثور
أو الخروف . وتأبطها : جعلها تحت إبطه . هراوته : عصاه . رنت : نظرت . تحفزه :
تهيؤه وعجلته للانصراف ، وتحفز وانحز ، إذا كان جالسا على عقيبه متبينا
القيام . تأهبه : استعداده . مزايله : مفارقه . مركزه : موضعه الذي قام به . أفعم :
ملا ، وانعمت الشيء فمأ : ملأته . سجلا : دلوا . سبيه : عطاؤه ، معناه وهب له
نصيبا من عطاؤه . رقتك : أصحابك . مفضيا : مستحييا ، وأصل « أغضى »
كف بصره وضم جفنيه . اثنى : رجع وانعطف عن طريقه . مهيمه : طريقه
« البين » سرب : يفرق ، فكأنه « تفعل » من السرب وهو الطريق ، كأنه يردم عن
تشييعه في طرق مختلفة ، أو يكون من لفظ السرب ، وهو الجحر ، فكأنه يقتيهم
عنه حيث يقصد تسمية طريقه عليهم ، أو يكون من لفظ السارب وهو الناهب
في الأرض ، وقد سرب سروباً ، فكأنه يذهبهم في كل ناحية ليجهل مكانه .
مربعه : منزله في الربيع خاصة . والمربع : المنزل في كل وقت ؛ من ربت
بالسكان ، أقت به .

قال الحارث بن همام : فاتبته مواريا عنه عياني ، وقفوت
إثره من حيث لا يراني ؛ حتى انتهى إلى مغارة . فأنساب فيها
على غرارة ، فأمهلت ريشما خلع ثعليه ، وغسل رجله ، ثم هجبت
عليه ، فوجدته محاذيا لتليذ ، على خير تميد ، وجدري حنيد ،

وَقَبَّالَتَهُمَا خَايَةً نَبِيذٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ، أَيْكُونُ ذَاكَ خَبَرَكَ ؟
وَهَذَا مَخْبَرَكَ !

• • •

مواريًا : سائرًا . عياني : شخصي ، أي تبعته مستخفياً بحيث لا يراني .
قفوته : اتبعته من جهة قفاه . انساب : دخل ، وأصل الانسياب ، جرى الحية على
وجه الأرض ، أو جرى الماء كذلك ، ولا يكون الانسياب إلا على وجه الأرض ،
لا يقال : انساب في البحر ؛ حدثني به بعض من لقيت من أصحابنا ، وكان
أضبط الناس لسان العرب ، قال : وقول الحريري : « انساب فيها » وهم منه ، ولو قال :
« انشام فيها » لكان أمثل ، يشبهه بالسيف إذا وُضع في غمده . غرارة : غفلة .
رَبِثَ : قدر . هجمت عليه : دخلت عليه فجأة ، ومنه هجم عليه الحر ، وهجمت
عينه : دخلت في رأسه . محاذياً : ملاصقاً أو جالساً بجذائه . تليذ : متعلم الصنعة .
حَنِيزٌ : مشوي ، وحند اللحم حنذاً : شواء . بحجارة محمأة . نبذ ، أراد به
خبراً . خبرك ، أراد به أمرك الذي أنت عليه . مخبرك ، أي باطنك وما يختبر
منك .

[أبو نواس في مجالس الوعظ]

ومما ينتظم في هذا النمط حكاية أبي نواس حين رُئي في مجلس منصور
ابن عمار يبكي ، فظن الناس أنه قد نُسك ، فجعلوا يهشون به ، ويقولون : نرجو لك
من الله الخير ، فقال : أنا أهون على الله من ذلك ؛ وليس كما تظنون ، ولكن
أبكي ليكاء ذلك الغزال - و غلام بالمجلس يبكي من وعظ منصور - ثم قال :
لم أبك في مجلس منصور شوقاً إلى الجنة والحرور

لكن بكائي لبكا شادني تقيبه نفسي كل محذور
تنسب الألسن في وصفه إلى مدى عجز وتقصير

وحضراً أيضاً مجلس بعض القصاص ، فقالوا له : لعل الله قد أقبل بك ! قال :
إنما حضرت لأجل هذا الغزال ، ثم قال :

خلياني والمعاصي ودعاً ذكر القصاص
واسقياني الخمر صرفاً في أباريق الرصاص
وعلى وجه غزال طائع ليس بمامي
بين فتيان كرام قد تواصوا بالمعاصي
وعلى الله - وإن أف - حرطت في الذنب خلاصي

فزفر زفرة القيظ ، وكاد يتهيز من القيظ ؛ ولم يزل يحنق
إلى ، حتى خفت أن يسقطوا على . فلما أن خبت ناره ، وتوارى
أوارؤه ، أنشد :

لست الخيمة أبني الخيمة
وأنشبت شعبي في كل شيمة
وصيرت وعظي أحبولة
أريغ القيص بها والقنينة
والجاني الدهر حتى ولج
ت بلطف احتيالي على البيت عيمة

عَلَى أَنِّي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ
وَلَا تَبَضَّتْ لِي مِنْهُ فَرِيصَتُهُ
وَلَا شَرَعَتْ بِي عَلَى مَوْرِدِ
يُدْنِسُ عَرْضِي نَفْسٌ حَرِيصَةٌ
وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ
لَمَا مَلَكَ الْحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَةِ

° ° °

قوله: « فزفر زفرة القيظ »، الزفرة: تنفس المجهود أو المقتاظ، والقيظ: شدة الحر، شبه ما أبدأه من شدة القيظ بوهج الحر. يتميز: يتقطع ويتفرق. يخلق: يحد النظر، والحلقة: نظر الغضبان، والحلاق: باطن الجفن. يسطو: يصل ويتناولني بالكره، يقال: سطا عليه وبه، يسطو سطوا وسطوة، إذا قهره وأذله. خبت ناره: سكنت حدة غيظه. توارى: تغطى واستتر. أواره: لهبه ونار غيظه. والأوار: وهج النار. الخبيصة: كساء فيه خطوط. وقال يعقوب وأبو عبيد: الخبيصة: كساء مربع أسودله علمان. الخبيصة: نوع من الحلواء، وتسميه عامتنا الخبيز، بالزاي، وكنى به عن لذة العيش. الشص: حديدة معوجة يصاد بها الحوت، وتسمى الصنارة. شيصة: ثمرة رديئة؛ ومن ملح قصاص البلدان، أن أبا عبد الله الخواص كان يقول في قصصه: إنما الناس مثل التمر، فيهم الشيص والأبرني، يارب اجعلنا برنيا ولا تجعلنا شيصا. وقال قاص آخر: إن في الجنة لحم جدي ولحم خروف، ولحم كل شيء بلا عظم مثل الشيص في بلادنا بلا نوى، يريد أنه لا يحترق شيئا؛ فكل ما اتخذ له أخذه. أحبولة: آلة يصاد بها. أريغ: أطلب ما يصعب أخذه، كأنه يروغ من كذا، وأصل راغ من كذا، أي عدل عنه ورجع، وهو يخنى رجوعه. قال النراء: لا يقال للذي يرجع: راغ يروغ، إلا أن يكون مخفيا

لرجوعه، قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبُ الْبَلْمِينِ﴾^(١)، أى رجع إليهم بضربهم مخفياً لرجوعه، ومعنى «بالمين» أى يمينه الذى حلف فى قوله تعالى: ﴿وَتَا شَهِدَ لَا كِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾^(٢)، أو يريد بالمين القوة، وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِمِجْلٍ﴾^(٣)، أى رجع إليهم فى إخفاء منه لرجوعه. القنيس والقنيسة: الذكر والأنثى مما يصاد من الوحش، وهذا مثل، وإنما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل. ألبانى: أخرجنى. ولجت: دخلت. اللطف: رقة وتلطف. عيصه: يته، وأصله الشجر الملتف. والليث: الأسد. أهب: أخف. صرفه: قلبه. نبضت: تحركت. فريضة: بضعة فى آخر الكتف تتحرك عند الفزع. شرعت: دخلت. وعلى: بمعنى «فى» نحو قولك: كان ذلك على عهد فلان، أى فى عهده. مورد: موضع الماء. يدنس: يوسخ ويميب. عريضى: ذكرى. نفس حريضة: كثيرة الرغبة والطمع. النقيصة: الخصلة القبيحة يفعلها الرجل فينقص بها.

وقال بعضهم:

غَفَى عِيونَكَ يَا عِيونَ النَّرجِسِ	منكِ استعجيتُ بأنْ أُقْبِلَ مؤنسى
نامَ الحبيبُ تَدَبَّلَتْ أَجْفَانُهُ	وعيونُكُنَّ شواخِصٌ لم تُنْقَسِ
فأجانبى تُفَاحُ صَفِيحَةٍ خَدَّهُ	بِفصاحَةٍ مِنَ السُّنَنِ لم تُخْرَسِ
قَبْلَ حبيبِكَ ما اشتَهيتَ فإنَّ من	عادتنا كتمانَ سِرِّ المجلسِ
يأرب إنَّ قَدَرَتَهُ لَمُقْبِلِ	غيرى فَلَمَسُواكَ أَوَّلَ كُؤُسِ
ولمَّا قضيتَ لنا بصحبةِ ثالثِ	يأربَ فَمَلَّتْ شَمْعَةٌ فى المجلسِ

ومن أحسن ما قيل فى الدهر، قول تميم بن المعز:

(١) سورة الصافات ٩٣

(٢) سورة الصافات ٩٣

(٣) سورة الأنبياء ٥٧

يا دهرُ ما أقلاك من متلون
أترُوح للنكس الجهول متهذاً
وإذا صفوت كدرت شيمة باخلٍ
لا أرتضيك وإن كرمت لأنتي
زمنٌ إذا أعطى استردَّ عطاءه
ما قام خيرُك يا زمان بشره
ولا إدريس بن اليماني (١) :

ماذا أقول لدنيا لو ظفرتُ بها
شجاً من أقدية الأيام برح بي
أدبها غضباً للعلم والأدب
بل بالعوالي وبالهندية القصب

• • •

ثم قال لي : اذنُ فكلُ ، وإن شئت فقم وقل .
فالتفتُ إلى تلميذه وقلتُ : عزمتُ عليك بمن تستدفع به
الأذى ، لتخبرني من ذا ؟ فقال : هذا أبو زيد السروجي ، مِراجُ
الغرباء ، وتاجُ الأدباء .

فانصرفتُ من حيث أتيتُ ، وقضيتُ العجبَ مما رأيتُ !

• • •

قوله : « اذن » ، أي اقرب . قل ، أي قل ماشئت . التلميذ : الخادم ، والجمع

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) النكس : الرجل الضيف القصر عن غاية النجدة والكرم .

(٣) هو أبو علي إدريس بن اليماني البصري الأندلسي ، صاحب الأمصاح الكثيرة

ملوك الطوائف ، ذكره صاحب المغرب في ١ : ٤٠٠ .

التلاميذ ، قال لبيد^(١) :

• يَجْلُو التَّلَامِيذُ لَوْلَا قَسْبًا •

أى يجلو التلاميذ لَوْلَا جديداً ، وطالبة العلم : تلاميذ شيخهم . الأذى : الضرر . سراج : مصباح ، يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته ، وللأدباء تاج يَزِينُون به ويضمونه فوق رؤوسهم . انصرفت : رجعت . قضيت العجب ؛ أى أتمته ، كأنه قال : قضيت حاجتى مما رأيت . ويقال : قضى نحبه من كذا ، أى بلغ مراده ، وقضى عليه القاضى ، أى قطع عليه ، والقاضى : القاطع للأمور المحكم لها ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَقْضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(٢) ، أى قطعهن وأحكم خلقهن ، ويكون « قضى » بمعنى « عمل » .

(١) ديوانه ٣١ وسدره :

• قَالُوا يَجْلُو مُتُونُهُنَّ كَمَا •

(٢) - سورة فصلت ١٢ .

المقامة الثانية وهي الخلوانية

حكى الحارث بن همام قال : كلفت منذ ميّطت عني
التمائم ، وريّطت بي العمام ، بأن أغشى ممان الأدب ، وأنصبي
إليه ركاب الطلب ، لأغلق منه بما يكون لي زينة بين الأوام ،
ومزنة عند الأوام . وكنت لفرط اللهج : قتياسه ، والطمر في
تقصّ لباسه ، أباحث كل من جلّ وقلّ ، وأسئقي الويل
والطلّ ، وأعمل بعمى ولعلّ .

• • •

كلفت ، أي اشتدحتي ، والكلف : شدة الحب والمبالغة فيه ، وفلان كلف
بفلان ، أي مبالغ في محبته . وميّطت وأميّطت : أزيلت . التمام : الأحرار .
نيّطت : علّقت ، وإذا بلغ الصبي الحلم عند العرب أزلوا الأحرار عن عنقه ، وألبس
العامة والإزار ، وقُدّ السيف ، فأراد : أحببت مذبلت الحلم مجالس الأدباء . أغشى :
أقصّد وأدخل .

المعان : المنزل . أبو عبيد ، يقال : البصرة معانٍ منا ، أي منزل منا ،
قال المعري :

معانٍ من أحبّتنا معانٍ^(١)

فالأول اسم موضع معلوم جنس به ، وجعله منزل أحبّابه . وقال بعضهم :

(١) سقط الزند ١٧٢ ، والبيت مطلع قصيدة له ، وبمبته :

• تُجيبُ الصاهلات به القيان •

سُمِّيَ معاناً لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضاً ، أو لأن فيه أعياناً . أنصبي : أهزل -
الركاب : الإبل ، وجعل للطلب إبلا مجازاً ، وإنما يريد : أتعبت نفسي فرحلت
إلى طلبه على الإبل . لأعاق منه : لأحصل منه على فائدة أتعلق بها . الأنام : الخلق .
مُرْتَنَة : سحابة . الأوام : شدة العاش ؛ يريد أنه يتعب نفسه في طلب الأدب ليتزين
به بين الناس ، ويعيش به إذا احتاج إليه . فرط اللهج : شدة الحب ، يقال : قد
لهج بالشئ ، إذا أكثر الحديث به لحبه فيه ؛ وحرصه عليه . ولهج الفصيل بالرضاع ،
إذا لج فيه . اقتباسه : اكتسابه . التقمص : لبس التميمص . لباسه : ثيابه ،
أى أطمع أن ألبس من ثيابه قميصاً . أباحث : أسائل . جلّ : عظم . قلّ :
حقر . أسنق الوبل والطلّ ، أى أطلب منه السقى ، والوبل : أشدّ الممار والطلّ :
أضعفه ، ويقال : الركّ أضعف من الطلّ ، ومنه قيل للدنيء : ركيك . أتعلّل :
أشغل نفسي وأطمعها . والعلالة : الشئ اليسير . وعسى ولعلّ : معناهما الرجاء .
والطمع ؛ يريد أنه يسائل الجليل في العلم والحقير ، ومن أكثر علمه وكان كالوبل ،
أو قلّ وكان كالطلّ ، وإذا قد من يؤخذ عنه العلم رجا نفسه بوجوده وأطمعها .
والتعلّل : قطع الزمان بالعيش اليسير ، وقد تعلّل بشرابه ، إذا أخذ منه قليلاً قليلاً ؛
فمعنى «أتعلّل بعسى ولعلّ» ، أذهب علة وجددي بالرجاء والطمع .

• • •

فَلَمَّا حَلَلْتُ حُلُوتَ الْإِخْوَانِ ، وَقَدْ بَلَوْتُ الْإِخْوَانَ ، وَسَبَرْتُ
الْأَوْزَانَ ؛ وَخَبَرْتُ مَاشَانَ وَزَانَ ، أَلْفَيْتُ بِهَا أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ
يَتَقَلَّبُ فِي قَوَالِبِ الْإِنْتِسَابِ ، وَيَخْطُبُ فِي أَسَالِيِبِ الْاِكْتِسَابِ ؛
فَيَدْعِي تَارَةً أَنَّهُ مِنْ آلِ مَسَاسَانَ ، وَيَعْتَرِي مَرَّةً إِلَى أَقْيَالِ غَسَّانَ ،
وَيَبْرُزُ طَوْرًا فِي شِعَارِ الشُّمَرَاءِ ، وَيَلْبَسُ حِينَ كِبَرِ الْكِبَرَاءِ .

• • •

[ذكر حلوان]

حللت : نزلت . وحلوان : بلدة بينها وبين مدينة بغداد أربع مراحل ، وهي من كُور الجبل ، وُسِّمَتْ باسم بانيها ، وهو حلوان بن علي بن الحاف بن قضاة ، وهي مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ ، وهي مقابلة لطبرستان . وهي جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل ، وبها قصب السكر وافتتحت في زمن عمر .



بلوت : جرّيت . الإخوان : الأصحاب . سبرت : قتشت . الأوزان : أقدار الناس . خبرت : جرّيت وعرفت . شان : عاب ، وزان : زُيِّن ؛ يريد أنه دخلها وهو مجرّب عارف بالناس . ألقيت : وجدت . يتقلب : يتنوع . قوالب : جمع قالب ، وقالب كل شيء : قياسه وما يُصنع عليه . يخبط : يشي ، والخبط : المشي في الأرض على غير قصد كشي الأعمى . أساليب : طرق ، واحدها أسلوب . آل ساسان : ملوك الفرس . يعتزّي : ينتسب . أقيال : ملوك . غسان : قبيلة باليمن كان منها ملوك . وغسان : ماء كان شرباً لولد مازن بن الأزد بن النعوث فسُموا به . يبرز : يظهر . طوراً : حيناً . شعار : ثياب ، والشعار ثوب يلي الجسد . كبر : تكبر ، يريد أنه لقي أبا زيد بحلوان يتنوع بذلك في أحوال المكدين ، ويجرى بذلك في طرق اكتساب العيشة فيدعى أنه من آل ساسان .

[شعار السكديّة]

وأصل هذا أن الفرس كان فيهم الملك ، وكانت العرب تحت حكم ملوكهم ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لملكهم بكتابه يدعوهم به إلى الإسلام ، مزقوه ، فدعا الله عليهم أن يمزقوا كل ممزق ، فأوقع بهم المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية ، فلم يبق لهم في الملك رسم ، وصاروا في خلافة عثمان رضي الله عنه تحت حكم المسلمين ، وكانوا أهل دهاء وجراءة وحروب

ورماية ، فسكن من بقى منهم الأمصار ، واستعربوا وتنفقوا ، فكان منهم من زعم
 بالله به المسلمين ، وكان منهم أهل أهواء وبدع ، ونشأت منهم هذه الطائفة الخبيثة ،
 أهل الكدئية ، فكانوا يطوفون على البلدان ، ويقولون : نحن من بني ساسان ،
 فينتسبون إلى ملوكهم ، ثم يتذللون في السؤال ، ويذكرون تلاعب الدهر وإشغال
 حال الملوك إلى السؤال ، فيتع الإشفاق عليهم ، والميل بالرزق لهم ، حتى شعر الناس
 بمكرهم وخديعتهم ، فطردوا ، وصار الناس إذا رأوا سائلاً متمسكاً قالوا :
 ساساني . وقيل : إن ساسان اسم رجل معين ، وهو أول من أسس الكدئية ،
 فنسبوا إليه ، كما أن الطفيل منسوب إلى رجل اسمه طفيل وهو أول من تطفل .
 فأراد أن أبازيد كان يتنوع في أحواله ، فيتمسكن تارة ويدعي أنه من
 ساسان ، ويتعظم أخرى فينتسب إلى غسان ، ويرمز مرة في أحلاس الشعراء
 المكدين ، ويظهر ثانية في ثياب فاخرة ، لباس الكبراء المثرين .

يُبدَأُ أَنَّهُ مَعَ تَلَوْنِ حَالِهِ ، وَتَبَيُّنِ مُحَالِهِ ، يَتَحَلَّى بِرُؤَاةٍ وَرَوَايَةٍ ،
 وَمُدَارَاةٍ وَدِرَايَةٍ ، وَبِلَاغَةٍ رَائِمَةٍ ، وَبِدِيهَةٍ مُطَاوَعَةٍ ، وَآدَابٍ
 بَارِعَةٍ ، وَقَدَمَ لِأَعْلَامِ الْعُلُومِ فَارِعَةٍ ، فَكَانَ لِمَحَاسِنِ آلَاتِهِ ،
 يُلبَسُ قُلَى عِلَالَتِهِ ، وَلِسَعَةِ رِوَايَتِهِ ، يُصْبِي إِلَى رُؤْيَتِهِ ، وَلِخَلَابَةِ
 قَارِصَتِهِ ، يُرْغَبُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، وَلِإِدْوَابَةِ إِرَادِهِ ، يُسَعَفُ بِمُرَادِهِ ،
 فَتَمَلَّتْ بِأَهْدَابِهِ ، لِخَصَائِصِ آدَابِهِ ، وَنَافَسَتْ فِي مُصَافَاتِهِ ،
 لِنِفَائِصِ صِفَاتِهِ .

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُو مُوَيٍّ وَأَجْتَلِي
 زَمَانِي مَلَقَ الْوَجْدِ مُلْتَمِعِ الضِّيَا

أَرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمَخْنَاهُ غَنِيَّةٌ وَرُؤْيِيَّتُهُ رَبًّا ، وَنَحْيَاهُ لِي حَيَّةٌ

• • •

قوله : « بَيِّدْ أَنَّهُ » ، أى غير ، مُحَالَهُ : باطله ، والمُحَال ما لا يمكن أن يتصور ، وهو « مفعول » من حال الشيء ، إذا تغير ، كأنه زال عن وجهه . يتحلى : يتزين . رواء : نظافة وحسن منظر . مداراة : حسن سياسة في صحبتته ، وأصلها المخادعة . دراية ودَرْيَة : مصدر دَرَيْت . بلاغة : فصاحة . رائحة : معجبة ، ومن شاهدها ارتاع وتعجب . والبديهة والبداهة : الأخذ في الكلام من غير فكرة ، وهى الارتجال . مطاوعة : مُتَقَادَة . بارعة : فائقة تفضل غيرها . أعلام : جبال . فارعة : طائلة قد علتها ، واللام فى قوله : « لأعلام » زائدة ، وزيادتها إذا تقدمت أحسن منها إذا تأخرت ، مثل ضربت زيدا ولزيد ضربت . آلاته : عدده ، وأراد به هذه الأنواع التى قدمها التى تحلى بها . يابس : يصاحب ويخالط . علّاته : عيوبه التى ذكر من أنواع الغربة . سعة روايته : كثرة علمه وما يرويه . يُصْنَى : يمال . خلابة : خداع ، وقد خلبه خلباً وخلابة : خدعه . عارضته : قوة كلامه . معارضته : مقابلته ومناقضته كلامه ، وتقول : رغبت عن الشيء تركته وتزهدت فيه ، ورغبت فيه ، إذا أحببته ، فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لا يتعرض أحد لجذله ، فهو يخادع به الناس حتى لا يتعرض له فيما يقول ، وقيل : معنى فلان شديد العارضة ، إذا أفحش وأسمع المكروه ، ورجل شديد العارضة ، أى لا تقرب ناحيته . إيراد : أخذه فى الكلام . يسعف : يساعد . أهدابه : أطراف ثوبه . وخصائص الشيء : ما يختص به ، أى ينفرد . نافست : زابت وغاليت . مصانته : مصاحبته . نائس : جمع نفيس ، وهو الرفيع من كل شيء . يسئ نيساً ، من النفس وهى العين ، حتى كأنه لرفعته تعلق به العين ، وقد قال امرئى : فالعينُ يلمُ منها ما رأتُ فنبئتُ عنه وتلحقُ ما تهوى من الصور ^(١) قوله : « أجلو » ، أى أكشف . أجتلى : أُنْفِر . طلق الوجه : مستبشراً ، والطلاق

ضد العابس . ملتصع : منير بادي الامان : قربي : نسباً ، ومغناه : منزله ، من قولهم : غني بالمكان يعني غنياً ، إذا أقام به . غنية : غني ، يقال : غني يعني غني فهو غني ، إذا استغنى ، والاسم : الغنية . رياً : شبعاً من الماء ، ورويت من الماء ضد عطشت : محياه : حياته . حياً : مطر عام . ويقول : إنه كان بمصاحبه أبا زيد يزول هم ، ويلقاه يبشر منه ، فيرى قربه منه بالود كقراءة النسب ، وكان منزله لما يجد فيه من الخصب أو من غزارة العلم يرى أنه غناه ، وإذا رآه زال عطشه للعالم أو للماء برؤيته . وقصد تجنيس الألفاظ ببعد المعنى .

وَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً ، يُنْشِئُ لِي كُلَّ يَوْمٍ نَزْهَةً ، وَيَذُرُّ عَن قَلْبِي شُبْهَةً ، إِلَى أَنْ جَدَحْتَ لَهُ بِدُ الْإِمْلَاقِ كَأْسَ الْفِرَاقِ ، وَأَغْرَامَ عَدَمِ الْمِرَاقِ بِتَطْلِيقِ الْمِرَاقِ ، وَأَهْظَثَهُ مَعَاوِزُ الْإِرْفَاقِ إِلَى مَفَاوِزِ الْآفَاقِ ، وَنَظَّمَهُ فِي سِلَكِ الرَّفَاقِ خُفُوقَ رَايَةِ الْإِخْفَاقِ ، فَشَحَذَ لِلرَّحِيلَةِ غَرَارَ مَرْمَتِهِ ، وَظَمَنَ يَمْتَادُ الْقَلْبِ بَازِمَتِهِ .

فَمَا رَاقِي مِنْ لَاقِي بَعْدَ مُبْعِدِهِ

وَلَا شَاقِي مِّنْ مَّاقِي لَوْصَالِهِ

وَلَا لَاحَ لِي مَذَّ نَدٍّ لِفَضْلِهِ

وَلَا ذُو خِلَالٍ حَازَ مِثْلَ خِلَالِهِ

لبثنا : أقننا . برهة : مدة . ينشئ : يصنع ويبتدى . والنزهة ، أصلها التبعاد عن الرّيب ، ثم كثرت حتى صارت الخروج للرياض للفرج ، ثم استعملت في المعاني ، قليل : نزهة فلان في آدابه ، وكنتي بهذا عما يستفيدة من علمه . يذراً : يدفع . شبهة : إشكال والتباس . جدحت : حركت ومزجت . والمجدح : يدرأ : يدفع . (٦ - شرح مقامات الحريري)

آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج . الإملاق : الفقر من المَلَقَة وهي الصخرة
الملساء ، فأملق ، كأنه صادف مَلَقَة لا تنبت شيئاً ، ولم يصادف خصباً بعد أن كان
في ترفه وغنى . أغراه : حرضه .

والعراق ، اختلفوا فيه ، فقال صاحب العين : العراق : العظم بالاحم ، فإن
كان عليه لحم فهو عَرَق .

ابن قتيبة ، يقال للعظم الذي عليه اللحم عُرَاق ، وللخالي من اللحم عَرَق .
أبو عبيد ، العراق : القمامة من اللحم . أبو زيد ، قول العامة : ثريده العراق
خطأ ؛ إذ كان العراق العظام ، وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعه في
عام جذب :

عَجِثْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا وَمِنْ طَرَادِي الطَّيْرِ عَنْ أَرْزَاقِهَا
فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا خَمْرَاءُ تَبْرِي اللَّحْمِ عَنْ غُرَاقِهَا
ابن الأنباري ، قول أبي عبيد هو الصواب ؛ لأن العرب تقول : أكلت
العراق ولا تقول : أكلت العظم ، وفي حديث أم إسحاق العنزيّة^(١) : فجعلت
لا آكل العراق ولا أضغه ، فقولها : « لا آكل » يدل على أن العراق لحم مفرد
أو لحم على عظم .

الأصمعي ، قيل لأعرابي : أي الطعام أطيب ؟ قال : ثريده دَكْنَاء من
الفلقل ، رَقْطَاء من الحمض ، ذات خفافين من البضع ، لها جناحان من العراق ، قيل :
كيف أكلك لها ؟ قال : أصدع بهاتين — يعني السبابة والوسطى — وأسند بهذين —
يعني الإبهام والخنصر — وأجمع ما شذ منها بهذه — يعني البنصر — وأضرب
فيها ضرب ولّي السوء في مال اليتيم . فهذا يدل على أن العراق قطع اللحم إذ كانت
العرب لا تصف الثريد والأطعمة بكثرة العظام .

والعراق في البيت : الأكل ، تقول : عرقت العظم عراقاً ، أكلت ما عليه
من اللحم ، والعظم معروق ، وهو بمنزلة سكت سكاتاً .

العراق : قال صاحب العين : هو شامل البحر ، وبه سُميت العراق ، لأنها على شاطئ دجلة . ابن الأعرابي ، سمي عراقاً لأنه سفل عن نجد ، ودنا من البحر ، أخذ من عراق القربة ، وهو الخرز في أسفلها . قطرب ، سمي عراقاً لأنه دنا من البحر ، وبه يُنَاخ وينجد .

ويقال : استعرت إبلهم ، إذا أتت ذلك الموضع . لفظته ، أي رمته . ومعاوز : جمع معوز ، والمعوز هو القوز نفسه ، والمعوز بالكسر : الثوب الخلق . وجمعه معاوز . الإرفاق : مصدر أرفقته ، إذا أوصلت إليه نفعاً يرتفق به ، ورقته يمناه ، فأراد بمعاوز الإرفاق فقد ما يرتفق به . والمفاوز : جمع مفازة وهي الصحراء ، سُميت مفازة على التناؤل ، لأن الرجل إذا قطعها فاز ونجا . والآفاق : نواحي الأرض . نظمه : ضمه وجمعه . سلك : خيط . الرفاق : جمع رُفقة ، وعنى بسلك الرفاق الطريق الذي ينتظمون فيه إذا أخذوا في السير ، لأنهم يمشون فيه واحداً بعد واحد ، فتظمهم الطريق ، وصار لهم كالسلك . خنوق : اضطراب ، وقد خفق خفقاً خفوقاً ، والإخفاق : الخيبة ، ويقال : غدا فأخفق ، إذا خاب ، ومثله في الصائد : صاد فأروق . شحد : حدّ وسنّ ، وشحد الرجل سيفه ، إذا ألح عليه بالتحديد ، ومنه قولهم للملاح في المسألة : شحاذ ، والعامّة تصحّفه فتقول : شحات ، بالتاء . غرّار : حدّ . وأراد أنه لما عزم على الارتحال حدّ عزمته ، أي عوّل على السفر بحدّ . والعزمة : مصدر عزم إذا جدّ ، وجعل لها حدّاً ، مبالغة في تعجيل السفر . قطع : ذهب وارتحل . أزمة : جمع زمام ، وهو حبل من جلود يشدّ به في حلقة بمجمولة في وتد أنف البعير ، فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه ، وحنينهم إليه ؛ كأنه قد ربطها بأزمة وقادها معه ، فمن روى « القلوب » عادت الهاء من « أزمته » على السروجي ، ومن روى « القلب » عادت على القلب أو على السروجي ، والقلب لابن همام .

قوله : « راقني » ، أي أعجبني ، وقد راق الشيء يروق روقاً فهو رائق ،

إذا أعجب . لاتي : لصق بي وصحبني .

شاقني : شوقني . ساقني لوصاله : دعاني لصحبته . لاح : ظهر . ندّ : فرّ وشرد .
 ندّ : مثل ، والجمع أنداد . خلال : جمع خلة بالضم ؛ وهي الصداقة ، خلاله :
 جمع خلة بالضم أيضاً ، وهي الخصلة . وهذا النمط في وصف الصديق وغيبته بارع .
 ولا بن عمران في ذلك :

يا مَرَحِباً بصديقٍ لستُ أبصرُهُ إلا تجدد لي أنسٌ بمرآه
 وإن تغيّب عن عيني فلم أره فلي فؤاد بظهور الغيب يرعاه

واستسرّ عني حيناً ، لا أعرف له عريناً ، ولا أجد عنه مبيناً .
 قلماً أبت من غزبتني ، إلى منبت شعبتني ، حضرت دار كتبها التي
 هي منتدى المتأدين ، وملئت القاطنين منهم والمتفرجين ، فدخل
 ذو لحيّة كثّة ، وهيئة رثّة ، فسلم على الجلاس ، وجلس في
 أخريات الناس .

استسرّ : غاب واختفى ، وأصله من سِرار الهلال في آخر الشهر ، وهو
 يستسرّ ليلة لا يظهر أو ليلتين . والعرين : بيت الأسد وماواه . مبيناً : معلماً به
 بين لي أين استقرّ . أبت : رجعت . منبت شعبتني ، أي بلدة قرابتني التي نبتوا
 فيها ، يريد البصرة . الشعبة : القرابة . دار كتبها : مدرسة العلم . منتدى : مجتمع .
 القاطنين : الساكنين ، وقطن بالمكان : أقام فيه . كثّة : كثرة الأصول من
 غير طول .

[بما قيل في اللحي]

ويقال للحية إذا قصر شعرها وكثر : إنها لكثّة ، وقد كثت تكث كثائنة
 وكثوثة ، ورجل كث اللحية ، ولحية كثعمة ، إذا كثفت وقصرت وجعدت ،

ورجل كُثُخُم اللحية . وإذا عظمت وكثر شعرها قيل : إنه لدو عُنُون ، وإنه
 كَهْلُوف ، فإذا كانت اللحية قليلة في الذقن ولم تكن في العارضين فذلك السُّنُوط
 والسُّنَاط ، ورجل سُنَاط : بين السُّنَط ، فإذا لم يكن في وجهه كثير شعر ، فذلك
 السُّطَاط ورجل ثُطَّ ، ورجال ثُطَاط . والسَّبَلَة : مقدّم اللحية ، ورجل مسَبِل ، وفلان
 خفيف العذارين ، وهما ما اتصل من شعر اللحية بالصُّدُغ ، وهما العارضان ، وهما
 ما نبت في الخدين من الشعر على عوارض الأسنان ، قال رؤبة في لحيته حرب بن قُطَن :
 هِلَوفَةٌ كَأَنَّهَا جُسُوعٌ تُكَدِّاهُ لَا بَارِكُ فِيهَا الْخَالِقُ
 لَهَا فَضُولٌ وَلَهَا بَنَاتِقُ إِذَا الرِّيحُ الْمَصْفُ السَّوَابِقُ
 طَيْرَتِهَا طَارَتْ لَهَا عَقَاتِقُ إِنْ الَّذِي يَحْمِلُهَا لَمَاتِقُ
 وأنشد أبو علي :

وأنت امرؤ قد كَثَّاتُ لَكَ لَحِيَةً كَأَنَّكَ مِنْهَا قَاعِدٌ فِي جُسُوعِ
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من سعادة المرء خفة لحيته » . وكانت عائشة
 رضي الله عنها تقسم فتقول : « لا والذي زين الرجال باللعى » ، تقول : إنه قَسَمَ
 الملائكة .

قال الأحدب الصوفي : سمعت مطيار بن أحمد يقول : رأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم في المنام ، قلت : يا رسول الله ، أشتهى لحيته كبيرة ، فقال لي :
 « لحيتك جيدة ، وأنت محتاج إلى عقل تام » .
 وقال صلى الله عليه وسلم : « اعتبر واعقل الرجل في ثلاث : في طول لحيته ،
 ونفش خاتمه ، وكنيته » .

أنى رجل طویل اللحية معاوية قال له : أمّا اللحية فلا نسأل عنها ،
 فما نفس خاتمك ؟ فقال : « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَذَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنْ
 الْفَائِيبِينَ » ^(١) ، قال : فما كنيته ؟ قال : أبو الكوكب البدرى ، قال : كمل الرجل .

وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء .
 وكان عبد الله بن عمر يقبض على لحيته ، ويأخذ ما زاد منها على قبضته .
 الحسن بن المثنى : إذا رأيت رجلاً له لحية طويلة ، ولم يتخذ لحية بين لحيتين ،
 كان في عقله شيء .

وكان المأمون جالساً مع ندمائه ببغداد ، مشرفاً على دجلة وهم يتذاكرون .
 أخبر الناس ، فقال المأمون : ما طالت لحية إنسان قط إلا ونقص من عقله بمقدار
 ما طال من لحيته ، وما رأيت عاقلاً قط طويلاً اللحية . فقال له بعض جلسائه ، ولا
 يرد على أمير المؤمنين : قد يكون في طول اللحية أيضاً عقل ؛ فبينما هم يتذاكرون في
 هذا ، إذ أقبل رجل كبير اللحية ، حسن الهيئة ، فاخر الثياب ، فقال المأمون :
 ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : رجل عاقل ، وقال آخر : يجب أن
 يكون هذا قاضياً ، فقال المأمون لبعض الخدم : على بالرجل ، فلم يلبث أن أضعده
 إليه ووقف بين يديه ، فلم أجاد السلام ، فأجلسه المأمون ، واستنطقه فأحسن النطق ،
 فقال للمأمون : ما اسمك ؟ فقال : علوية ، قال : فما الكنية ؟ قال : أبو حمدويه ،
 فضحك المأمون ، وغمز جلساءه ثم قال : ما صنعتك ؟ قال : فقيه أجيد الشرع
 في المسائل ، فقال له : نسألك مسألة ! فقال الرجل : سل عما بدا لك ، فقال له
 المأمون : ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل ، فلما تسلمها المشتري ، وقضى
 الثمن ، ضربت ، فخرج من استها بكرة ففقت عين رجل ؛ على من تجب دية
 العين ؟ قال : فنكت بإصبعه في الأرض طويلاً ، ثم قال : تجب على البائع دون
 المشتري ، فقال المأمون : وما العلة التي أوجبت الدية عليه دون المشتري ؟ قال :
 إنه لما باعها لم يشترط أن في استها منجنيقاً ، قال : فضحك المأمون حتى استلقى على
 قفاه ، وضحك كل من حضره من الندماء . وأنشد المأمون يقول :

ما أخذ طالت له لحيته فزادت اللحية في حليته

إلا وما ينقص من عقله
وقال آخر :

إذا عظمت الفتى لحيته
فطالت فصارت إلى سرته
فإنقصان عقل الفتى عندنا
بمقدار ما زاد في لحيته
وأشدد أبو علي :

لا تفخرون بأحيته
يَهْوَى تفرُّقها الرِّيا
كثرت منابتها طويلاً^(١)
ح كأنها ذنب الحسيلة
يوماً ، ولحيته قليلة
قد يدرك الشرف الفتى

وقال : الحيلة المجلة .

وأشدد أبو العباس رحمه الله :

كل امرئ ذى لحية عثورية
وما الفضل في طول السبال وعرضه
يوم عليها ظن أنه له فضلاً
إذا الله لم يجعل لصاحبه عقلاً

عثورية : كبيرة .

نظر يزيد بن مزيد الشيباني رحمه الله إلى رجل ذى لحية عظيمة ، وقد
تلففت على صدره ، وإذا هو خاضب ، فقال له : إنك من لحيتك في مثونة ، فقال :
أجل ، ولذلك أقول :

لعمرك لو يعطى الأمير على الآحى
إذا شفتني لحيتي من عصاية
لأصبحت قد أيسرت منذ زمان^(٢)
لهم عنده ألف ولى مائتان
وأخسر للحناء بيتدران
لولا نوال من يزيد بن مزيد
لصوت في حافاتهما الجلمان

(١) الأبيات في اللسان (حل) من غير لينة .

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ١٢٨

فأمر له بعشرة آلاف درهم . والجلعان : القصص ، ويسمى الجاليم .

وقال إسحاق بن خلف يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية :

ما سرّني أنّني في طول داود	وأنتي علم في البأس والجود ^(١)
ما شيت داود فاستضحكت من عجب	كأنتي والدّ يمشي بمسود
ما طول داود إلا طول لحيته	يقال داود فيها غير موجود
تسكنه خصلة منها إذا نفعت	ريح الشمال ، وجف الماء في العود
أجدى وأغنى من الخبز الصفيق ومن	بيض القطائف يوم القر والسود

وأشد إفراطاً منه قول ابن الرومي :

ولحية يحملها مائق	مثل الشرايين إذا شرعا
تقوده الرّيح بها طائعا	قوداً عنيفاً يتعب الأخدعا
وإن عدا والريح في وجهه	لم ينبعث في مشيه إصبعا
لو غاص في اليم بها غوصة	صاد بها حيتانه أجمعا

وأشد إفراطاً منه قول الآخر :

يا لحيّة الشيخ الأزب تميم	أهديت للأقوام عرف الثوم
لو أنها دون السماء غمامة	ضاقّت مسالك دعوة المظلوم
أو صبّها في الماء ثم سما بها	قامت مقام العارض المركوم

ولابن سارة :

ولحية لست أدري كيف أنعتها	فضول أشعارها أودت بأشعاري
كأنها ويمين الرّيح تنشرها	مذبّة وقعت في عود بيطار

وقال آخر :

أبصرتُ شيخاً ذاهباً جائياً ذا لحية قد كبرت في أنساع
عرضاً وطولاً وهو من خلفها كأنه ناشرُ ثوبٍ يُباع
وقال آخر :

لقد كانت مجالسنا ف ساحاً فضيَّتها بلحيته رباح
مُعقَّبة الأسافل والأعالي لها في كل زاوية جناح
وقال آخر :

بأيها الناس خذوا حذرَكُمْ قد برزت لحيته مَهْلُول
فطوِّها الفرسخ في فرسخ وعرضها ميل إلى ميل
لو ضمَّ ما يقطر من دهنها أسرج منه ألف قنديل
ولو سها الحجام عن قصها لخالط ما في السراويل
ذكر هنا أبو محمد لحيته السروجي أنها كثرة، وكل صفة يصف بها السروجي
في المقامات ، فذلك كانت صفة الحريري . وذكر ابن جهور أن الحريري كان
تليل اللحية لا خلقته ، وإنما كان مولعاً بنتفها ، كانت يده رحمه الله لا تفارق
لحيته . وهذا على كثرته قليل فيما قيل في اللحية .

قوله «رثة» ، أي خلقته بالية . أخريات : أطراف ، وهي جمع أخرى .

ثم أخذ يُبدي ما في وطابه ، ويُنجب الحاضرين بفصل خطابه ،
فقال لمن يليه : ما الكتاب الذي تنظر فيه ؟ فقال : ديوان
أبي عبادة ، المشهود له بالإجادة .

أتى طاحه رضى الله عنه مجلس قوم ، فجملوا بنادونه من كل جانب : هاهنا

يا صاحب رسول الله ! قال : فجلس في أذننى المجلس ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ من التواضع لله الرضا بالذُّون من شرف المجلس » .

وطابه : زِقَاق لَبِنَةٍ ، أراد أنه يظهر ما عنده . يعجب : يحماهم يتمجَّبون .
 بفصل خطابه : يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته ، وقوله تعالى : ﴿ وَفَصَّلِ
 الْخِطَابَ ﴾ ^(١) هو قول الخطيب : « أما بعد » . يليه : يلصق به .

[البحتري وبعض أخباره وشعره]

أبي عبادة . قال البكري : هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد ، من بني
 بختر بن عتود بن عُنَيْن ابن سَلَامان بن ثعل بن عمرو بن الفَوَث بن حلِمة ،
 وهى طي . شاعر مقدّم لا يُعدّل به أحد ، يفضّل على حبيب ، والناس فى
 تفضيلهما على اختلاف .

قال أبو الفرج الأصبهاني : كان البحتري شاعراً فصيحاً ، حسن المذهب .
 نَقِيَ الكلام ، خُتِمَ به الشعراء المحدثون ، وله تصرف فى ضروب الشعر ، سوى
 الهجاء ، وإن بضاعته فيه نَزْرَة .

قال البحتري : وكان أول أمرى أنى سرت إلى أبى عامر يَحْمِص ، فعرضت
 عليه شمرى - والشعراء يمرضون عليه أشعارهم - فترك من حضر وأقبل على ،
 فقال لى حين تفرّقوا : أنت أشمر من أنشدنى ، فكيف حالك ؟ فشكوت خلة ،
 فكتب إلى أهل معرة النعمان ، وشهد لى بالخذق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ،
 وقال : امتدحهم . فمرت إليهم ، فأكرموني بكتابه ، ووظفوا لى أربعة آلاف
 درهم ، فكانت أول مال أصبته ^(٢) .

وحدّث أبو الفرج ، قال : حدّثنى أبو الفَوَث البحتري ، عن أبيه ، قال : أول

(١) سورة م ٢٠ .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٧ ، ١٦٩ .

أمرى أنى دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، فأنشدته قصيدة أولها :
 * أفاق صبب من هوى فأفيقا *

فمر أبو يوسف بها ، وقال : أحسنت والله يافتي وأجدت - وفي مجلسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه ، فوق كل من حضر ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على ، ثم قال : أما تستحي منى ! هذا شعرى تنتعله وتنشده بحضرتى ! فقال له أبو سعيد : أحق ما تقول ؟ قال : نعم ، وإنما علقه منى وسبق به إليك ، وزاد فيه . ثم اندفع فأنشدا كثر القصيدة ، حتى شككتنى - علم الله - فى نفسى ، وبقيت متحيراً ، فقال لى أبو سعيد : يافتي ، قد كان لك فى قرابتك منى ما يفنيك عن هذا ! فجعلت أحلف بكل محرّجة من الأيمان أن الشعر لى ، ما سمعته منه ، ولا انتحلته . فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد ، وقطع بى حتى تمنيت أن يساخ بى فى الأرض ، فقت منكسف^(١) البالي ، أجز رجل ، فما بانف باب الدار حتى ردّنى الفلام ، فأقبل على الرجل وقال : الشعر لك يا بنى ، والله ما قلته قط ، ولا سمعته إلا منك ؛ ولكننى كنت خلنت أنك تهانت بموضى ، فأقدمت على الإنشاد بحضرتى ، تريد مضاهاتى ، حتى عرفنى الأمير نسبك ، ولوددت ألا تلد طائفة إلا مثلك ، ودعائى وضمتى إليه ، وعانقنى ، وأبو سعيد يضحك ، فازمته بعد ذلك وأخذت عنه ، واحتذيت فنه^(٢) .

وعن أبى الفوث عن أبيه قال : قال لى أبو تمام : بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالا جليلاً ، فبم مدحتهم ؟ فأنشدنى شيئاً منه ، فأنشدته ، فقال لى : كم أعطوك ؟ قلت : كذا ، فقال لى : ظهوك ، والله ما وفوك حقك ، فلم استكثرت ما أعطوك ! والله ليت منها خير مما أخذت . ثم أطرق قليلاً وقال : لعمرى لقد استكثرت ذلك لك مات الكرام ، وذهب الناس ، وغاضت الكرام ، وكنت

(١) الأغاني : « منكسر » .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦٩ .

أسواق الأدب ، أنت الله يابني أمير الشعراء غداً بعدى ، فممت فقبلت رأسه ويديه
ورجليه ، وقلت : والله لهذا القول أسر لي مما وصل إلي منهم .

قال البحتري : أنشدت أبا تمام يوماً شيئاً من شعري ، فأنشدني
بيت أوس :

وإن مقررماً منأذراحداً نابه تمخط فينا ناب آخر مقررماً^(١)

ثم قال : يابني ، نعتيت إلي نفسي : فقلت : أعيدك بالله من هذا ! فقال لي :
إن عري ليس بطول ، وقد نشأ مثلك لطي ، أما علمت أن خالد بن صفوان
المنقرى رأى شبيب بن شبة ، وهو من رطه يتسكلم ، فقال : يابني ، نعى نفسي
إلى إحسانك في كلامك ؛ لأننا أهل بيت ، مانشأ فينا قط خطيب إلامات من قبله .
قال : فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ، ومات البحتري سنة ثلاث
ومائتين ومائتين .

المبرد : ذكرت للمتوكل المنازعة التي جرت بيني وبين أبي الفتح في
تأويلات ،^(٢) فبعث إلى عامله بالبصرة أن يحملني إليه مكرهاً ، فوردت سر من
رأى ، فأدخلت على المتوكل ، وفي المجلس البحتري وأبو العباس الصيمري ،
فأنشده البحتري قصيدة أولها :

عن أي ثغر تبسم وبأي طرف تخطكم^(٣)
حسن يظن بحسنه والحن أشبه بالكرم

حتى بلغ :

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم

(١) وذرا حد نابه : انكسر ؛ كذا فسرهُ صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت .

(٢) ج : « تأويلاته » وهي ساقطة من السعدي وإنباء الرواة .

(٣) ديوانه ١٩٩٨ .

المرقضي ابن المجتبى ولنعم ابن المستقيم
أما الرعية فهي من أمانات عدلك في حرم
ياباني الجدير الذي قد كان قووصاً فأنهدم
اسلم لدين محمد فإذا سلمت فقد سلم
نينا الهدى بعد العمى بل والغنى بعد العدم^(١)

ثم مشى القهقري للانصراف ، فوثب أبو العنبر ، وقال : يا سيدي
تأمر برده ! فقد والله عارضته ، فأخذ ينشد في ذلك :

في أي سائح تنظم وبأي كفي تلتم
أدخلت رأس البحرى أبي عبادة في الرحم

ووصله بما يشبهه من الشعر ، فضحك المتوكل حتى استأق ، وقال : يُدفع
إلى أبي العنبر عشرة آلاف درهم ، فقال أبو الفتح : يا أمير المؤمنين ، والبحرى
الذي هجى وأسمع المسكروه ينصرف خائباً ؟ قال : ويدفع إلى البحرى
عشرة آلاف درهم ، قال : يا سيدي ، وهذا البصرى الذى أشخصناه من بلده ،
ألا يشركهم فيما حصلوه ؟ قال : ويدفع له عشرة آلاف : قال : وانصرفنا كلنا
في شفاعه الهدى ، ولم ينفع البحرى جذه وحذقه .^(٢)

وأما أبو الفرج ، فقال : حدثني جحظة عن أبي العنبر الصيمرى ، قال :
كنت عند المتوكل والبحرى ينشده :

* عن أي نفر تبتسم *

وكان البحرى من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور في مشيه مرة
جانباً ، ومرة القهقري ، ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكفيه ، ويقف
عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ! ثم يقبل على المستمعين ، ويقول لهم :
مالكُم لا تقولون : أحسنت ! هذا والله ما لا يحسن أحدٌ أن يقول مثله ، فضجر

(١) الديوان : هـ بك والغنى .

(٢) الخبر برواية البرد في مروج الذهب ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ وإنباء الرواة ٣ : ٤٤٤ .

لشئ كل من ذلك ، وأقبل على فقال : أما تسمح يا صيمري ما يقول ؟ قلت :
بلى ياسيدي ، فرأى فيه بما أحببت ، فقال : بخيالي أهبطه على هذا الروي ،
فقلت على البديهة :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ	وعلمت أنك تنهزم ^(١)
يا بحتري حذارٍ ونحس	لك من قضاية ضغم
فلقد أسلت بواديي	لك من الهجاسيل العرم
نبأى عرض تعصم	وبهتكه جف القلم
والله حافّة صادق	وبقر أحمد الحرم
ووحى جعفر الإمام	م بن الإمام المعتصم
لأصيرتك شهرة	بين المسيل إلى القلم
يا بن الثقلة والثقب	ل على قلوب ذوي النعم
وعلى الصغير مع الكب	ير من الموالى والحشم

وبعد هذا ما يتبع ذكره : فغضب البحتري ، وخرج يعدو ، وجعلت

تأصيح به :

أدخلت رأسك في الرَّحِمِ وعلمت أنك تنهزم
والمتوكل يضحك ، ويصفق حتى غاب عنه .^(١)

ومدح البحتري بعض الولاة ، فتوانى في حقه ، فأنشده :

إن الأمير أطل الله مدته يُعطى من العرف ما لم يُعطه أحد^(٢)
ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى العباد ، ولا ينسى الذي يعد
فأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : البيتان خير من القصيدة .

وقال الهذلي : قيل للبحتري : أيما أشعر ؟ أنت أو أبو تمام ؟ قال : جيده خير
من جيدي ، وردني خير من رديته . وصدق ، أبو تمام لا يتعاقى به أحد في

(١) الأغاني ١٨ : ١٨٣ ، وأخبار البحتري لمصولي ٨٧

(٢) ملاحق ديوانه ٢٥٤٥ .

في جيده ، وربما اختلف لفظه لامعناه ، والبحترى لا يختل لفظه .

وقيل له : قد عثرت باحتذائك أبا تمام في شعرك ! فقال : أيعاب علي أن أنبع
أبا تمام ، وما علمت بيتاً قط حتى أخطر شعره ببالي !
وذكروا معنى تعاوره البحرى وأبو تمام ، فقال المبرد للبحترى : أنت في هذا
أشعر من أبي تمام ، فقال : لا والله ، ذلك الرئيس الأستاذ ، والله ما أكلت
الخبز إلا به .

وقال عبد الله بن الحسن : سألت المبرد عن أبي تمام والبحترى أيهما أشعر ؟
فقال : لأبي تمام استخراجات لطيفة ، ومعانٍ ظريفة ، وجيده أجود من شعر
البحترى ومن تقدمه من المحدثين ، وشعر البحرى أحسن استواء من شعره ، لأن
البحترى يقول القصيدة كلها ، فتكون سايمة من طعن طاعن ، وأبو تمام يقول
البيت النادر والبارد ؛ وهذا المعنى كان أعجب إلى الأصمعي ، وما أشبهه إلا
بفائض يخرج الدرّة المخشّلة - وهي زجاجة توضع مكان الدرّة - ثم قال : لأبي
تمام والبحترى من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله ،
ثم قال : والبحترى ختم الشعر ، وله بيتان لو وضعا إلى شعر زهير لجازا فيه ؛ وهما :

فما سَفَّه السَّفيه وإن تعدّى بأنجمع فيك من حلم الحليم^(١)
متى أحفظت ذا كرم تخطى إليك بيمض أفعال اللثيم

وذكر المبرد في هذا المجلس شعراً له ، وقدمه على نظرائه :

وإذا ذكرت محاسن ابني صاعدٍ أدت إليك مخائل ابني مُخلدٍ^(٢)
كالفرقدين إذا تأمل ناظرٌ لم يعل موضع فرقدٍ عن فرقدٍ

وقوله :

مَنْ شَاكَرَ عَنِّي الْخَلِيفَةَ لِأَذَى أولاه من فضلٍ ومن إحسانٍ^(٣)

(٢) ديوانه ٤٤١

(١) ديوانه ٢٠٧٩

(٣) ديوانه ٢٢٥٥ .

حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ رَأَيْتُ
وَبَعْدَهُمَا :

أَغْنَتْ بَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَأَقْرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
وَلَهُ أَيْضًا فِي الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ ، وَقَدْ نَزَلَ إِلَى الْأَسَدِ فَقَتَلَهُ :
حَمَلْتُ عَلَيْهِ السِّيفَ عِطْفُكَ مَا انْتَنَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَذُّهُ نَبَأٌ (١)
فَأَحْجَمَ لَنَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا وَصَمَّ لَنَا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا
وَلَهُ فِيهِ :

وَمَا مَنَعَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ نَيْلَهُ وَلَكِنَهَا الْأَيَّامُ تُعْطَى وَتَحْرَمُ (٢)
سَحَابٌ خَطَانِي جُودُهُ وَهُوَ مُشِيلٌ وَبَحْرٌ عَدَانِي فَيْضُهُ وَهُوَ مُنْعَمٌ
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرَبًا وَهُوَ مَوْضِعُ رَجُلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ
أَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَ أَنْ وَسَّعَ الْوَرَى وَمَنْ ذَا يَذِمُّ الْغَيْثَ إِلَّا مَذْمَمٌ (٣)

وَلَهُ أَيْضًا فِي انْتِقَاضِ صَاحِبِ بَيْنِ عَشِيرَتِهِ :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَى عَلَى نَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ (٤)
وَلَأَنَّهُمُ السَّدِيدُ أَشَدُّ حُبًّا إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمُصِيبِ
وَمِنْ جَيْدِ شَعْرِهِ :

وَلَمَّا الْقَبَا وَاللَّوَى مَوْعِدٌ لَنَا تَبَيَّنَ رَأْيِي الدَّرَّ حَسَنًا وَلَا قِطْعَةً (٥)
فَمَنْ لَوْ لَوْ تَجَلَّوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ نَسَاقِطُهُ
وَالْبَحْتَرَى مَكْثَرٌ جَدًّا ، وَدِيْوَانُ شَعْرِهِ نَسِخٌ مُخْتَلَفًا بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ ؛ لِأَنَّ
شَعْرَهُ لَا يَنْضَبُطُ لِكَثْرَتِهِ .

(٢) ديوانه ١٩٨٠

(١) ديوانه ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) ديوانه ١٩٠ .

(٤) ديوانه ١٢٣٠ .

[وصية أبي تمام للبحتري]

قال البحتري : كنت أروم الشعر في حدائتي ، وكنت أرجع فيه إلى الطبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه ، حتى قصدت أبا تمام ، وانقلعت فيه إليه ، واتسكت في تعريته عليه ، فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تخير الأوقات وأنت قليل الموم ، صهر من الموم . واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يتصدها الإنسان لتأليف الشيء ، أو حفظه في وقت السحر ، وذلك أن النفس تكون قد أخذت بنحطها في الراحة ، وقسطها من النوم ، فإن أردت التشبيب ، فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثر فيه بيان الصبابة ، وتوَجُّع الكتابة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ؛ فإذا أخذت في مدح سيد [ذى أباد] ^(١) ، فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبن معاله ، وشرف مقامه ، ونضد المعاني ، واحذر المحتمل ^(٢) منها . وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الهجينة ^(٣) ، وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ، ولا تعمل شعراً إلا وأنت فارغ القلب . واجعل شهوتك إلى قول الشعر الذريعة إلى حسن نظامه ، فإن الشهوة تجمع النفس ^(٤) . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سبق من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ؛ ترشد إن شاء الله تعالى .

قال : فأعامت نفسي فيما قال ، فوقفت على السياسة ^(٥) .

* * *

فَقَالَ : هَلْ عَثَرْتَ لَهُ فِيهَا لَمَحَظَةً ، عَلَى بَدِيعِ اسْتِمْلَاحَتِهِ ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، قَوْلُهُ :

(١) من زهر الآداب

(٢) زهر الآداب : « المحمول » .

(٣) زهر الآداب : « الرديئة » . (٤) زهر الآداب : « نعم المين » .

(٥) زهر الآداب ١١٠ ، ١١١ ، العدد ٢ : ١١٤ .

كَأَنَّمَا يَبْدِيعُ عَنْ لَوْلَاؤِ مُنْضَدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقْلَحٍ
فَإِنَّهُ أَبْدَعَ فِي التَّشْبِيهِ ، الْمُوْدَعِ فِيهِ .

• • •

قوله : « هل عثرت » ، معناه اطلعت . لحنه : نظرت . بديع : معنى لم يسبق
غيره إليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما كما ذكر من صنع البديع في [القامة]
الثالثة والعشرين . والبِدْع : إحداث الشيء قبل أن يكون أولاً ، والبِدْعَة : ما ابتدع
من الدين ، والبديع : المحدث العجيب ، وأبدع الرجل : أتى ببديع من قول أو فعل ،
وأبدع الله الأشياء وأبتدعها : خلقها بلا مثال . استملخته : وجدته مليحاً . ييسم :
يبدى بعض أسنانه عند الضحك . لَوْلَا : جوهر شبه به الأسنان . وهذا البيت
من شعره ، وقبله :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ^(١)
فَبَتَّ أَفْئِدِيهِ وَلَا أَرْعَوِي لَهْيِ نَاهٍ عَنْهُ أَوْ لَعْنِي لَآخِ
أَمْزُجُ كَأْسِي بِحَنَى رِيقِهِ وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحًا بِرَاحِ
كَأَنَّمَا يَيْسَمُ الْبَيْت .

وبعده :

سِحْرُ الْعُيُونِ الثَّجَلِ مُسْتَهْلِكٌ لَبِّي ، وَتَوْرِيدِ الْخُدُودِ الْمَلَاخِ
قُلْ لِأَبِي نُوحٍ شَقِيقِ الْعَلَا وَمَعْدِنِ الْجُودِ ، وَتَرْبِ الثَّكَاحِ^(٢)
أَعُوذُ بِالْفَضْلِ الْجَمِيلِ الَّذِي عَوَّدَتْنِي ، وَالنَّائِلِ الْمُسْتَمَاحِ
مَنْ أَنْ تَصُدَّ الطَّرْفُ عَنِّي وَأَنْ أَخِيبَ فِي جُدُوكَ بَعْدَ النَّجَاحِ
أَشْمَتَ حُسَّادِي وَأَخْرَجَتْنِي عَنْ سَبِيلِكَ الْمُغْدَى عَلَى الْمَرَاخِ
فَهَلْ لَأُنْسٍ بَانَ مِنْ عَوْدَةٍ أَمْ هَلْ لِحَالٍ فَسَدَتْ مِنْ صَلَاحِ

(١) ديوانه ٤٣٥ .

(٢) هو أبو نوح عيسى بن موسى المدوح .

نَسْتُ عَلَى سَخَمِكَ جَاهِدَ التَّوَى وَلَا عَلَى هَجْرِكَ شَاكِيَ السَّلَاحِ
قوله : « المودع » : المضمّن ، وأودع الشيء : صيره وديعة .

فَقَالَ لَهُ : يَا لَمَعْجَبٍ ، وَلِضَيْعَةِ الْأَدَبِ ! لَقَدْ اسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ ،
وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ! أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْبَيْتِ النَّذِيرِ ، الْجَامِعِ
مُشَبَّهَاتِ الثَّغْرِ ! وَأَنْشَدَ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِثَغْرِ رَقٍ مَبْسُومَةٍ
وَزَانُهُ شَدْبٌ نَاهِيكَ مِنْ شَنْبٍ
يَهْتَرُ عَنْ أَوَّلِهِ رَطْبٌ وَعَنْ بَرْدٍ
وَعَنْ أَقَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبٍ

استسمنت : حسبته سميئاً وطلبت السمانه من هزيل . وَرَمٌ : دُمْلٌ ، والمعنى
أنه يرميه بسوء الفهم ، وقد بين هذا أبو الطيب المتنبي فقال :

أَعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّعْمَ فِيمَنْ شَعْمُهُ وَرَمٌ^(١)
وَمَا انْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ

ونفخت في غير ضرم ، مثل لطلب الشيء في غير موضعه ، ولفظ المثل^(٢) :
« نفخت » أو « تنفخ » ، والضرم : النار . النذير : النادر : الغريب . الثغر :
الأسنان ، مبسوم : موضع ابتسامه ، يعني الفم .

(١) ديوانه ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) لفظ المثل في جهرة الأمثال ٢ : ٣٠٥ : « نفخت لوتنفخ في فم » ، والنعم :
الجر الطاق .

الشَّنب : الماء القليل الجارى على الأسنان . الجرمى : سمعت الأصمعى يقول :
الشَّنب بَرَد الأسنان والفم ، قلت : أصحابنا يقولون : حدثها حين تَطْلُع ، فيراد
بذلك حدثاتها وطرائفها ، لأنها إذا أتت عليها السنون تغيرت ، يقال : ما هو إلا
بَرْدُها . ابن سيده : قال الأصمعى : سألت رؤبة عن الشَّنب ما هو ؟ فأخذ حبة
رمان فأومأ إلى بصيصها .

ناهيك : كافيك ، وتقول : ناهيك بفلان ! أى قد انتهى الأمر فيه إلى الغاية
ونَحَى الرَّجُلُ من اللحم وأَنْهَى ، إذا شبع منه واكتفى ، والنَّهْيُ : النَّدِيرُ
لأنه ينتهى إليه ماء الوادى . فتر : تكشف ويسم . رطب ، أى طرى كما
أخرج من أصدافه ، وفي اللؤلؤ إذا ذك رطوبة وسطوع بياض ، فإذا أصابه الهوى
ودام عليه صَلْبٌ ، وإذا تداولته الأبدى باللمس وقدم تغير بياضه . الطَّلَع :
أول حمل النحلة ، وهو الفرخ فإذا انشق فهو الضحك ، وبه تشبه الأسنان
في بياضه ، ثم الإعرص إذا افترق حبه ، وإنما شبه الأسنان بالطَّلَع ، وهو الفرخ ،
لأنه إذا شق وجد ما فيه من حمل النحلة في غاية البياض ، ويقال له : الوليع ،
قال الشاعر :

وتبسم عن لؤلؤ كالوليع تشقق عنه الرقاة الجوفاء^(١)

الجُجُوب جمع جُفٍّ وهو قشر الفرخ ، ويقال له القيفاء والبالبة ، وهو طيب
الريح ، والرقاة : الراقون إلى أعلى النخل .

والحَبَب : تنضد الأسنان ، وقيل : طرائق تظهر في الخمر عند مزجها بآء ،
وقد التقايع التى تعلو الخمر عند المزج مهي الحباب ، بزيادة الألف ، قال المتلمس^(٢) :
عُقَارٌ أَعْتَقَتْ فِي الدَّنِّ حَتَّى كَانَّ حَبَابَهَا حَذَقُ الْجَرَادِ^(٣)

(١) اللسان - ولع ، جفف ، من غير نسيبه .

(٢) شعراء النصرانية ٣٤٢ . والعقار : الخمر ؛ سميت عقارا لأنها عاقرت الدن .
والخمر العبيقة : القديمة .

وقال آخر :

خَمْرَاءُ قَانِيَةٌ إِذَا مَا شَعَشَعَتْ يَنْزُو إِلَى وَجْهِ النَّدِيمِ حَبَابُهَا

• • •

فَاسْتَجَادَهُ مَنْ خَضَرَ وَاسْتَخْلَاهُ ، وَاسْتَعَادَهُ مِنْهُ وَاسْتَمْلَاهُ ،
وَسُئِلَ لِمَنْ هَذَا الْبَيْتُ ، وَهَلْ حَى قَائِلُهُ أَوْ مَيِّتٌ ؟ فَقَالَ : أَيْمُ اللَّهِ ،
لِلْحَقِّ أَحقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، وَلِلصُّدْقِ حَقِيقٌ بَأَن يُسْتَمَعَ ؛ إِنَّهُ يَأْقُومُ ،
لِنَجِيَّتِكُمْ مِنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ : فَكَأَنَّ الْجَمَاعَةَ ارْتَابَتْ بِبِرْزَوْتِهِ ،
وَأَبَتْ تَصْدِيقَ دَعْوَتِهِ . فَتَوَجَّسَ مَا هَجَسَ فِي أَفْكَارِهِمْ ،
وَفَطَنَ لِمَا بَطَنَ مِنْ اسْتِنكَارِهِمْ ، وَحَازَرَ أَنْ يَفْطَرَّ إِلَيْهِمْ ذِمٌّ ، أَوْ
يَلْحَقَهُ وَهْمٌ ، فَقَرَأَ ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : يَا رِوَاةَ
الْقَرِيضِ ، وَأُسَاءَةَ الْقَوْلِ الْمَرِيضِ ، إِنَّ خُلَاصَةَ الْجَوْهَرِ تَظْهَرُ بِالسَّبْكِ ،
وَيَدُ الْحَقِّ تَصْدَعُ رِذَاءَ الشَّكِّ ، وَقَدْ قِيلَ فِيمَا غَبَرَ مِنَ الزَّمَانِ : عِنْدَ
الامْتِحَانِ يُبْكَرُمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ ، وَهَا أَنَا قَدْ عَرَضْتُ خَبِيَّتِي ^(١)
لِلْاِخْتِبَارِ ، وَعَرَضْتُ حَقِيقَتِي عَلَى الْاِغْتِبَارِ .

• • •

قوله : «استعاده» ، أى قال : أعده على . استملاه : طلب أن يكتبه . ايم الله :
يمين يحلف به . نجيتكم : محذتكم - يعنى نفسه . ارتابت : شككت والرتيبة الشك .
برزوته : بنسبته ، أى بنسبته إلى نفسه . دعوته : ادعائه أنه من قوله . والدعوة
بكسر الدال في النسب ، وفتحها في الطعاع . فتوجس : أى أحس وسمع .
هجس : وقع وخطر . فطن : شعر . بطن : خفي ، يريد أنه فهم منهم أنهم لم

(١) من المقامات : « جنيتي » .

يصدّقه في أنّ الشعر له ، وأنكروا أن يقول مثله . حاذر : خاف . يفرط : يسبق . القريض : الشعر . أساء : أظباء ، واحدهم آسي . القول الرريض : الضعيف من قبل راويه . خلاصة : ما خلس منه . وجواهر الأرض ، مثل الحديد والنحاس وغيرهما ، فإذا عرض الجواهر على النار ، فما كان منه خالصاً زاد صفاء وجودة ، وما لم يكن خالصاً فضحته النار وأظهرت عيبه . السبك : الاختبار بالنار . تصدع : تشق . غير : مضى هنا ، ويستعمل كثيراً بمعنى « بقي » وهو من الأضداد ؛ يقال : غير الشيء غيراً إذا بقي ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِرِينَ ﴾^(١) ، أي الباقين . الامتحان : الاختبار والبحث ، وهذا المثل من أمثال الفرس ، ولهذا أبعد مدته حيث قال : غيّر من الزمان . خبتي : مكتومي . وما خباته من علمي ، وأصل « خبتي » الهمز ، قلبت همزته ياء وأدغمت فيها الياء ، كما قلبت في « خاسية » . وتقول : عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ، إن أتيت بعلی خفت الراء ، وإن أتيت باللام شدّدتها . والحقيبة : وعاء يجعله الراكب خلفه ، والاعتبار والاختبار واحد .

• • •

فَابْتَدَرَ أَحَدُ مَنْ حَضَرَ ، وَقَالَ : أَعْرِفُ سَيْتَا لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مَنَوَالِهِ ،
وَلَا سَمَحَتْ قَرِيعةٌ بِمِثَالِهِ ، فَإِنْ آثَرْتَ اخْتِلَابَ الْقُلُوبِ ، فَاَنْظِمِ
عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرْدًا وَعَصَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

• • •

قوله : «ابتدر» ، أى سبق بالكلام وبأدب به . والمنوال : خشبة الحائك ؛ يريد أن البيت رفيع الصنعة في الشعر لم يصنع بمثله ، لأن الثوب أنواع ، وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب . سمحت : جادت . قريحة : ذهن . آثرت : فضلت . اختلاب القلوب : إمالتها إليك بتصديقك وانخداعك بما تبديه ، وهو من الخلب وهو من غشاء القلب . وعن أبي عبيدة وغيره قال ثعلب : الخلب : الذى بين الزيادة والكبد^(١) ، يقال : خلبنى حب فلان ، أى وصل حبه إلى خلبي ، وفلان خلب نساء ، أى تخليه النساء ، وخلاّب : يخلب الناس ، أى يذهب بقلوبهم ، وخبب جمعه خلبة ، وكله من الخلب ، قال أعرابي :

مَنْ كَانَ لَمْ يَذْرِ مَا حُبُّ جَمَعَتْ لَهُ أَوْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدِ
فَالْحُبُّ أَوَّلُهُ رَوْعٌ وَآخِرُهُ مِثْلُ الْحَرَارَةِ بَيْنَ الْخَلْبِ وَالْكَبِدِ
[انظم : قل شعرا منظوما . والأسلوب : الطريقة]^(٢) .

لولؤاً : درأ . النرجس : نوار أصفر في نوره انكسار وفور لا يكاد يرى ، له ورقة قائمة ، تشبه به العينان إذا كان في نظرهما فتور .

[ذكر النرجس وما قاله الشعراء في تشبيه العيون به]

وقد تمادى إنكار أدباء وقتنا تشبيه العين بهذا النوار الأصفر المعروف عندنا بالنرجس ، فأكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لأجل صفته ، وإن ذكرته لأحد قال : وأى صفرة في العين إلا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ! ويستبعد موضع التشبيه جداً .

وقد سألت عنه بعض أشياخي في صفري ، وأنا أقرأ عليه كتاب «الجلل» وكان أديباً شاعراً ، فأنكر وقوع التشبيه بهذا النور الأصفر ، وقال لي : النرجس عندهم

(١) من ج ٢ .

(٢) في اللسان : الخلب ، بالكسر : حجاب الكبد ، وقيل : هو حجاب بين القلب والكبد

بالمشرق نور يشبه نوار الفول . وأكثر من لقيته يستبعد التشبيه بهذا الأصفر ، لأجل لونه ، وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها ، والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى ، وعلى المعنى دون الصورة ، وعليهما جميعاً ؛ وهو أكمل وجوه التشبيه . وانظر أقسام التشبيه في الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره بإذن الله تعالى .

وتشبيه العيون بالسيوف والسهام ، إنما المراد به المضاء والقطع ، ولا يلتفت في ذلك إلى اللون ، وكذلك تشبيه العيون بالترجس الأصفر إذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكن في التشبيه ، ألا ترى ابن المعتز التفت إلى الفتور وحده حين قال :

وَسَنَانٌ قَدْ خَدَعَ النَّعَاسُ جَفَوْنَهُ فَحَكَى بِمَقْلَتِهِ ذُبُولَ التَّرْجِسِ^(١)

والترجس الذي يشبه به أهل المشرق العيون ، هونبات له قضبان خضر في رؤوسها أقعاع ، يخرج منها نور ينبسط منه على الأقاع ورق أبيض ، في وسط البياض دائرة قاعة من ورق صغير . هذه الصفة التي تقع في أشعارهم إذا ذكروا الترجس ، وبذلك وصفه كسرى أنو شروان ، فقال : الترجس ياقوت أصفر ، بين درّ أبيض على زمرّد أخضر ، أخذه بعضهم فقال فيه :

وَيَا قُوتِيَّ صَفْرَاءَ فِي رَأْسِ دُرَّةٍ مَرْكَبَةٌ فِي قَائِمٍ مِنْ زَبَرَجَدٍ
كَأَنَّ بِهِيَ الدَّرَّ عَقْدَ نَظَامِهَا فَرِيدٌ أُنِيقٌ قَدْ أَطَافَ بِعَسْجَدٍ

وأشده أبو عون الكاتب في كتاب التشبيه له ، فقال : من جيد ما قيل في الترجس ما أنشده البرّاد رحمه الله تعالى :

(١) ديوانه ١ : ٦٨ .

تَرْجِيَّةٌ لَاحِظَانِي طَرَفُهَا تَشْبَهُ دِينَارًا عَلَى دِرْهَمٍ^(١)

وقال عبيد الله بن عبد الله فيه :

تَرْنُو بِأَبْصَارِهَا إِلَيْكَ كَمَا تَرْنُو إِذَا خَافَتِ الْيَعَافِيرُ^(٢)

مثل البواقيت قد نُظْمَنَ عَلَى زَمَرْدَ فَوْقَهُنَّ كَافُورُ

كَأَنَّهَا وَالْمَيُونُ تَرْمُقُهَا دَرَاهِمٌ وَسَطَاحُهَا دَنَانِيرُ

وقال أبو نواس :

لَدَى نَرْجِسٍ غَضٌّ الْقَطَافِ كَأَنَّهُ إِذَا مَامَتْ حَنَاهُ الْعَيُونُ عَيُونُ^(٣)

مُخَالَفَةٌ فِي شِكَاكِهِنَّ وَصَفْرَةٌ مَكَانَ سَوَادٍ وَالْبَيَاضُ جُفُونُ

أَجَادَ التَّشْبِيهَ ، وَكَشَفَ بِذِكْرِ الْمُخَالَفَةِ قَنَاعَ الشَّبْهِ ، وَبَيَّنَ مَوَاقِعَ التَّشْبِيهِ

نِهَايَةَ الْبَيَانِ .

وقال أبو عبد الله بن فرج في كتاب الحاس والحسوس ، له : وَأَحْسَنُ يَتِي

أُنْشَدْنِيهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَدَاهِنُ دَرِّ بَيْنِ أَوْرَاقِ فِضَّةٍ عَلَى تَيْسٍ شَبْرٍ أَخْضَرٍ كَالزَّيْتِ بَرَّاجِدٍ

وقال أبو الفرج البغدادى :

وَنَرْجِسٍ لَمْ يَعُدْ مُبَيِّضُهُ إِلَّا كَكَّاسٍ وَلَا أَصْفَرُهُ الرِّيحَا^(٤)

تَحَالُ أَحْقَاقُ لَجُئِينَ حَوَتْ مِنْ أَصْفَرِ الْمُسْجَدِ أَقْدَاحَا

كَأَنَّمَا يُهْدَى الْحَيُّ بِهِ لَطْفًا إِلَى الْأَرْوَاحِ أَرْوَاحَا

(١) كناية التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ .

(٢) كتاب التشبيه ١٩١ ، نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ ، واليعافير : جم يفور ، وهو الظبي بلون التراب

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣

(٤) بنية الدهر ١ : ٢٢٨

يعنى عن الورد إذا مارنا ويخلف الورد إذا فاحه
وقال ابن المعتز :

كأن عيون النرجس الغض يننا مداهن در ينهن عقيق^(١)
إذا بآهن القطر خلت دموعه بكاء عيون كحلهن خلوق
وقال الناشي :

أخص الصفات التي تناولها من كتب
عيون بلا أوجيه لها حدق من ذهب
وقال ابن الرومي :

بانرجس الدنيا ترى أبداً للإفتراج ودائم النخب
ذهب العيون إذا مثلن لنا در الجفون زبرجد القصب
وهذه الصفة التي أثبتتها أهل المشرق للنرجس، هي التي يصف بها أهل المغرب.
البهار، قال ابن أبي عامر في جارية اسمها بهار :

حدق الحسان قر لي وتغار وتظل في صفة البهار تحار
طلعت على قضبي عيون كائمي مثل العيون تحمها الأشجار
وأخص شيء بي إذا شبتني در تمنطق سلكه دينار^(٢)
أهدى لنا قصب الزبرجد ساقه وحباء أنف عطره المطار
أنا نرجس حقاً بهرت عقولهم بيدع تركيبي قيل بهار
بين أن البهار عندنا، هو الذي تسميه أهل المشرق نرجساً.

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ .

(٢) كنفال ج ، ووط : « سلكه دينار » .

وقال أبو جعفر بن برد :

تأمل فقد شقَّ البهار مغناً كما أنه عن نوره الخليل الندي^(١)
مداهنٌ تهر في أنامل فضيه على أذرع مخروطه من زبرجد
وقال التسلي^(٢) :

بهار يروق بمكٍ ذكي وصنع بديع وخلق عجب
غصون الزبرجد قد أوزقت بها فضة نورّت بالذهب
وقال القاضي أبو الحسن بن لبّال :

وبهار يحكي كنوس لجين حملتها أنامل من زبرجد
سامرتها الكواكب الزهر حتى سمّرت وسطها كواكب عسجد
وأشدني بعض أسياخنا :

انظر إلى حُسن البهار وغنجه يرئو إليك بمقلتي وشنان
فكأنما هي راحة من فضة قد ضُمّت كلها من العميّان
وكان نشر نسيمه غب الندي ياتيك بالأنفاس من بندان

والذي نسميه أهل المغرب نرجساً يسميه أهل المشرق بهاراً ، ولذلك قال
الحريّ في العاشرة : « ووردني بالبهار » ، دعا فيها على الغلام بالحنى ، وأن
ينعكس حمرة خده صفرة ، وقال حبيب في ذلك :

إنّ وجه الحنّى لوجه صفيق حين تسطو به نهّاراً جهّاراً^(٣)
لم تشن زرد وجنتيه ولكن صيرت زرد وجنتيه بهّاراً^(٤)

(١) الذخيرة ٢ : ٤٩

(٢) هو ابن دراج ، ديوانه ٣٨ .

(٣) ديوانه ٤٤١

(٤) الديوان : « لم تشن وجهه اللبح » .

وبلون النرجس يشبه أهل الأندلس المبيض .

وقال أبو بكر الأبيض :

يا شاكيا صدني عن مئة ألى طال اشتياقي به ليلاً فلم أنم
تضائل الدهرُ إشفاقاً على قر رقيب في سماء المجد والكرم
لم أرض قلبي مكاناً إذ حلت به حتى خلطتك في سواديه برمي
أنت البهار ولا أدري متى خامت عليك أيدي الليالي نرجس السقم

ولابن الزقاق :

ونزال ذي اعتدال شفه بعد ما شق هواه الأنفساً^(١)
جارت الحمى على وجنته فاستحال الورد منه نرجساً

فثبت بما قدمناه، أن نرجسهم بهارنا، وأن بهارهم نرجسنا . وآكد ما يدل على صحته اشتراك البيت الذي أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن برْد في لفظ واحد ، أخذ ابن برْد منه صفة النرجس ، فقلبه لاسم البهار حين نظامه .

واعلم أن تشبيه العين بنرجسهم أئبن لتعلقهم بالصورة ، وأن تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى ، وهو مع ذلك متمكّن في باب التشبيه ، وأن اسم النرجس لا بد فيه من صفة .

وقد قال شاعر من المشرق ، وهو أحمد بن يونس الكاتب في مناقضة ابن الرومي في تفضيله النرجس على الورد :

إِنْ كُنْتَ تَنْكِرُ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ دَلَالَةٌ وَشَوَاهِدٌ^(١)
 نَنْظُرُ إِلَى الصَّغَرِ لَوْ أَنَّ مِنْهَا وَافِطِينَ فَمَا يَصْفُرُ إِلَّا الْخَاسِدُ
 فَلَوْلَا مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَشْعَارِهِمْ ، لَحَكَمْنَا بِهَذَا الْبَيْتِ ، عَلَى أَنْ تَرْجِسَهُمْ هُوَ
 نَرْجِسُنَا ، وَمَذْهَبُ ابْنِ الرَّومِيِّ^(٢) تَفْضِيلُهُ عَلَى الْوَرْدِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
 وَأَحْسَنُ مَا فِي الْوُجُوهِ الْعَيُورُ نَ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ بِهَا النَّزْجِسُ
 وَالنُّفُوسُ تَشْتَوِي إِلَى رُؤْيَا تَرْجِسِهِمْ ، لِأَنَّا لَمْ نَعْلَمْ نَرْجِسُنَا غَيْرَ هَذَا الْأَصْفَرِ ،
 حَتَّى نَعْلَمَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ هُوَ النَّوَّارُ الْمَعْرُوفُ ، وَهُمْ أَيْضًا يَتَشَوَّقُونَ
 لِنَنْظَرِ نَرْجِسُنَا .

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حِكَايَةُ الْقَاضِي الْفَقِيهِ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْبَلَّالِ ، قَالَ : خَرَجْتُ
 عَشِيَّةً خَارِجَ إِسْبِيلِيَّةِ أَيَّامِ حَدَائِقِي وَقَرَأْتُ فِيهَا ، فَجَلَسْتُ فِي وَسْطِ وَادِيهَا ، وَبِيْدِي
 كِتَابَ أَنْظَارِ فِيهِ ، وَإِذَا رَجُلٌ يُحْمَلُ حَوَالِيَّ ، فَإِذَا نَظَرْتُ فِي الْكِتَابِ بِأَخْذٍ وَيَنْشُدُ
 لِلْأَشْعَارِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا نَظَائِرَ مِنْ بَدِيعِ الشَّعْرِ ، فَذَا كَرْتَهُ فَوَجَدْتَهُ بِحَرِّ أَدَبٍ ،
 فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَحْوَظِهِ ، فَقَالَ : أَحْفَظُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ ، فَسَأَلْتُهُ : هَلْ
 تَنْظُمُ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَنِي فِي وَصْفِ فَرَسٍ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْقَائِلُ :

(١) أورد النويري في نهاية الأرب ١١ : ٢٣٤ من شعر ابن الرومي أبياتاً منها :

خَجَلْتُ خُدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدُهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
 لَمْ يَحْجُلِ الْوَرْدُ الْمَوَرَّدُ لَوْنَهُ إِلَّا وَنَاحِلُهُ الْفَضِيلَةُ عَانِدُ
 لِلنَّزْجِسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَإِنْ أَبِي أَبِي ، وَجَادَ عَنِ الطَّرِيقِ حَائِدُ
 فَضْلُ الْقَضِيَّةِ أَنْ هَذَا قَائِدُ زَهْرُ الرَّبِيعِ ، وَأَنْ هَذَا طَارِدُ
 شَتَانٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مَوْعِدُ بِنَسْلِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدُ

منع الحوافر أن تطين به الترى فكانه في حربه متمسك
وكأن أربعة توافق طرفه فتكاد تسبقه إلى ما يرمى

فاستعدت بيته ، وراجعت في قوله : « تطين » ، فقلت له : إنما هو « تطان » ، فلم
يعرف اللفظ ، وإنما تكلم بلا همز على لحن عامته ، فحزنته في غيره ، فوجدت
شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ ، لا من جهة العلم ، فسألته عن بلاده ، فقال :
أنا من العراق ، فقلت له : فما السبب الذي جاء بك إلى الأندلس ؟ فقال لي :
لأرى النرجس الأصفر المذكور في أشعاركم عياناً . ودعاني إلى الإطالة في ذكر
النرجس رغبة أن أرفع عن غبري حيرة الشبهة التي أفتت فيها زماناً طويلاً ،
لا أجد من يرفعها عني .

[ذكر الوأواء الدمشقي وبعض شعره]

والبيت الذي اقتضى النظم على أسلوبه هو لأبي الفرج الغساني الدمشقي ،
المعروف بالوأواء ، ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة^(١) ، فقال : أبو الفرج من
حسان الدهر ، وصاغة الكلام^(٢) .

ومن عجائب أمره أنه كان منادياً بدار البطيخ بدمشق ينادي على الزواكه ،
وما زال يشعر حتى جاد شعره ، ووقع له ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى تعاقب
بالعبوق^(٣) .

وقال الفتح بن خاقان : إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين ، فلما

(١) يتيمة الدهر : ٢٣٦ وما بعدها .

(٢) اليتيمة : من حسنات الشام ، وصاغة الكلام .

(٣) اليتيمة : حتى يملو العبوق ، والعبوق : نجم أحمر مضى في طرف الحجرة الأيمن
يتلو التريا لا يتقدمها .

دخلت مجلسي لقيت خلافة^(١) جاريتي ، فلم أتمالك أن ، قَبَّنتها ، فوجدت ما بين
شفتيها هواء ، لو رقد المحموم فيه لأفاق . وهذا مستظرف من كلام الفتح ، فقال
: «لأواء ملأ به»^(٢) :

سَقَى اللهُ لَيْلًا طَابَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ فَأَفْنَيْتُهُ حَتَّى الصَّصَاحِ عِمَاقًا^(٣)
بَطِيبِ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجْلَبُ الْكَرَى فَلَوْ رَقَدَ الْحَمُومُ بِهِ أَفَاقًا^(٤)
وله أيضًا :

بِاللهِ رَبِّكَما عُوْجًا عَلَى سَكَنِي وَعَاتِبَاهُ . لَعَلَّ الْعَتَبَ يَعْطِفُ^(٥)
وَعَرَضًا بِي وَقَوْلًا فِي حَدِيثِكَا مَا بَالُ عَبْدِكَ بِالْهَجْرَانِ تُتْلِفُهُ !
فَإِن تَبَسَّمَ قَوْلًا فِي مَلَاظِفَةٍ^(٦) مَا ضَرَّ لَوْ بَوْصَالٍ مِنْكَ تُسْعِفُهُ !
وإن بدا لكما من سَيِّدِي غَضَبٌ فَعَالِطَاهُ ، وَقَوْلًا : لَيْسَ نَعْرِفُهُ

وله في النحول :

حُومًا أَبْقَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مَنِي سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي حَيَالٍ^(٧)
خَفِيتُ عَنِ الْمَوَازِلِ أَنْ تَرَانِي^(٨) كَأَنَّ الرُّوحَ مَنِي فِي مُحَالٍ

(١) اليثيمة : « استقبلني فلانة — يعني جارية له — فلم أتمالك أن قبلتها » .

(٢) اليثيمة : « فكان هذا مما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح » .

(٣) ديوانه ١٦٤

(٤) الديوان : « ولو رقد المحموم » ، وبمده هناك :

تَمَلَّكَنِي لَمَّا تَمَلَّكَتْ مُهْجَتِي وَفَارَقَنِي لَمَّا أُمِنْتُ فِرَاقًا

(٥) ديوانه ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٦) الديوان : « في ملاطفة » .

(٧) ديوانه ١٨٩ .

(٨) الديوان : « عن التوايب » .

وله في الزرقه :

يَا مَنْ هُوَ الْمَاءُ فِي تَكْوِينِ خِلْقَتِهِ وَمَنْ هُوَ الْخَرُّ فِي أَعْمَالِ مُقْلَتِهِ ^(١)
وَمَنْ بَرَزُوقَةُ سَيْفِ اللَّحْظِ طَلَّ دَمِي وَالسَّيْفُ ، مَا فِخْرُهُ إِلَّا بَرَزُوقَتِهِ
عَلِمْتَ إِنْسَانٌ عَيْنِي أَنْ يَعمُومَ فَقَدْ جَادَتْ سَبَاحَتُهُ فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ

وله أيضاً :

تَمَلَّكَتْ بِأَمِّجَتِي مَهْجَتِي وَأَسْهَرْتُ يَا نَاظِرِي نَاظِرِي ^(٢)
وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ ^(٣) وَلَا هَجَسَ الْهَجْرُ فِي خَاظِرِي ^(٤)
فَجَذُّ بِالْوَصَالِ فَدَتِكَ الْنفُوسُ فَلَسْتُ عَلَى الْهَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْقَسْرِ بَعْضِ فَلَقَّبَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ

وله من قصيدة :

يُقِصِّنَ لَنَا بَرَقَ الشُّغُورِ أَدِلَّةً إِذَا مَاضَ لِلنَّافِي ظِلَامِ الدَّوَائِبِ ^(٥)

قال : ومن بديع تشبيهاته قوله :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ رُجْسِ ... الْبَيْتِ ^(٦) .

(١) ديوانه ٦٥ ، وبعده :

وَمَنْ خَلَمْتُ عِذَارِي فِي هَرَايَ لَهُ وَمَنْ تَهَتَّكَ سِثْرِي فِي مَحَبَّتِهِ

(٢) ديوانه ٩٩ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) الديوان : « يَا ظُلُوم »

(٤) الديوان : « وَلَا خَطَرَ الْهَجْرِ » .

(٥) من قصيدة مدح بها سيب الدولة ، وأولها :

قِفُوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرُّكَايِبِ لِنَبْذِلَ مَذْخُورَ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ

(٦) ديوانه ٨٤ .

ثم قال : هذا البيت ضَمَنَهُ خمسة تشبيهات بغير أداة التشبيه ، وذكر المتنبي
منها أربعة فأجاد ، وهي ما ضَمَنَها قوله رحمه الله :

بَدَتْ قَمَرًا ، وَمَا تَ حُوطًا بَانٍ ، وَفَاحَتْ عُنْبَرًا ، وَرَنْتَ غَزَا لَا (١)

والفقيه أبي محمد بن حزم خمسة تشبيهات في بيت واحد ، ولا يقدر أحد
على أكثر منه ، إذ لا يحتمل العروض ولا أبنية الأسماء أكثر من ذلك ، قال :

خَلَوْتُ بِهَا وَالْكَأْسُ ثَالِثَةٌ لَنَا وَجُنُحُ ظِلَامِ اللَّيْلِ قَدْ مَدَّ وَاتَّجَّ (٢)
فَنَاءٌ عَدِمْتُ الْعَيْشَ إِلَّا بِقَرَبِهَا وَهَلْ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ وَنَحْكَ مِنْ حَرَجٍ !
كَأَنِّي وَهِيَ وَالْكَأْسُ وَالْحَرُّ وَاللَّجَبُ تَرَى وَحْيًا وَالذَّرَّ وَالتَّبْرَ وَالسَّبَجُ
وقبل بيت الوأواء :

إِنْ سَيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَامَتْ لِلنَّاطِرِينَ وَلَمْ تَقْرُبْ عَلَى أَحَدٍ
قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظُهَا : مَا إِنْ أَرَى لِقَتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوْدٍ (٣)
فَامْطَرَتْ لَوْلَوْ أَنَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
ثم استمرت وقالت وهي ضاحكة :

قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ فَعَلَ الظَّبْيُ بِالْأَسَدِ ! (٤)

وأول القصيدة :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى صَدْرِي يَدًا لَيْدٍ وَصَحْتُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءُ وَكَابِدِي ! (٥)

(١) ديوانه ٣: ٢٢٤ .

(٢) طوق الحمامة ١٥ .

(٣) الديوان : ٥ كم فا أما .

(٤) سقط هذا البيت من رواية الديوان ، وموضعه هناك :

كأنا بين غابات الجنون لها أسد الحمام مقيات على الرصد

(٥) لم يرد هذا البيت في الديوان .

وقال أيضاً :

أَتَانِي زَائِرًا مَن كَانَ يُبْدِي لِي الْهَجَرَ الطَّوِيلَ وَلَا يَزُورُ^(١)
 قَالَتِ النَّاسُ لَنَا أَبْصَرُوهُ لِيَهْنِكَ زَارُكَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ
 قَتَلْتُ لَمْ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَحْرِى عَلَى خَدَّيْ لَهُ دُرٌّ كَثِيرُ
 وَلَوْ نَصَبُوا رَحًا يَأْزَاءُ عَيْنِي لَكَانَتْ مِنْ مَدَامِعِهَا تَدُورُ^(٢)

* * *

فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ، حَتَّى أَنْشَدَ
 فَأَغْرَبَ :

سَأَلْتُهَا حِينَ زَارَتْ نَضَوُ بُرْقِعِهَا أَلَا
 قَانِي وَإِدَاعَ صَمْعِي أَطِيبَ الْخَبَرِ
 فَزَحَزَحَتْ شَفَقًا غَشَى سَنَا قمر
 وَسَاقَطَتْ لَوْلَا مِنْ خَاتَمِ عَطْرِ

° ° °

قوله : «لمح البصر» ، يعنى نظر العين إلى الشيء بسرعة ثم تغيب عنه بسرعة ،
 وأصل البصر الإدراك بالعين . أغرب : أتى بغريب . نضو : كشف . التانى :
 الآخر . إيداع سمعى : إعطاء أذنى ، كأنه جعله وديعة عنده . زحزحت : أزالته .
 الشفق : حمرة الشمس بعد الغروب . غشى : غطى . سنا : ضوء . عطر : قراح
 طيب التنفس . وبيت الحريرى فى صنعة البديع فائق ، وإن لم يأت بعدد تشبيهات
 بيت أبى النرج ، وبيانه أن أبا الفرج يصف امرأة بأكية ، فيقول : إنها ثرت
 دموعها على مَنْ قتل من عشاقها ، فسقطت على خدّها قبلته ، وعضت

على أصحابها المصبوغة بالحناء بأسنانها، فجعل البيت كله استعارة ، فقال : « فأمطرت
 لؤلؤاً » ، وهو يريد : بكت دمعاً ، وذكر نرجساً وورداً ، وهو يريد عينا وخذاً ،
 وذكر عنباً وبرداً ، وهو يريد أنامل وأسنانا ، فضمن تحت ألفاظه هذه للمعاني ،
 وزاد فائدة التشبيه ؛ وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر ، فقابل الحريري هذا
 بقوله : « نزعحت شفقاً » ، وهو يرى نقاباً أحمر ، وذكر « سنا قمراً » وهو يريد
 ضوء وجهها ، وذكر لؤلؤاً من خاتم ، وهو يريد كلاماً من فم . والبيت الثاني في
 مقابلة بيت أبي الفرج ، والأول توطئة له ، وهو يصف امرأة زارته متنقبة فسألها ،
 أن تكشف عن وجهها وتحديثه ، فأزالت نقابها ، وأسمعت كلاماً حسناً من فم عطر .

[مما ورد من تشبيه الأشياء باللؤلؤ]

واللؤلؤ تشبه به الأسنان في مثل قوله :

* كأنما ييسم عن لؤلؤ رطب *

وقوله :

* يفر عن لؤلؤ رطب وعن برد *

ويشبه به الكلام في مثل قول البحتري :

* ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه ^(١) *

وقول الحريري :

* وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر *

ويشبه به الدمع ، كقول الواواء : « فأمطرت لؤلؤاً » ، وهو كثير .

ومن أحسنه قول الشاعر :

ولما وقفنا للوداع ودمعها ودمعي يُشيران الصبابة والوجد
 بكت لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامي عقيقاً ، وصار الكل في نحرها عقداً

وقال ابن عبد ربه :

وكانما غاص الأسى بحفونها حتى أتاك بلؤلؤ مشور

(١) ديوانه ١٢٣٠ ، صدره :

* فمن لؤلؤ تجلوه عند ابنسامة *

فأخذه الزمادى فحسّنه فقال :

ولم أرَ أحلى من تبسم أعين غداة اللوى عن لؤلؤ كان كامنًا

قال : فوقمت استعارة التبسم للعين موقعاً لطيفاً ، وإتما هو للشعر بسبب
توسط اللؤلؤ . والحدّاق يتحیلون في أخذ المعاني بترك القافية والوزن ، كتقول
ابن شهيد :

ولما فشا من دمعنا بعض سِرِّنا إلى كاشحين والقلوب كواهم
أمرنا يامسك الدموع جفوننا ليشجي بما يطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت نظمته بين الحاجب ناظم
وراق الهوى منّا عيون كريمة تلهعن حتى ما تروق المباءيم

[من قولهم فى الامتحان]

وقال ابن شهيد فى الامتحان فأحسن :

ونبتت أقواماً تحبس صدورهم على وأنى منهم فارغ الصدر
أصاخوا إلى قولى ناسمت صمهم وغاصوا على سرى ناعياهم أمرى
فقال فريق : ليس ذا الشعر شفره وقال فريق كئىمن الله ما ندرى
فمن شاء فليخبر فإنى لحاضر ولاشئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر فى هذا الامتحان ونسبة شعره فيه إلى الانتحال ، إلى قصة أبى بكر
ابن بقر^(١) حين استهدى بعض إخوانه أقلاماً ، فبعث إليه بثلاث من القصب ،
وكتب معها :

خذها إليك أبا بكر العلاء قصبا كأننا صاغها الصواع من ورقه
يزقى بها الطرس حسناً ما ثرت به مسك المداد على الكافور من ورقه

(١) هو أبوبكر بن بقر ، ذكره أبو الفتح بن خافان فى القلائد ٣٢٢ ضمن من ذكرهم
من الأدباء .

فأجابه أبو بكر بن بَقِيَّ فقال :

أرسلت نحوي ثلاثاً من قنأ سلب ميادة تلعن القِرطاس في ورقة
فالخط يمسكها والخط يرفها والرق يخدمها بالرق في عنقه
فحسده عليها بعض من سمعها ، ونسبه إلى الانتحال ، فقال أبو بكر مخاطب
صاحبه الأول :

وجاهل نسب الدغوى إلى كلى لما رماه بمثل النبل في حدقه
فقلت من حنقي لما تعرض لي : من ذا الذي أخرج اليربوع من نفقه !
ما ذم شعري وإني لله لي قسم إلا امرؤ ليست الأشعار من طرقة
الشعر يشهد أنني في كواكبه بل الصباح الذي ينشق في أفقه

[بديهة السلاي]

وخرج السلاي^(١) إلى الموصل وهو صبي حين راهق البلوغ ، فوجد بها أبا عثمان
الخالدي وأبا الفرج البتاء وأبا الحسن التلعفري وشيوخ الشعراء ، فلما رأوه عجبوا
منه ، وآتهموه في شعره ، فقال الخالدي : أنا أكنيكم أمره . فاتخذ دعوة ، وجمع
الشعراء والسلاي معهم ، فلما توسطوا الشراب ، أخذ في التفتيش عن قدر
بضاعته ، ثم لم يلبثوا أن جاء مطر شديد وثلج وبرد عم الأرض كثرة ، فأتى
أبو عثمان الخالدي نارنجاً بين أيديهم على ذلك البرد ، وقال : يا أصحابنا ، هل لكم
في أن نصف ذلك ؟ فقال السلاي ارتجالاً :

لله در الخالدي الأوحى التذب الخطير
أهدى لاء المرن عن سد جموده نار السعير
حتى إذا صدر العتار ب إليه من حنق الصدور^(٢)

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد السلاي ، نسبة إلى مدينة السلام ، أشهر أهل العراق في
عصره ، ومن ترجم لهم النجاشي في النبعة ٢ : ٣٦٤ - ٣٩٨ ، والخبر في ترجمته في ابن
خلكان ١ : ٥٢٤ .

(٢) ابن خلكان : من حر الصدور .

بعثت إليه بمذره من خاطري أوفى الشرور
لا تعذّلوه فإنّما أهدى الحدود إلى الثغور
فأمسكوا عنه عند ذلك ، واعترفوا له بالفضل ، إلا التّعفري ، فإنه أقام على
قوله فيه ، حتى قال السّامي فيه :

يا شاعراً بشعوره لم يشعُر
لو كنت تعرف والدًا تسمو به
تاه ابنُ فائقة الفسوق على الوَرى
وبلادة في الشعر تعلم أنه
وقال فيه :

سما التّعفري إلى وصالي
ينافي خلقه خلقي وتآبى
فصنعتي اللطيفة في لسانى
فإن أشمر فما هو من رجالي
ونفس الكلب تكبر عن وصالي
فعالى أن تضاف إلى نمالي
وصنعتي الخسيسة في قذالي
وإن يُصَفَّع فما أنا من رجالي

[من نواذر صاعد بن الحسن الربيعي]

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسدة ، أن صاعداً^(١) اللغوي .
متهم في كل ما يورده من حديث أو شعر ، فأدخلت عليه يوماً با كورة وزد لم
تفتح أكامها ، فقال فيها صاعد ارتجالاً :

أتىك أبا عامر وردة يدكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكامها راسها

فسر بذلك المنصور . وكان ابن العريف حاضراً فحسده وقال : إن هذين

(١) هو صاعد بن الحسن بن عيسى الربيعي ، وفد على المنصور بن أبي عامر ببغداد ،
وله معه أخبار ونواذر مشهورة في الأدب والفاقة ، ابن خلدون كان ١ : ٢٢٩ .

البيتين لغيره ، [وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه ، وهما عندي
على ظاهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب
وجعل يحث ، حتى ^(١) أتى مجلس ابن برد - وكان أحسن أهل وقته بديهة -
فوصف له ما جرى فقال :

عشوتُ إني قصر عباسيةً وقد صرع النومُ حراسها ^(٢)
أبياتاً ضمن فيها البيتين ، فكتبها ابن العريف بخط بصرى ^(٣) ، وصار بها
إلى المنصور . فاشتد غيظه ، وقال : غداً أمتحنه ، إن فضحه الامتحان لم يبق في
موضع لي فيه سلطان . ^(٤) ثم أخذ طبقاً فيه ضروب من الأنوار ، وعليه جوارٍ باسمين ^(٥)
على بركة ماء حضاؤها الدر والجوهر . ودعاه في مجلس حافل ، وقال له : هذا
طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدّم بين يديّ لك قبل ، فصفه فقال على البديهة :
أبا تمام هل غيرك جدواك واكفُ وأعجب ما يلقاه عندك واصف ^(٥) !

- (١) من الذخيرة .
(٢) بعده كما في الذخيرة :
فأنفيتها وهي في خدرها وقد صرع السكر أناسها
فقلت : أسار على هجعة ؟ فقلت : بلى ، فرمت كاسها
ومدت يديها إلى وردة يحاكي لك الطيب أنفاسها
كمذراء أبصرها مبصر فغطت بأكتافها رأسها
وقالت : خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على عفة وما خفت ناسي ولا ناسها
(٣) الذخيرة . « مصرى » .
(٤-٤) الذخيرة : « وقد أعد طبقاً فيه سقائف من ضروب التواوير ، ووضع على السقائف
جوارى باسمين » .
(٥) الذخيرة :

* وهل غير من عاداك في الأرض خائف *

وبعده :

سوق إليك الدهر كل عجيبة وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائعُ نَوْرٍ صاغها هَامِرُ الحيا حُلِيًّا فَنبأ عَبَّاسُ ورِفَارُ
ولما تنأى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملاحى الوصائفُ
كمثل الظباء المستحكة كُنَّا تظللها بالياسمين السَّائِفُ
فلم ترعيني في البلاد حديقةً تنقلها في راحتين المناصِفُ^(١)
والحكاية بطولها في القسم الرابع من الذخيرة .^(٢)

وخرج معه إلى أرض الزاهرة^(٣)، فمد يده إلى شيء من الترنجان يبعث به ،
ورمى به إلى صاعد معرضاً بأن يصفه ، فقال :

(١) بده في الذخيرة :

وأعجب منها أنهم نواظِرُ إلى بركة ضُمَّتْ إليها الظرائِفُ
حصاها الآلى ، سابعٌ في عبايها من الرُّقش مسموم اللعابينِ راجِفُ
ترى ما تشاء العينُ في جنباتها من الوحش حتى بينهن السلاحِفُ

قال في الذخيرة بده هذا البيت :

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها النصور بخطه ، وكان إلى ناحية سفينة فيها جارية
تجذف بمجذاف ذهب ، لم يرها صاعد ، فقال له النصور: أجدت إلا أنك لم تصف هذا الجارية ،
فقال :

وأعجبُ منها عادة في سفينة مكللة تصبو إليها المهايِفُ
إذا راعها موجٌ من الماء تنقِي بسكانها ما أنذرت العواصفُ
حتى كانت الحسناء ربان مركب تصرف في يميني يديها المجاذِفُ
فلم تر عيني في البلاد حديقةً تنقلها في راحتين المناصِفُ
إلى آخر الأيات .

(٢) الذخيرة ٤ : ٨ - ١١ .

(٣) الذخيرة : « إلى رياض زاهرة » .

لم أذِرْ قبلَ ترْجائِ عِثْتِ بِهِ
 من طيبه سَرَقَ الأُتْرَجَ نَكَمَتُهُ
 كأنما الحاجبُ النُّصُورَ عَلمَهُ
 مَنْ لَيْسَ بِنَعْدِهِ عَن سُوْدُدِ كَرَمٍ
 أَن الزُّمَرُ قَضِيانَ وَأُورَاقُ^(١)
 يَقُومُ حَتَّى مِنَ الأشْجَارِ سُرَّاقُ!
 فَعَلَ الْجَمِيلَ فَطَابَتْ مِنْهُ أُخْلَاقُ
 وَلَا يَقُومُ لَهُ فِي سُوءَةِ سَأَقُ
 وَلَهُ أَيْضًا :

بِئْسَتْ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرِي دَارِي
 تَوَكَّلْ بِالْعُكُوفِ عَلَى النَّصَابِي^(٢)
 مَحْزَمَةٌ كَالْوَابِ الْعَنِيَقِ^(٣)
 وَتَصْطَادُ الْخَالِيعُ مِنَ الطَّرِيقِ

فَحَارَ الْحَاضِرُونَ لِبِدَاهَتِهِ ، وَاعْتَرَفُوا بِزَاهَتِهِ . فَلَمَّا آتَسَ
 اسْتَنَاسَهُمْ بِكَلَامِهِ ، وَانصَبَابُهُمْ إِلَى شَيْبِ إِكْرَامِهِ ، أَطْرَقَ كَطَرْفَةِ
 الْعَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : وَدُونَكُمْ يَتَيْنِ آخَرَيْنِ ، وَأَنشَدَ :

وَأَقْبَلْتُ يَوْمَ جَدِّ الْبَيْنِ فِي حُلْمٍ
 سُوْدٍ تَمَضُّ بِنَانَ النَّادِمِ الْحَمِيرِ
 فَلَاحَ لَيْلٌ عَلَى صُبْحٍ أَقْلَمًا
 غُضُنُّ وَضُرَّتِ الْبُلُورُ بِالذَّرِّ
 فَحِينَئِذٍ اسْتَسْنَى الْقَوْمُ قِيَمَتَهُ ، وَاسْتَفْزَرُوا دِيَمَتَهُ ، وَاجْتَلَوْا
 عَشْرَتَهُ ، وَجَعَلُوا فِشْرَتَهُ .

(٢) الذخيرة ٤ : ٤٨ .

(١) الذخيرة ٤ : ١٢ .

(٣) الذخيرة : « بالعزوف عن النصابي » .

قوله: «لبداهته» ، أى لا ارتجاله وإنشاده من غير فكرة ، ويقال : بدعه بدّها وبديهة وبدّاهة ، إذا فجّاه . وبدّه فى كلامه : إذا لم يتفكر فيه ، وفلان حسن البدئية والبدّاهة ، أى الارتجال .

[مما قيل فى البدئية الحاضرة]

والقول من غير تفكير وهو عندهم مما يمدح به ، وإن كانت الإصابة غالباً فى الروية وإطالة الفكرة ، كما قال عبدالله بن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له : دَعُوا الرأى حتى يختبر ، فلا خير فى الرأى الفباير ، والقول القصير . وقال المنصور لسكانبه : لا تهرم أمراً حتى تفكر ، فإن فكرة العاقل مرآته تريحه حسنه من قبيحه . وقال أيضاً : الحكمة نور الفكرة ، والصواب فرع الروية ، والتدبير فرع الهمة .

قال ابن الرومى :

نارُ الروية نارٌ جدّة منضجة	وللبديهة نارٌ ذاتُ تلويح ^(١)
وقد بفضائها قسوم لعاجلها	لكنه عاجل يمضى مع الريح
وقال أشجع فى جعفر بن يحيى :	
يريدُ الملوك مدى جعفر	ولا يصنعون كما يصنع ^(٢)
وليس بأوسعهم فى الفنى	ولكن معروفه أوسع
بداهته مثل تفكيره	متى تلقه فهو مستجفع ^(٣)

وقال فيه :

بديهته وفكرته سواء إذا التبتت على الناس الأمور

(١) بدائم البداهة ٦

(٢) من قصيدة له فى الأغاني ١٧ : ٣٧ .

(٣) الأغاني : « بديهته متى رمت » .

وقال إبراهيم بن العباس الصولي في النضل بن سهل :

يتنقى الأمور على بديهته وتريه فكرته عواقبه
فيظل يوردها ويصدرها فلتنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوماً بعض دواوينه، فرأى غلاماً جميل الصورة، على أذنه قلم، فقال: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك، والمتقلب في نعمتك، والمؤمل بخدمتك؛ الحسن بن رجاء خادمك. فقال المأمون: أحسنت يا غلام، وبالإحسان في البديهة تناضلت العقول. ثم أمر أن ترفع مرتبته في الديوان.

قوله: «بنزاهته» أي برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر. آنس: أبصر. استثناسهم: أنسهم وتركهم الإنكار. طرفة: نظرة، قد طُرفَ يطرف طرفاً، إذا حرك جفنيه بعد النظر. دونكم: إغراء، ومعناه خذوا حذرکم واسمعوا. جدّة: تحقق. البين: الفراق. بنان: أصابع. الحصر: المنقطع عن الكلام عيياً. ليل: أراد به نقاباً أسود. صبح: وجه. أقامها: رفعها. غصن: قد. ضرست: البلور: الأصابع. الدرر: الأسنان.

[نقد شعر الحريري]

والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدم استثناساً بأنه غير مدّع في الشعر، ودلّ على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما، وهو قد أدرج معنى زائداً في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة غيره، وذلك أنه لما لم يستوفِ مقابلة بيت أبي الفرج مرةً بيئيه المتقدمين، استوفاه في هذا البيت الثاني، لأنه قابل «أمطرت» بساقطت، واللؤلؤ باللؤلؤ، والرجس بالخالص، وهما العين والفم، وحمرة الخد بسنا القمر، وبقي عليه زائد من قول أبي الفرج: «وعضت على العناب بالبرد»، فقابله في هذا البيت بقوله: «وضرست».

البلور بالدرر ، وجعلها تعضّ على أصابعها وهي بيض ، لأنه يصف امرأة شعرت
بفراق أحبابها ، فتركت الزينة واستعمال الحناء ، فلهذا حان وقت فراقهم ، لبست
ثياب الحزن ، وأقبلت تودّعهم تأنّفاً وتندّماً على فراقهم ، ووصف الأصابع
باللّين والصّبع ، وذلك مذكور في العاشرة ، وجعلها لابسة السواد ، لأنّ أهل
المشرق يلبسونه لحزنهم ، وأهل الأندلس يلبسون البياض لحزنهم ، قال الشاعر :

ألا يا أهلَ أندلسٍ فظنّتمْ بلطفكم إلى أمرٍ عجيبِ
لبستمُ في ما تمكم بياضاً وجثمتُ منه في زِيٍّ غريبِ
صدقتم فالبياضُ لباسُ حزنٍ ولا حزنٌ أشدَّ من المشيبِ

وأشدُّ أبو عثمان الأشنادناني في أبيات المعاني له :

أرعتُ مراتعَ مدرّاهَا على عجلٍ صنوين إن أفردا لم يرعيّا أبداً
واستبدلتُ من رياض الحزن موقّةً ثوبَ الأمير الذي في مُلكه قعداً

عني بمراتع مدرّاهَا شَفَرَهَا ، وبصنوين مقصداً حاقته به ، ورياض الحزن
ثياباً ملوّنة ، وثوب الأمير ثوباً أسود ، لأن ملوك بني العباس لباسهم السواد ،

وعارض ابن لبّال^(١) الحريري في أبياته فقال :

ودّعتهما ومدامي تنهّل بالدمع الطليقِ
فبكتُ فأذرتُ أدمعاً في صفحة الخدّ الأنيقِ
ومضتُ تعضّ بنائمها بين التأنف والشهيقِ
ورأيت مبيض اللّج بين بعض محرّ العقيقِ

وكما عارض بيت الحريري عارض قول البحتري المتقدم :

(١) ابن لبّال ، واسمه علي ابن أحمد بن علي ، من قضاة الأندلس وشعرائها وأدبائها ؛ وله
كتاب في شرح المعاني . القرب ١ : ٣٠٣

يا بآبي ظبي إذا مارنا أنحن قاي وفؤادي جراح
يفتر عن طلع وعن جوهر وفصة أو حب أد أقاح
فزاد عليه بوصفين .

من أقوالهم في الفراق

ومما بناظر ما تقدم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف :
وكانما أثر الدموع بخدّها طالّ تساقط فوق ورْدٍ يانع
عذب الفراق لنا قبيل وداعنا ثم اجترعناه ككسمٍ ناقع
وقال ابن الرومي :

لو كنت يوم الوداع شاهداً وهنّ يطيشن علة العُجْد
لم ترَ إلا دموعاً باكيةً تسفح من مُقلّة على خدّ
كانت تلك الدموع قطارُ ندى بقطر من نوحس على ورْدٍ

وقال النابضي :

سكيت الفراق وقد راعني بكاء الحبيب بعد الديار
كانّ الدموع على خدّها بقية طلس على جنانار

وقال أبو نواس :

تقولُ غداة البين إحدى نائمهم لي السكيدُ الحريّ فيسرُ ولَك الصبرُ^(١)
وفد غلبتها عبرة فدموعها على خدّها جمرٌ وفي نحرها صفرٌ

يقول: لون خدها أحمر، فتشككت الدمعة به جمرًا، ولون نحرها أصفر عاجي
كما قال ذو الرمة :

كأنها فضة قد مَسَّها ذهبٌ فصارَ فيها للون الدمع صُفْرَتُهُ
وقيل للعباس بن محمد: ملون الماء؟ فقال: لون إنائه.

ولما ذكر الحريري الحلل السود على الجارية، تذكرت ما قال أبو عثمان
الناجم^(١) في جارية رأى عليها ثوبًا أزرق:

ما تعدت قبولُ حينَ جلتَ زِينًا شبيهًا بوجهها ذِي الضياءِ
لبتَ أزرقًا فجاءتُ بوجهٍ يشبه البدرَ في أديمِ السماءِ

ولأبي حفص بن برد في غلام بدا له في ثوب لازوردي، قال:

لما بدا في لازور دى الحرير وقد بهز^(٢)
كبرت من فرط الجما لٍ وقلتُ ما هذا بشرُ
فأجابني لا تنكرن ثوبَ السماء على القمر

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي:

وبنفسجي الثوب قد ل محبة من حَالِه^(٣)
الآن صرت البدر إذ ألبست ثوبَ جماله

قوله: «استسنى»، أي استعظم، وقد سَنَّو الرجل، وسنا: شرف وعظم. ديمته: كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع، أو يريد بها فطنته التي تمدُّه بما شاء من

(١) هو سعد بن الحسن بن شداد المعروف بالناجم الشاعر الأديب، صاحب ابن الرومي
جراوية شعره. معجم الأدباء ١١ : ١٩ .

(٢) الذخيرة ٢ : ٣٧

(٣) برد البيان في ديوان المطبوع، وهما في الذخيرة ٢ : ٣٧، مع رواية مخالفة

الشعر، وأصل الديمة المطر الدائم . واستغزروها : استكثروها ووجدوها غزيرة .
أجلوا عشرته، أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل . جملوا قشرته ، أى حسنوها ،
من لفظ الجمل ، أو يكون معناه : جملوا من جملة الحساب وأجلته ، أى جمعته ،
فكانهم جمعوا له شيئاً وكسوه . وقشرته : ثوبه ، لأنه قدّم أن هيئته كانت رثة ،
فاحتاجوا أن يكسوه .

قال المخبر بهذه الحكاية : فَلَمَّا رَأَيْتُ تَبْلَهَبَ جَذْوَتِهِ ، وَتَأَلَّقَ
بِجَلْوَتِهِ ، أَمَعَنْتُ النَّظَرَ فِي تَوَسُّمِهِ ، وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ فِي مِدْسِمِهِ ،
فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ ، وَقَدْ أَقَمَرَ لَيْلَهُ الدَّجُوجِيُّ ، فَهَنَّتْ نَفْسِي
بِمَوْرِدِهِ ، وَابْتَدَرْتُ اسْتِلَامَ يَدِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي أَحَالَ صِفَتَكَ ،
حَتَّى جَهَلْتُ مَهْرِفَتَكَ ، وَأَيُّ شَيْءٍ شَبَّ لِحَيْتِكَ ، حَتَّى أَنْكَرْتُ
حِلْيَتَكَ ! فَأَنشَأَ يَقُولُ :

وَقَعُ الشَّوَائِبِ شَيْبٌ	وَالدَّهْرُ بِالنَّاسِ قَلْبٌ
إِنْ دَانَ يَوْمًا لِشَخْصٍ	فِي غَدٍ يَتَغَلَّبُ
فَلَا تَشَقْ بَوْمِيضٍ	مِنْ بَرْقِهِ فَهُوَ خَلْبٌ
وَاصْبِرْ إِذَا هُوَ أَضْرَى	بِكَ الْخُطُوبِ وَالْأَبِ
فَمَا عَلَى التُّبْرِ قَارٌ	فِي النَّارِ حِينَ يُقْلَبُ

ثم نهض مفارقاً موضعه ، ومُستصحباً القلوب معه .

تأهب جذوته : اشتعال جمرته واتقادها ؛ وأراد حدة ذهنه ، والجذوة : النار
 في طرف العود . تألق : لمعان . جلوته : ما جلاه وكشفه من وجهه ، وتقول :
 جلوت العروس جلوة ، إذا أزلت ثيابها ، وأظهرت وجهها ، والجلوة بالكسر :
 هيئة جلوه حين يحلّى ، وأراد بتألق جلوته بريق وجهه . أمعنت : بالغت وأدمت
 النظر ، وأصله من أمعن في الأرض إذا أبعده الذهاب فيها . توسمه : نظر سماته ،
 وهي علامته التي يعرف بها ، ويريد أنه أدام النظر في نعوته . سرتحت الطرف :
 أرسلت العين بالنظر ، وأصل الطرف تحريك العين عند النظر ، تقول : طرفت
 العين طرفاً . والعين : الجارحة ، والبصر : ما تدركه بنظرها ، ثم سُميت العين طرفاً
 لذلك . وميسمه : علامته . أقر : أبيض ، فصار مثل لون القمر . الدجوجي :
 الشديد السواد ، وأراد نبات شعره الأسود .

قوله : « بمورده » ، أي بقدمه وإتيانه ، تقول : ورد علينا فلان ، إذا قدم
 عليك من بلد آخر ، والنورد : مصدر ورد ، وهو بمعنى الورد ، لأنه قدّم أنه
 غاب عنه مدة لا يعرف له موضعاً ، ولا يجد عنه مخبراً ؛ حيث قال : « واستتر
 عني حيناً » ، فلما رآه ببلده بالبصرة فرح بقدمه وهتأ نفسه على ذلك .

استلام : تقبل اليد . ابن الأنباري : استلم الحجر ، معناه أخذه ومسه
 بيده ، واستلم ، افتعل ، من المسالة . يريد أخذ الحجر وضمه إليه ، أو يكون
 استعمل ، من اللأمة وهي السلاح ، يريد أنه حصّن نفسه بحسّ الحجر من العذاب ،
 لأن السلاح إنما يلبس ليُمتنع به ويتحصّن . أحال : غير . حلّيتك : صنتك ،
 ولذلك احتاج أن يعمن النظر لما تغيرت صفاته التي كان يعرفه بها من الفتوة
 والشبيبة ، فلما رآه قد شاب شعره ، وتغيرت صفاته لم يعرفه إلا بعد طول تأمل .
 وقال الخلواني القيرواني :

ولربّ باكيةٍ رأت في لَمَتي وخزّ المشيب تألّقت ضحِكَانهُ

قالت : أغضنا قد علاه فلا أرى زهر الرّياض ونورت ورقائه
فأجبتُها : قارعتُ في جنبِ الهوى صرف الزّمان ، وهذه نكباته
ولا بن الجدّ :

نكرتُ نخولٍ وهو من فرط الأسى لفراقٍ إخوانٍ على كرام
وتمجّبتُ للشّيب لا تتعجّبي هذا غبار وقائع الأيام
قوله : « نأشأ يقول » أى ابتداء ، وأنشدوا :

أنشأت تطالب ما تغى ر قد تناشبت الأظافر

أى ابتدأت تطلب . الشوائب ، أصله ما يقع في الماء الصافي من الأقداء فيكدره ، فأراد أن أنكاد الدهر شيبته . وقُلب : كثير التقلب ، فيحول من حال إلى حال . دان : طاع وانقاد . يتقلب : يتحول عن الطاعة . وميض : لمع خفي . خلّب : خدّاع ، لا ماء فيه ، وأراد : لا تتق بالدهر ، إذا ما كسبت فيه شيئاً من المال فإنه يحول عنك ولا يترك لك منه شيئاً . أضرى : أغرى وألصقها بك ، وأصل « أضرى » من ضراوة الكلب ، تقول ضرى الكلب بالصيد ؛ إذا تعلّم الصيد ، وأضرّيته أنا بمعنى عرّضته للصيد . والخطوب : الأمور الشداد . وألب : حشد ، أى اصبر للشدائد إذا أضرّاه الدهر بك وحشدها ، فما عليك في ذلك عيب ، كما أن الذهب يُسبك بالنار وهو مع ذلك عزيز القدر . والتبر : الذهب قبل سبكه ، وانظر هذا المعنى عند قوله في السابعة والأربعين :

وحالاً أصليّ الياقوت جمرَ غضى ثم انطقا الجمر والياقوتُ ياقوتُ

وزاد الآخر في المعنى فقال :

إني أنا الذهبُ المحمى ومخبره يزيد في السَّبكِ للدينارِ ديناراً .

وأنشدوا :

اصبرْ على نُوبِ الزَّما ن فهِكَذَا مضتِ الدُّهورُ
فرَحٌ وحُزنٌ تارةً لا الحزن دَامَ ولا الشُّرورُ

المقامة الثالثة وهي الدنيارية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : نَظَمَنِي وَأَخْدَانَا لِي نَادٍ ، لَمْ يَنْحِبْ
فِيهِ مَنَادٍ ، وَلَا كَبَا قَدَحُ زَنَادٍ ، وَلَا ذَكَتْ نَارُ عِنَادٍ ؛ قَبِينَا نَحْنُ
تَتَجَاذَبُ أَطْرَافُ الْأَنَاشِيدِ ، وَتَتَوَارَدُ طُرَفُ الْأَسَانِيدِ ، إِذْ وَقَفَ بِنَا
شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ ، وَفِي مِشْبَتِهِ قَزَلٌ .

• • •

نَظَمَنِي ، أَيِ جَمَعَنِي . أَخْدَانَا ؛ أَيِ أَصْحَابَا . نَادٍ : مَجْلِسٌ . مَنَادٍ : مُتَكَلِّمٌ .
كَبَا : شَخَّ وَلَمْ يَبْدِ نَارًا . قَدَحُ : ضَرْبٌ . زَنَادٌ : حَدِيدَةُ النَّارِ ، وَزَنَادُ الْعَرَبِ
مِنْ خَشَبٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَرْخِ وَالْعَفَّارِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يُؤْخَذَ عُودٌ
قَدْرُ شِبْرِ ، فَيُثَقَّبُ فِي وَسْطِهِ ثَقْبٌ لَا يَنْغْذُ ، وَيُؤْخَذُ عُودٌ آخَرُ قَدْرُ ذِرَاعٍ ، فَيُحْدَقُ
طَرَفُهُ ، وَيُجْعَلُ ذَلِكَ فِي الثَّقْبِ ، وَقَدْ وَضَعَهُ رَجُلٌ بَيْنَ رَجْلَيْهِ ، فَيُدِيرُهُ وَيَفْتُلُهُ ،
فَيَبْدِي النَّارَ ، فَالْأَعْلَى زَنْدٌ وَالسُّفْلَى زَنْدَةٌ ، وَالزَّانِدُ جَمْعُ زَنْدٍ . قَوْلُهُ : « ذَكَتْ » ، أَيِ
اشْتَعَلَتْ . عِنَادٌ : خِلَافٌ ، يُرِيدُ أَنْ هُوَ لَا . الْأَصْحَابُ لِحَسَنِ أَدَبِهِمْ وَمَنَاظِرَتِهِمْ
لَيْسَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ ، وَهُمْ عُلَمَاءُ لَا يَسْقُطُ مِنْ كَلَامِهِمْ شَيْءٌ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ جَاهِلٌ ،
فَيَكُونُ كَلَامُهُ قَلِيلَ الْإِصَابَةِ . وَالْأَنَاشِيدُ : مَا يَتَنَاشَدُونَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْنَهُمْ ، كَأَنْ
وَاحِدَهَا أَنْشُودَةٌ . وَتَتَجَاذَبُ أَطْرَافُهَا ، يُرِيدُ الْمَشَارَكَةَ فِي إِنْشَادِهَا ، أَيِ إِذَا أَنْشَدَ
أَحَدُهُمْ شِعْرًا لِيُغْرِبَ بِهِ شَارِكُوهُ فِي إِنْشَادِهِ لِحَفَظَتِهِمُ الْأَشْعَارَ ، فَكَأَنَّهُمْ تَتَجَاذَبُونَ كَمَا
يُتَجَاذَبُ بِأَطْرَافِ الثَّوبِ . وَالْأَسَانِيدُ : الْأَخْبَارُ الْمُسْنَدَةُ إِلَى أَهْلِهَا . وَأَصْلُ التَّوَارِدِ ،
مَزَاحِمَةُ الْإِبِلِ عَلَى شَرْبِ الْمَاءِ ، فَجَعَلَ مِثْلَ مِثْلِهِمْ فِي ضَبْطِ غَرَائِبِ الْأَخْبَارِ

كتوارد الإبل على الماء ، واليأرف : الفرائب ، واليأرفة : الشيء العجيب من كل شيء ، الذي لا يوجد له نظير . سَمَل : ثوب خلق ، وأكثر ما تقول العرب : ثوب أسمال وأخلاق ، فيوصف بالجمع لأنه قِطْعٌ متفرقة . وسَمَل : قايِل ، وفي تبذل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي بما لبس » . قَزَل : عرج .

فقال : يا أخاير الذخاير ، وبشائر المشائر ، صموا صباحاً ، وأنعموا
اصطباحتاً ، وانظروا إلى من كان ذا ندى وندى ، وجدة وجداء ،
وعقار وقرى ، ومقار وقرى ، فما زال به قطوب الخطوب ، وحروب
الكروب ، وشبرر شر الحسود ، وانتيا ب الثوب السود ، حتى
صفرت الراحه ، وقرعت الساحة ، وغار المنبع ، ونبا المربع ، وأقوى
المجمع ، وأقضى المضعج ، واستحالت الحسالى ، وأغول العيال ،
وخلت المرابط ، ورحم الغابط ، وأودى الناطق والصائم ، ورثى
لنا الحاسد والشائم .

قوله : « يا أخاير الذخاير » ، الأخاير : جمع أخير ، كما يقال : أكبر
وأكابر ، والمستعمل خير وشر ، ولا يقال : أخير ولا أشر إلا شاذاً ، وإن كان
هو الأصل ، لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الأصل ، لأنه يرد الشيء إلى أصله
وقال رؤبه :

• بلال خيرُ الناسِ وابنُ الأخيرِ •

فنطق بالاستعمل لشهرته ، وبأصله وهو قليل ، فإذا تمجّبوا من ذلك قالوا :
 ها أخيرُ فلاناً ، وما أشرُ فلاناً . والذخائر : جمع ذخيرة ؛ وهي الشيء النفيس الغالي
 يصونه الإنسان ويعتدّه لزمانه . البشائر : جمع بشارة ، وقد بشرت الرجل بشارة
 إذا أدخلت عليه السرور . والعشائر : جمع عشيرة ، وهي قرابة الرجل من قبيلته ،
 يقول : أنتم أرفع الذخائر ، وخيرها ، وأنتم يستبشرون من لقيمكم برؤيتكم ، ويتيامن
 بقلائكم ، ويعلم أنكم تصلّونه وتكرمونه ؛ ليستعظمهم بهذا الكلام . عوا
 صباحا : دعاء لهم بالنعمة في الصباح ، أي جعلكم الله تنعمون في صباحكم .
 وعَمُوا : أمر من وعمَّ يعم ، وهي في معنى نعيم ينعم . وأنعموا اصطباحا ، أي طاب
 شربكم في الصّباح وتنعمتم به ، والاصطباح : أن يُصْبِحُوا وهم يشربون . ندَى :
 مجلس اجتماع ، أي هو شريف يُقدّم ويجمع عنده . ندى : كرم . جدى : عطية .
 القفار : المال الذي لا ينتقل كالنخل والدور والأرضين . قرى : جمع قرية .
 مقار : جفان يُتْرَى فيها الأضياف ، أي يطعمون فيها . والقرى : طعام الضيف .
 قطوب . عبوس . الخطوب : الشدائد . الحروب : القتال . الكروب : الهموم ،
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مما أعلم أنه لا يقوله مكروب إلا فرّج الله عنه ، كلمة
 أخى يونس : ﴿ فَتَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ... ﴾ الآية » .

ومن كلام ابن المعتز : الحوادث المحضة مكسبة لحظوظ جزيلة ، وثواب مدخر ،
 وتطهير من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، وسرور على مقارعة
 الدهر ، وإذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة .

غيره : لولا حوادث الأيام ، لم يعرف صبر الكرام ، ولا جزع

الأنام .

وقال أبو تمام :

والحادثات وإن أصابك بُوسُها فهو الذي أنباك كيف نعيمها^(١)

الحسود : التمنى إهلاك مالك ، وإذا رأى لك خيراً تمنى إزالته ، يريد أن
الحسود اتبع ماله بالعين حتى أهلكه ، وقلما يوجد الذي يرمى بالعين إلا حسوداً .
انتياب : نزول وقصود . الثوب : النوازل . قوله ، « صغرت » ، أى خلت من الدراهم .
الراحة : باطن الكف . قرعت : خلت من المال وصارت قرعاء . والساحة :
فناء الدار ، والساحة عند العرب : الرحبة التى تُحلق بها البيوت ، وأراد أنها خلت
من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك . غار المنبع : جف الماء النابع ، والمنبع : موضع
النَّبع . المربع : المنزل فى الربيع . ونبا : بأهله : وجد نبوة ، أى ارتفاعاً غير ولى .
فلم تمكن الإقامة فيه . أقوى : خلا . الجمع : موضع الاجتماع . أقص : خشن .
وصار فيه الممض ، وهى الحجارة . والمضجع : موضع رقاذه ، وأخذه من قول
أبى ذؤيب :

أم ما جنبك لا يلائم مضجعاً إلا أقص عاينه ذلك المضجع^(٢)

وكنى بهذه الألفاظ عن تغير الأحوال وذهاب المال .

وساق الكلام مساق حكايات الأعراب ؛ منها أن أعرابياً وقف بقوم ، فقال :
أشكر إليكم أيها الملا زماناً أناخ على بكل كلة بعد نعمة من البال ، وثروة من
المال ، وغبطة من الحال ، أضمتاني جديدها بنبل مصائبه ، عن قسي نوائبه ، فأترك لى
راغية أجتدى ضرعها ، ولا ثاغية أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرفه ،
أو مُعَدٍ على حتفه !

(١) ديوانه ٣١٠

(٢) ديوان الهذليين ٢ .

وقد ذكرنا منها جملة في الثالثة والثلاثين . وحكى أبو علي في نوادره
حكاية عن أبي زيد اللغوي على لسان أعرابي يشبه كلام الحريري هنا في سياقه
وكثير من الألفاظ ، فيقول : إن المنبع الذي كنا نعيش به نحن وأموالنا قد
ذهب ، فهلكنا بذهابه . والمربع : وهو موضع الخصب ، صار نبوة لا ينبت شيئاً ،
فلم تجد الإبل ما ترعاه فهلكت ، وإذا هلك المال هلك صاحبه ، والمجالس التي
كنا نجتمع فيها ، هلك أهلها فخلت ، ومضجعنا الذي كان موطأً بالقرش أقص
فامتنع من الإضجاع عليه .

قوله : «استحالت ، تغيرت» . وحال الرجل : ما هو عليه من خير أو شر
أو غنى أو فقر ، والحال أيضاً : المال . أعول : بكى ، وعيال الرجل : من يفتقر إليه
في مؤنته ونفقتة ، واحدهم عيل . الرابط : الموضع التي تربط فيها الخيل وتُخَبَس .
الغابط : الذي يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شيء . أودى : هلك . الناطق :
للمال من الحيوان مثل الإبل والبقر والغنم ، وكل ما يملك من ذي روح ؛ سميت
بذلك لأصواتها ، والناطق كل حيوان له صوت . والصامت : الذهب والفضة
والمناخ . رثى : بكى . وأشفق الشامت : الذي يسر بمصيبتك ، ومنه تشميت العاطس ،
وهو إدخال السرور عليه بالدعاء ، وقد شمت به شماتة وشماتة ، فهو شامت إذا
سرّ ببلاء ينزل به . والحاسد ، هو الحسود .



[فصل في الحسد وما قيل فيه]

والحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء والأرض ، أما في السماء فحسد
إبليس آدم ، وأما في الأرض فحسد قابيل هابيل .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضِلَّانَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالْإِنْسِ﴾^(١): إنهما قابيل وإبليس، فالحسد حمل إبليس على الكفر، وحمل قابيل على قتل أخيه.

وقال علي رضي الله عنه: لا راحة لحسود، ولا أخ للول، ولا محبة لسيئ الخلق.

وقال رجل لخالد بن صفوان: إني أحتبك، قال: وما يمنعك، ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم! يريد أن الحسد موكل بالأدنين.

الحسن البصري: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد بنفسه دائم، وحزن لازم، وغيره لا تنفذ.

معاوية: كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا الزوالها.

المبرد: حدثنا الزبدي، قال: يقال: ستة لا تخطبهم الكتابة: فقير حديث عهد ببني، ومكتر يخاف على ماله التلف، والحسود، والحقود، وطالب مرتبة فوق قدره، وخليط أهل الأدب وليس منهم.

قال الأصمعي: اجتمع ثلاثة حساد، فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك؟ قال: ما شئت أن يفعل بمسلم خير قط، فقال الثاني: أنت رجل صالح، ولكني ما شئت أن يفعل بي خير قط، فقال الثالث: ما في الأرض خير منكما، ولكني ما شئت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط.

قال: وأنشد الشاعر:

كلّ العداوة قد تُرجى مودتها
إلاّ عداوة من عاداك من حسد

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتَ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حُسُودٍ^(١)
تَمُولا اشتعالُ النَّارِ فيما جاورَتْ ما كان يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ

وقال القاضي ابن عمر :

نَهَانِي حِلْمِي فَمَا أَظْلَمُ وَعَزَّ مَكَانِي فَمَا أَظْلَمُ
وَلَا بَدَّ مِنْ حَاسِدٍ قَدْ بَدَّ بَنُورَ مَا ثَرْنَا مُظْلَمُ
رَحِمْتَ حُسُودِي عَلَى أَنَّهُ يَمْدُبُ بِي ثُمَّ لَا يُرْخَمُ
أَتَانَا الْحُسُودَ وَلَسْنَا كَمَا يَقُولُ وَلَكِنْ كَمَا يَعْلَمُ

وقال الهماني :

إِنِّي لَأَرْحَمُ حَاسِدِي لَفَرْطَ مَا ضَمَّتْ صُدُورُهُمُ مِنَ الْأَوْغَارِ
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِي فَمَيُونَهُمْ فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارِ
لَا ذَنْبَ لِي قَدْ رُمْتُ كَتَمَ فَوَاضِلِي فَكَأَنَّمَا بَرَقَتْهَا بَنَاهِرِ
قوله : «رثي لنا الحاسد والشامت» : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارحموا
ثلاثاً : غني قوم افتقر ، وعزيز قوم ذل ، وفقيرها يامب به الجتهال » .
قال الشافعي : خمسة مرحومون : عزيز ذل ، وغني فل ، وحبيب مل ، ونصبح
كل ، وفقير ضل .

وقال الشافعي : ومن حديث واثلة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تظهر الشامة بأخيك ، فيمافيه الله ويتأليك » ، وأخذته الحريري من قول الآخر :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُثَلَّةٌ إِنْسَانُهَا بَاهَتْ
وَمَغْرَمٌ تَوَقَّدُ أَحْشَاوُهُ بِالنَّارِ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ
رَقَّ فَمَا فِي جَسْمِهِ مَفْصَلٌ إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ

يرثي له الشامتُ مِمَّا بِهِ يابونح مَنْ يرثي له الشامتُ !

وآل بنا الدهرُ المُوَقِّعُ ، وَالْفَقْرُ المَذْقِعُ ، إِلَى أَنْ احْتَذَيْنَا الْوَجَى ،
وَاعْتَذَيْنَا الشَّجَا ، وَاسْتَبَطْنَا الْجَوَى ، وَطَوَيْنَا الْأَحْشَاءَ عَلَى الطَّوَى ،
وَاسْتَحْلَيْنَا السَّهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْوَهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْقِتَادَ ، وَتَنَاسَيْنَا
الْأَقْتَادَ ، وَاسْتَبَطْنَا الْحَيْنَ الْمُجْتَاحَ ، وَاسْتَبَطْنَا الْيَوْمَ الْمُتِيحَ ، قَهْلَ
مِنْ حُرِّ آسٍ ، أَوْ سَمَحَ مَوَاسٍ ! فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَبِيلَةٍ ،
لَقَدْ أَمْسَيْتُ أَخَا غَيْلَةٍ ، لَا أَمْلِكُ بَيْتَ لَيْلَةٍ .

قال الحارث بن همام : فَأَوَيْتُ لِمَفَاقِرِهِ ، وَلَوَيْتُ إِلَى اسْتِنْبَاطِ
فَقَرِهِ ، فَأَبْرَزْتُ دِينَارًا ، وَقُلْتُ لَهُ اخْتَبَارًا : إِنْ مَدَحْتَهُ نَظْمًا ، فَهُوَ
لَكَ حَتْمًا ، فَانْبِرَى مُنْشِدٌ فِي الْحَالِ ، مِنْ غَيْرِ انْتِعَالٍ .

قوله : « آل بنا » أى رجع بنا ، وقد آل يئيل ويثول ، أى رجع . المُوَقِّعُ :
المهلك ، من أوقع به ، ويحتمل أن يريد بالموقع الذى يحمله على الوقوع ، ورجل مُوقِعٍ
إذا اشتكى ألم رجليه . المَذْقِعُ : المَلْصَقُ بالدقما ، أى التراب ، أى لم يترك للإنسان
شيئاً يسطه غير التراب . احْتَذَيْنَا : انتعلنا . الوجى : توجع باطن القدمين من الحفا ،
يريد أنه لبس مكان النعال الحفا حتى توجعت قدماه . الشجى : ما يعرض فى
الحلق ، وكفى بهذا عن سوء الحال ، لأن الشجى ليس بفداء إنما هو مشقة وتعب .
ولكن بالغ فى وصف سوء حاله ، فقال : إنه يَنْتَعِلُ مَالًا يَنْتَعِلُ ، ويفتدى ماله

بغذاء ، أى ليس تمّ اتعال ولا غذاء . استبطنا ، أى جعلناه فى بطوننا . الجوى :
فساد الجوف . والأحشاء : مافى الجوف وماحشى به . الطوى : الجوع ، وقد
طوى بطوى ؛ لأن الأحشاء إذا امتلأت من الطعام انتشرت ، وإذا فرغت منه
انطوى بعضها على بعض . والشهاد : امتناع النوم ، من قول الشاعر :

ما لعمي كُحِلَتْ بالشَّهَادِ ولجني نَابِيَا عَنْ وَسَادِي

استوطنا : سكنوا اتخذناه وطناً . الوهاد : ما انخفض من الأرض . استوطنا :
وجدناه وطناً . القتاد : شجر له شوك شديد يسمى عندنا حُض الأمير . الاقتاد :
خشب الرُّحال ، يريد أنهم نواركوب المطايا لبعدهم بها ورجعوا الآن يمشون
على الشوك فيجدونه وطناً . التحين : الموت . المحتاح : من لفظ الجوائح ، يريد به
المتأصل للأموال . استبطنا : وجدناه بطى . المجىء . المتاح . المقدّر ، يريد أن يوم
موتهم تمنوه لشدة ما قاسوا ، وأبطأ عليهم . آسى : طيب يطبّ علة الفقر والجمع
الأساة . سمح : كريم . والمواسى : المعين . وذكر عاصم فى شرح قوله : « يواسى
فى كريهته أخاه » ، أن معناه ، جعله أسوة نفسه ، فواسى من الأسوة ، كأنه يشاركه
فى ماله . ويقال : آسيت ، والأصل الممز .

المفضل : معنى فلان يواسى فلانا ، يشاركه ، والمواساة المشاركة ، وآساه :
شاركه فيما هو فيه .

مورج : ما يواسيه ، أى ما يصيبه بخير أصلا .

غيره : معناه يموضه من مودته وقرابته شيئاً ، من الأوس وهو العوض ،
قال الشاعر :

فَلَا زَمِيَنَّكَ مِشْقَصًا أَوْ سَا أَوْيَسُ مِنَ الْهَبَالَةِ^(١)

(١) الهانـهبل ، ونسب إلى أسماء بن خارجة؛ وفيه أن الهبالة اسم ناقة أسماء بن خارجة .
ورواية الهان : « لأحسانك » .

والهباله: اسم ناقة، أى أرميك بسهم يكون عيوضاً عن الناقة. وكان أصله يثاوسه، فقدموا السين وهى لام الفعل، وأخروا الواو وهى عينه، فصار «يثاوسه» فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، فهو من المقلوب، وإن جعلته من أسوت الجرح، إذا أصلحته فلا قلب فيه.

قوله: «فوالذى استخرجنى من قيلة»، قيلة هى أم الأوس والخزرج، وهى بنت الأرقم الغسانية، وانتسابه لها كانتسابه قبل إلى أقيال غسان. أخا عيلة: صاحب فقر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾^(١)، أى فقراً، وقال صلى الله عليه وسلم: «أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والمسكنة». بيت ليلة: قوت بيت عليه ليلة.

أويت: أشفقت وحننت. مفاقره: جمع فقر على غير قياس - ومثله مذاكير الرجل جمع ذكّر: محاسنه ومساويه. لويت: انعطفت. استنباط: استخراج. الفقر فى النثر: فواصله، وهى مثل القوافى فى النظم، والفقر: ما تقدم فى المقامة من الكلام المفقّر. أبرزت: أظهرت. حتماً: واجباً، يريد أنه قصد إلى أن يحقق ما تقدم من الفصاحة فى فقره إن كانت له أو انتعلها، فقال ليختبره: امتدح هذا الدينار بشعر. قابرى، أى اعترض وتقدم. انتحال: ادعاء منه فى شعر غيره، يقال: انتحل كذا، أى ألزمه نفسه، وجعله كالملك، من النحلة، وهى الهبة والمطية.

أَكْرِمْ بِهِ أَصْفَرَ رَأْفَتِ صُفْرَتِهِ	جَوَابَ آفَاقِ تَرَامَتِ سَفْرَتِهِ
مَأْثُورَةٌ مُمَمَّتُهُ وَشَهْرَتُهُ	قَدْ أَوْدَعَتْ سِرَّ الْغِنَى أَسْرَتُهُ
وَقَارَنْتِ نَجَجَ الْمَسَاعِي خَطَرَتُهُ	وَحُبِّبْتَ إِلَى الْأَنَامِ غُرَّتُهُ
كَأَنَّمَا مِنَ الْقُلُوبِ نَقْرَتُهُ	بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوْتُهُ صُرَّتُهُ

وَإِنْ تَفَانَتْ أَوْ تَوَانَتْ عِثْرَتُهُ يَا حَبِّدًا نُضَارُهُ وَتُقَرَّتُهُ
وَحَبِّدًا مَغْنَاةً وَنُصْرَتُهُ كَمْ أَمْرٍ بِهِ اسْتَبَّتْ أَمْرَتُهُ
وَمُتَرَفٍ لَوْلَاهُ دَامَتْ حَسْرَتُهُ وَجَيْشٍ هَمٍّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهُ
وَبَذْرِ نَمٍّ أَنْزَلَتْهُ بَذْرَتُهُ وَمُسْتَشِيطٍ تَتَلَطَّى جَحْرَتُهُ
أَسْرًا نَجْوَاهُ فَلَانَتْ شِرَّتُهُ وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمَتْهُ أَمْرَتُهُ
أَنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسْرَتُهُ وَحَقُّ مَوْلَى أَبْدَعَتْهُ فِطْرَتُهُ
* لَوْلَا التَّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ *

• • •

قوله: « اكرِّم به »، معناه ما أكرمه . راقى . أعجبت . جواب آفاق :
قطاع بلاد . ترامت سفرته : بَعُدَتْ غيبته، وسمي السفر سفراً، لأنه يُسفر عن
أخلاق الرجال، أى يكشفها ويوضحها، أخذ من قولهم : سَفَرَت المرأة عن
وجهها، إذا كشفتها وأظهرته، ويقال للمكنسة : مِسْفَرَةٌ، لأنها تُسْفِر التراب
عن الموضع، وسفر بيته، كنهه . مأثورة : محدث بها . سمته : ذكره المسموع .
أودعت : ضُمَّتْ . أُسِرَّتْهُ : خطوط وجهه، أراد نقشه، وأن بين أسطاره سر
الفنى، فمن ملكه ملك الفنى . قارنت : ساوت : النجح : ضد الخيبة . المساعى :
المشى فى طلب الحوائج . الأنام : الخلق . غُرَّتُهُ : وجهه ؛ قيل لأبى الزناد : مالك
تحب الدرهم وهى تدنيك من الدنيا ! قال : إنها وإن أدنتنى من الدنيا، فقد
صاننتى عنها . والنقرة : القطعة المسبوكة من الذهب والفضة، قبل أن يطبع منها
الدرهم والدنانير، وأراد : كأنما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبهم
فيه . والنقرة، إنما تستعمل من الفضة، واستعملها فى الذهب لقرب ما بينهما،
وأخذه من قول البحترى :

فكل قلب إليه منصرف كأنه من جميعها خلقاً^(١)

أو من قول ابن الرومي :

به أمست الأهواء يجمعها هوى كأن نفوس الناس في حبه نفس

أو من قول المتنبي :

في خطئه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء^(٢)

بصول : يقهر ويغلب ، وصال الشجاع على قرنه ، والفعل على إبله ، والجمادى
على أنه صولاً ، إذا قهر وعلا وصاحبها . الصرة : الخرقه تصر فيها الدراهم . حوته :
ختمته ، يريد أن من ملك الدينار صال به على زمانه . تقانت : هلكت . توانت :
أبطأت وضعفت عن نصرته . عترته : قرابته الأدنون . نضاره : ذهبه . نصرته :
حسنه . مغناته : منابه ، يقال فلان يغني مغناتك ، أي ينوب منابك ، ويقوم مقامك ،
يريد أنه ينوب عن الإنسان في المضايق وينصره . استتبت : تمت واستقامت ،
والاستتب : الطريق البين ، قال الشاعر :

* على مستتب كالحجرة تعمل *

إمرته : ولايته . مترف : منعم . حسرته : تفجعه ، وحزنه . كرتته : رجعتته ،
وبدرتم : القمر ليلة السكال ؛ ويريد به شخصاً يشبه البدر في حسنه ورفعته ، فإذا
بعثت في طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته ، والبدر : عشرة آلاف درهم .
مستشيط : غضبان : تتلظى : تتأهب . جمرته : شدة غيظه . أسر : أخفى . نجواه :
حديثه صراً . شرته : حدته وغضبه ، يقول : كم من غضبان شديد الغيظ ، مثل

(١) فلحق ديوانه ٢٦١٥ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٠ ، والأهواء : جمع هوى ، مقصور ، وهو الهبة .

حاكم يصول بصاحب جنابة ويهدده ، فإذا رُثِيَ بالدينار وبُعِثَ إليه سرّاً أزال غضبه ، وسكنت حِدته . أسلته ، تركته . أسرته : قومه . مسرته : فرجه . أبدعته : أو جدته قبل أن يكون . فطارته : خلقته . التقى : الخوف . جلّت : عظمت .

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، بَعْدَ مَا أَنْشَدَهُ ، وَقَالَ : أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ ،
وَسَجَّ خَالٌ إِذَا رَعَدَ . فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ : خُذْهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ
عَلَيْهِ ، فَوَضَعَهُ فِي فِيهِ ، وَقَالَ : بَارِكِ اللَّهُمَّ فِيهِ ، ثُمَّ شَمَرَ لِلْإِثْنَاءِ ،
بَعْدَ تَوْفِيَةِ الثَّنَاءِ .

[قصة المثل : أنجز حرٌّ ما وعد]

قوله : «أنجز حرٌّ ما وعد» ، هذا مثل ، قاله الحارث آكل المرار - وهو جدّ امرئ القيس - لصخر بن نهشل بن دارم ؛ وذلك أن الحارث قال : يا صخر ، هل أدلك على غنيمة على أن لي خمسها ؟ قال نعم ، فدله على قوم من العرب ، فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا ، فحملهم صخر على أن يعطوا الحارث الخمس ، فأبوا ؛ وكان طريقهم على شجعات - وهى ثنية متضايقة - فلما دنوا منها صار إليهم صخر حتى قعد على رأسها ، ومنعهم الجواز أو يعطوا الحارث الخمس ، فقال حمزة اليربوعي : والله لا نعطيه من غنيمتنا شيئاً ؛ ومضى في الثنية ، فحمل عليه صخر فقتله . فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ، ففى ذلك يقول نهشل بن حرّ بن منجز ابن نهشل بن دارم :

ونحن منعنا الجيش أن يتأوَّبوا على شجعات والجياد بنا تبحرى
حبسناهم حتى أقروا لحكمتنا وأدّى أقال الخمس إلى صخر

فمعنى «أنجز حرّاً ما وعد»^(١) أحضر وهياً. وقد نجز الشئ إذا حضر، ولفظه.
لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أراد لينجز حرّاً ما وعد.

• • •

سحّ : صبّ وأمطار . خالّ : سحاب يخيل لك أن المطر فيه . رعد : صوت ؛
يقول لابن همام : إنَّ السحاب إذا سمع الرعد سحّ بالمطر ، وأنت قد أسمعني ذكر
الدينار ، ووعدتني به ، فأنجز لي وعدي .

نبذت : رميت . مأسوف : محزون . بارك : أى ضع البركة فيه ، وقولهم :
تبارك الله ، أى تقدّس وتطهر ، وقيل : هو «تفاعل» من البركة ، أى البركة تنال .
بذكر اسمك . الاثناء : الرجوع . توفية الثناء : كمال الشكر والمدح .

[مما قيل في وصف الدينار]

ومما قيل في وصف الدينار ومدحه :

ومُتَّسِمِ الوجناتِ يبرُق وجهه بادٍ على وجناته عبّادُ
جِبِلِ الأنامِ على حَبَّةِ حسنه فكأنه ربّ وهم عبّادُ
وفي مقامات البديع في وصفه .

يا حسنّها فاقعةٌ صفراء مشرقة منقوشة قوراء^(٢)
يكادُ أن يتطرّ منها الماء قد أثمرتها همة عليّاه
يا ذا الذي بغيته الثناء ما ينقضى بقدرِكَ الإطراء

* امض على الله لك الجزاء *

• • •

(١) جهرة الأمثال ١ : ٣٠ ، فصل المقال ٧٩ ، الفاخر ٦١ .

(٢) مقامات البديع ٩٢ ، وفيها : «مشرقة» بدل «مشرقة» ..

[فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه]

وإذا قد فرغت من شرح ألفاظه في إنجاز الوعد في المثل ، وما اتصل به ،
فلنذكر مذاهبهم في ذلك .

فأكثرهم على إنجاز الوعد ، وقد ذكر فيما هو مستقبل :

* وبع أجلاً منك بالعاجل *

وقال : وإذا خُبرتَ بين ذرّة منقودة ، وذرّة موعودة فَمِلْ إلى النقد .
وقال جرير :

إِنِّي لأرجو منك خيراً عاجلاً والنَّفْسُ مولعةٌ بحبِّ العاجلِ ^(١)
قال آخر :

ولا شكَّ أنَّ الخيرَ منك سجيّةٌ ولكنَّ خيرَ الخيرِ عندي العَجَلُ
وقال آخر :

أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي : أَجِلُّكَ عن تعذيب قَلْبِكَ بالوعدِ
وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والإنجاز مهلة ؛ ومنه أن منصور بن زياد
كلم يحيى بن خالد في حاجة رجل ، فقال له : عذّمتني قضاءها ، فقال منصور بن زياد :
وما يدعوك إلى العدة مع القدرة ! فقال : هذا قول مَنْ لا يعرف موقع الصنائع
من القلوب ، إنَّ الحاجة إذا لم يتقدّمها وعد يُنتظر به نجحُها ، لم تتحدث النفس
بسرورها ؛ إنَّ الوعد مطعم والإنجاز طعام ، وليس من فاجأه طعام كمن وجد
رائحته وتطعمه ثم طعمه ، فدع الحاجة تختمر بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع
حسن موقع ولطف محل .

(١) ديوانه ٤٩٥ ، من قصيدة له في مدح عمر بن عبد العزيز .

(١٠ - شرح مقامات الحريري ١)

قال ابن الكلبي لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لاتصنع إلى معروفاً حتى تعدني به ، فإنه لم يأتني منك سب على غير وعد إلا هان على قدره ، وقل مني شكره ، فقال له : ليم قلت ذلك ، وقد قال سيد قومك أبو مسلم الخولاني : إن أنجح المعروف في القلوب ، وأبرده على الأكباد معروف غير منتظر بوعده لا يكدره مَطْل .

ووعده المهدي^(١) عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيري [قول مضرس الأسدي]^(٢) :

ولا تيأسن من صالح أنت تناله وإن كان قدماً بين أيدي تبادره

فقال : يدفع لعبد الله جارية أخرى ، فقال الزبيري :

وأنجز خير الناس من قبل وعده أراحك من مَطْل ومن طول كدّه

فقال له عيسى بن دأب : ما صنعت شيئاً ! هلاً قلت :

حلاوة النضل بوعده ينجز لا خير في العرف كنيب ينهز

فقال المهدي :

الوعد أحسن ما يصكو ن إذا تقدمه ضمان

وقال بعض البلغاء : دع الوعد يركض ثلاثاً ، فإن كثير العطاء قبل الوعد

قليل ، وجليله حثير .

وقال يحيى بن خالد : من لم يبت مسروراً بوعده ، لم يجد للصفيعة مطعماً .

وفيه يقول أبو قابوس النصراني :

رأيت يحيى أتم الله نعمته عليه يأتي الذي لم يأت به أحد

ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد

(٢) من معجم الأدباء

(١) ط : د المهدي ، تحريف .

(٣) المحرر في معجم الأدباء ١٦ : ١٥٤

وقال الحارثي :

وما رَوْضَةٌ دَارِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ مَنَّمَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرَى صَعْدِ
بِأَحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضَعْنَ حَاجَةً لِحُرٍّ ، فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ مَعَ الْوَعْدِ

وقال ابن رشيقي :

أَحْسَنَ فِي تَأْخِيرِهَا مِنَّةٌ لَوْ لَمْ تُؤَخَّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً^(١)
وَكَيْفَ لَا يَحْسُنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِي أَنَّهَا حَاصِلَةٌ !
وَجَنَّةُ الْفَرْدَوْسِ يَدْعُو بِهَا آجِلَةٌ لِلْمَرْءِ ، لَا عَاجِلُهُ

وقال رجل لأبي عمرو بن العلاء: وعدتني بأمر فلم تنجزه ! فقال أبو عمرو :
« من أولي منا بالعتب ؟ أنا وإلا أنت ! قال : أنا ؛ قال أبو عمرو : لا والله بل
أنا ، قال : وكيف ؟ قال : لأنني وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد ، فبئت ليلتك
بجذلان مسروراً وبئت أنا بهم الإنجاز ، فبئت ليلتي منكراً منموماً بما عاق الدهر
من بلوغ الإرادة فيه ، فلقيتني مدلاً ولقيتك مستحيياً .

واعتذر بعض الرؤساء لأبي عليّ البصري من تأخر وعد ، فقال : في شكر
ما تقدم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه .

فَنَشَأْتُ لِي مِنْ فُكَاهَتِهِ نَشْوَةٌ غَرَامٍ ، سَهَّلْتُ عَلَى اتِّنَافِ
إِغْتِرَامٍ ، فَجَرَّدْتُ دِينَارًا آخَرَ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَذُمَّهُ ، ثُمَّ
تَضُمَّهُ ؟ فَأَنْشَدَ مَرْتَجِلًا ، وَشَدَّ آعِجَلًا :

قوله : «قنشات» ، أى ظهرت وبدت . فكاهة : مزاح . نشوة غرام : سكرة شوق ، والغرام : الحب المذنب للقلب . انتفاف : استقبال . اغترام : غرَم . ثم ذكر أن يذمه ثم يضمه ، وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله :

إنَّ المِسْؤَنَةَ والحِسابَ كَلَّاهُما قرنا بهذا الدرهم المذموم
كَلَّفَ الأَنامَ بذمِّه وبضمِّه فتمجَّبوا لِمِثْمِهِ مضموم

وقال ابن شرف فى الدينار والدرهم :

أَلَا رَبُّ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ أَحْرَفِ اسْمِهِ نَوَاهٍ لَنَا عَنْهُ وَزَجَرٌ وَإِنذارُ
فَتِنًا بِدِينَارٍ وَهَمْنًا بِدَرْهَمٍ وَآخِرُ ذَاهِمٍ ، وَآخِرُ ذَا نَارٍ

وقال ابن رشيق :

صَحَّفْتُ دالِّينَ مِنْ دِينِهِ أَرِ يُلُوحُ وَدَرْهَمُ
نَقَالَ لِي ذَلِكَ «ذَى» نَارٌ وَذَا قَالَ : «ذَرْهَمُ»

وابن رشيق وابن شرف أدبياً القَيروان ، يَجْمَعُهُمَا الْبَلَدُ وَالزَّمان ، وكانتا
مرَّةً يتصاحبان ، ومرَّةً يتباغضان .

وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم :

صَدِيقُ الْمَرْءِ كَالدِّينَارِ طَبْعاً وَكَيْفَ يَفَارِقُ الْمَرْءَ الطَّبْعَا !
تَرَاهُ إِذَا أَقَامَ يَقِيمُ جَاهاً وَإِنْ فَارَقَتْهُ أَجْدَى انْتِظَا.
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ كُشَاجِمَ :

وَمُرِيدٍ مِنْ أَبَاهُ وَمُهِنٍ مِنْ أَجَلِهِ^(١)
فَهُوَ كَالدِّينَارِ لَا يُكْ سِرٌّ إِلَّا مِنْ أَذَلِهِ

وقال آخر :

«النارُ آخر دينارٍ نطقتَ به والهمَّ آخر هذا الدرهم الجارى
والمرء ما لم يفد من غيره ورعاً مقسم القلب بين الهم والنار

قوله : «مرتجلاً» ، أى من غير تفكر . شدا : ابتداء الغناء وطرب بنشيده .

* * *

تَبَا لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَازِقٍ أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَالْمَنَافِقِ
يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرَّامِقِ زِينَةُ مَعْشُوقٍ وَلَوْنُ قَاشِقِ
يُوجِبُهُ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ يَدْعُو إِلَى أَرْتِكَابِ سُخْطِ الْخَالِقِ
لَوْلَا هُ لَمْ تُقَطَّعْ يَمِينُ سَارِقٍ وَلَا بَدَّتْ مَظْلَمَةٌ مِنْ فَاسِقِ
وَلَا اشْمَازٌ بِاخِلٍ مِنْ طَارِقٍ وَلَا شَكَا الْمَطُولِ مَطْلَ الْعَائِقِ
وَلَا اسْتُعِيدَ مِنْ حَسُودٍ رَاشِقٍ وَشَرُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَاقِ
أَنْ لَبَسَ يُبْنِي عَنْكَ فِي الْمَضَائِقِ إِلَّا إِذَا فَرَّ قِرَارَ الْآبِقِ
وَاهَا لَمَنْ يَقْذِفُهُ مِنْ حَالِقٍ وَمَنْ إِذَا نَاجَاهُ نَجْوَى الْوَامِقِ
قَالَ لَهُ قَوْلَ الْحَقِّ الصَّادِقِ : لَا رَأَى فِي وَصْلِكَ لِي قَفَّارِقِ

• • •

تَبَا : أى خسرأ . مُمَازِق : لا يصفو وده لصاحبه ، وقد مذق وده ، إذا لم يخلصه ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والمذيق : المخلوط . أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ ، قال

أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شرُّ الناس ذو الوجهين ، يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » .

ووقع هذا في نثر البديع ، قال في مخاطبة أبي الفتح عيسى^(١) : أظعننا تريد ؟ قلت : إى والله ، قال : أخصب رائدك ، ولاضل قائدك ، فمتى عزمت ؟ قلت : غداً غدٍ ، فقال :

صباحُ الله لا صبحُ انطلاقٍ وطيرُ الوصل لا طيرُ الفراقِ
وقال السَّعد لا يمدوك دأباً يصاحبكم إلى يومِ التَّلَاقِ^(٢)

فأين تريد ؟ قلت : الوطن ، قال : بُلغتَ الوطن ، وقضيتَ الوطر ، فمتى العود ؟ قلت : القابل ، فقال : طويتَ الرِّيطَ^(٣) ، وثبتت الخيط ، فأين أنت من الكرم ؟ قلت : بحيث أردت ، فقال : إذا رجعتك الله سالماً من هذا الطريق ؛ فاستصحب لى عدواً في ثياب صديق ، من نِجار الصُّفَر ، يدعو إلى الكفر ، ويرقص على الظُّفَر ، كدارة العين ، يحطّ ثِقَلُ الدِّينِ ، ويتافق بوجهين . فعلمت أنه يلتمس ديناراً ، فقلت : ذلك لك نقداً ، ومثله وعداً ، فأنشأ يقول :

رأيتك مما خطبتُ أعلى لا زلتَ للكرُمات أهلاً
صلبتُ عوداً ، ودمت فرداً^(٤) وطبت فرعاً وطبت أصلاً
يا واحدَ الدهرِ والمعالى لا لقيَ الدهرُ منك تُكلاً

قوله : « عدواً في ثياب صديق » من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا ليبتُ تكشفتُ له عن عدوٍّ في ثياب صديق^(٥)

قوله : « الرامق » أى الناظر ، ورمقت الشيء رمقاً أتبعته النظر إليه . وزينة :

(١) عيسى بن هشام صاحب البديع المصنفي في المقامات ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) هذا البيت ساقط من المقامات . (٣) الريط : جمع ريطه ، وهى الملافة .

(٤) المقامات : « جوداً »

(٥) ديوانه ١٩٢ .

للمشوق التي في الدينار : نقشه وتزيينه ، ولون العاشق : صفته ، فالناظر في الدينار يرى في الظاهر زينته فيهبواه ، فيقع على ما وقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ، ويدل على ذلك صفته الظاهرة عليه . وقال ابن ظفر : زينة المشوق غرور مدعاة إلى التهور في الغرام ، ولون العاشق وهو الأصفر دليل على ما أسر من شاغف الكاف ، فالعادل ينظر من الدينار مثل زينة المشوق مجردة عن عاقبتها ، فيصيده الهوى ، والعادل ينظر منه إلى لون العاشق ، فيستدل على باطن الجوى . ذوى الخقائق ، يعنى أهل الرشد والعام ، والذين ينظرون إلى ما في الدنيا بعين الحقيقة .

ثم لولا حب الدنيا ما سرق السارق ، فيستوجب قطع يده ، أو بعض أعضائه ، واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب . ومن مآخ السَّرقة أن الجاحظ حكى أن رجلا كان أحدهما أيمن ، والآخر أعسر ، فكان الأيمن يفخر على الأعسر ، فأخذا في سرقة ، فقطعت أيمانهما ، فكان الأعسر يعمل بيساره أعماله كلها ، والأيمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شيئاً ، ففخر الأعسر عليه بذلك ، فقال له الأيمن : ما علمت أن للأعسر فضيلة إلا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه .

الفاسق : الخارج عن الطاعة إلى ركوب المعصية أو عن الإيمان إلى الكفر ، أخذ من نسقت الرطبة ، إذا خرجت من قشرها . وقال قوم : الفاسق الجائر ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۝ ^(١) ١٠٠ ﴾ ، أى جار ، عنه قال رؤبة :

يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وَغَوْرٍ غَاثُوا فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرًا ^(٢)

(١) سورة الكهف . .

(٢) الفائق ، اللسان - فسق

اشمأز : انقبض . باخل : شحيح ، وبخيل أكثر من باخل . طارق : قاصد
 بليغ . المَطْل : تأخير الحق الواجب ، وأصله من مَطْل القَيْنُ الحديدَ في النار ، إذا
 مدَّه وطوَّله . العائق : الحابس ، وقد عاقه عن الشيء إذا حبسه . راشق : عائن ،
 وأصله الرامي ، فجعله للذي يصيب الناس بعينه . واستمعيد : قرى عليه للمعوذتان ،
 وهما : «قل أعوذ برب الفلق» ، و«قل أعوذ برب الناس» . الخلائق : الطبائع ، واحدها
 خَلِيقَة . الآبق : الهارب ، وأبق العبد يَأْبِقُ إِيَّاقًا : زال عن مولاه . وفي معنى
 فراق الدينار قول الأخطل :

وممشوق يرقص كلَّ يوم ترى في وجهه أبدأً كلاماً^(١)
 إذا فارقتَه أجـداً خيراً ولا يجدى عليك إذا أقاماً
 وهذا من قول الحسن البصري ، وقد رأى رجلاً يقلب درهماً ، فقال له :
 أتحب درهمك هذا ؟ قال : نعم ، قال : فإنه ليس لك حتى يخرج من يدك .
 واهاً : تعجب ، معناه ما أعجب من بقذه . حالق : جبل أملس مُنِيف .
 ناجاه : حدثه سرّاً . الوامق : الحب ، وقد ومق يَمِيقُ مِمَّةً . الحق : القائل الحق .

فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَغْزَرَ وَبَلَكَ ! فَقَالَ : وَالشَّرْطُ أَمْلَكُ ،
 فَفَتَحْتُهُ بِالْدينَارِ الثَّانِي ، وَقُلْتُ لَهُ : عَوِّذُهَا بِالمِثْنَيْنِ ، فَأَلْقَاهُ
 فِي فَمِهِ ، وَقَرَنَهُ بِتَوَهُمِهِ ، وَأَنكَفَأ بِحَمْدِ مَعْدَاه ، وَبَعْدَحِ
 النَّادِي وَندَاهُ .

° ° °

قوله : «ما أغزر وبلك» ، أي ما أكثر بلاغتك . وأملك : ألزم وأحق ،
 يريد أن شرطك الذي شرطت من إعطائي ديناراً آخر إن ذممته ، قد لزمك

(١) لم أجدهما في ديوانه .

بذمى له. والشرط أملك مثل^(١)، وأول من قاله الأفعى الجرهمي، وكان حكيماً للعرب، ففتحكم إليه خصمان، فاشترط أحدهما وأراد ألا يلتزمه، فقال الأنمي: الشرط أملك، وتقديره الشرط أملك لأمره منك.

نفتحته: رميته. عوذها: رقاها. والمثنى: أم القرآن، سميت بذلك لأنها تنثني في الصلاة، واختصها لأنه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار، فكانه يقال: اقرأ الحمد لله رب العالمين، شكراً لله عليهما وتعويذاً لهما.

وهذا كما قال ابن رشيقي في غلام جميل:

معتدل القامة والقَدُّ مورد الوجنة والخدُّ
لو وضع الوردُ على خدِّه ما عرف الخدُّ من الوردِ
قل للذي يعجب من حسنه اقرأ عليه سورة الحمدِ

وله في مثله:

شكوت بالحبِّ إلى ظالي فقال لي مستهزئاً: ما هو!
قلت: غرام ثابت، قال لي: اقرأ عليه «قل هو الله»

وقال أبو عبيد: المثنى في كتاب الله ثلاثة أشياء: القرآن، سماء الله المثنى في قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾، وسمى القامحة «مثنى» في قوله: ﴿سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي﴾ وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم. «إن المثنى من السور ما دون المئين»، كأنها جعلت مبادئ والتي تليها مثنى.

قوله: «بتوءمه»، أي بأخيه، يعني الدينار الأول. انكفاً: انقلب وولى، معناه بكوره وسيره في العدو. النادى ونداء: المجلس وكرم أهله.

[فصل في مدح الشيء وذمه]

و نريد أن نأتي بفصل في مدح الشيء وذمه على أحكم ما مدح الحريري،
الدينار وذمه، ونبين مذهب العرب وأهل الأدب في ذلك، فقد ألف ابن رشيقي
فيه كتاباً جابت في هذا الكتاب عيونه .

قال أبو عثمان الجاحظ: العربي يعاف الشيء ويهجو به غيره، فإن ابتلي به فخر
به، ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره، فانهم هذا؛ فإن الناس
يفلطون على العرب، ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذي يهجون به، وهذا
باطل؛ ليس شيء إلا وله وجهان، فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين، وإذا
ذموا ذكروا أقبح الوجهين .

قال ابن رشيقي: وأكثر ما تجرى هذه المادح والمذام على جهة المناقعة،
لا على جهة المناصفة، ومن باب المساحة لا من باب الشاححة، وإلا فالشيء
لا يوافق ضده، فيكون الحسن قبيحاً في حالة واحدة، والمدح ذماً لمعنى واحد،
لكن لكل شيء - كما ذكر الجاحظ - مساوي ومحاسن؛ كما فعل عمرو بن الأهتم
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهده الزبرقان بن بدر على
ما ادّعاه من الشرف في قومه، قال عمرو: أجل يا رسول الله، إنه مانع حوزته،
مطاع في أنديته، شديد العارضة. فقال الزبرقان: أما والله لقد علم أكثر مما
قال؛ ولكن حسدني شرفي، فقال عمرو: أما وقد قال ما قال، فوالله ما علمته
إلا ضيق الطعن زمير المروءة^(١)، ثم الخال، حديث الغنى. فرأى الكراهة
في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما اختلف قوله، فقال: يا رسول
الله، رضيتُ فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت؛ وما كذبت
في الأولى، ولقد صدقت في الثانية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان
لسجراً، وإن من الشعر لحكمة^(٢).

وكتب يزيد بن معاوية في صدر كتابه إلى عبيد الله بن زياد - وقد ولّاه
محاربة الحسين بن علي رضي الله عنهما - وكان قبل ذلك يسيء الرأي فيه: أما

(١) زمير المروءة: قلاها، وفي ط: «زمن» تحريف. (٢) جبهة الأمثال ١: ١٣ ..

بعد ، فإن المسبوب يوما مدوح ، وإن المدوح يوما مسبوب .
ويروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيئا قط ، فرّ يوما بكلب ميت ،
فقال أصحابه : ما أنتن ربحه ! فقال عيسى عليه الصلاة والسلام : ما أحسن
بياض أسنانه !

وقالت للحضين بن منذر امرأة : كيف سدت وأنت دميم بخيل ! فقال :
لأني شديد الرأي ، شديد الإقدام .

وقال مسلمة بن عبد الملك لأخيه هشام : كيف تطمع في الخلافة وأنت
بخيل ، وأنت جبان ! فقال : لأني حليم ، وأنا عفيف ؛ فسلم لعائبه ما ادّعاه من
من مساوئه ، وذكر من محاسنه ما لم ينزع فيه .

صعد خالد بن عبد الله القسري منبر مكة يوم الجمعة ، وهو أمير الوليد بن
عبد الملك بن مروان ، فأتى على الحجاج خيرا ، فلما كانت الجمعة الثانية وقد
مات الوليد ، ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه ، وإظهار
البراءة منه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان يظهر
من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا ، وكان الله قد
علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيخته ابتلاه بالسجود
لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه منهم ، فلعنوه . وإن الحجاج كان يظهر من طاعة
أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله
وغشه على ما خفي عنا ؛ فلما أراد فضيخته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين .
فانعوه لعنه الله . ثم نزل .

ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي
يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصالح هذا النهر لأهل هذا المصر ! فقال غيلان :
أجل والله أيها الأمير ؛ يتعلم العوم فيه صبيانهم ، ويكون لسقايتهم ولسيل مياههم ،
ويأتيهم بميرتهم ؛ ثم عاد ابن عامر فساير زيادا عليه ، فقال زياد : ما أضرب هذا

«التهم لأهل هذا النصر ! فقال : أجل والله أيها الأمير ، تنزّ منه دورهم ، ويفرق فيه صبيانهم ، ويكثر لأجله بَعوضهم .

ومدح الجاحظ العروض ، فقال : هو ميزان الشعر ومعيّاره ، به يعرف الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعليه مدار القريض والشعر ، وبه يُسلم من الأود والكسر . ثم ذمّه فقال : هو عِلْم مَوْلَد ، وأدب مستبَرَد ، ومذهب مرفوض ، تستنكره العقول ، مستغفلان فعول ، من غيره فائدة ولا محصول .

وكان العباس بن عليّ عمّ المنصور يأخذ الكأس بيده ، ثم يقول : أمّا النفس فتسمحين ، وأمّا الهم فتطردين ، أفتراك متى تُمَلّتين ! ثم يشربها .

وشكا أبو العنّياء حاله إلى عبد الله بن سليمان ، فقال : أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر ! قال : كتبت إلى رجل قد حصّر من همته طول الفقر ، وذلّ الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخففت في طلبتي . قال : أنت اخترته ، قال : وما على أعزّ الله الأمير في ذلك ! قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً وما كان منهم رشيد ، واختار رسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتدّاً ، واختار عليّ رضي الله عنه أبا موسى حكماً ، فحكم عليه .

قال الحارث بن همّام : فَنَاجَانِي قَلْبِي بِأَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ ، وَأَنَّ تَعَارُجَهُ لِكَيْدٍ . فَاسْتَمَدْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ عُرِفْتَ بِوَشِيكَ ، فَاسْتَقِمْ فِي مَشِيكَ . فقال : إِنْ كُنْتَ ابْنَ هَمَّامٍ ، فَحَبِّبْتَ يَا كِرَامٍ ، وَحَبِّبْتَ بَيْنَ كِرَامٍ . فقلت : أَنَا الْحَارِثُ ، فَكَيْفَ حَالُكَ . وَالْحَوَادِثُ ؟ فقال : أَتَقَلَّبُ فِي الْحَالَيْنِ : بُؤْسٍ وَرَخَاءٍ ، وَأَتَقَلِّبُ مَعَ الرَّبِّحَيْنِ : زَعَزَعَ وَرُخَاءَ . فقلت : كَيْفَ ادَّعَيْتَ الْقَزْلَ ، وَمَا مِثْلُكَ مَنْ هَزَلَ ! فَاسْتَسْرَّ بِشْرُهُ الَّذِي كَانَ تَجَلَّى ، ثُمَّ أَنْشَدَ حِينَ وَلَّى :

تَعَارَجْتُ لَا رَغْبَةَ فِي الْعَرَجِ وَلَكِنْ لَا تُرْعَ بِأَبِ الْفَرَجِ
وَأَلْقَى حَبْلِي عَلَى غَارِبِي وَأَسْلَكَ مَسْلَكَ مَنْ قَدْ مَرَجَ
فَإِنْ لَا مَنِي الْقَوْمُ قُلْتُ اعْذِرُوا فَذَيْسَ عَلَى أُعْرِجٍ مِنْ حَرَجِ

° ° °

قوله: «استعدته»، أى قلت له أعد علىّ. عرفت بوشيك، أى عرفت بحسن كلامك وتزيينه. استقم: استعدل وأزِلْ عوجك. حَيَّيت: طال بقاؤك، والتحية البقاء: حَيَّيت: عشت. والحوادث: ما يحدث من الخير والشر. بؤس: شدة العيش. رخاء: لينه وسعته. زعزع: ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه. والزعزعة: تحريك الشيء إذا أردت قلعه. رخاء: ريح ليّنة سريعة، من الإرخاء في السير، وهو عدوّ فوق التقريب، وناقة مرخاء: سريعة. القزل: أسوأ العرج، وقد قزل قزلاً.

وهزل هزلاً: ترك الجِدَّ في قول أو فعل، يقول: كيف تحملت بالعرج ومثلك لا يهزل ولا يقع في هذه النقيصة! فهو يهزأ به، فغضب عند ذلك. استسرّ: بشره: زال عنه سماحه وطلاقة وجهه. تجلّى: ظهر. ولّى: ذهب.

قوله: «أقرع»، أى أضرب. الفرج: كشف الهم. ألقى حبلِي على غارِبِي: أى أسرح وأمشي حيث أحببت، والغرب تطلق هذا اللفظ، فتقول للمرأة: حبلُك على غاربك، أى أنت مسيئة فتوجّهي حيث شئت لا مانع لك ولا حابس، والغارب: ما انحدر من السنام، والحبل هو الذي يُعقل به البعير، فإذا سرّحوه حلّوا عقاله وألقوه على غاربه، قال ابن الأنباري: أصله أن يلتقي على حبل الناقة على غارِبِها فتفزع، ولا ترعى إذا لم تره على الأرض.

أسلك مسلك، أى أدخل مدخل، والمسلك: الطريق. مَرَج: خاط الجِدَّ بالهزل. حرج: إثم والله تعالى أعلم

المفاهيم الرابعة وهي الدمياطية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : ظَمَنْتُ إِلَى دِمْيَاطٍ ، قَامَ هِيَاطٌ
بِدِمْيَاطٍ ؛ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَرْمُوقُ الرِّخَاءِ . مَوْمُوقُ الْإِخَاءِ ، أَسْعَبُ
، طَارِفُ الثَّرَاءِ ، وَأَجْتَلِي مَعَارِفَ السَّرَاءِ . قَرَأَفْتُ صَغْبًا قَدْ شَقُوا
عَصَا الشَّقَاقِ ، وَارْتَضَعُوا أَفَويقَ الْوِفَاقِ ؛ حَتَّى لَاحُوا كَأَسْنَانِ
الْمُشْطِ فِي الْإِسْتَوَاءِ ، وَكَالْنَفْسِ الْوَاحِدَةِ فِي الشَّامِ الْأَهْوَاءِ . وَكُنَّا مَعَ
ذَلِكَ نَسِيرُ النَّجَاءِ ، وَلَا نَرَحُلُ إِلَّا كُلُّهُ جَاءَ ، وَإِذَا نَزَلْنَا مَزَلًا ،
أَوْ وَرَدْنَا مِنْهَا ، اخْتَلَسْنَا اللَّيْلَ ، وَلَمْ نُطِلِ الْمَكْثَ . فَقَنَّ لَنَا
إِعْمَالُ الرُّكَّابِ ، فِي آيَةٍ فَيَّيَّةِ الشَّبَابِ ، غَدَافِيَّةِ الْإِهَابِ . فَأَمَرْنَا
إِلَى أَنْ نَضَا اللَّيْلُ شَبَابَهُ ، وَسَلَّتِ الصَّبِيحُ خِيَابَهُ .

• • •

قوله : « ظمنت » ، أى رحلت ، والظمن ضد الإقامة .

دمياط : بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخاً ، وهى على ساحل البحر المالح ،
وإلى دمياط ينتهى ماء النيل ، فيفترق منها فيخرج بعضه إلى بحيرة تنيس ،
وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ، ويخرج بعضه إلى البحر ، وبها
تعمل الشروب ، وقد ذكرنا ذلك عند تنيس .

قوله : « هياط » : صباح ، وهياط اليوم : اجتمعوا ودبروا أمرهم . مياط :
دفاع ، أى كان عام هرج وخلاف . مرموق : منظور إليه . الرخاء : سعة المال .
موموق : محبوب . أسعب : أجبر . مطارف : ثياب لها أعلام فى أطرافها .

أَجْتَلَى : أنظر . معارف : وجوه . السرّاء : الغنى والسرور . رافقت : صحبت في
السفر . والصَّحْب : الأصحاب . الشَّقَاق : الخلاف ، ومعنى شَقُّوا عصاه ، أزالوه
وطرحوه ، والعرب تقول : شَقَّ فلان العصا ، إذا ترك الطاعة وخرج مبايناً ، قال
أبو عبيد : العصا تُضْرَب مثلاً للاجتماع ، وانشقاقها يُضْرَب مثلاً للافتراق الذي
لا اجتماع بعده . أَفَاقِيق : جمع أفواق ، وأفواق جمع فُواق ، وهو ما بين الحلبتين .
والوَفاق : ترك الخلاف ، وقد وافقته موافقةً ووَفاقاً .

قوله : « لآحوا » ، أي ظهروا . والعرب تضرب المثل بأسنان المُشط ، وهو
يقع على كل استواء في أي حال كان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس
كأسنان المُشط ، وإنما يفاضلون بالعافية » ، فإن أرادوا الاستواء في الشرِّ
قالوا : سواسية كأسنان الحمار ، وقال كثير يهجو بني ضمرة :

فسائل بقوى كل أجردٍ ساجٍ وسل غنارُيَ بضمرة أو سَخْلًا^(١)
سواء كأسنان الحمار فلا ترى لدى كِبَرَةٍ منهم على ناشئ فضلًا
الثام : اجتماع واتفاق . الأهواء : جمع هوى ، وهو ما تحبّه وتميل إليه
النفس ، فأراد أن أغراضهم متفقة . النجاء : السير السريع . نرحل : نشد عليها
الرَّحْل ونشخص بها . هوجاء : ناقة سريعة ، كأنَّ بها هوجًا وهو الحق ، لسرعة
مشيها . وردنا منهالاً : أتينا ماء ننزل عليه ، والنهل : المشرّب الأول ، والعلّال
الثاني ؛ وذلك أن الإبل تَرِدُ الماء فتشرب منه ، ثم تخرج ترعى ساعة وتستريح ،
وتسعى تلك الاستراحة في الرعى الثمرثة ، ثم ترد مرة أخرى فتشرب الماء ، فالشرب
الأول نَهْل ، والثاني علّال . والنهل : موضع النهل . والورود : قصد الماء .

اختلسنا : استرقنا . اللبث : الإقامة . ومثله المَكْث ، أي لا يستقرون
بموضع ينزلون فيه إلا قليلاً . والرَّكَب : الإبل ؛ وإعمالها : استعمالها . فَتِيَّةُ الشَّباب :
حفيرة السن ، وأراد أنها طويلة سوداء لا قر فيها ، لأن شعر الشباب أسود ،

(١) ديوانه ٢ : ١٩ ، عن الشريعي : و «رُبِّي» لغة لى : «رُبِّي» .

ويريد أنها أول الشهر ، فهي كالثنية ، والليلة أول الشهر سوداء . غداً في :
منسوبة إلى الغداف ، وهو الغراب لسواده ، والإهاب : الجلد ، وأراد لونها .
أسرينا : مشينا بالليل ، ويقال : سرى وأسرى . نضاً الليل شبابه ، أى أزال
ظلامه ، ونضاً ثوبه : جرّده عنه ، ومثله : سكت خضابه ، وأراد أن الصبح بيض .
الظلام بضوئه ، وسكت الشيء سكتاً ؛ أزاله عما علق به ، والمرأة خضابها كذلك .
وسياتى ذكر الصبح آخر المقامة .

[مما قيل في سواد الليل]

وينظر في سراه مع صحبه في سواد الليل إلى قول ابن شهاب :
وَفُتُوْا أَسْرَوْا وَقَدْ عَكَفَ اللَّيْلُ وَأَقْبَى مُغْدَوِفَ الْأَطْنَابِ .
وَكُنَّ النُّجُومُ لَمَّا هَدَتْهُمْ أَشْرَقَتْ كَالْمَيُونِ مِنْ أَهْدَابِ
يَفْتَرُونَ جَوْزَ كُلِّ فَلَاةٍ جُنْحَ لَيْلٍ جَوْزَاؤُهُ مِنْ رِكَابِ
عَنْ ذِكْرِى لَمَدَحِهِمْ فَتَنَاهَوْا مِنْ حَدِيثِى فِي عَرْضِ أَمْرِ حِجَابِ
هَمَّةٌ فِي السَّمَاءِ تَسْحَبُ ذِيلاً مِنْ ذِيُولِ الْعُلَا وَجَدَ الرَّكَّابِ
ومما جاء في سُرَى الليل قول عبد الصمد بن المعتدل ، وهو من حسن
الاستعارة :

أَقُولُ وَجُنْحُ الدُّجَى مُلْبَدٌ وَلَّيْلٌ فِي كُلِّ نَجٍّ يَدُ^(١)
وَنَحْنُ ضَجِيعَانِ فِي مَسْجِدٍ فَاللهُ مَا ضَمِنَ الْمَسْجِدُ !
فِيَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ لَا تَبْعَدِي^(٢) كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَبْعَدُ^(٣)
وَيَا غَدًا إِنْ كُنْتُ لِي رَاحِئًا فَلَا تَدْنُ مِنْ لِيَاثِي يَا غَدُ

(١) ديوان المعاني ٤٣ . ونسبها إلى ابن أبي فتن .

(٢) ديوان المعاني : « لا تبتدى » (٣) ديوان المعاني : « لا تبتدى » .

وقال ابن المعتز :

يا ربَّ ليلٍ حالِكٍ الجلبابِ ملتحفٍ خافيتي غرابِ

وما أحسن قول ابن شهيد في وصف الليل :

وبتنا تراعى الليل لم نطوِ بُرْدَهُ ولم يحن شيبُ الصبح من فرعه وَخَطَا
تراه كملك الزنج من فرطِ كبره إذا رام شيئاً في تأخره أبطأ
مطلا على الآفاق والبدرُ تاجه وقد علّقَ الجوزاء في أذنه قُرْطًا

وقال حبيب :

إليك هتكنا جُنَحَ ليلٍ كأنَّه قد اكتحلت منه البلاد بِأَمْدٍ^(١)

وقال ذو الرمة :

ودويّةٌ مثل السماء اعتسفتها وقد صبغ الليلُ الحصى بسوادٍ^(٢)

وقال أيضاً :

وليل كجلباب القروس اذرعتُه بأربعةٍ والشخصُ في العين واحدٌ^(٣)
أحمَ غدافيّ ، وأبيض صارمٌ وأعيسُ مهريّ ، وأزوعُ ماجدٌ^(٤)

(١) ديوانه ١٠٣ .

(٢) ديوانه ١٣٩ ، واعتسفتها : سرت فيها على غير هداية .

(٣) ديوانه ١٢٩ ، وروايته : « دليل كأتاء الرويزي جبهته » . والرويزي : طيلسان ، شبه الليل في سواده به . وجبهته : قطعه .

(٤) هذا البيت تفسير للأربعة في البيت السابق : أحمَ : أسود ، ومثله غدافيّ . وفي الديوان : « علاقي » ، منسوب إلى علاف ، حتى من العرب يعملون الرجال . والأبيض : سيف صارم قاطع ، والأعيس : الأبيض ، يعني بعيره . وأشعث ، يعني نفسه . والمهري من الإبل : منسوب إلى مهرة ، حتى من عرب اليمن .

(١١ شرح مقامات الحريري ١)

وقال البحتري :

يا خليلي بالهواجر من مَعْنٍ بن عوفٍ وبُحتر بن عَتود^(١)
أطلبنا ثالثا سواي ، فإني رابعُ العيس والدُّجى والبِيدِ

وقال السَّلامى :

إليك طوى عَرْضَ البسيطة عاجلاً قطارُ المطايا أن يلوح لها القَصْرُ^(٢)
وكنت وعزى في الظَّلامِ وصارى ثلاثة أشباح كما اجتمع النَّسْرُ
وبشَّرت آمالي بملكٍ هو الورى ، وداري هي الدنيا ، ويومٍ هو الدهرُ

فالبيت الأول والثاني نحو بيت البحتري ، والبيت الثالث نحو بيت ذى الرِّمة
في التقسيم ، وبمثل هذا الكلام يمتدح الملوك وإلا فلا . ولما مدح عضد الدولة
بلغه به من المكانة الغاية القصوى ، وفُتِنَ بشعره ، حتى كان يقول : إذا رأيتُ
السَّلامى في مجلسي ، ظننت أن عطارداً نزل من السماء . وسنذكر من شعره
ما يحسن .

فحين مللنا السرى ، ومِلنا إلى الكرى ، صادفنا أرضاً
مُخضلةً الرُّبَا ، مُعْتَلَّةً الصِّبَا ، فتخيَّرناها مُناخاً للعيسِ ، ومَحَطّاً
للتَّغْرِيسِ ، فلمَّا حَلَمَّا الْخَلِيطُ ، وَهَدَأَ بِهَا الْأَطِيطُ ، وَانْفِطِيطُ ، سَمِعْتُ
صَبْتاً مِنَ الرُّجَالِ ، يَقُولُ لِسَمِيرِهِ فِي الرَّحَالِ : كَيْفَ حُكِمَ مُسِيرَتِكَ ،
مَعَ جَيْلِكَ وَجِيرَتِكَ ؟

(١) ديوانه ٦٣٣ ، وفيه « ياندعى بالسواجير من ودين معن » والسواجير : نهر من أعمال

منبج بسوريا

(٢) بنية الدهر ٢ : ٣٧٠

قوله: «السرى»، أى السير بالليل . الكرى: النوم . مخضلة: مبتلة بالندى .
 الرّبا: الكدى ، واحدها ربوة . معتلة الصّبا ، أى ليّنة الريح . مناخاً: منزلاً .
 العيس: الإبل يخالط بياضها حمرة . محطاً: منزلاً تحطّ به الأحمال . التعريس:
 النزول بالليل فى آخره، وهذا التخيّر الذى ذكر لهذه الأرض ، منتزَع من حديث
 ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كانت
 أرض مخصبة فتقصّدوا فى السير وأعطوا الركاب حقّها ، فإن الله رفيق يحبّ الرفق ،
 وإذا كانت مجدبة فأنحّوا عليها ، وعليكم بالدّجة ، فإنّ الأرض تطوى بالليل ،
 وإياكم والتعريس على ظهر الطريق ، فإنه مأوى الحيات ومدارج السباع » .
 الخليط: الأصحاب . هدأ: سكن . الأطيط: أصوات الإبل ، والفطيط:
 أصوات الناس النّيام . صيّتاً: جهير الصوت . سميره: رفيقه الذى يسمر معه
 بالحديث . الرّحال: منازل المسافرين ، سمّيت رحالاً باسم الرّحال التى توضع فيها ،
 والرّحل: اسم لما يحمله البعير من حملة وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل . سيرتك:
 عادتك . جيلك: أهل عصرك . جيرتك: جيرانك .

* * *

فقال: أرعى الجارَ ، ولوّ جارَ ، وأبذل الوصالَ ، لِمَن صالَ ،
 وأحتملُ الخليطَ ، ولوّ أبدى التّخليطَ ، وأودّ الحميمَ ، ولوّ جرّ عني
 الحميمَ ، وأفضّلُ الشّفيقَ ، على الشّقيقِ ، وأفيّ للعشّيرِ ، وإنّ لم
 يكافئْ بالعشّيرِ ، وأسّقلُ الجزيلَ ، للزّيلِ ، وأغمرُ الزّميلَ ، بالجميلِ .
 أنزلُ سَميرى ، منزلةَ أميرى ، وأحلُّ أنيسى ، محلَّ رئيسى ، وأودعُ
 مَمّارنى ، عوّارنى ، وأولى مَرافقى ، مَرافقى ، وألينُ مقالى ، للقالى ،
 وأديمُ نسالى ، عَنِ السّالى ، وأرضى من الوفاء ، باللفاء ، وأقنعُ

مِنَ الْجَزَاءِ ، بِأَقَلِّ الْأَجْزَاءِ ، وَلَا أَتَظَلَّمُ ، حِينَ أَظْلَمُ ، وَلَا أُنْقَمُ ،
وَلَوْ لَدَغَنِي الْأَرْقَمُ .

• • •

قوله : « أرعى » ، أى أحفظ . جار : تعدى ومال عن الحق ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . أبذل : أعطى . صال : صاح مخوفاً . الخليط : الصاحب ، ويقع على الواحد والاثني والجمع بلفظ واحد ، وُسِّمى بذلك لاختلاط الأمر بين الصاحبين . الحميم الأول : الصديق المخلص ، والثاني : الماء الحار . الشقيق : الحب . الشقيق : الأخ من الأب ، كأنه شق معك . ظهر أهلك ومن الأم كأنه شق معك بطن أمك . أفى للعشير : أعامل الصاحب بالوفاء . يكافى : بالعشير : يجازى بالعشر من فعلى ، والمكافأة المواساة . أستقل : أراد قليلاً . الجزيل : الكثير . النزيل : الضيف ، والنزل ما يعد للضيف من طعام وغيره . أغمر : أعطى . الزميل : الرديف . الجميل : الأعمال الجميلة . أميرى : الحاكم على . الأنيس : الذى يؤنس بحديثه ، وقلان رئيس قومه : أفضاهم وأعزهم . أودع : أعطى ودبعة . معارفى : من يعرفنى . عورافى : هباتى ؛ واحداً عارفة ، وهى اليد من النعمة . أولى مرافقى : أعطى مصاحبى فى السفر ، ومنه الرقعة لاتفاق بعضهم ببعض ، جمع مرفقة وهى المعونة وما يُرتفق به . القالى : المبعض ، وقايت الرجل قلى ، أبغضته . تسألى : كثرة سؤالى . السالى : الناسى للعودة والتارك لها ، وسلوت عن الشئ : أسلو سلواً وسلوة ، إذا تركته . اللفاء : النقصان . وقال أبو على فى الإيضاح : اللفاء ما دون الحق ، قال أبو زيد الطائى واسمه حرملة رحمه الله :

فأ أنا بالضعيف فتظلموه ولاحظى اللفاء ولا الخسيس^(١)

(١) الاسان - لنا . وروايته : « فأ أنا بالضعيف فتظلمونى » .

أَقْنَعُ : أَرْضَى ، والقناعة الرضا باليسير . والجزاء : المكافأة ، وجازيته بما صنع .
 مثل كفايته ، والأجزاء : الأنصباء تقسم على جماعة ، واحدها جزء ، وأقلها أنقصها .
 أَتَظَلَّمُ : أَشْتَكِي مِنَ الظَّالِمِ . لَا أَتَقِمُ : لَا أَتَقِمُ . تقول : تَقَمْتُ مِنْهُ نَقْمَةً ، أَيْ
 عَاقِبَتَهُ ، فَعْنَاهُ : لَا أَعَاقِبُ صَاحِبَهُ ، وَلَوْ بَلَغَ فِي الإِضْرَارِ مَتْنِي الْغَايَةِ ، وَتَقُولُ
 أَيْضًا : نَقَمْتُ الشَّيْءَ وَأَنْقَمَهُ نَقْمًا وَنُقُومًا : إِذَا أَنْكَرْتَهُ ، فَعْنَاهُ عَلَى هَذَا :
 لَا أَنْكُرُ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَوْ بَلَغَ فِي الْأَذَى ، وَيُقَالُ فِي الْإِنْكَارِ أَيْضًا ، نَقِمَ يَنْقِمُ .

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَبِكَ يَا بُنَيَّ ! إِنَّمَا يُضِنُّ بِالضَّئِنِ ، وَبِنَافَسِ
 فِي الشَّمَنِ ، لَكِنْ أَنَا لَا آتِي ، غَيْرَ الْمُتَوَاتِي ، وَلَا أُسِمُ الْمَعَاتِي ، بِمَرَاتِي ،
 وَلَا أَصَافِي ، مَنْ يَأْتِي إِنْصَافِي ، وَلَا أُوَاخِي ، مَنْ يُبْلَغِي الْأَوَاحِي ،
 وَلَا أُمَالِي ، مَنْ يُخَيِّبُ آمَالِي ، وَلَا أُبَالِي ، بِمَنْ صَرَمَ حَبَالِي ،
 وَلَا أَدَارِي ، مَنْ جَهَلَ مِقْدَارِي ، وَلَا أُعْطِي زِمَامِي ، مَنْ يُخْفِرُ
 ذِمَامِي ، وَلَا أَبْذُلُ وَدَادِي ، لِأَضْدَادِي ، وَلَا أَدْعُو إِيمَادِي ، لِلْمُعَادِي ،
 وَلَا أَغْرِسُ الْأَيَادِي ، فِي أَرْضِ الْأَعَادِي ، وَلَا أَسْمَحُ بِمَوَاسَاتِي ، لِمَنْ
 يَفْرَحُ بِمَسَاتِي ، وَلَا أَرَى التَّفَاتِي ، إِلَى مَنْ يَشْمَتُ بِوَفَاتِي ، وَلَا
 أَخْصُ بِحَبَاتِي ، إِلَّا أَحِبَّائِي ، وَلَا أُسْتَطِيبُ لِدَائِي ، غَيْرَ أُودَائِي ، وَلَا
 أُؤَمِّلُ خُلَّتِي ، مَنْ لَا يَسُدُّ خُلَّتِي ، وَلَا أَصْنُو نَيْبِي ، لِمَنْ يَتَمَنَّى
 مَنِّي ، وَلَا أَخْلِصُ دُعَائِي ، لِمَنْ لَا يُفْعِمُ وَعَائِي ، وَلَا أُفْرِغُ ثَنَائِي ،
 عَلَى مَنْ يُفَرِّغُ لِنَائِي .

قوله : «ويلك» معناه التعجب، كأنه قال : ما أعجبك ! أو عجباً لك . وقيل : أراد «ويلك» ، فحذف اللام . إنما يضمن بالضنين ^(١) ، هذا مثل ؟ ، أوّل من قاله الأغلب العجلى ، وفسره أبو عبيد ^(٢) فقال : معناه : تمسك بإخاء من تمسك بإخائك ، وبيانه أن الضنين البخيل ، ويضمن : يبخل ، فيقول : إنما تمسك وأتعلق بصاحب تمسك . بي وعرف حق ، فأنا أبخل به على غيري أن يشركني في صحبتته كما يبخل بي هو على غيره ، وقيل : الضنين في المثل هو الشيء المضمون به لنفسه ، فعناه إنما يبخل بالشيء النفيس الرفيع . المواتى : المساعد الموافق . العاتى التكبر الصعب الخلق . والمراعاة : المحافظة للود . أسيم : اجعلها سمة ، أى علامة . أضافى : أخلص له ودّى . يأتى : يمنع . إنصافى ، أى إعطائى الحق من نفسه . أواخى : أصير له أخاً وأتخذهُ صديقاً . يلقى : يترك ويطرح . الأواخى : أسباب الود ، واحدها أخية ، وأصل الأخية عروة من حبل تشدّ في وتيد أو على حجر تحت الأرض ، وتبقى العروة على الأرض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها . أمالى : أعاون ، وأصلها همزة ، تقول : ما لأتد على الأمر أمالكه ، إذا عاونته وساعدته ، ومنه : والله ما قتلت عثمان ولا مالت في قتله ، تخفف همزة ليوافق آمالى ، وهو جمع أمل ، وهو الرجاء . صرم حبالى : قطع أسباب وصالى ، وهم يكونون بالحبل عن الود ، لأن الود يربط القلوب ويؤلفها كالحبل فيما يربط . قوله : «أدارى» ، أسوس وأحسن . صحبتته . والزمّام : حبل من جلود يربط في حلقة في أنف البعير . يخفر ذمامى : ينقض عهدي ، أى لا أنقاد لمن لا عهد له . ودادى : حُبّى ، وهو من وادّه وهو الذى لا يكون إلا من اثنين فوضعه موضع ودّى ، ويقال أيضاً : فى الحب حُبّاب ، مثل وداد ، قال الشاعر :

* أداء عراني من حُبّابك أم سحر *

(١) جهرة الأمثال ١ : ٤٩

(٢) اللسان ، ونسبه إلى أبي عطاء وصدره :

* فوالله ما أدرى وإني لصادق *

أضدادي : أعدائي المناقضين لأفعالي . إيعادي : تهديدي وتخويني .
 الأيادي : النعم ، وواسيته : مواساة : جعلته أسوة نفسي في مالي فقاسمته فيه .
 ما آتى : أحزاني وما يسوءني . التفائي : نظري وانعطائي إلى جهته . يثمت :
 يسر : وفاتي : موتي . أخلص : أفرد . حبائي : عطائي . أحبائي : جمع حبيب .
 أستطبت : أطلب طيبه . خلتي : صداقتي . بدّ خلتي : يصلح قفري . أخلص :
 أجعله خالصاً . يُنعم : يملأ . أفرغ ثنائي : أصب مدحي وأكسوه ، أو يكون
 أفرغه ، أبلغ آخره .

° ° °

وَمَنْ حَكَمَ بَأْنَ أَبْذَلَ وَتَخْزُنَ ، وَأَلَيْنَ وَتَخْشُنَ ، وَأُذُوبَ
 وَتَجْمَدَ ، وَأَذْكَو وَتَخْمَدَ ! لا وَاللَّهِ ، بَلْ تَتَوَازَنُ فِي الْمَقَالِ ، وَزَنَ
 الْمُثْقَالِ ، وَتَتَحَاذِي فِي الْفَعَالِ ، حَذُو النُّعَالِ ، حَتَّى نَأْمَنَ الشَّعَابِنَ ،
 وَنُسْكَنَى التَّضَاغِنَ ؛ وَإِلَّا فَلِمَ أَعْلُكَ وَتُعِلَّنِي ، وَأُقِلَّكَ وَتَسْتَقِلَّنِي ،
 وَأَجْتَرِحُ لَكَ وَتَجْرَحُنِي ، وَأُشْرِحُ إِلَيْكَ وَتَسْرَحُنِي . وَكَيْفَ يُجْتَلَبُ
 إِنْصَافٌ بِضَيْمٍ ، وَأَتَى تَشْرِيقُ نَفْسٍ مَعَ غَيْمٍ ! وَمَتَى أَصْحِبُ وَدَّ
 بَعْسَفٍ ، وَأَيَّ حُرٍّ رَضِيَ بِخُطَّةٍ خَسَفٍ ! وَلِلَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ يَقُولُ :

* * *

قوله : «تخزن» ، أي تحبس . أذكو : أضيء ، يقال : خدت النار ، إذا
 سكن لهبها ، وذكت : انقادت . والمثقال : الصنجة التي يوزن بها ، سُميت بذلك
 لأنها تنقل ما يوزن بها في السكفة الثانية . تتحاذى : تتشابه . والفعال : بفتح
 الفاء : اسم للفعل الحسن أو القبيح ، ولا يقال بكسرهما إلا في مصدر فاعل ، قال ابن
 الأعرابي : الفعال : فعل الواحد من الخير والشر ، والفعال بالكسر : الفعل بين
 الاثنين . حذو : متشابهة ، والعرب تقول في الشئيين يشتهبان : هما حذو النعل

بالنعل، أى كل واحد من النعلين تُقطع على قالب أختها ، ومنه قول الهذلى :
وتأمل السَّبْت الذى أخذوكُم فانظُرْ بمثل حذائه فاحذونى^(١)

التغابن : الغبن . نكفى : نمنع . التضامن : العداوة ، وتضامن الرجلان :
اعتقد كل واحد منهما لصاحبه ضعفاً وهو الحِثْد . أعْلَكَ : أسقيك عللاً ، أى مرة
بعد أخرى . تعلنى : ترضنى . أفلك : أرفعك . تستقلنى : تمحقرنى . أجترح :
أكنسب . أشرح : أرعى عليك ، وأجلب عليك الرزق بالعداء والعشى .
تسرحنى : تهملنى . ضيم : ذل . أتى : كيف . تشرق : تضىء ، من أشرقت ،
وتشرق تطلع ، من شرقت . غيم : سحب . أصحب : أنقاد . بعف : بجور ،
وأصل العسف ركوب الأمر بغير تدبير . والخطئة : المنزلة والمرتبة ، والخسف :
الإذلال والنقصان ، ومنه خسف الأرض ، والخاسف : المهزول ، ويقال : باتوا على
الخسف ، أى جوعاً ليس لهم شىء يتقوتون به والخسف للدابة : أن تبيت
بغير علف .

* * *

جَزَاءُ مَنْ يَدْنِي عَلَى أَسْرِ	جَزَيْتُ مَنْ أَغْلَقَ بِي وَدَّهْ
عَلَى وَفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ	وَكَلْتُ لِلْخِلِّ كَمَا كَالَ لِي
مَنْ يَوْمُهُ أَخْسَرُ مِنْ أَمْسِهِ	وَلَمْ أَخْسَرْهُ وَشَرُّ الْوَرَى
فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غَرْسِهِ	وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى
بِصَفْقَةِ الْمُنْغَبُونَ فِي حِسِّهِ	لَا أَبْتَغِي الْعَبْنَ ، وَلَا أَتَنَّى
لَا يُوجِبُ الْحَقُّ عَلَى نَفْسِهِ	وَلَسْتُ بِالْمُوجِبِ حَقًّا لِمَنْ
أَصْدَقُهُ الْوُدُّ عَلَى لَبْسِهِ	وَرُبَّ مَذَاقٍ الْهَوَى خَالَني

وَمَا دَرَى مِنْ جَهْلِهِ أَنِّي أَقْضَى غَرِيمِي الدَّيْنَ مِنْ جَنْسِهِ
فَأَهْجُرُ مَنْ اسْتَفْبَاكَ هَجَرَ الْقَلِي وَهَبَهُ كَالْمَلْحُودِ فِي رَمْسِهِ
وَالْبَسَ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةً لِبَاسَ مَنْ يُرْغَبُ عَنْ أَنْسِهِ
وَلَا تُرْجُ الْوَدَّ يَمَنْ يَرَى أَنَّكَ مُتَّحِجٌ إِلَى قَلْبِهِ

* * *

قوله: «أعلق»، بمعنى علق، أى ألقى. أسه: أصل بنائه؛ يقول: من علق
بقلبي وده، جعلت ذلك الود أساً بقلبي، وبنيت عليه ودي، فإن أسس في قلبى
وداً سلماً بنيت له عليه مثله، وإن عشتى في ود غششته، والهاء في «أسه» ترجع إلى
«من» أى من نصحنى في صحبته نصحته. والخلل: الصاحب. بخه: قصه.
أخسر: أنقص. الورى: الخلق من الناس. الجنى: ما يجنى من الثمرة.
أبتغى الغبن: أطلب الخداع: أثنى: أرجع، وصفقة المغبون: بيعة المخدوع.
حسه: نهمة، والحسن: صوت حركة الحى. والصفقة: فى الأصل مصدر، يقال:
صَفَّقَ صَفْقًا إذا ضرب بإحدهما على الأخرى، وكانت صفقة البيع عند العرب
أن يضرب المشتري بيده على يد البائع، فإن رضى البيع قبض على يد المشتري
وانعقد البيع، وإن لم يرض أرسل يده، ثم صاروا يقولون، رضى الصفقة، إذا
رضى البيع، ثم سُمِّيَ عقد البيع صفقة. مذاق: خلط غير مخلص. الهوى:
الحب. وخالنى: حسبنى. لذسه: تخليطه وتلبسه. غريمى: صاحب دينى.
من جنسه: من نوع ما أعطانى. استفباك: استفهلك. القلى: البفض. هبه:
أحسبه. المالحود: المدفون. رمسه: قبره، وينظر إلى يته قول
ابن الرومى:

مَنْ تَصَدَّى لِأَخِيهِ بِالْفَنَى فَهُوَ أَخُوهُ

فإن احتاج إليه راء منه ما يسوء
 يكرم المثرى فإن أملاق أقصاه يسوء
 أنت ما استغيت عن صا حبك الدهر أخوه
 فإن احتجت إليه ساعة تجك فوه

ووجد على حجر مكتوباً :

كل من أحوجك الدهر إليه وتعرضت له هنت عليه

وهذان الذهبان اللذان ذكرهما الحريرى مبنيان على آيتين ، من كتاب
 الله تعالى ؛ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
 لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظِلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ
 مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق ،
 مثل الذي ترى له » .

[مذاهب الشعراء في الفرو أو الانتصاف]

وللشعراء القدماء والمحدثين في المذهبين شعر كثير ، قال المقنع الكندي في
 المذهب الأول :

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي مختلف جداً^(١)
 أراهم إلى نصرى بطاء وإن هم دعوني إلى نصرى أبتهم شداً
 وإن أكلوا الحى وفرت لحوة هم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجداً

(١) حاسة أبي تمام ٣ : ١٧١ - بشرح التبريزي

وإن ضيئوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هَوُوا غيبي هويت لهم رشدًا
وإن زجروا طيراً بنحسٍ تمرُّ بي زجرت لهم طيراً تمرُّ بهم سعدًا
لهم جلّ مالى إن تتابع لى غنى وإن قلّ مالى لم أكلفهم رِفْدًا
ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهم وليس يسودُ القومَ من يحملُ الحقدًا

وقال معن بن أوس المزني في المذهب الثاني :

إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك وجدته على طرف الحجران إن كان يعقل^(١)
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَلُ
وكنت إذا ما صاحبُ رامَ ظنّتي وبدل سوءاً بالذى كنتُ أفعُلُ
قلبت له ظهر المِجَنِّ فلم أدم على ذاك إلا ريثاً أمحـوُلُ

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

أميل مع الدمام إلى ابن عمي وآخذ للصدّيق من الشقيق^(٢)
وإن ألفتني حُرّاً مُطاعاً فإنك واجدي عبدَ الصديقِ
أفرق بين معروفي وبينى وأجمع بين مالى والحقوقِ
وكنت إذا الصديقُ أراد غيظي وأشرقني على شَرَقِ بَرِيقتي
غفرت ذنوبه، وصفحته عنه مخافة أن أعيش بلا صديقِ

وكلف إبراهيم بن العباس بعض إخوانه مقاطعة صديق فقال له :

إني متى أحمل بحقدك لا أضرب به سواك^(٣)

(١) حاسة أبي تمام - بشرح التبريزي ٣ : ١٣٢

(٢) ديوانه ١٥٤

(٣) ديوانه ١٤٦

ومنى أطمعتك بنى أخيك أطمعُ فيك غداً أخاك
حتى أرى مستقماً يومى لداً ، وغداً لذاكاً

وقال أبو الفتح البستي في المذهب الثانى :

فإن تزرني أزرُ وإما تَقِفْ ببابى أقف ببابك
والله لا كنت فى حسابى إلا إذا كنت فى حسابك

أين هذا من قول البستي أيضاً وقد خالفه فيه خلافاً شديداً ، ولا نازعه

أحد فيه ، ولا سبقه إليه إذ يقول :

وإني لأختصُّ بعضَ الرجال وإن كان قدماً ثقيلاً عَظاماً^(١)
فإنَّ الجَينَ على أنه وخيمٌ ثَقِيلٌ يشهى الطَّعامَ

ولابن شرف :

بِعْ مَنْ جُفَاكَ وَلَا تَبْخُلْ بِلِقَائِهِ واطلب به بدلاً إن رام تبديلاً

وهو كثير ، وبما ذكرت يستدل على الباب .

* * *

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا وَعَيْتُ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا ، تَقْتُ إِلَى أَنْ
أَعْرِفَ عَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا لَاحَ ابْنُ ذُكَاةٍ ، وَأَلْهَفَ الْجَوُّ الضِّيَاءَ ، غَدَوْتُ
قَبْلَ اسْتِقْلَالِ الرِّكَابِ ، وَلَا اغْتِدَاءِ الْغُرَابِ ، وَجَمَلْتُ اسْتَقْرِي
صَوْبَ الصَّوْتِ اللَّيْلِ ، وَأَتَوَسَّمُ الْوُجُوهَ بِالنَّظَرِ الْجَلِيِّ ، إِلَى أَنْ

(١) العظام : الغليظ الجاني .

لَمَحْتُ أَبَا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَعَادَثَانِ ، وَعَلَيْهِمَا بُرْدَانِ رَثْنَانِ ، فَعَلِمْتُ
أَنَّهُمَا نَجِيَّا لَيْلَتِي ، وَصَاحِبَا رِوَايَتِي .

• • •

قوله : «وعيت» ، أى حفظت . تفت ، أى اشتقت . عنيهما : شخصهما .
لاح : ظهر . ابن ذكاء : هو الصبح ، وذكاء هى الشمس ، ويقال للصبح : ابن
ذكاء لأنه من ضوئها . ألحف : غطى . الجو : الهواء بين السماء والأرض ،
أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه .

[ما ورد فى الصبح من الشعر]

ومن حسن التشبيه فى ضوء الصبح قول ذى الرمة :

وقد لاح للشارى الذى كحل السرى على أخريات الليل فتق مشرر^(١)
كلون الحصان الأبيض البطن قائماً تمايل عنه الجبل واللون أشقر

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالقوس الأشقر الأبيض البطن .

وقال ابن المعتز :

وساقٍ يجعل المندبل منه مكان حائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل بادٍ كطرفٍ أشقر ملقى الجازل

وقال : يوسف الرمادى :

وليلة أنس قد غمرنا ظلامها بأوجهٍ راح تستنير فترشف
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنما تحل لهان ، وأقبل يوسف

قوله : «غدت» ، أى بكرت . استلال : ارتفاع وقيام . والركاب : الإبل .

واحدتها ، راحلة . ولا اغتداء الغراب ، أى ولا مثل اغتدائه ؛ فحذف « مثل »
 للنصوبة بلا ، وأقام « اغتداء » مقامها لأن « لا » لا تنصب للمعارف ، وأراد أن
 اغتدائى كان قبل أن يفتدى الغراب ، والغراب أكثر الطير بكوراً ، وهذا
 وما شابهه فى هذا الكتاب مثل قوله : « ولا كيد فرعون موسى » ، « ولا انهلال
 السحب » ، « ولا عمرو بن عبيد » ، إذا طالبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من
 المشبه به ، ولم يأت هذا إلا عن العرب ، تقول العرب : « فتى ولا كالك » ، فيريدون
 مالكا أفضل من الفتى ، ومثله « مرعى ولا كالسعدان » أى أن المرعى فاضل فى
 طيبه ، ولكن السعدان أفضل منه ، ومثله : « ماء ولا كصداء » ، فصداء
 أفضل من ذلك الماء على طيبه ، فهذا مذهب العرب فى ذكر « لا » بين المشبهين .
 وأما قول الحريرى : « غدوت ولا اغتداء الغراب » ، فيريد أن غدوى أبكر
 من اغتداء الغراب ، وكذلك « ولا انهلال السحب » ، وهو يريد أن جودهم
 فوق جود السحاب ، لأن كلام العرب : فلان أبكر من الغراب ، وأجود من
 السحاب ، ولا يقولون السحاب أجود من فلان ، ولا الغراب أبكر من فلان ،
 ولا فائدة فى ذلك ، فإذا حققت لفظة « ولا » فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى
 كلام العرب انقلب المعنى ، وإنما اللفظ من كلام عامة العراقي ، فاستعملها لأنها عندهم
 متعارفة وليست بعربية ، ومثل هذا قد جوزه المولدون فى أشعارهم ، وجاء منه
 فى مقامات البديع كثير . ويستعمل أهل فاس فى مغربنا لفظة « ولا » فى تشبيهاتهم
 كثيراً جداً على حد استعمال الحريرى لها ، ولا يستعملها أهل الأندلس .

وقال الفنجديسى : الرفع فى قوله : « ولا اغتداء الغراب » ، أكثر مبالغة فى
 التشبيه من النصب .

قوله : « أستقرى » ، أى أتنبع . صوب : جهة وناحية . اللبى : الذى يُسمع بالليل .
 أتوسم . أتعرف وأنظر سمتها . الجلى : البين . لحت : رأيت . برّدان رثنان :

ثوبان خَلَقَان . نَجْمًا لَيْلَى ، أَى المتحدّثان فيها ، وجعلهما متحدثين مع الليلة مجازاً
لما أوقعا الحديث فيها ، كقوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ^(١) ولا يُمَكِّرَان إنما
يُمَكِّرُ فِيهِمَا ، فنسب ذلك المكر إليهما . صاحباً رَوَايَتِي ، أَى اللذان أروى عنهما
هذه القصة .

• • •

فَقَصَصَتْهُمَا قَصْدَ كَلَفٍ بِدَمَائِنِيَّهَا ، رَأَتْ رِثَائِنِيَّهَا ، وَأَبَعْنَهُمَا
التَّحَوُّلَ إِلَى رَحْلِي ، وَالتَّحَكُّمَ فِي كُثْرَى وَقَلِّي ، وَطَفِقتُ أُسَيْرُ بَيْنَ
السَّيَّارَةِ فَضْلَهُمَا ، وَأَهْزُ الْأَعْوَادِ الْمُشِيرَةَ لَهُمَا ، إِلَى أَنْ غُمِرَا
بِالنُّحْلَانِ ، وَاتَّخِذَا مِنْ الْخُلَّانِ . وَكُنَّا بِمَعْرِسٍ تَبَيَّنُ مِنْهُ مُبْدِيَانِ
الْقُرَى ، وَتَنْتَوُرُ نِيرَانِ الْقُرَى .

فَلَمَّا رَأَى أَبُو زَيْدٍ امْتِلَاءَ كِبْسِهِ ، وَانْجِلَاءَ بُوسِهِ ، قَالَ لِي :
إِنْ بَدَنِي قَدْ انْسَخَ ، وَدَرَنِي قَدْ رَسَخَ ، أَفَتَأْذَنُ لِي فِي قَصِيدِ
قَرِيَّةٍ لَأَسْتَحِمَّ ؛ وَأَقْضِيَ هَذَا الْمِهْمَ ؟ فَقُلْتُ : إِذَا شِئْتَ
فَالسَّرْعَةَ السَّرْعَةَ ، وَالرَّجْعَةَ الرَّجْعَةَ ، فَقَالَ : سَتَجِدُ مَطْلَعِي عَلَيْكَ ،
أَسْرَعَ مِنْ ارْتِدَادِ طَرَفِكَ إِلَيْكَ .

• • •

كَلِفٌ : مَحَبَّةٌ . دَمَائِنِيَّهَا : نَهْوَلَتُهَا ، وَالْأَمَاتَةُ سَهْوَةُ الْأَرْضِ ، وَكُلُّ مَا
وُطِنَتْهُ وَسَهْلَتْهُ وَأَذَلَّتْهُ بِيَدِكَ فَهُوَ دَمِثٌ . رَأَتْ : بَالَتْ مَشَقًى . وَرِثَائِنِيَّهَا : سَوْءُ

حاذيا . أبحته : جعلته له مباحاً . كُثِرَى وَقُلَى : أى كثير مالى وقليله . طفتت : أخذت . أسير : أمشى . السيارة : القوم الذين يسرون فى الأسار . أهرز الأعواد : استعارة ، وأراد أنه يستعطف لها أصحاب الأموال فيواسونهم ، فكنى عنهم بالأعواد ، وقد كرّر هذا المعنى نظماً حين قال :

قصده والشيخ يبنى جنى عود له ما زال مهزوزاً^(١)

وقال الشاعر فى مثله :

إِلَّا يَكُنْ وَرَقٍ غَضًّا أَرَّاحَ بِهِ لَهْمَتَيْنِ فَإِنِ لَّيْنِ الْمَسُودِ
أراد إن لا أكن كثير المال فإنى كريم . والورق : المال غير الصامت ، وأراح به : أهنأ به ، من الأريحية . وراح الشجر : أتى بورق فى آخر الصيف . لأصل له ، ويقال لها الخلقة . قوله : « غمراً » ، أى أعطيا . النحلان : العطايا . الخللان : الأصحاب . وقوله : « وكنا بعمرس » ، المعرس موضع النزول آخر الليل . نننور : ننظر النيران . القرى : طعام الضيف . كيه : وعاء دراهمه ، والكيس : خريطة تسع خمسمائة درهم والبذرة تسع عشرة آلاف درهم ، قال حبيب :
من بعد ما صارت هُنيدة صِرْمَةً والبذرة التَّجْلَاءُ صَارَتْ كَيْسًا^(٢)

قوله : « التجلاء بوسه » ، انكشاف فقره . دَرْنَى : وسخى . ورسخ الشيء فى الأرض رسوخاً : غاب فيها ، ورسخ العلم فى العلم : دخل فيه . استحم : أدخل الحمام ، واستحم الرجل : اغتسل بالحميم ؛ وهو الماء الحار . أقضى : أقطع وأزيل ، وقضيت الشيء : صنعته . المهم : أراد به فرض الصلاة ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن أهم أموركم عندى الصلاة ، فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع . وقيل :

(١) فى القامه الأربعين صفحه ٤٤٨ (طبعة الحسينية) .

(٢) ديوانه ١٢٧ ، والهيندة : اسم المكانة من الإبل . والصرمة : ما بين الهرة إلى بضمه . عشر . والتجلاء : الوسعة .

المهم: الوسخ لأن الأمر المهم ، هو الذى فى القلب منه هم وشغل ، وقد ذكر أن الذى أوجب عليه قصد الحمام هو ما عليه من الوسخ ، فيكون قوله : « وأقضى هذا المهم » من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ ^(١) ، وقد أهمنى الشئ فهو مهم وهذا القول أوفق بمراده .

[نبذتما قيل فى الحمام شعرا ونثرا]

ولزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ فى دخول الحمام :

يا صاح عهدي بالحمام قد بعدا	فلا تلمني فيه إن طلبت مدى
قارعت فيه العدا فى معرك الجب	دحض تزل به الأقدام قد بعدا
عدا أثرن برأسى حين ثرن به	توقدا وأعادت جلده جادا
فظلت مستأصلا بالقتل أجمعها	فلم أدع والدأ منها ولا ولدا
ثم اثنت معافى ناعما جذلا	مظفرا أستزيد الواحد الصمدا

ورأى نفسه ممتدا بين يدي الحكاك ، فقال :

أأغتر إن مد فى العمر لى	وأرجى المتاب إلى قابل
وأغفل والموت لى طالب	حيث كذب النصى القاتل
كأنى بى هكذا ميتا ^(١)	تحكم فى يد الفاسل

وله أيضا :

شكرت للدهر حسن ما صنعا	طريد مجدي تحيتى رفعا
يا حسن حمامنا وقد شربت	شمس الضحى فيه بعد ما متعا
أيقن أن الهلال راكبه	فضاء للحاضرين وأنسا
فأنعم أبا عامر بنعمته	واعجب لأمرين فيه قد جمعا

(١) الحج ٢٩ : ١١٢ (٢) : ١ : وكان بى ،

نيرانه من زنادكم قد دحت وماؤه من بنانكم نبعا
ولبعضهم في حمام كانت مضاوئه من زجاج أحر ، وفي سمائه حمرة وبياض :
تمحّرت من طيب حمامنا فخيّل لي أن فيه الفلق
فمن حمرة فوقنا وبيضاض لحد الحبيب إذا ما عرق
رأى الدهر ماسداً من حسنه فسد كوى سقفه بالشفق
ودخل الحمام أبو جعفر التّطلي وأبو بكر بن بقيّ رحمهما الله تعالى ، فقال
أبو جعفر :

يا حُسنَ حمامنا وبهجته مرأى من السّجركلّه حَسَنُ
ماء ونازّ حواها كنف كالقلب فيه السرور والحزن

ونظر فيه إلى غلام وسيم ، قال :

هل استمالك ميّال القوأم وقد سالت عليه من الحمام أُنْدَاهُ
كالنّصن بأشْرَ حرّ النار من كسب فظلّ يقطر من أعطافه الماء

وقال آخر :

حمامنا فيه فصل القيظ محتدم وفيه للبرد سرٌّ غير ذى ضرر
ضدّان بنعم جسم المرء بينهما كالنّصن بنعم بين الشمس والمطر

وقال ابن رشيّق : وما قلته على عقب وداع :

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم لأجل نعيم ، قد رضيت ببُوسى^(١)
ولكن لتجرى عبرتي مطمئنة فأبكي ، ولا يدري بذلك جليسي

وقال آخر :

وحَمَامٍ كَانَ النَّارَ فِيهِ مَسْقَرَةٌ بَنِيَانِ الْجَحِيمِ
دَخَلْتُ أَنَا وَمَنْ أَهْوَاهُ فِيهِ فَمَادَ لَنَا كِبَنَاتُ النَّعِيمِ

وقال آخر في ذم حمام :

وحَمَامٍ سُوءٌ وَخِيمُ الْهَوَا قَلِيلُ الْمِيَاهِ كَثِيرُ الزَّحَامِ
فَمَا لِلْقِيَامِ بِهِ مِنْ قَعُودٍ وَلَا لِلْقَعُودِ بِهِ مِنْ قِيَامٍ
حَنِيَّاتِهِ عَطَفَاتُ الْقَسَى وَقَطْرَاتِهِ صَائِبَاتُ السَّهَامِ

وقال آخر في تعجيل الخروج منه :

خُذْ مِنَ الْحَمَامِ وَاخْرُجْ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْكَ
حَدَّثَنِي عَنْهُ وَإِلَّا حَدَّثَ الْحَمَامُ عَنْكَ

وقال ابن رشيقي :

هَوْمَتُهُنَّ لَدَى الْحَمَامِ أَضْحَى وَحَالَآءَ لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ
إِذَا سَمِعُوا الْعَذَابَ أَوْ اسْتَفْأَنُوا أَغَاثُوهُمْ بِيَابَ الزَّمْهِرِ
كَذَلِكَ حَالُهُ حَسْرًا وَبِرْدًا بَيْتِ الْخَوْضِ أَوْ بَيْتِ الطَّهْورِ
وَطَالَ بِهِ انْتِظَارُ مُوَاعِدِهِ فَقَدْ زَادَ الشَّقَى عَلَى النَّظِيرِ
وَلَهُ أَيْضًا :

سَأَشْكُرُ لِلْحَمَامِ بَدْءًا وَعُودَةً أَبَادَى بَيْضًا مَا لَمْ يَنْتَيْنِ
جَلَاكَ عَلَى عَيْنِي عُرْيَانَ حَاسِرَا فَرَحْتَ بِتَطْلِيْقِي وَأَنْتَ قَيْنٌ^(١)
وَطَهَّرَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ بِيَارِدٍ وَسُخْنٍ قَرَّ الْجَفْنِ وَهُوَ سَخِينٌ

(١) ط : فَمَيْنِ ه . وما أنبته من ا ، ب .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الحُتَام يذكُرُ جهنم ، وينقَى الدَّرَن ..
وقال علي رضي الله عنه : بُئس البيت الحُتَام ! تُكشَف فيه المورَات ، وترتفع
فيه الأصوات ، ولا يُمرَأ فيه آية من كتاب الله تعالى .
ودخله بعضُ الأمراء مع الرقاشي فقال له : امدحْه ، فقال : يُذهب القشافة ،
ويعقب النظافة ، ويُنقش^(١) الثُّغمة ، ويطيّب النعمة ، يقال : ذمّه ، فقال : يهتك
الأستار ، ويؤلف الأقدار ، ويذهب بالوقار .

قوله : « إذا شئت فالسرعة السرعة » ، يقول : إذا شئت أن تقصد الحُتَام
فالزم السرعة ، وعجل الرجعة ، وكررها تأكيذاً ، والفعل الناصب لهما يلزم
إضماره مع التكرير ، فإذا أفردت جاز إظهار الفعل ، ونظيرها قول العرب :
الطريق ، الطريق ، والأسد الأسد وقال الشاعر :
* خَلَّ الطريق لمن يُبني المنارُ لَهُ *

فلما سقط التكرير ساغ له إظهار الفعل . مطأى : مصدر بمعنى طلوعى ..
أهل الحجاز يفتحون لامه في المصدر وغيرهم يكسرها . ارتداد طرفك ، أى .
رجوع نظرك .

ثم استنَّ استِنَانَ الجَوَادِ في المضمارِ ، وقالَ لابنِهِ : بَدَارِ بَدَارِ !
وَلَمْ نَخْلُ أَنَّهُ غَرٌّ ، وَطَلَبَ الْمَفَرَّ . فَلَمَّشْنَا تَرْقُبُهُ رِقْبَةَ الْأَعْيَادِ ،
وَنَسْتَظَامُهُ بِالطَّلَائِعِ وَالزُّوَادِ ، إِلَى أَنْ هَرِمَ النَّهَارُ ، وَكَادَ جُرْفُ
النَّهَارِ يَنْهَارُ . فَلَمَّا طَالَ أَمَدُ الْإِنْتَظَارِ ، وَلَاحَتِ الشَّمْسُ فِي
الْأَطْمَارِ ، قُلْتُ لِأَصْحَابِي : قَدْ تَنَاهَيْنَا فِي الْمُهْلَةِ ، وَتَعَادَيْنَا فِيهِ

(١) يقال : فنس الوطى ، أى أخرج ما فيه من الريح

«الرَّحْلَةَ ، إِلَى أَنْ أَصَنَّا الزَّمَانَ ، وَبَانَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَانَ ،
فَتَأَهَّبُوا لِلظَّمَنِ ، وَلَا تَلُؤُوا عَلَى خَضَرَاءِ الدَّمَنِ .

° ° °

استنَّ استنان الجواد : جرى كما يجرى الفرس ، وإنما يقال : استنَّ في كلامه
إذا جرى في غير طريق بتحريف ، ومنه قولهم : استنَّت الفصال حتى القرعى^(١) ،
يريدون جرت الفصال وهي تلعب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « فاستنَّت
شرفاً أو شرفين » . وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها في جهة :

بِسِنَّةٍ كاستنات الخرو فِوقَ قَطْعِ الحبلِ بالبرود^(٢)

أراد المهر ، ويقال له : خروف وفلوة ، وقد فسر «استنَّت الفصال» بأن معناه
أحسن رعيتهما ، حتى كأنه صقلها . والجواد : الفرس الكريم . المضمار : الطائق تجرى
فيه الخيل ، سمي مضماراً لأن الخيل تضر فيه ، وذلك أن العرب كانت تستن
الخيال فتستخرجها إلى المضمار ، فتجريها طلقاً قدر ما تحتمل ، ثم تزيد يوماً
آخر في الجري على ذلك ، ثم لا تزال تزيد في الطلق كل يوم ، حتى تجري بها
الأميال ، فيسيل عرق الخيل بذلك الجسري ، ويشتد لها بذلك التضمير
قال زهير :

تُضَمُّرُ بِالْأَصَائِلِ كُلِّ يَوْمٍ تُسَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا الْقُرُونُ^(٣)

القرن : دُفَع العرق ، واحداً قرن .

وقوله : «بدار بدار» ، أى سبقاً سبقاً ، وهو معدول عن بدر ، فيقول لابنه :

(١) مثل ، يصرب للرجل يفعل ما ليس له بأهل . جبهة الأمثال ١ : ١٠٨

(٢) اللسان - خرف ، ونسبه إلى رجل من بني الحارث .

(٣) ديوانه ١٨٧ .

أبدر بالجرى ، واسبق إلى الحمام . لم تَخَلْ : لم تحسب . غرّ : خدع . نرقبه ، أى
ننظر من أين يحىء ويروى : « نرقبه رقية أهلة الأعياد » .

وما أحسن قول ابن الرزاق فى هذه الرّقية :

وشهرٍ أدركنا لارتقاب هلاله	جفوناً إلى نحو السماء موائلاً ^(١)
إلى أن بدا أحوى المدامع أهورٌ	يجرّ لأذيال الشّباب غلائلاً
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً	بمن قد حوى طيب السّمول شمائلاً
أتطلبك الأبصار فى الجوّ ناقصاً	وأنت كذا تمشى على الأرض كاملاً

وله فى معناه :

لله شهرٌ ما نظرتُ هلاله	إلاّ كنونٍ أو كمطنة لام ^(٢)
حتى تبدى لى أغنٌ مهفّفٌ	بضياته ينجّابُ كلُّ ظلامٍ
فطفقت أهتف بالأنام ضلّتم	وغلّطتم فى عدّة الأيام
ما جاءنا شهرٌ لأول ليلة	مذ كانت الدنيا بيدر تمام

نستطاعه ، أى نلتبس طوعه . الطلائع : الباحثون عليه . والروّاد : العالِبون
له ، وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو ، والراصدون فى الطرقات ، الواحد
طليعة ، وأصل الروّاد الطالبون للرعى . هَرِم : شاخ ، ومعناه قارب أن يتمّ .
يتهار : ينهدم . والجُرُف : ما يأكله الوادى ، استعاره للنهار . لاحت : ظهرت .
والأطمار : الثياب الخالقة ، أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغبّر وبلى عند
الغروب ، وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات فى الشتاء وغروب الشمس

ومما يستغرب من ذلك قول العلوى الأصبهانى :

ومجالسٍ شربٍ جثّته متطارباً عشياً وعينُ الشمس فى الأفق تنعسُ

(١) ديوانه ٢٣٨

(٢) ديوانه ٢٥٨ .

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ جَنُوحَ الشَّمْسِ نَمَّ غُرُوبُهَا وَقَدْ جَعَلْتَ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمَرُضَ^(١)
تَخَاوَصُ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْتَقِ مِنْهَا النَّوْمُ وَهِيَ تَنْمُضُ
وقال أيضاً :

إِذَا رَمَعَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ وَتَفَضَّتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ وَرَسًا مُدْعَزَعًا^(٢)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لَتَقْضَى نَحْبَهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمْرِهَا فَتَشَعُّشَعًا^(٣)
وَلَا حَظَّتْ الْأَنْوَارُ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعْتَ خَدًّا عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعًا
كَمَا لَاحَظْتَ عَوَادَهُ عَيْنَ مَدَنٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
أخبرني ابن منصور ، قال : خرجتُ بخارج فاس عشية مع فتى وراق ، فنظر
إلى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم ، وأنشدني مرتجلاً :

انظر إلى الشمس في الأصيل كَأَنَّهَا وَجَنَّتَا عَلِيلِ
ورقَ هذا النسيم حتى كَأَنَّهَا يَشْتَكِي نَحُولِي

وقال ابن الزقاق :

وعشيه لِبِسْتُ مِلَاءَ شَقِيقِ تَزْهَى بِلَوْنِ اللَّخْدُودِ أَنْيَقِ^(٤)
أَبَقْتُ بِهَا الشَّمْسُ الْمَنِيرَةُ مِثْلَ مَا أَبْقَى الْحَيَاءُ بُوْجُنْتِي مَعْشُوقِ
لو أَسْتَطَاعَ شَرِبْتُهَا كَلْفًا بِهَا وَعَدَلْتُ فِيهَا عَنْ كَثُوسِ رَحِيقِ

وقال ابن سراج :

والشمس تنفض زعفراناً بالربا وتبث مسكتها على الغيطان

(١) ديوان الماني ٣٦١

(٢) ديوان الماني ١ : ٣٦١ ، ومذعنفاً : مفرقا .

(٣) شول باقي عمرها ، أي لم يبق منه إلا القليل .

(٤) ديوانه ٣٠٦ وفيه : « لبست رداء شقيق »

وما أحسن قول الرصافي في معناه :

وعشى أنسٍ للسرور وقد بداً من دون قرص الشمس ما يتوقع ^(١)
سقطت ولم تملك يمينك ردّها فوددت يا موسى لو أنك يوشع

وقال ابن الرومي في طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة :

تربك بياض غرّتها ووجهاً كقرن الشمس أغرق ثم زالاً
أصاب خصاصةً فبدا كليلاً كلاً وافلاً سائرته انقللاً
قوله : « بدا كليلاً » إشارة إلى أنه عندما بدا غاب بسرعة ، وأذكر « كلاً »
في المقامة التاسعة والثلاثين .

وقال ابن المعتز في نحوه :

تظلل الشمسُ ترمقنا بلحظٍ مريضٍ مدنفٍ من خلفٍ سترٍ ^(٢)
تحاول فتق غيمٍ وهو يابئ ^(٣) كعنّينٍ يريدُ نكاحٍ بكرٍ

قوله : « تناهينا » ، أي بلغنا النهاية . والمهلة : التراخي ، يقول : قد تراخينا في
انتظاره حتى بلغنا الغاية في ذلك . « تمادينا في الرحلة » ، هذا على حذف مضاف للعلم
به ، تقديره : تمادينا في ترك الرحلة وانتظارها ، ومثل هذا الحذف جائز في النظم
والنثر وأنشد أبو علي :

أنا النذيرُ لكم منيَّ مجاهرةً كي لا ألامَ على نهبي وإنذارِي
أي على تركي النهي والإنذار ، وقال آخر :
وأهلك مهراً أهلك الدّوا ليس له من طعامٍ نصيبِ

(١) ديوانه ١٠٤ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) ديوان المعاني ١ : ٣٦٠ ، وفيه : « بلحظ خفي » .

(٣) ط : « فتق غيم » ، وما أثبتته من ديوان المعاني .

أى فقد الدواء ، وجاء فى القرآن ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾^(١) أى أهل القرية ، و﴿ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ ﴾^(٢) ، أى من أهل قريتك ، ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام النصيح ، بما لا يتم المعنى إلا بتقديره ؛ فالذى غا ط الحريرى فقال : لو تمادت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل ، قد جهل الكلام النصيح فأراد : طالت بنا هذه السفرة . وتمادى الشيء فهو متمادٍ ، إذا طال فيه المدى ، وهو الغاية البعيدة . يقول : تأخرنا عن السفر اليوم لتمادينا فى انتظاره ، فطالت علينا السفرة لمظلة السفر ، حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسا فر فيه . والزمان : اليوم . بان : تبين . مان : كذب ؛ يقال منه : مان يمين مينا ، وأما مانهُ يَمُونُهُ مَوْنًا ، فقام بثبوته . قوله : « فتأهبوا » ، استعدوا . الظعن : الرحيل . ولا تلوؤوا : تعرجوا . خضراء الدمن : عشب المزابل ، هى حسنة المنظر سيئة الخبر ، وإذا يبست لم يندفع بمودها لخوره وضعفه ، فشبّه بها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحته ، وسوء باطنه فى كذبه وإخلاف وعده ، حتى عطلهم عن سفرهم نهاراً فى انتظاره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن ، خفيل له : وما خضراء الدمن ؟ فقال : « الجارية الحسناء فى المنبت السوء » .

وَنَهَضْتُ لِأَخْرِجَ رَا حِلَّتِي ، وَأَتَعَمَّلَ لِرِخْلَتِي ، فَوَجَدْتُ
أَبَا زَيْدٍ قَدْ كَتَبَ ، عَلَى الْقَتَبِ :

يَا مَنْ غَدَا إِلَى سَاعِدَا
وَمُسَاعِدَا دُونَ الْبَشَرِ
لَا تَحْسِبَنَّ أَنِّي نَائِبُ
كَ عَنْ مَلَالٍ أَوْ أَشْرِ
لَكِنِّي مُذْ لَمْ أَزَلْ
مِمَّنْ إِذَا طَعِمَ انْتَشَرَ

قَالَ : فَأَقْرَأْتُ الْجَمَاعَةَ الْقَتْبَ ، لِيَعْلَمُوا مَنْ كَانَ عَتَبَ .
فَأَعْجِبُوا بِخُرَافَتِهِ ، وَتَعَوَّذُوا مِنْ آفَتِهِ .
ثُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا ، وَلَمْ نَذِرْ مِنْ اعْتِاضِ عَنَّا .

• • •

قوله : «أحدج» : أى اجعل عليها الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء ،
وأراد أرحل الناقة . وراحلته : ناقته . أتحمل لرحلتى ، أو قرحلى للرحيل ،
يقال : تحمّل القوم ، إذا عبّوا أحماهم وارتحلوا . والقتب : خشب الرّحل . قوله :
«ساعدا» ، أى ذراعا يستعين به . مساعدا : موافقا . نأيتك : بعدت عنك . أشر :
بطر وعدم شكر ، يقال : أشر الرجل بأشْرٍ أشراً ، إذا بطر ، قال الأخطل
يذكر بنى أمية :

أَعْطَاكُمْ اللَّهُ جَدًّا تُنْصَرُونَ بِهِ لَا جَدَّ إِلَّا صَفِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرٌ^(١)
لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشْرُوا
قوله : «مذ لم أزل» ، أى مذ بنت ووجدت : انتشر : ذهب . عتب : لام ،
وسخط فعله . خرافته : حديثه الملهى .

[حديث خرافة]

وحديث خرافة^(٢) مثل سائر على ألسنة الناس فى القديم والحديث ، يضرب
لكلّ حديث لا حقيقة له . ووقع فى أمثال الفضل بسند يصل إلى عائشة رضى الله
عنها ، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : حدثنى حديث خرافة ، فقال : رحم الله
خرافة ، كان رجلاً صالحاً ، فأخبرنى أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجن

(١) ديوانه ١٠٤ ، وقبه : أعطاهم الله .

(٢) انظر البغاني ١ : ١٣١ ، لقاخر ١٦٨ ، اللسان ١٠ : ٢١٤ .

فسبوه ، فقال أحدهم : نغفو عنه ، وقال آخر نقتله ، وقال آخر : نستعبده ، فبينما هم يتشاورون في أمره ، إذ ورد عليهم رجل ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ، قال : وما أنتم ؟ قالوا : نفر من الجن ، أسرنا هذا فنحن نأتمر في أمره ، فقال : إن حدثتكم حديثاً عجيباً ، أتشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : إني كنتُ ذا نعمة فزالت ، ورَكِبَني دَينٌ ، فخرجت هارباً ، فأصابني عطش شديد ، فسرت إلى بئر فنزلت لأشرب ، فصاح بي صائح من البئر : مه ! فخرجت منها ولم أشرب ، فغلبني العطش ، فعدت ، فصاح بي ، ثم عدت الثالثة فشربت ، ولم ألثفت إليه . فقال : اللهم إن كان رجلاً فحوِّله امرأة ، وإن كان امرأة فحوِّلها رجلاً . فإذا أنا امرأة ، فأتيت مدينة فتزوجني رجل ، فولدت منه ولدين ، ثم عدتُ إلى بلدي ، فمررت بالبئر التي شربت منها ، فنزلت فصاح بي كما صاح في الأول ، فشربت . ولم ألثفت له ، فدعا كالأول ، فعدتُ رجلاً كما كنت . فأتيت بلدي ، فتزوجت امرأة ، فولدت منها ولدين ، فلي ابنان من ظهري وابنَان من بطني . فقالوا : إن هذا لعجيب ، أنت شريكنا ، فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم ثور يطير فلماً جاوزهم ، إذا رجل بيده خشبة ، وهو يحفر في إثره ، فوقف عليهم فلم ، فردوا ، وسألهم ، فردوا عليه مثل ردِّهم على صاحبهم ؛ فقال : إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أتشركونني فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : كان لي عم ، وكان موسراً ، وكانت له ابنة جميلة ، وكنا سبعة إخوة ، وكان لعمي عجلٌ يربيّه ، فأنفقت ، فقال : أتيكم يردّه فابنتي له ؛ فأخذت خشبتي هذه ، واتزرت ، ثم حفزت في إثره وأنا غلام ، وقد شبت ، فلا أنا أخقه ولا هو بكل ؛ فقالوا : إن هذا لعجب ، أقعد نأنت شريكنا . فبينما هم يتشاورون ، إذ ورد عليهم رجل على فرس أثني . وخلفه غلام على فرس ذكر ، فلم كما سلم صاحبه فردوا عليه كردِّهم على صاحبيه . فسألهم فأخبروه الخبر ، فقال لهم : إن حدثتكم بحديث أغرب من هذا ، أتشركونني فيه ؟ فقالوا : نعم ، قال : كانت لي أمٌ خبيثة . ثم قال للفرس الأثني الذي تحته : أ كذالك هو ؟

فَقَالَتْ : بِرَأْسِهَا نَعَمْ — قَالَ : وَكَنْتُ أَتَمَرُّمُهَا بِهَذَا الْعَبْدِ — وَأَشَارَ إِلَى الْفَرَسِ ،
الَّذِي تَحْتَ غِلَامِهِ : أَهْكَذَا ؟ فَقَالَ بِرَأْسِهِ : نَعَمْ — فَوَجَّهَتْ يَغْلَامِي هَذَا الرَّا كِبِ
ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ حَاجَاتِي ، فَخَبَسَ ، دَمَدَهَا فَأَغْنَى ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهَا صَاحَتِ
صَيْحَةً ، فَإِذَا هِيَ بِمَجْرَدٍ قَدْ خَرَجَ ، فَقَالَتْ : اسْجُدْ ، فَسَجَدَ ، ثُمَّ قَالَتْ : اكَرْبِ
فَكَرَبَ^(١) ، ثُمَّ قَالَتْ : اُدْرِسْ فِدْرَسْ ، ثُمَّ دَعَمَتْ بِرَحًا فَطَطَحَتْ قَدَحَ سَوِيقٍ ،
فَأَتَتْ بِهِ الْغِلَامَ ، فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ بِهَ مَوْلَاكَ ، فَأَتَانِي بِهِ ، فَاحْتَلْتُ عَلَيْهِمَا حَتَّى سَقَيْتَهُمَا
الْقَدَحَ ، فَإِذَا هِيَ فَرَسٌ أَتْنَى ، وَإِذَا هُوَ فَرَسٌ ذَكَرٌ ، قَالَ : أَمْ كَذَلِكَ ؟ قَالَتْ الْفَرَسُ
الْأَتْنَى بِرَأْسِهَا : نَعَمْ ، وَقَالَ الْفَرَسُ الذَّكَرُ بِرَأْسِهِ : نَعَمْ ، فَقَالُوا إِنَّ هَذَا أَعْجَبُ
شَيْءٍ سَمِعْنَاهُ ، أَنْتَ شَرِيكُنَا . فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ فَأَعْتَقُوا خُرَافَةَ فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، فَمَا جَاءَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَحَالَّةِ نُسِبَ إِلَى خُرَافَةِ
صَاحِبِ الْحَدِيثِ .

* * *

قوله : « آفته » أى ضرره . ظعننا : رحلنا . اعتاض : استبدل .

(١) الفاخر : واحد الخمد .

المقامة الخامسة وهي الكوفية

حكى الحارث بن همام قال : سَمَرْتُ بِالْكُوفَةِ فِي آيَلَةٍ أُدْعِمَهَا ذُو
لَوْنَيْنِ ، وَقَمَرُهَا كَتَمُويدٍ مِنْ لَجْنَيْنِ ، مَعَ رُقَّةٍ غَدَّوَا بِلَبَّانِ الْبَيَّانِ ،
وَسَحَبُوا عَلَى سَحْبَانِ ذَيْلِ النَّسْيَانِ ، مَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ يُحَفِّظُ عَنْهُ
وَلَا يُتَحَفِّظُ مِنْهُ ، وَيَمِيلُ الرِّفِيقُ إِلَيْهِ ، وَلَا يَمِيلُ عَنْهُ ، فَاسْتَهْوَانَا
السَّمَرُ ، إِلَى أَنْ غَرَبَ الْقَمَرُ ، وَغَلَبَ السَّهَرُ . فَلَمَّا رَوَّقَ
الْأَيْلُ الْبَهِيمُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّهْوِيمُ ، سَمِعْنَا مِنَ الْبَابِ
نَبَأَةً مُسْتَنْبِعَ ، ثُمَّ تَلَّهَا صَكَّةٌ مُسْتَفْتِحَ ، فَقُلْنَا : مَنْ الْمَلِمْ ،
فِي الْأَيْلِ الْمُدَلِّمِ ؟ فَقَالَ :

• • •

[الكوفة]

سَمَرْتُ بِالْكُوفَةِ . الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون
فرسخاً ، وسميت كوفة لاستدارتها ، أخذت من الكوفان ، وهي الرملة الشديدة
البياض ، وقيل : سميت كوفة لاجتماع الناس فيها ، من قولهم : تكوَّف الرمل .
تكوَّفًا ، إِذَا رَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وقيل : سميت كوفة ، لأنها قُطِعَتْ مِنَ الْبِلَادِ ،
مِنْ قَوْلِهِمْ : أَمْحَطَيْتَ فَلَانًا كَيْفَةً ، أَيِ قِطْعَةٍ ، وَكَفَيْتَ أَكَيْفَ كَيْفًا : قُطِعْتَ .
وَالْكُوفَةُ « فُعْلَةٌ » مِنْهُ ، قُلِبَتِ الْيَاءُ وَآوَاءُ لِلضَّمَّةِ الَّتِي قَبْلَهَا .

وهي مدينة العراق الكبرى ، والمِصْرُ الأعظم وقبة الإسلام ، ودار هجرة
المسلمين ، وأوَّلُ مدينة اختطها المسلمون بالعراق .

وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير^(١) في رحلته حاجاً، أنه دخل الكوفة في أول محرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فقال: هي مدينة كبيرة، قد استولى الخراب على أكثرها، فالعمر منها أقل من الخراب، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، وهي لا تزال تضر بها، وكفاك بتعاقب الأيام والليالي ما حثاً ومنياً! وبنائها بالآجر خاصة، ولا سور لها. والجامع العتيق آخرها ممماً يلي شرق البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق. وهو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمس أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطتان مذمتان، وهي على أعمدة من السواري المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عايتها، وهي في نهاية من الطول متصلة بسقف المسجد، فتتأرجح العيون في تفاوت ارتفاعها، فما رُئي في الأرض مسجد أعلى سقفاً منه، ولا أطول أعمدة، ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت بإزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة، يقال إنه كان مُصَلَّى الخليل إبراهيم عليه السلام، وعليه ستر أسود صوناً له، ومنه يخرج الخليل لابساً ثياب السواد للخطبة، والناس يزدحمون على هذا البيت للصلاة فيه، وبمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب مخلق عليه بأعواد الساج، كأنه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط، هو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه ضرب به الشتمى عبدالرحمن بن ملجم، فالتاس يصلون فيه باكين داعين، وفي الزوابة من البلاط القبلي المتصل بآخر البلاط الغربي شبه مسجد صغير مخلق عليه أيضاً بأعواد الساج، وهو منار التنوير الذي كان آية نوح عليه السلام، ويتصل بالجدار القبلي قضاء، يقال إنه كان منشأ السنيمة.

ومع هذا القضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه - تلقينا هذه الآثار

(١) هو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي البسقي الرحالة، قام برحلته الأولى إلى المشرق من غرناطة سنة ٥٧٨، وعاد إلى وطنه سنة ٥٨١، ووصف مشاهدته في كتابه المعروف برحلة ابن جبير.

من أشياخ - البلد وفي الجهة الشرقية بيت قبر مسلمة بن عَقِيل ، وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض كبار ، وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشهير المنسوب لعلي بن أبي طالب حيث بركت ناقته ، وهو محمول عليها ميتاً ، وفيه قبره ، والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والفُرات في الجانب الشرقي على قدر نصف فرسخ . والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة تمتد سوادها امتداد البصر^(١) .



قوله : « سمحت » أي ذهب نومي . الأديم : الجلد ، وأراد أن لون الليله فيه سواد وبياض ، لأن قرها ناقص ، ولذلك جعله . كتمويد من لجين ؛ وهو خرز فضة ، يُستعمل مستديراً استدارة القمر ، وبعض الدائرة ، فارغ فيربط في الدائرة خيط ، فيعلق في أعناق الصبيان .

[مما ورد في الهلال من الشعر]

وقال فيه الكرادى :

قُمْ سَلِّ هَمِّي بِالْمَدَا م قفيه هم قد أمضه
أَوْ مَا تَرَى قمر التما كأنه تعويد فضة
فإذا ألمَّ به الحما في تخالؤه في الخلد عضة

وهي معنى البيت الآخر ، قال إسماعيل القاضي يصف الهلال :

اسفني قبل صاحبي واخش صرْفِ النوائبِ
فالهلال الذي يلو حُ خلال الفياهيرِ

(١) رحلة ابن جبير ١٨٩ ، ١٩٠ .

مثل فتح اللجين صيد مع لصيد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب :

لما رأيت الهلال مُنْطَوِباً في غرة النجر قارن الزُّهره
شبهته والعيانُ يشهد لي بصولجان أوفى لضربِ كُره

وقال القاضي أبو الحسين بن لبّال :

انظر إلى الهلال إذ لاح بهي المنظر
كزورقٍ من فضة وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز :

أهلاً بفطرٍ قد أثار هلاً لأن فاعدُ إلى المدام وبسكر^(١)
وانظر إليه كزورقٍ قد أثقلت من عترة من عنبر

وله أيضاً :

أهلاً وسهلاً بالثاي والمود وشرب كأس بكف مقدود
قد انقضت دولة الصيام وقد بشر مرأى الهلال بالعد
يتلو الثرباً كفاغري شره يفتح فاه لأكل عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر ، فأحسن حيث يقول :

وجاءني في قميص الليل مستتراً يستمجل الخطو من خوفٍ ومن حذر
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحه مثل القلامة قد دنت من الظفر

وأخذه من قول الأعرابي :

كَأَنَّ ابْنَ مَرْثَبَا جَانِحًا فَسَيْطٌ لَدَى الْأَفْقِ مِنْ خِنْصَرٍ^(١)

ابن مرنثبا : الهلال . السَيْط : قَلَامَةُ الظفر .

قوله : «غذوا» : أى ربوا به وجعل غداهم ؛ واللُّبَان اللّادِمِيَّات ، واللبن للآدميات وغيرهن . سَحَبُوا : جَرُّوا . سَحْبَان : فصيح العرب ، وانظره فى السادسة عشرة . ذيل النسان : طرفه ، يريد أنهم بفصاحتهم أنسوا ذكر سَحْبَان ، فكأنهم جَرُّوا عليه ثوب النسيان حتى غطّوه ، فلم يذكره أحدهم هؤلاء ، وأصل ذلك أن يُسحب ذيل الثوب على أثر لينخفى ، كقول امرئ القيس :

* تَعَى بِذَيْلِ الدَّرْعِ إِنْ جِثْتُ مُوْتَلًى *

وكقوله .

خَرَجْتُ بِهَا تَمْتَلِي مَجْرًا وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلُ مِرْطٍ مُرَحَّلٍ^(٢)

قوله : «يُحَنِّظُ» ، أى هم علماء يروون العلم فيحفظ عنهم . يُتَحَفَّظُ ، يُتَعَدَّرُ ، وأخذ هذا من قول سايان بن عبد الملك : قَدْ أَكَلْتُ الطَّيِّبَ ، وَلَبِستُ اللَّيْنَ ، وَرَكِبْتُ النَّارَ ، وَتَمَطَّأتُ الْعِدْرَاءَ . ولم يبق لى من لدنى إلا صديق أطرح فيما بينى وبينه مؤنه التحفظ . بهذا الذى طلبه سايان وجده الحريرى فى أصحابه ، وأصل التحفظ الاحتياط فى حفظ الشيء ، وله الغفلة فى الأمور ، كأنه على حذر ، وأنشد نعلب :

إِنِّى لِأَبْغِضَ عَاشِقًا مُتَحَفِّظًا لَمْ تَهْمِهِ أَعْيُنٌ وَقُلُوبٌ

(١) اللسان - نسط ، ونسبه لى عمرو بن قميئة وهو أيضا من ديوان المغانى ١ : ٣٣٩

(٢) ديوانه ١٤

(١٣ - شرح - قامات الحريرى ١)

قوله: «يميل الرفيق إليه» ، تقول : ملت إلى فلان، إذا أحببته وتقربت منه ،
وملت عنه، إذا كرهته وبعُدت عنه. والرفيق : الصاحب يُرتفق به في السفر. قوله :
«استهوانا» ، هوى بنا وشغلنا . والسَّمر : الحديث يُسمر عليه . وذكر الحريري
أن أصل السَّمر ظل القمر ، والسَّمر : الحديث ، ومنه أخذ السمر ، وغالب أحوال
السَّمار أنهم يتحدثون في ظل القمر - وذكر هذا في تفسير الرابعة والأربعين -
وهو الأصل ، ثم اتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سمرًا ، على أي
حال اتفق . روق : ضرب رواقه ، والرواق : الثوب يُستظل به من الشمس ، يريد
أن الليل صرب عليهم من ظلامه رواقًا فامحجب عنهم به القمر . والبهيم : الخالص
السواد ، والبهيم الخالص من كل لون . والتهويم : النوم بالليل ، والتغوير :
النوم في القائلة ، وقد هَوَّمت الرجل ، إذا أسقط الثعاس رأسه فأنه بسقوطه رفعه ،
تحقيقته سجود الرأس من العباس ، قال ذو الرمة في ذلك :

وأُشعثَ مثل السيف قد لأح جسمه وجيفُ المَهَارَى والهموم الأبعادُ^(١)
سقاءُ العباس كأسٌ سكر فرأسه^(٢) لدين الكرى في آخر الليل ساجدُ

ويقال : خفق رأسه فهو حافق ، قال ذو الرمة :

وخافقَ الرأس فوق الرُّحْلِ فلت له رُحٌّ بالزَّمام وحوُزُ الليل مرَّكُوم^(٣)

وقال الرصافي^(٤) فأحسن :

ومجدِّين للشرى قد تعاطوا غفوات الكرى بغير كنوس
جمَّحُوا وانجَحُوا على العيسِ حتَّى خنثهم يلثمون أيدي العيسِ
نبدوا الفمص وهو حلٌّ إلى أن وجدوه سُلافةً في الرعوس

(١) ديوانه ١٣٠ .

(٢) الديوان . وسقاء الكرى كأس العباس وما درى .

(٣) ديوانه ٥٧٩ . وزع بالزمام ، أي اعطى الناقة بالزمام .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي ، وأبيات في ديوانه ١٠٣ .

قوله : « نبأه » ، أى صوت . مُسْتَنْبِح : يحكى نباح الكلاب ، وكان
الرجل إذا تلف بالليل بالصحراء ولم يدر أين يتوجه ، حاكى بصوته نباح الكلب ،
فإن كان قريباً من العمران نَبَحَتْ أنبأحه كلاب الحى ، فسمع أصواتها ، فقصد الحى .
تَسْعَى العرب مَنْ يفعل هذا المستنبح . وأنشد أبو على فى نوادره :

ومستنبح بات الصدى يستقيبه فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر^(١)
رمت له ناراً تقوباً زنادها تليح إلى السارى : هلم إلى قدرى

وفال حسان بن مائل :

ومستنبح فى جنح ليل دعوته بمشوبة فى رأس صمدٍ مقابل
فقلت له أقبل ، فإنك راشدٌ وإن على النار الندى وابن مائل
وقد أنشد أبو تمام فى حماسه فى باب الأضياف فى المستنبح ما فيه كفاية ؛
فليُنظر هنالك .

قوله : « تلها » ، أى تيمتها . صكّة : دفعة . مستفتح : طالب فتح الباب .
الملم : الزائر : المدهم : الشديد السواد ، من الدهمة ، ولامه زائدة .

يا أهل ذا المَغْنَى وَفَيْتُمْ شَرًّا وَلَا أَقِيْتُمْ مَا بَرَّيْتُمْ ضُرًّا
خَذْ دَفْعَ اللَّيْلِ الَّذِي كَفَرْنَا إِلَى ذَرَاكُم شَمًا مُغْبَرًّا
أَخَا سِفَارٍ طَالَ وَاسْبَطَرًا حَتَّى انْتَنَى مُحَقَّقًا مُصْفَرًّا
مِثْلَ هِلَالِ الْأُفُقِ حِينَ افْتَرَّا وَقَدْ عَرَا فَنَاءُكُمْ مُعْتَرًّا
وَأَمَّكُمْ دُونَ الْأَنَامِ طَرًّا يَبْنِي قَرَى مِنْكُمْ وَمُسْتَقَرًّا

(١) أمالى القالى ١ : ٢١٠ ، ونسب أبو عبيد البكرى فى اللآلى هذا الشعر إلى رجل
من بني الحارث بن كعب . وجوز الليل : وسطه ، وكسر البيت : جانبه .

فَدُونَكُمْ ضَيْفًا نَمُوعًا حُرًّا يَرْضَى بِنَا اِخْلَوْلَى وَمَا أَمَرَّا
وَيَنْشِينِي عَنْكُمْ يَنْتِ الْبِرَّا

• • •

المعنى : لننزل . وقيم : كفيتم ، وإنا ندعاهم بهذا ، لأن في حديث أبي سعيد
الخُدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يوشك قلوبُ
الناس أن تملأ شرًّا حتى يجري الشرُّ فصلاً بين الناس فلا يجد قلباً يدخله » .
الكهز : تراكم ظلامه وكثر . ذرأكم : منزلكم وكنكم ، وكلُّ ما استقرت
به من ريح أو مطر أو شمس فهو ذرأ . شعناً : متغير الشعر ، والشعث : ترك غسل
الرأس حتى يتغير . مغبراً : عليه الغبار ، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وسخ ثيابه ، فقال : « أما وجد هذا
ما ينقى به ثيابه ! » . ورأى رجلاً شعث الرأس ، فقال : « أما وجد هذا ما يسكن به
شعره ! » . أخا سفار : صاحب أسفار ، أي ملازم لها . اسبطر : امتد وطال شعره .
انثنى : رجع وءاد . محقوقاً : منحنياً . الأبق : ناحية السماء . افتتر : انتحط أطرافه
ولم يتقارب ، كأنه فرَّ هذا من هذا ، ومنه فررت الدابة ، وافتتر : ضحك ، وشبهه
المخناؤه من السفر بدائرة التمر الناقص ، وأكثر ما يقعون هذا التشبيه على
الانحناء من الكبر ، قال الشاعر :

نقوس بعد مَرَّ العُمر ظهري وداستني الآبالي أي دَوسِ
فأمشي والعصا تهوي أمامي كأن قوامها وترٌ لقوسي
وقال ابن لُبَّال :

قوس ظهري المشيب والكبيرُ والذهر باعمرُ وكُلُّهُ عَبرُ
كأنتي والعصا تدب معي قوسُها وهي في يدي وترٌ

قوله : « عَرَا » : قصد . فناءكم : منزلكم ، وفناء الدار : ما أحاط بها من الأرض فحمتها . معترا : قاصدا للطلب معروفكم ، أممكم : قصدكم . طرا : أجمع . يبنى قرى : يطلب طعاما . احلولى : اشتدت حلاوته . بذت : يفضى وينشر . البر : الإحسان .

قال الحارث بن همام : فلما خَلَبْنَا بِعُدُوبَةٍ نُطْقِهِ ، وَعَلِمْنَا مَا وَرَاءَ بَرْقِهِ ، ابْتَدَرْنَا فَتَحَ الْبَابِ ، وَتَلَقَيْنَاهُ بِالْتَّرْحَابِ ، وَقُلْنَا لِلْغُلَامِ : هَيَّا هَيَّا ، وَهَلُمُّ مَا تَهَيَّا .

فقال الضيف : وَالَّذِي أَحَلَّنِي ذَارَكُم ، لَا تَلَمَّظْتُ بِقِرَاكُم ، أَوْ تَضَمُّوْا لِي إِلَّا تَتَّخِذُونِي كَلًّا ! وَلَا تَجْشُمُوا لِأَجْلِي أَكَلًّا ؛ فَرُبَّ أَكَلَةٍ هَاضَتِ الْإِكْلَ ، وَحَرَمَتْهُ مَا كَلَّ ، وَشَرُّ الْأَضْيَافِ مَنْ سَامَ التَّكْلِيفِ ، وَآذَى الْمُضِيفِ ، خُسُومًا أَذَى يَتَلَقَّى بِالْأَجْسَامِ ، وَيُفْضِي إِلَى الْأَسْقَامِ ، وَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي سَارَ سَائِرُهُ : « خَيْرُ الْعَشَاءِ سَوَافِرُهُ » ، إِلَّا لِيُعْجَلَ النَّعْشُ ، وَيُجْتَنَبَ أَكْلُ اللَّيْلِ الَّذِي يُنْعِشِي ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَقْدَرَ نَارُ الْجُوعِ ، وَتَحُولَ دُونَ الْهُجُوعِ .

قوله : « خَلَبْنَا » ، أى خدعنا . علمنا ما وراء برقه ، يريد أن ما أبدى لهم من الكلام الفصيح دلهم على ما عنده من العلم ، كما أن البرق إذا ظهر ولمع علم ما وراءه من المطر . ابتدنا : استبقنا ، الترحاب : من قولهم . مرحبا مرحبا . هيا هيا ، أى سق . هلم ما تهيا ، أى أحضر ما تيسر . لا تلمظت بقراكم : لا تذوقت بطعامكم ،

وأصل التلغظ تتبع اللسان ما بقى من الطعام في الفم بعد الأكل . كغلا : ثقيلاً ،
وفلان كَلَّ على أهله ، إذا لم يكن لهم مؤنة نفسه ، والسكل : الإعياء ، وجمعه كلول ،
وعلى فلان كلٌّ كثير ، قال النابغة الجعدي :

رأيتُ بني سعدٍ كانوا ككثيرةً شهيدٌ بذاك ابنُ حمادٍ بنِ أحمر^(١)

تجشّموا : تكاثفوا . أكلّا : طعاماً ، والأكلة : الغداء والعشاء ، والأصل
في هذا أن الأكل بالفتح ، مصدر أكل ، وبالضمّ ما أكل ، والأكلة بالفتح :
المرّة الواحدة ، وبالضم اللقمة ، وبالكسر هيئة الأكل . هاضت : أضعفت ،
وأدخلت عليه هيضةً ، وهي القيء والإسهال ، وأصل المثل : رب أكلة تمنع
أكلات ؛ وقال ابن هرمة :

ورُبّت أكلةٍ منمت أخاها بلذّة ساعةٍ أكالاتٍ دهرٍ
وكم من طالبٍ يُشقى بشيء وفيه هلاكه لو كان بدري

والماكل : جمع ماكلة أو ماكل ، وهي الأكل ، وهي أيضاً ما يؤكل .
سامّ التكليف ، أي عرّض مضيفه إلى تكلف ما يشقّ عليه . والأذى : الضرر ،
والمضيف : صاحب المنزل . يفضي : يشول . سار سائره : انتشر التحدث به .
ومشى في الناس . خير العشاء سوافره ؛ بواكره ، أي مأكل منه بضوء النهار ،
واحدها سافرة ، والسافرة : المرأة التي سَفَرَتْ نقابها عن وجهها ، أي كشفتها ؛
فكأن اللقمة إذا أبصرتها عند أكلها قد سَفَرَتْ الظلام عن نفسها ، وتُجمع على
سوافر على هذا المعنى ، حكى أبو بكر بن شعبان النحوي ، قال : دخلت على
محمد اليزيدي وهو يتغدي ، فقال : يا أبا بكر ، خير الغداء بواكره ، فخير العشاء .
ماذا ؟ فقلت : لا أدري ، فقال : دخلت على حسين بن الخادم ، وهو يتغدي فقال :

يا أبا سليمان ، خير الغداء بواكره ، نخير العشاء ماذا ؟ فقلت : لا أدري ، فقال :
كنت بحضرة الرشيد وهو يتغذى ، فدخل الأصمعي ، فقال : يا أصمعي ، خير
الغداء بواكره ، نخير العشاء ماذا ؟ فقال : بواصره ، يعني ما يبصر من الطعام قبل
الظلام . وحكى أبو يعقوب في الغداء التأخير . فقال : قال الحكيم - وقيل هو لعل
ابن أبي طالب رضى الله عنه - من سره البقاء ولا بقاء . فليبكر الغداء ، وليباكر
العشاء ، وليخفف الرداء - يريد قتل الدين .

التمشي : أكل العشاء ، وهو ما يؤكل بالعشي . يعيش : يورث العشاء ،
وهو سواد البصر ليلا ، قال ابن دريد :

وأرى العشاء في العين أكثر ما يكون من العشاء^(١)
أراد من تأخير العشاء ، لأن أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر
من غيره ، وقال كشاجم :

ونديم مخالف لا يشاء الذي أشأ^(٢)
هو في الصبح لي أخ وعدو إذا انشأ
اقتربت العشاء يو ما عليه نأذهأ
ساعة ثم قال لي : العشاء يورث العشاء

كأن هذا التطيب أخذه كشاجم من قول [ضيف] صاحب بن عباد ، قال
الصاحب : ما أفحمني أحد كأبي الحسن البديهي ، فإنه كان عندي ، قدّمت إليه
فاكهة ، فأمن في الشمس ، فقلت : الشمس يلطخ المعدة ، فقال : لا يعجبني المضيف

(١) ديوانه ٣٠ . والمعنى المقصود داء في العين ، والمدود الأكل عشيا .

(٢) ديوانه ١٠٦ .

إذا تطَّيَّب ، فودِدْتُ أني لم أقلها .

وورد النهي عن ترك العشاء في حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدعوا العشاء ، ولو بكف من حَشَفٍ ^(١) ، وإن تركه مَهْرَمَةٌ » .

وقوله : « تحول دين الهجوع » ، أي تمتنع من النوم ، وجاء في الحديث النهي عن التكلف ، قال سفيان : ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان ، فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلمت لكم ، ثم جاء بخبز وماء ، فقال صاحبي : لو كان في ملحنا صفة تر ! فبعث سلمان مطهرته ^(٢) ، فأرهنها ^(٣) ، فجاء بصمتر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذي أقنعنا بما رزقنا ، فقال سلمان : لو قنعت لم تكن مطهرتي مرهونة ! وجاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الإدام الخل » ، وكفى بالمرء إنمًا أن يسخط ما قُرب إليه . الهجوع ، أي النوم .

قال : فَكَأَنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى إِرَادَتِنَا ، فَرَمَى عَنْ قَوْسٍ عَقِيدَتَنَا ، لَا جَرَمَ أَنَّا آنَسْنَاهُ بِالْإِزَامِ الشَّرْطِ ، وَأَثْنَيْنَا عَلَى خَلْقِهِ السَّبْطِ . وَلَمَّا أَحْضَرَ الْغُلَامُ مَارَاجَ ، وَأَذْكَى بَيْنَنَا السَّرَاجَ ، تَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لَيْسَ بِنَيْبِ الْوَارِدِ ، بَلِ الْمُنْعَمُ الْبَارِدُ ! فَإِنْ يَكُنْ أَفْلَ قَمَرِ الشُّعْرَى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ الشُّعْرِ ، أَوْ اسْتَسَرَّ بِذُرِّ النَّثْرِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بِذُرِّ النَّثْرِ . فَسَرَتْ حُمَيَّا الْمَسْرَةِ فِيهِمْ ، وَطَارَتْ السَّنَةُ عَنْ مَا فِيهِمْ ، وَرَفَضُوا الدَّعَةَ الَّتِي كَانُوا نَوَّهَافَا ،

(١) الحشف : ردىء النمر . (٢) المطهرة : إماء يتطهر به .

(٣) أرهنها : جعلها رهنا .

وَنَابُوا إِلَى نَشْرِ الْفَكَاةِ بِرَدِّ مَا طَوَّوْهَا ؛ وَأَبُو زَيْدٍ مُكَبُّ عَلَى
إِهْمَالِ يَدَيْهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ ، قُلْتُ لَهُ : أَطَرَفْنَا بَغْرِيَّةً مِنْ
غَرَائِبِ اسْتَبَارِكَ ، أَوْ عَجِيَّةً مِنْ عَجَائِبِ اسْتَفَارِكَ . . .

• • •

قوله : « عقيدتنا » ؛ أى ما انعدت عليه ثباتنا ، ويقال : رميت عن القوس ،
ولا يقال : رميت بها ، إلا أن ترميها من يدك . لا جرم ، بمعنى حقا . ولا بد
ولا محالة . السَّبَط : السهل . راج : تيسر . أذكى : أوقد . السَّراج : المصباح .
تَأَمَّلْتُهُ : نظرت . لِيَهْنِكُمْ ، أى ليسرّكم . الوارد : القاصد . المنعم البارد : الهنى الذى
يُنْفِمْ دُونَ قِتَالٍ وَلَا تَعَبٍ . أَفَلْ : غاب . الشُّعْرَى : كوكب معروف ، وهما
شعريان : العبور والنميصاء ، سَمَّوْهَا عَبُورًا لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا عَبَرَتِ الْجُرَّةَ ،
وسموا الأخرى النَمِصَاءَ لِأَنَّهَا بَكَتْ عَلَى أُخْتِهَا حَتَّى غَمَصَتْ عَيْنَهَا . أى خفيت .
اسْتَسْرَّ : غاب وخفى . النَّثْرَةُ : ثلاثة أنجم مجتمعة . تَبَلَّجَ : ظهر وأضاء . النثر :
ضد النظم ، يقول : إن غاب قمر السماء الذى يتحدث بضوئه ، فهذا أبو زيد قمر
الفصاحة قد طامع ، فجدّوا حديثكم ودعوا النوم .

سَرَتْ : مشت . حميًا المسرّة : شدة السرور ، والحميًا : خلة الخمر وتسمى الخمر
الحميًا . الدَّيَّةُ : أخف من النوم . مَا قَبِيهِمْ : عيونهم ، والمأق : طرف العين من جهة
الأنف . : تركوا . الفكاهة : الحديث المظرف ، وأصلها المزاح ، ومنه قولهم :
لَا تَمَازِحَنَّ صَبِيًّا وَلَا تَفَاكِهَنَّ أُمَّةً ، قال ابن الأنباري : المعنى : لا تمازحن ، إلا أنه
استسمح إعادة اللفظ فأتى بلفظ فى مثل معناه ، يخالف للفظه . وتفاكهن ، مشتق
من الفكاهة ، وهى المزاح ، وقال طرانة :

وَإِنَّ امْرَأًا لَمْ يُعَفَّ يَوْمًا فِكَاةً لِمَنْ لَمْ يُرَدَّ سِوَاهَا لَجُوهول^(١)

ووصف أبو العيناء ابن أبي دؤاد ، فقال : له هزل يؤثّم به ، وجدّ بتقدم الجَدّ ،
وبين ذلك فكاهة تستملح ، ودعابه تُستظرف . ومزح ، مصادره ثلاثة : مزح
ومزاح وممازحة . اليزيدى : المزاح ، بالكسر لا غير . أبو عمرو : ما ذكره اليزيدى
مصدر ما زحت مزاحاً وممازحة .

قوله : « مكب » ، أى مائل الرأس . إعمال يديه : استعمالها بالأكل . واسترفع :
أمر برفعه ، ويروى « استفرغ » ، أى أتم . أطرفنا ، أى حدثنا بطرفة ، وهى الحديث .
الاستملح ، والطرفة عند العرب : الشئ . المحدث الذى لم يكن عرف ، وجاء فلان .
بطرفة وشئ . طريف . وهو مشتق من الطريف والطارف ، وهما المال المستحدث .
الذى جمعه الرجل واكتسبه . والتالد : ما ورثه عن الآباء ، قال الشاعر :

وأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ لغيرى وكان المأل بالأمس ماليا
أسمارك : جمع سمر ، وهو الحديث يُسمر عليه .

فقال : لَقَدْ بَلَوْتُ مِنَ الْمَجَانِبِ مَا لَمْ يَرَهُ الرَّاهُونَ ، وَلَا رَوَاهُ
الرَّاهُونَ ؛ وَإِنْ مِنْ أَعْجَبَهَا مَا عَايَنْتُهُ الْآيَةَ قُبِيلَ انْتِيَا بِكُمْ ، وَمَصِيرِي
إِلَى بَابِكُمْ ؛ فَاسْتَخْبِرْنَاهُ عَنْ طُرْفَةِ مَرَّاه ، فِي مَشْرِحِ مَسْرَاه ، فَقَالَ :
إِنْ مَرَّامِي الْغُرْبَةَ ، لَفَظْتَنِي إِلَى هَذِهِ الثَّرْبَةِ ، وَأَنَا ذُو مَجَاعَةٍ وَبُوسَى ،
وَجَرَّابِ كَفُودِ أُمِّ مُوسَى . فَهَضَمْتُ حِينَ سَجَا الدُّجَى ، عَلَى مَا بِي مِنَ
الْوَجَى ، لَأَرْتَادَ مُضِيغًا ، أَوْ أَقْتَادَ رَغِيغًا ، فَسَاقَنِي حَادِي السَّغَبِ ،
وَالْقَضَاءُ الْمَسْكَنِي أَبَا الْمَعْبَبِ ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِ ، فَقُلْتُ
عَلَى بَدَارِ :

قوله: «الم يره اراءون» ، أى الناظرون إليه ، وقوله : «ولارواه الراوون» -
 أى حفظه الحافظون . عاينته : شاهدهته ورأيته بعيني . انقيا بكم : قصدكم . مصيرى :-
 رجوعى . مرآه : رؤيته . مسرح : حيث يسرح ويمشى . مسراه : سيره بالليل .
 مراى : قواذف التربة : البلدة . مجاعة : جوع . بؤسى : ضرر . جراب : وعاء .
 الزاد . كفؤاد أم موسى ، أى فارغاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾ ^(١) .

[قصة موسى عليه السلام قبل مبعثه]

وسمى موسى لأنهم وجدوه بين ماء وشجر ، وهو بالقبطية هو الماء ، وشاة
 الشجر ، فمررت فجعلت الشين سيناً . وهو موسى بن عمران بن بصهر بن قاهث بن
 لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، ولم تزل بنو إسرائيل
 من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدي القراعنة ، وهم على بقايا من دين إبراهيم
 عليه السلام الم شروع له وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام ،
 حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام إليه ، ولم يكن منهم فرعون أعتى .
 على الله منه ولا أطول عمراً . وكان شديد الغاظة سبى الملكة . واسمه الوليد بن
 مصعب ، وكان اتخذ بنى إسرائيل خولاً ، فصنفت منهم بينون ، وصنفت يمحرون ،
 ومن لا عمل له وظف عليه الجزية ، فرأى فى منامه أن ناراً أقبلت من المقدس ،
 فأحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل ، فسأل عن رؤياه ، فقيل له : يخرج من هذا
 البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر ، فأمر بقتل
 كل مولود يولد فى بنى إسرائيل . فجمع القوابل وعهد إليهن بذلك ، فذبح الولدان
 وعذب الحبالى ، حتى يطرحن ما فى بطونهن ، حتى كاد يئس منهم ، فقيل له : إنهم خولك ،
 وإنك إن تفنهم ينقطع النسل . فأمر بقتل الفلمان عاماً ويستحون عاماً ، فولد هارون
 فى السنة التى يستحون فيها . وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها .

فلما وضعت أمه حزنّت لشأنه ، فأوحى الله إليها : أن أرضعيه ، فإذا خنت

عليه فآلقه في اليم - وهو النيل - ولا تخافى ولا تحزنى. فعملت تابوتا وجعلته فيه ، وألقته في اليم ، وقالت لأخته: قصيه ، أى اقتنى أثره ، فجعله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون ، فخرج جوارى فرعون يغتسلان ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية امرأة فرعون ، وهى بنت مزاحم ، إسرائيلية ، فكشفت عنه التابوت ، فرأته . فرحمته وأخذته ، وأخبرت به فرعون ، فأراد أن يذبحه ، وخشى أن يكون المولود الذى حذر منه ، فلم تزل به آسية حتى تركه لها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَالْتَمَطْهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(١) ، فاللام من ﴿ ليكون ﴾ للعاقبة ، ولم يكن لفرعون ولد ، فاتخذ له ولدا ، فارتادوا له الرضعات ، فلم يقبل ثدى واحدة منهن ، ولما غاب أمره عن أمه ، كاد قلبها يطير وجداً عليه ، فبعثت أخته كأنها تلمس رضاعه ، فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة - وذلك قوله تعالى . ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ - قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ فقالوا لها : دلينا على ذلك ، فذهبت فبجأت بأمه .

فلما رأته كادت لشدة حبها فيه ، ونرحها به أن تقول : هو ابنى ، وتفتضح ، فعصمها الله من ذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارغًا إِنْ كَادَتْ تُتْبِدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ ، فأعطته ثديها ، فأخذ يرضعه . فربته في قصر فرعون ، فلما تحررك عرضته آسية على فرعون ، فلما أخذه مذموسى يده إلى لحيته فنتفها ، فقال فرعون : على بالذباحين ، وإنما هو هذا ! فقالت آسية : قرّة عين لي ولك ، لا تقتلوه فإنه صبي لا يعقل ، ودعت له بجمر وياقوت لتختبره ، فطرح جبريل عليه السلام يده في النار وأخذ قطعة منها ، فوضعها موسى عليه السلام في فيه ، فأحرقتة . فتركه فرعون ، فكبر في حجره . فلما ترعرع تبنّاه ، فكان يركب مراكبه ويابس ملابسه ، ويدعى ابن فرعون .

(٢) سورة القصص ١٢ .

(١) سورة القصص ٨ .

(٣) سورة القصص ١٠ .

ثم إن موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب ، فركب أثره ، فأدركه ببلد منف ، فدخاها وقد أحليت فرعون وليس في طرقها أحد ، فرأى إسرائيليا مع قبطي يقتتلان ، فاستغاثه الإسرائيلي ، فوكر القبطي فقضى عليه ، فسكان من قصته معهما ما قص الله تعالى في كتابه ، حتى خرج خائفا يترقب إلى مدين .
وأما رجوعه منها إلى فرعون بأنه رسول الله إلى أن غرق فرعون في البحر وجنوده ، فذكر في الثامنة عشرة .

قوله : « نهضت » ، أي مشيت . سجا الدجى : سكن بالظلام وغطى كل شيء . الوجى : الحفا . أرتاد : أطلب . مضيقاً : منزلاً ، وأضافه : أنزله . وأضافه : نزل به فهو ضيقه ، أي النازل به . أقتاد : أقود . حادى السبب : سائق الجوع .

* * *

وَعِشْتُمْ فِي خَفَضِ عَيْشٍ خَضِلٍ	حَيَّتُمْ يَا أَهْلَ هَذَا الْمَنْزِلِ
نِصْرٍ سُرْمِي خَابِطٍ لَيْلٍ أَيْلٍ	مَا عِنْدَكُمْ لَا بِنِ سَبِيلٍ مُرْمِلٍ
مَا ذَاقَ مُذْيُومَانِ طَعْمَ الْمَاكِلِ	جَوَى الْخَنَى عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلٍ
وَقَدْ دَجَا جُنْحُ الظَّلَامِ الْمَسِيلِ	وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَتَوَلٍ
قَهْلٍ بِهَذَا الرَّبْعِ عَذْبُ الْمَنْهَلِ	وَهُوَ مِنَ الْخَيْرَةِ فِي تَمَلُّلٍ
وَأَبْشِرْ بِبَشَرٍ وَقَرَى مُعْجَلٍ	يَقُولُ لِي : أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ

حَيَّتُمْ : طابت حياتكم ، والتحية البقاء . خفض : لين وخفض عيشه خفضاً ، إذا أخصب . خضل : ناعم ، وخضل الشيء : يخضل خضلاً : ابتل . ابن سبيل : خاطر طريق ، وهو القريب ، وسمى القريب ابن السبيل ، لأنه إذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له نسب إلا السبيل الذي جاء منه . ومرمِل : لا زاد له ، وأرمل القوم : نفى زادهم

ومن أبيات اللفز في ابن السبيل :

وَنَحْنُ ابْنُ مَنْ لَا يَنْكِرُ النَّاسَ فَضْلَهُ وليس له في الناس من طالبٍ وثرا
فَإِنْ تَحَنَّنُوا فِينَا أَبَانَا فَحَمَّنَا رَعَيْنَهُمْ وَإِلَّا أَوْقَدَتْ نَارَكُمْ شَرًّا

أى سيئتم في كل مكان ، كما قال الآخر :

وَأَنْتَ الَّذِي شَيَّيْتَنِي قَبْلَ شَيْبَتِي وأوقدت لى نارا بكل مكانٍ

ومنها أيضاً :

وَأَحْيَانًا يَكُونُ كَبِيرٌ سَنِيٌّ وأحياناً يكونُ من الشَّبابِ
وَمَنْسُوبٌ إِلَى مَنْ لَمْ يَلِدْهُ كَذَاكَ اللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْكِتَابِ

قوله : «نضو شري» ، أى هزيل من مشى الليل في الأسفار ، وابطل ليل :
الذى يمشى فيه على غير هداية . أليل : شديد السواد . جوى الحشى : فاسد
الجوف من الجوع ، وهو الطوى . مشتمل : منضم ، أى قد انظم جوفه على
الجوع ، فسدت أحشائه . موئل : ملجأ ، من وألت إلى كذا ، أى لجأت . دجا :
ألبس . جنح : سواد : المسيل . المطبق . تملل : تقأب وتوجع . والرَّبع : المنزل ،
والمهبل : موضع الماء .

ويقال : ألقى عصاه ، إذا ترك السير وأقام ، وروى الأصمعي عن بعض البصريين
أنه قال : سُميت العصا عصاً لأن اليد والأصابع تشتمل عليها ، وهو من قول العرب :
عصوتُ القومَ إذا جمعتهم على خير أو شر ، ويقال : عُصِيَ بالسيفُ يعصى إذا
خُرب به كما يضرب بالعصا . بشر : طلاقة وجه .

قَالَ : فَبَرَزَ إِلَى جَوْدَرٍ ، عَلَيْهِ شَوْدَرٌ ، وَقَالَ :

وَحُرْمَةُ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ الْقِرَى وَأَسَّسَ الْمُحْجُوجَ فِي أُمِّ الْقِرَى
مَا عِنْدَنَا لِطَارِقٍ إِذَا عَرَى سِوَى الْحَدِيثِ وَالْمُنَآخِ فِي الذَّرَا
* فَمَا تَرَى فِيمَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى *

• • •

برز : خرج . جودر : ظبي ، وأصله ولد الغزالة . الشودر : ثوب قصير .

[إبراهيم عليه السلام]

والشيخ الذي سَنَّ الْقِرَى ، هو إبراهيم عليه السلام ، واختصه بلقب الشيخ لأنه أول من شاب ، ولما رأى الشيب ، قال : يارب ، ما هذا ؟ فأوحى الله إليه ، يا إبراهيم ، هذا وقار ، فقال : يارب زدني وقاراً . وشاب وهو ابن مائة وخمسين سنة ، وذلك أنه لما ولدت سارة إسحاق ، قال الكنعانيون : ألا تعجبون لهذا الشيخ والمعجوز وجداً غلاماً ، فتبنياه ! نصورت الله إسحاق على صورة إبراهيم عليهما السلام ، فلم يفصل بينهما ، فوشم الله إبراهيم بالشيب .

قوله : «سَنَّ» : ابتداءً ، وجعله سنةً ، وهو أول من صَيَّفَ الضيف ، وأطعم المساكين ، وقصَّ شاربه ، وقلم أظافره واستحدَّ واستاك ، وفرَّق شعره ، ومضمض واستنثر ، واستنجد بالماء . وأسَّسَ المحجوج ، أي بنى أساس البيت الحرام . وأم القري : مكة . والطارق : الآتي بالليل . والمناخ : موضع البروك . يقرى : يُضَيَّف . الكرى : النوم . يرى أعظمه ، أي أزال اللحم عنها . انبرى : اعترض .

[مما قيل في القري والأضياف]

وقال حبيب في أن أول من قرى الضيف إبراهيم عليه السلام :
للجودِ سهمٌ في المكارم والتقى لا ربه المكدي ولا المسهوم^(١)

(١) ديوانه ٣٠٠ ، والمكدي : الفقير ، والمسهوم : الضامر .

وبيان ذلك أن أول من قرى وحبا خليل الله إبراهيم
وقال أبو بحر صفوان بن إدريس في فتي اسمه إبراهيم ، وأبدع ما شاء
حيث قال :

أَسَمِيَّ مِنْ سَنِّ الْقِرَى رَفَقًا بِنِ	يَفْنَى عَلَيْكَ صَبَابَةً وَغَرَامًا
أَنَا ضَيْفُ حَسَنِكَ فَاصْطِنِفْنِي إِنَّهُ	ضَيْفُ الْهَوَى يَسْتَوْجِبُ الْإِكْرَامًا
لَمَّا نَظَرْتُ نَجْمَ خِيَالٍ بَدَتْ	فِي صَحْنٍ وَجَنَّتِكَ اسْتَفْدَتْ مُقَامًا
أَفْنَيْتَ جِسْمَ الصَّبِّ شَوْقًا مِثْلَمَا	أَفْنَى سَمِيِّكَ قَبْلَكَ الْأَصْنَامَا
يَا زَهْرَةً سَكَنْتُ فَوَادَى غَضَّةً	إِنِّي تَبَسُّوْأْتُ اللَّهَيْبَ كَمَا
حَتَّى كَأَنَّ الْحَبَّ قَالَ لِأَضْمَعِي :	يَا نَارُ كُنْ بَرْدًا لَهُ وَسَلَامًا

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار :

أَبَا قَاسِمٍ وَالْهَوَى جَنَّةٌ	وَإِنِّي مِنْ حَرِّهَا لَمْ أَفِقْ
تَمَحَّجَّتْ جَاوِحَ نَارِ الْحَشَى	وَحِضَّتْ بِحَارِ سَوَادِ الْحَدَقِ
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ وَكُنْتُ الْكَلِمَ	أَمَنْتُ الْجَوَى وَأَمَنْتُ الْفَرَقَ !

انظر إلى الأضياف الرابعة والأربعين .

فَقُلْتُ : مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلِ قَفَرٍ ، وَمَنْزِلِ حِلْفِ قَفَرٍ ! وَلَكِنْ
يَا فَتَى ، مَا اسْمُكَ ، فَقَدْ فَتَنَنِي قَهْمُكَ فَقَالَ : اسْمِي زَيْدٌ ، وَمَنْشِي قَيْدٌ ،
وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْمَدْرَةُ أَمْسٍ ، مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبَسٍ .

قوله : « بمنزل قفر » : كأن هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول :

نيس إغلاقي لبابى أنى لي فيه ما أخشى عليه السرقة
إنما أغلقتى كي لا يرى سوء حالى من يمر الطرقة
منزل أوطنه الفسر فلو يدخل السارق فيه سرقة

[نبذ وحكايات فى البؤس والحرمان]

إنما أخذ الحريرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى ، وكان من أهل الناح ،
فاستضافه أعرابى ، فقال : ما عندنا إلا الأسودان ، فقال الأعرابى : خير كثير ،
فقال : لعلك تظنهما التمر والماء ! والله ما هما إلا الليل والحرّة ، فلم يكن ليزيد دار
إلا الحرّة - وهى أرض سوداء فيها حجارة سود ، وهى مقبرة المدينة - والقبور
المجصصة تكون بالليل موحشة ، فما ظنك بقبور سود فى أرض سوداء فى ظلمة الليل !
كيف حال من يكون هذا قراه ! فبهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الأعرابى .
ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبى الشمقى - ويروى عن وهب
عابد قرطبة :

برزت من المنازل والقباب فلم يمسر على أحد حجابى
فمنزلى النضاء وسقف بيتى سماء الله أو قطع السحاب
وإنى لم أجد مصراع بيتى يكون من السحاب إلى التراب
ولا انشق الثرى عن عود نحتى أو مل أن أشد به ثيابى
ولا خفت الإباق على عبيدى ولا خفت الهلاك على دوابى
وفى ذا راحة وفراغ بال فدأب الدهر ذا أبدا ودابى

(١٤ - شرح مقامات الحريرى ١)

وقال آخر :

ولما التمت الرزق فأنجذ حبله
خطبت إلى الإعدام إحدى بناته^(١)
فأولدها الحرف الشقي فساله
فلو تهت في البداء والليل مبل^(٢)
ولو خفت شراً فاستترت بظله^(٢)
ولو جاد إنسان على بدرم
ولو يطر الناس الدنانير لم يكن
وإن يقترب ذنباً بيرة مذنب^(٢)
وإن أر خيراً في الأنام فنازع
أمامي من الحزمان جيش عرمرم

وقال آخر :

لو ركبت البحار صارت أجاجا
ولو أنى وضعت ياقوتة حم
ولو أنى وردت عذبا فراتا

وقال آخر :

لو وردت البحار أطلب ماء
أومست العود النضير بكفى
أورى باسمي النجوم الداررى
ولو أنى بعث القناديل يوماً
جف قبل الورود ماء البحار
لدوى بعد بهجة واخضرار
لا نزوى ضوءها عن الأبصار
أدغم الليل في ضياء النهار

(١) ط : «من الإعدام» ، وما أثبتته من ا ، ب .

(٢) ط : «بظلمة» .

وقال شواش :

كسدت شواشينا وَقَلَّ معاشُنَا فسعودُنا مقرونة بنحوسِ
فكأنما قُطِعت رءوس الناس أُولَئِكَ خُلِقُوا لَشَقَوْتِنَا بغير رءوسِ .
قيل لأبي الشمتق : أبشِرْ فإنَّا روينَّا في الحديث : « العارون في الدنيا هم
الكاسون يوم القيامة » ، نأنشأ يقول :

أنا في حالٍ تعالي اللهُ ربي أيَّ حالٍ
ليس لي شيءٌ إذا قيلَ لِمَنْ ذَا ؟ قلتَ ذَا لي
فأراضى اللهُ فرشي والسَّموات ظلالِي
ولقد أفلتتُ حتَّى حلَّ أكلِي لعيالي
من رأى شيئاً محالاً فأنا عين المحالِ
لو بَقِيَ في الناسُ خرٌّ لم أكن في مثلِ حالي

قوله : « منزل » ، أي مضيف . حلف : صاحب . منشئ : موضعي الذي
نشأت فيه .

[ذكر مدينة فيد]

وقيد بلد مشهور ، في نصف المسافة التي بين مكة وبغداد ، وفيها عين ماء ،
وينزلها عمال طريق مكة وأهلها من طيء ، وهم في سفح جبلهم المعروف بسلي ،
وقد ذكرها زهير في قوله :

ثم استمرُّوا وقالوا إنَّ مشربَكم ماء بشرقٍ سلى قَيْدُ أوركك^(١)
قال الزجاجي : سميت بنيد بن حام ، وهو أول من نزلها ، قال : ويقول
أهل العراق : هي من قولهم : فاد الرجل يفيد قَيْداً إذا مات ، أو من قولهم : استفاد
فائدة ، وقلما يتولون : أفاد فائدة ، والفيد أيضاً نور الزعفران . قال شيخنا ابن جبير^(٢)

(١) ديوانه ١٦٧ ، وركك : اسم ماء بينه ، وفي ط : « ركل » تحريف .

(٢) ط : « جرير » ، تصحيف .

رضى الله عنه : إنه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضخوة يوم السبت الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج ، وصَبَحُوا فَيَدُومُ الأُحَدِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ خُرُوجِهِمْ . ثُمَّ وَصَفَهَا فَقَالَ : هِيَ مِصْرٌ كَبِيرٌ ، مَنفَرَجٌ فِي بَسِيطٍ مِنَ الْأَرْضِ ، يَمْتَدُّ حَوْلَهُ رَبَضٌ ، يَطِيفُ بِهِ سُرْعَتِيْقٌ . وَهُوَ مَعْمُورٌ بِسُكَّانٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَتَعَيَّشُونَ ^(١) مِنَ الْحِجَّاجِ فِي التِّجَارَاتِ وَالْمَبَايِعَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُرَافِقِ ، وَفِيهَا يَتْرُكُ الْحِجَّاجُ بَعْضُ أَزْوَاجِهِمْ إِنْ عَدِلُوا لِلْإِرْمَالِ ^(٢) مِنَ الزَّادِ عِنْدَ انْصِرَافِهِمْ يَتْرُكُونَهَا عِنْدَ مَعَارِفِهِمْ بِهَا ، فَإِذَا رَجَعُوا أَخَذُوا أَزْوَاجَهُمْ ، وَوَهَبُوا مَنْ أَوْدَعُوهَا عِنْدَهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

وَهِيَ نِصْفُ الطَّرِيقِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مَكَّةَ أَوْ أَقْلَ سَيْرًا ، وَمِنْهَا إِلَى الْكَوْفَةِ اثْنَا عَشَرَ يَوْمًا فِي طَرِيقٍ سَهْلَةٍ . وَدَخَلَهَا أَمِيرُ الْحَاجِّ عَلَى تَعْبِيَةٍ وَأَهْبَةِ إِرْهَابًا لِلْمُجْتَمِعِينَ بِهَا مِنَ الْأَعْرَابِ لَثَلًا يَدَاخِلُهُمُ الطَّامِعُ فِي الْحَاجِّ ، لَكُنْتُمْ لَا يَجِدُونَ إِلَيْهِمْ سَبِيلًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . وَالْمِيَاهُ كَثِيرَةٌ فِي آبَارِهَا ، تَمُدُّهَا عِمْيُونُ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَامْتَلَأَتْ أَيْدِي الْحِجَّاجِ التَّادِمِينَ مِنْ أَغْنَامِ الْعَرَبِ بِالْمَبَايِعَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ خَيْمَةٌ وَلَا ظِلَالَةٌ إِلَّا وَإِلَى جَانِبِهَا كَبْشٌ أَوْ كَبْشَانٌ ، بِحَسَبِ الْوَجْدِ ، فَمَتَّ جَمِيعُ الْحَلَّةِ الْغَنَمِ وَاللَّبَنِ وَالسَّمَنِ وَالْعَسَلِ ، فَأَكَلُوا وَاحْتَمَلُوا ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لِلرَّكْبِ .

قَالَ : وَبِهَذِهِ الْحَلَّةِ الْعِرَاقِيَّةِ ، وَمَا انْضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْخُرَاسَانِيَّةِ وَالْمَوْصِلِيَّةِ وَمَا تَرَجَّهَاتِ الْآفَاقِ نَزَلَ مِنْ صَحْبَةِ أَمِيرِ الْحَاجِّ جَمْعٌ لَا يَحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، يَفْصَحُ بِهِمُ الْبَسِيطُ الْأَفِيحُ ، وَيَضِيقُ بِهِمُ الْمِهْمُ الضَّحَضُحُ ، فَتَرَى الْأَرْضَ تَمِيدُ بِهِمْ مَتِيدًا ، وَتَمُوجُ بِجَمْعِهِمْ مَوْجًا ، فَتَصِيرُ بِهِمْ بَحْرًا طَائِمِي الْعُبابِ ، مَاؤُهُ السَّرَابِ ، وَسَفِينَتُهُ الرِّكَابِ ، وَشِرَاعُهُ الظَّلَالُ الْمَرْفُوعَةُ وَالْقُبَابِ ، وَيَسِيرُ سِيرَ السَّحَابِ ، مُتَدَاخِلًا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَتَعَايِنُ تَزَاحِمًا فِي الْبَرَاكِ الْمُنْفَسِحِ يَهْوُلُ وَيُرْوَعُ ، وَاصْطَكَاكَ :

(١) رحلة ابن جبير : « يلتشون » .

(٢) أرمال القوم : فقد زادهم .

المبيع التجارات فيه ، فبعضها ببعض متروك ؛ فمن لم يشاهد هذا السفر العراقي لم يشاهد عجباً تحدث به ، ويتحف السامع بفرائبه ، والقدرة والقوة لله وحده . وحسبك أن النازل في منزل من هذه المحلة متى خرج لبعض حاجاته ، ولم يكن له دلالة على موضعه ضلّ وتاف ، وعاد منشوداً بجملة الضوال ، وربما اضطر به الحال إلى الوصول لمضرب الأمير ورفع المسألة إليه ، فيأمر أحبا المنشدين بما أعدّ لذلك ، فيردفه خلفه على جمل ، ويطوف به المحلة منادياً باسم جماله وبلده ، إلى أن يؤدّبه إلى رفقته .

وعجائب هذه المحلة كثيرة ، ولأهلها من اليسار ما يغنيهم على حاشم بسيله .^(١)

وما ذكرنا أمر هذه المحلة إلا ليستدل على أن فيها بلداً في غاية القوة والعمارة ، حيث أميد هذا الجمع الكثير والجسم الفقير بما تقدم من أنواع الأرزاق ، وإن قبائل طيء متوفرة بحيث تطلع إلى الفارة على مثل هذه المحلة . والملك لله وحده مني الجميع بعد كمال العدة .

قوله : «وردت» ، أي أتيت . المدرة : البلد . عبس : قبيلة .

فَقُلْتُ لَهُ : زِدْنِي إِيضَاحًا ، عَشْتُ وَنُعِشْتُ ، فَقَالَ : أَخْبَرْتَنِي أُمِّي بِرَّةٌ ، وَهِيَ كَانَتْهَا بِرَّةٌ ؛ أَنَّهَا نَكَحَتْ قَامَ الْفَارَةِ بِمَاوَانَ ، رَجُلًا مِنْ سَرَافِ سَرُوجِ أَوْغَسَانَ ، فَلَمَّا آتَسَ مِنْهَا الْإِنْقَالَ - وَكَانَ بِاقِعَةً فِيهَا - يُقَالُ - ظَمَنَ عَنْهَا سِرًّا ، وَهَلُمَّ جَرًّا ، فَمَا يُعْرِفُ : أَحَى هُوَ فَيَتَوَقَّعُ ، أَمْ أَوْدَعَ اللَّحْدَ الْبَلَقَعَ .

قال أبو زيد : قَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ الْعَلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي ، وَصَدَقَنِي

(١) انظر رحلة ابن جبير ١٨٣ ، ١٨٤ .

عن التَّعَرُّفِ إِلَيْهِ صَفَرُ يَدِي، فَفَصَّلْتُ عَنْهُ بِكَبِدٍ مَرْضُوضَةٍ، وَدُمُوعٍ
مُفْضُوضَةٍ. قَهْلَ سَمِعْتُمْ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ، بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْعُجَابِ!
فَقُلْنَا: لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: أَتَبْتُوهَا فِي عِبَائِبِ
الْإِتْفَاقِ، وَخَلَدُوهَا بِطُورِ الْأَوْرَاقِ، كَمَا سِيرَ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ.
فَأَحْضَرْنَا لِدَوَّةٍ وَأَسَاوِدَهَا، وَرَقَشْنَا الْحِكَايَةَ عَلَى مَا سَرَدَهَا.

• • •

إيضاحاً : بياناً . نُعِشْتُ : جُهِرْتُ . وَبَرَّةُ الْأَوَّلِ اسْمُهَا وَالثَّانِي صِفَتُهَا ، يريد
أنها مكرمة كثيرة البر . نَكَحْتُ : تَزَوَّجْتُ . عام الغارة ، أى عام أغار عليهم .
عدوهم . ماوان : بلدة . سراة : سادة . آنس : أبصر . والإِثْقَال : الامتلاء .
بالولد . باقعة : داهية ، ويقال : إنه الذى جال بقاع الأرض وعرف خيرها
وشرها .

قال ابن الأنباري رحمه الله : فلان باقعة ، أى داهية حذر محتال حاذق ، والباقعة
عند العرب : الطائر الحذر المحتال الذى يشرب الماء من المِباقع^(١) ، ولا يردُّ
المشارع والمياه المحصورة خوفاً من أن يُحْتَالَ عليه فيُصْطَاد ، ثم شَبَّهَ بِهِ كُلَّ حَذِرٍ
مَحْتَالٍ . هَلَمْ جَرًّا ، معناه إلى الآن ، قال ابن الأنباري : هَلَمْ جَرًّا ، سِيرُوا عَلَى
هَيْئَتِكُمْ ، أى تثبتوا على سيركم ، ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها ، أخذ
من الجرّ في السوق ، وهو أن تترك الغنم والبقر ترمى في السير ، وينتصب «جرّاً»
في قول الكوفيين على المصدر ، لأن في «هَلَمْ» معنى «جَرَّ» ، وفي قول البصريين :
هو مصدر في موضع الحال تقديره «هَلَمْ جَارِينَ» أى مستتبين ، قياساً على : جاء عبد الله
مشياً ، وأقبل ركضاً ، وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض .
وقال بعضهم : ينصب على التمييز . يُتَوَقَّعُ : يُنْتَظَرُ . أودع : أدخل . اللّخذ البلقع :

(١) المِباقع : الأمكنة يستق منها الماء .

اللحد الخالي . صدقني : أمالتي . التعرّف : أن يعرفه أنه أبوه . صفر يدي : فراغها من الدراهم . فصلت : زلت . مرضوضة : مدقوقة مكسورة . مفضوضة : مفترقة . أولى الألباب : أهل العقول . العُجاب : مبالغة في العجب .

خلدوها ، أى أثبتوها . الآفاق : البلدان وجهات الأرض جميعها . أساودها : أقلامها . رقشنا : كتبنا . على ما سردها ، أى كما حكّاها وتكلم بها .

ثم استبطناهُ عَنْ مُرْتَاهٍ ، فِي اسْتِضْمَامِ إِفْتَاهُ ، فَقَالَ : إِذَا ثَقُلَ رُذْنِي ، خَفَّ عَلَىَّ أَنْ أَكْفُلَ ابْنِي ؛ فَقُلْنَا : إِنْ كَانَ يَكْفِيكَ نِصَابُ مِنْ الْمَالِ ، أَلْفَنَاهُ لَكَ فِي الْحَالِ ؛ فَقَالَ : وَكَيْفَ لَا يُقْنِعُنِي نِصَابُ ، وَهَلْ يَحْتَقِرُ قَدْرُهُ إِلَّا مُصَابُ !

قال الراوى : فالتزمَ مِنْهُ كُلُّ مِثْنًا قِسْطًا ، وَكَتَبَ لَهُ بِهِ قِطًّا ، فَشَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ الصَّنْعَ ، وَاسْتَنْفَدَ فِي الشَّاءِ الْوُسْعَ ، حَتَّى إِنَّا اسْتَطَلْنَا الْقَوْلَ ، وَاسْتَقْلَلْنَا الطَّوْلَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَشَرَ مِنْ وَثِي السَّعْرِ ، مَا أَرَزَى بِالْحَبْرِ ، إِلَى أَنْ أَظْلَّ التَّنْوِيرُ ، وَجَشَرَ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ ، فَقَضَيْنَاهَا لَيْلَةً غَابَتْ شَوَائِبُهَا ، إِلَى أَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا ، وَكَمَلَ سَعُودُهَا ، إِلَى أَنْ انْفَطَرَ عُودُهَا .

استبطنناه : سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه . مُرْتَاة : رأيه وغرضه . رُدْنِي : كَتَنِي . أَكْفَل : أَضْمَ . نَصَاب : عشرون ديناراً . أَلْتَمَنَاه : جمعناه . يَنْعَنِي : يَكْنِي . مَصَاب : مجنون . قوله : « قسْطاً » ، أى نصيباً . قِطًّا : كتاباً . الصنع : الفعل الجميل . استنفد : استتم . الوسع : الطاقة ، ووُسْع الرجل قدر ما يجد من مال أو كلام أو غير ذلك ، وهو من السعة ، أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء . استظلمنا : استكثرنا ووجدناه كثيراً طويلاً ، والطَّوْل : الإِنعام والفضل ، أى رأينا ما أُنعمنا به عليه قليلاً . والوشى : ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير . والخبر : ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة ، والخبر تصنع باليمن ، فشبهه حسن حديثه بالوشى ، وخصّ الخبر لحسن فنونه . وقال ابن الزقاق - وكأنه وصف الليلة والعجاب الذى سامرهم به أبو زيد ، وزاد عليه الشجاعة :

لِلَّهِ لِيَلْتَمَنَا أَلَّتْىَ اسْتَجْدَى بِهَا فَلَقَى الصَّبَاحَ لِسُدْفَةٍ الْإِظْلَامِ^(١)
 طَرَأَتْ عَلَى مَعَ النُّجُومِ بِالنَّجْمِ مِنْ فَتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
 إِنْ حَوْرَبُوا فَرِعُوا إِلَى بِيضِ الظُّبَا أَوْ خَوَطَبُوا فَرِعُوا إِلَى الْأَقْلَامِ
 فَتَرَى الْبَلَاغَةَ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ وَالْبَاسَ بَيْنَ يَرَاعَةٍ وَحُسَامِ

جشر : طلع . قضيناها : أتمناها . شوائبها : ما ينكدها ويكدرها .
 الذوائب : الشعر الطويل الأسود ، وأراد به ظلام الليل ، وجعل فيه بياض
 الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر ، قال ابن دريد :

إِنَّمَا تَرَى رَأْيِي حَاكِي لَوْنِهِ طُورَةَ صَبْحٍ نَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى^(٢)

(١) ديوانه ٢٩٨ .

(٢) من القصيدة ص ١١٧

انفطر : انشقّ وطلع . عودها : بياض صبحها ، ويقال : انفطر القضيّب ،
إذا بدأ نبات ورقه ، وقال امرؤ القيس :

* كخُرْعوبة البانة المنفطر^(١) *

وَلَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الْغَزَالَةِ ، طَمَرَ طُمُورَ الْغَزَالَةِ ، وَقَالَ : انْهَضْ بَنَّا
لِنَقْبِضَ الصَّلَاتِ ، وَلِنَسْتَنْصِصَ الْإِحَالَاتِ ، فَقَدْ اسْتَطَارَتْ صُدُوعُ
كَبِدِي ، مِنْ الْحَنِينِ إِلَى وَلَدِي . فَوَصَلْتُ جَنَاحَهُ ، حَتَّى سَنَيْتُ
نَجَاحَهُ ؛ فَحِينَ أَحْرَزَ الْعَيْنَ فِي صُرَّتِهِ ، بَرَقَتْ أُسَارِيرُ مَسَرَّتِهِ ،
وَقَالَ لِي : جُزَيْتَ خَيْرًا عَنْ خُطَا قَدَمَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي
عَلَيْكَ ! فَقُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ لِأَشَاهِدَ وَلَدَكَ النَّجِيبَ ،
وَأُنَافِقَهُ لِكِي بِحَبِيبِ .

• • •

قرن الغزالة : شعاعها وحاجبها ، والغزالة من أسماء الشمس ، وأسمائها
كثيرة ؛ ذكرها يعقوب وغيره ، وذكر منبأ عشرة خمسة بالهاء ، وهي : الغزالة ،
والجارية ، والجوثة ، ومهاة ، والإلاهة . وخمسة بغير الهاء وهي : الشمس ،
والسراج ، والضّحّ ، وذُكاء ، وبوح^(٢) .

طمر : وثب . الغزالة : الظبية . انهض أى قم . الصَّلَات : العطايا . نستنصص :
نستحضر . والنَّاض : المال الحاضر . والإحالات : الديون التي وعدوه بها .
استطارت : توسعت وانتشرت . صُدُوع : شقوق . والحنين : الشوق والرحمة .
وصلتُ جناحه ، أى مشيت معه وبلدي في يده ، وجناح الرجل : يده . سنيت :

(١) ديوانه ٥٧٠ ، صدره :

* بَرَهْرَهَةٌ رُودَةٌ رَخْصَةٌ *

(٢) مبادئ لفظ المربة ٣ ، وذكر من أسمائها أيضا براح والشرق

بَسَّرَتْ . نَجَّاحَهُ : قَضَاءُ حَاجَتِهِ . أَحْرَزَ الْعَيْنَ : حَصَلَ الْمَالُ . وَصُرَّتْهُ : خَرَقَتْ
دِرَاحِمَهُ . بَرَقَتْ : لَمَعَتْ . أُسَارِيرُ : طَرَقَ الْوَجْهَ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَفْرَجُ تَبْرِقَ أُسَارِيرِ وَجْهِهِ » ، وَيُقَالُ لَهَا الْأُسْرَةُ ؛ وَيُقَالُ
لِخَطَاوَةِ الْكَفِّ : الْأُسْرَةُ ، وَقَدْ جُمِعَ هُمَا التَّهَامِي فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ :

يُبْدِي أُسْرَةَ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ فِي سَاعَةِ الْإِعْسَارِ وَالْإِيسَارِ

مَسْرَّتُهُ : سُرُورُهُ ، أَرَادَ : انْطَاقَ وَجْهِهِ سُرُورًا بِالْمَالِ . خَطَا : مَشَى .
وَالنَّجِيبُ : الْجَنِيدُ الْعَقْلُ الْكَرِيمُ الْأَصْلُ . قَوْلُهُ : « أَنَا فَنَّهُ » ، أَيُّ أَمْ كُلِّهِ .

فَنَظَرَ إِلَى نَظْرَةِ الْخُلَادِيعِ إِلَى الْمَخْدُوعِ وَضَعِكَ حَتَّى تَفْرَغَتْ .
مُقْلَاهُ بِالذُّمُوعِ ، وَأَنْشَدَ :

يَا مَنْ تَظَنَّى السَّرَابَ مَاءً	لَمَّا رَوَيْتُ الَّذِي رَوَيْتُ
مَا خِلْتُ أَنْ يَسْتَسِرَّ مَكْرِي	وَأَنْ يُخِيلَ الَّذِي عَنَيْتُ
وَاللَّهِ مَا بَرَّةٌ بِعُرْسِي	وَلَا لِي ابْنٌ بِهِ اكْتَنَيْتُ
وَإِنَّمَا لِي فَنُونٌ سِحْرِي	أَبَدَعْتُ فِيهَا وَمَا اقْتَدَيْتُ
لَمْ يَخْشِكْهَا الْأَضْمَعِي فِيمَا	حَكَمِي ، وَلَا حَاكَمَا الْكَمَيْتُ
تَخَذْتُهَا وَضَلَةً إِلَى مَا	تَجَنَّبُهُ كَفَى مَتَى اشْتَمَيْتُ
وَلَوْ تَعَايَيْتُهَا لَحَالَتْ	حَالِي ، وَلَمْ أُخَوِّ مَا حَوَيْتُ

فَمَهْدِ الْمَذَرِ أَوْ فَسَامِخِ إِنْ كُنْتُ أَجْرَمْتُ أَوْ جَنَيْتُ
ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَنِي وَمَضَى ، وَأَوْدَعَ قَلْبِي بَجَرِّ النَّضَى .

• • •

تفرغرت : امتلأت . تظننى : حسب . حلت : حسبت . يستسر : يخفى .
مكرى : خداعى . يُخِيل : يلبس ويشبه . عُرِسى : زوجتى . فنون : أنواع .
أبدعت فيها : أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها . يحكها : يحدث بها . حاكها :
نسجها وقال مثاه . الأصمعى مذكور فى القامة الأربعين .

[ذكر الكميت وبعض أخباره وشعره]

وأما الكميت الشاعر ، فهو ابن زيد الأسدى ، وهو شاعر مجيد مكثر
جداً ، وديوان شعره مستعمل مشهور ؛ ولما قال قصائده الهاشميات قصداً البصرة ،
فأتى النزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، فقال : ومن أنت ؟ فأنسب له ،
قال : صدقت ، وما حاجتك ؟ قال : أنت شيخ مضر وشاعرها ، وأحببت أن
أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك
أسرتني بستره ، قال : يا ابن أخى ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فقل راشداً ،
فأنشده :

طربت وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ولا لعباً مِنِّي وذو الشَّيبِ يلعبُ !

قال : بلى ، فالعب ، فأنشده :

ولم يُبَاهِنِي دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ولم يَطْرَبْنِي بَنَانٌ مُحَضَّبُ

قال : ما يطرَبُ بك إذا ؟ فقال :

• لا أنا ممن يزجرُ الطيرَ همهُ أصاح غرابٌ أم تعرضُ ثعلبُ

قال : أنت تمن؟ ويحك ! وإلى من تسمو؟ قال :
ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيةً أمرَ صحيح القرن أم مرَّ أغضبُ
قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، قال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلب
قال : فمن هم ويحك ! فقال :

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقربُ

فقال : أرخني ويحك ! من هؤلاء ؟ فقال :
بني هاشم رهط النبي فإني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ

فقال : لله درك يا بني ! فقد أصبت وأحسنت ، إذ عدلتَ عن الزعانيفِ
والأوباش ، إذا لا يُصرِدُ^(١) سهمك ، ولا يثلب قولك . ثم مرَّ فيها ، فقال : أظهر
وأشهر ، فانت أشعر من مضى ، وأشعر من بقي^(٢) .

فحينئذ قدم المدينة ، فأتى عبد الله بن الحسين ، فأنشده ، فقال : يا أبا المستهل ،
إن لي ضيعةً أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابُها ، وقد أشهدت لك بها
شهوداً ، فقال : بأبي أنت وأمي ! كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ،
ولا والله ما قلتُ فيكم شيئاً إلا لله ، وما كنت لأخذ في شيء جعلته الله ثمناً .
فلما أبى عليه أخذ مثزره ، فدفعه إلى أربعة غلمان ، فجعل يدور به دور بني هاشم ،
ويقول : هذا الكميث ، قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ،
وعرض دمه لبني أمية ، فأنيبوه بما قدرتم . فاجتمع له من حلى النساء ومن الدنانير
والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم ، فجاء بها إلى الكميث ، وقال : يا أبا المستهل

(١) أصدر السهم : أخطأ . (٢) انظر الاغانى ١٥ : ١٢٠ . ١٢١

أتيناك بجهد القل ، ونحن في دولة عدونا ، فاستعن بهذا على دهرك ، فقال :
 بأبي أنت وأمي ، قد أكثرتم وأطنبتم ، وما أردت بمدحى إياكم إلا الله ،
 فأرده إلى أهله . فجهد به بكل حيلة ، فأبى ، فقال : أما إذا أبيت أن تقبل ، فإن
 رأيت أن تقول شعراً تنضب به بين النزارية واليمنية لعل فتنةً تحدث ، فنخرج
 بين أضغانها ، فقال قصيدته التي أولها :

ألا حُيِّتَ عَنَّا يَا مَدِينَا وهل بَأْسٌ بقولِ مسلمينا^(١)

فمرّض فيها ، وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم؛ مثل قوله :

لنا قمر السماء وكلّ نجم تُشير إليه أبدي المهدينا^(٢)
 وما ضربت هجان بنى نزار هواجج من فحول الأجمينا
 وما حملوا الحمير على عتاق مضرة فيلّفوا مُتلفينا

ومشت في العرب ، فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار ، وثارَت
 العصبية في البادية والحاضرة ، وتحزّب الناس ، فتعصّب مروان بن محمد لقومه من
 نزار على اليمن ، فانهرفت عنه إلى الدعوة العباسية وكان الكميّ سبب ذلك .
 وكان لامتداحه بنى هاشم وتكريضه بنى أمية ، يطالبه خلفاء بنى أمية ،
 فهرب منهم عشرين سنة ، فجّد هشام بن عبد الملك في طلبه ولم يجده ، ولم يستقر
 للكميّ قرار من خوفه . وكان لمسلمة بن عبد الملك حاجة عند هشام يقضيها
 له ، لا يرده فيها ، فخرج مسلمة لبعض صيوده ، فأتاه الناس يسلمون عليه ، وأتاه
 الكميّ - ومسلمة لا يعرفه - فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :
 قِفْ بِالذِّبَارِ وَقُوفَ زَائِرٍ وتأيّ إنك غير صاغر^(٣)

(١) ورد الشطر الثاني محرّفاً في الأصول والصواب ما أثبتته من الفاخر ٣

(٢) والحزاة ١ : ٨٦ .

(٣) ٤ : ٨ و٩ ، وصوابه من اللسان - أبي

حتى انتهى إلى قوله :

يا مسلم بن أبي الوليد دليت إن شئت ناشر
علمت حبالي من حبا لك ذمة الجار المجاور
فالآن صرتُ إلى أمي في الأمور لها مصائر
والآن كنتُ به المصيد ب كمتد بالأمس حائر

قال مسلمة: سبحان الله! من هذا الذي أقبل من أخريات الناس^(١) ثم بدأنا بالسلام، ثم قال: أما بعد ثم الشعر؟ قيل: الكميت، فأعجب بنصاحته، فسأله عما كان فيه من طول غيبته، فذكر له سخط هشام عليه، فضرب له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام، وهشام لا يعرفه، فقال الكميت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال هشام: نعم الحمد لله، من هذا؟ قال الكميت: مبتدىء الحمد ومبتدعة، الذي خص بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنته. أحمدته حمد من علم يقيناً، وأبصر مستبيناً، وأشهد بما شهد به لنفسه، قائماً بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده العربي ورسوله النبي الأمي، الذي أرسله والناس في هبوات^(٢) حيرة ومدهلمات ظلمة، عند استمرار أيتها الضلالة. فبلغ عن الله ما أمر به، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم. ثم إنني يا أمير المؤمنين تهت في حيرة، وحزت في سكرة، أهاب بي داعيها، فأجابها غاويها، فاقطعوا طيبت^(٣) في الضلالة حائداً عن الحق، قائلاً بغير الصدق، فهذا مقام العائذ بك، ومنطق التائب، ومبصر الهدى عد طول العمى. يا أمير المؤمنين، كم من عائر أقام عثرته، ومجترم عفوتم عن جرمه! فقال هشام: وقد علم أنه الكميت: من سن^(٤) لك هذه الغواية، وأهاب بك

(١) في العقد: «من هذا الهندي الملعاب، الذي أقبل...»، والهندي: الرجل من الهند
والجواب: الشيخ الكبير.

(٢) الهبوات: الثمرات.

(٣) اقطوطي: قارب في شبه إسراعاً.

(٤) ب: «من أين».

في العمّاية؟ قال : الذي أخرج آدم من الجنة ففسى ولم يجد له عزماً ، وأنت يا أمير المؤمنين ، أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد العموس فيها فبصرت ، وحقن بك دماء قوم أشرب خوفك قلوبهم ؛ فهم يكون لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك ، وعز بأسك . وثبات جأشك . وأنت مستغن برأيك عن رأى ذوى الألباب ؛ برأى أريب ، وحلم مصيب . فأطال الله لأمر المؤمنين البقاء ، وأتم عليه النماء ، ودفع به الأعداء .

فرضى عنه وأمر له بمال كثير^(١) .

فهذه منزلة الكمية من الشعر والخطابة خلافاً لمن يقول : القافية جلبته في المقامات ؛ وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه .

• • •

قوله : « حاكها » ، أى نسجها . يريد أن الكمية ممن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه ، فلذلك قال : « حاكها » . وسأل بعض الخلفاء جريراً عن النابغة وزهير ، فقال : ينيران الشعر ويسديانه ، والعلماء بالشعر يسمون صنّاع الشعر عبيد الشعر ، مثل زهير وابنه كعب والخطيب وعدي بن الرقاع والكمية .

قوله : « تمخّذتها » ، أى اتخذتها ، يقال : تمخّذ يتخّذ بمنزلة اتخذ يتخذ ، وخُفّف عنه ، حذفوا ألف الوصل من اتخذ ، والتاء الأولى الساكنة ، التى هى فاء الفعل ، فبقى تمخّذ ، ومثله تقى يتقى واتقى يتقى ، حذف ألفه وتاؤه الأولى ، وليس بطرد هذا التخفيف ، وإتما جاء فى اتخذ واتقى واتجه وأنسج ، فقالوا : تقى وتمخّذ وتجه وتسج . وصلة أى موصلة . تعافيتها : تسكارهتها ، وهى تفاعلت من عفت الشيء أعافه عيافاً ، أى كرهته . حالت : تغيرت . أحو : أجمع . مهّد : أقبل وسهّل . أجمت : أذنبت لنفسى ، جنيت : أذنبت لغيرى ، أراد : إن كان عذرى يئناً فاقبله ، وإن كنت ظالماً فتجاوز واسمح . أودع : ضمن وجعل فيه . الفضى : شجر جره يثبت فى النار .

المفاهيم السادسة وهى المراجعة

وتعرف بالخلفاء

روى الحارث بن همام قال : حضرت ديوان النظر بالمراجعة ،
وقد جرى به ذكر البلاغة ؛ فاجتمع من حضر من فرسان اليراعة ،
وأرباب البراعة ، على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ، ويتصرف
فيه كيف شاء ، ولا خلف ، بعد السلف ، من يتدع طريقة غراء ،
أو يفتزع رسالة عذراء ، وأن المفلح من كتاب هذا الأوان ،
المتكّن من أزمنة البيان ، كإميل على الأوائل ، ولو ملك فصاحة
سحبان وأئل .

ديوان النظر ، أى مجلس المناظرة . المراجعة : بـلـدة من
كور أذربيجان . اليراعة : القلم قبل أن يرى ويسوى ، فإذا برى وسوى قيل
له قلم ، وبقي عليه الاسم الأول وهو اليراعة ، واليراع : القصب . أرباب البراعة :
أصحاب أصالة الرأى . والبارع : الأصيل الجيد الرأى ، ويقال : برع بيرع بروعا
وبراعة ، إذا فاق فى السؤدد . وينقح : يحسن ويخلص . الإنشاء . الكتابة . خلف :
بقي . السلف : المتقدمون ، وسلفوا : ذهبوا وتقدموا . يتدع : يحدث . طريقة : حالة
موصوفة ، وطريقة فلان كذا ، أى حالته التى هو عليها . غراء : واضحة مشهورة .
لم يقل أحد مثلها . وغرة الشيء : أوله . يفتزع : يفتض . عذراء : بكر ، سميت
عذراء لصعوبة جماعها ، وتعذر الشيء : نصّب ، وافتراع البكر : إدمائها وإزالة
ما نصّب منها ، وكل ما أدميته فقد فرغته وافترعته ، فعنى يفتزع رسالة عذراء .

أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره ، فاقدر هو على سلوك طريقها
والإتيان بها . للتفائق : المصباح للعرب الذى يأتى بالناقى ؛ وهو الشيء العجيب .
الأوان : الوقت . العيال : مَنْ يَتَكَلَّفُ فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه ، وعال
الرجل عيلة إذا افتقر ، وعُلتُه عولا : قمت بمؤنته ، نريد أن كتاب هذا الزمان
عيال على من تقدمهم حيث افتقروا إلى الأخذ من كلامهم .

وقد وعدنا أن نذكر سحبان فيما يأتى إن شاء الله تعالى .

وكان بالمجلس كهلٌ جالسٌ فى الحاشية ، عند مواقف الحاشية ،
فكان كلما شطَّ القوم فى شوطهم ، وَنَثَرُوا المَجْوَةَ والنَّجْوَةَ مِنْ نَوَاطِهِمْ ،
يَذِيءُ نَحَازِرُ طَرَفِهِ ، وَتَشَامُخُ أَفْقِهِ ، أَنَّهُ مُخَرَّبٌ لِيَنْبَاعٍ ، وَمُجَرَّمٌ
سَيِّمَةِ الْبَايَعِ ، وَنَابِضٌ يَبْرِى النِّبَالِ ، وَرَابِضٌ يَبْغِي النُّضَالَ . فَلَمَّا
نَثَلَتْ الْكِنَائِنُ ، وَفَاءَتِ السَّكَاكِينُ ، وَرَكَدَتِ الزَّعَارِعُ ، وَكَفَّ
الْمُنَازِعُ ، وَسَكَنَتِ الزَّمَاجِرُ ، وَسَكَتَ الْمَزْجُورُ وَالزَّاجِرُ ، أَقْبَلَ
عَلَى الْجَمَاعَةِ ، وَقَالَ :

الكهل : التام الخلق ، بين الشاب والشيخ . الحاشية : طرف المجلس .
والحاشية الثانى . الأتباع وخدمة القوم ، وأصلها رُذَالُ الْمَالِ وصغاره ، قال
يسقوب : الحاشية والحواشى والحشو : صغار الإبل ، وأنشد :

* جَلَّتْهَا وَالْأُخْرَى الْحَوَاشِيَا *

شطَّ : جرى . شوطهم : طَلَقَهُمْ . نَثَرُوا : أَلْقَوْا عَلَيْهَا . المجوة : التمرة
(١٥ - شرح مقامات الحريري ١)

الطيبة . والنجوة : الرديئة ، هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أضر عن
ابن جهور ، وما وجدت في كتاب لغة أن النجوة اسم للتمر الرديئة ، وقد بحث
عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب فيه ذكر النخل والتمر ،
فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً ، وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء ،
لا أنها لغة عربية ، فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده ، لأن البصرة أكثر
بلاد الله نخلاً ، فيسمون كل نوع من التمر باسم ، والتمر تكثر أنواعه عندهم . ورأيت
أكثر أهل سجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ، ورأيت بها نوعاً
من التمر زعموا أنه لا يطيب أبداً ، وإنما حاله أن ينكش على نواه ، فلا يجد
إلا جلدًا يابساً على النواة ، فيملفونه المِعز ، فيحتمل أن يكون مثل هذا في نخل
البصرة يسمى نجوة ، ويقابل بالعجوة التي هي أشرف التمر وأطيبه . وأما من
فسر النجوة هنا بالمرتفع من الأرض ، فلا معنى له . الفنجديهي : النجوة ، قيل :
إنها لفظة التمر إذا سقطت لا يبالى بها ، فإن صحت روايتها فكأنها سميت
بالنجوة التي هي العذرة . نوطهم : وعاء تمرهم ، قال أبو حنيفة : النوطة : الجلة
الصغيرة من جلال التمر ، والجلة : الوعاء الذي يكثر فيه التمر ، وكل وعاء له علاقة فهو
نوطة ، والجمع نوط ، وقد ناطه بنوطه ، إذا علته ، فأراد : ألقوا الكلمة الجيدة
والرديئة من كلامهم . ينبىء : يخبر . تخارز طرفه : كسر عينيه بالنظر ، وتخارز :
نظر بمؤخر عينيه ، وهو نظر المنكر للشيء . تشامخ : ارتفاع ، وهو فعل المستحتر
للشيء . مخربق : متبقي . لينباع : لينهض ، وفسره أبو عبيد في الأمثال .
فقال : المخربق : المطرق الساكت ، لينباع . ليثب إذا أصاب فرصة ، قال :
ومعناه أنه سكت لداهية يريد بها ، وقيل : المخربق : الساكت على السوء . لينباع :
ليظهر الذي في ظنه من الشر . مجرمز : منقبض ، وهو كقول النابغة :

وقلت يا قوم إن الليث منقبضٌ على براثنه للوثبة الضارى^(١)

(١) ديوانه ٤٢ والضارى من وصف الليث ، ويروى : « لوثة الضارى » .

طَوَارِفُ الْقَرَائِحِ ، وَبَرَزَ فِيهِ الْجَذَعُ عَلَى الْقَارِحِ ، مِنْ الْعِبَارَاتِ
 الْمَهَذَّيَةِ ، وَالِاسْتِعَارَاتِ الْمُسْتَعَذَّبَةِ ، وَالرِّسَالِ الْمَوْشَحَةِ ، وَالْأَسَاجِيعِ
 الْمُسْتَمْلَحَةِ ، وَهَلْ لِلْقُدَمَاءِ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ ، مَنْ حَضَرَ ، غَيْرُ الْمَعَانِي
 الْمَطْرُوقَةِ الْمَوَارِدِ ، الْمَعْقُولَةِ الشَّوَارِدِ ، الْمَأْثُورَةِ عَنْهُمْ لِتَقَادُمِ
 الْمَوَالِدِ ، لَا لِتَقَدُّمِ الصَّائِرِ عَلَى الْوَارِدِ ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ الْآنَ مِنْ إِذَا
 أَنْشَأَ ، وَشَى ، وَإِذَا عَبَّرَ ، حَبَّرَ ، وَإِنْ أَشْهَبَ ، أَذْهَبَ ، وَإِذَا أَوْجَزَ ،
 أَعْجَزَ ، وَإِنْ بَدَّهَ ، شَدَّهَ ، وَمَتَى اخْتَرَعَ ، خَرَعَ .

* * *

إِذَا : أَمْرًا فظيحا منكرا . جُرْتَمَ عَنْ الْقَصْدِ : خَرَجْتَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ . جَدًّا :
 كَثِيرًا . الرِّفَاتِ : الْبَالِيَةِ . انْتَمَ : فَعَلْتُمْ مَا لَا يَجِبُ وَتَجَاوَزْتُمْ فِيهِ ، وَيُقَالُ : انْفَتَاتِ
 الرَّجُلُ « انْفَتَلَ » مِنَ الْفَوَاتِ ، وَفَاتَ : ذَهَبَ وَعَدِمَ . غَمَضْتَ : حَقَرْتُمْ وَغَطَيْتُمْ .
 جَيْلَكُمْ : أَهْلَ عَصْرِكُمْ . اللَّدَاتِ : جَمْعُ لَدَةٍ ، وَهِيَ الَّذِي وَلَدَ مَعَكَ . جِهَابِذَةٌ :
 حَذَاقُ الْوَاحِدِ جِهَازٌ . النِّقْدُ : مَعْرِفَةُ الْكَلَامِ ، نَقْدُهُ : مِيزُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ مِيزِ الدِّرَاهِمِ
 الْجَيِّدَةِ مِنَ الرَّدِيئَةِ . مَوَابِذَةٌ : حِكَاكٌ ، وَالْمَوْبِذُ : الْكَثِيرُ الْجَاهُ مِنَ الْقُرْسِ ، مِثْلُ
 الْوَزِيرِ وَالْقَائِدِ . أَهْرَزْتُهُ : أَظْهَرْتُهُ . طَوَارِفُ ، جَدِيدَاتٌ وَغَرِيبَاتٌ . الْقَرَائِحُ :
 الْأَذْهَانُ . بَرَزَ : غَلَبَ . الْجَذَعُ مِنَ الْخَيْلِ ابْنُ سَنْتَيْنِ . الْقَارِحُ : ابْنُ خَمْسٍ ،
 أَيْ غَلَبَ فِيهِ الْحَدِيثُ الْعَصَرَ الْقَدِيمَ . عِبَارَاتٌ : جَمْعُ عِبَارَةٍ وَهِيَ التَّفْسِيرُ ،
 وَعَبَّرْتُ عَنْ فَلَانٍ : تَكَلَّمْتُ عَنْهُ وَكُنْتُ لِسَانَهُ . الْمَهَذَّيَةُ : الْخُلَاصَةُ مِنَ الْعَيْبِ .
 الْإِسْتِعَارَةُ : أَنْ تَعْبِرَ الْفَلْظَ مَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ ، وَهِيَ مِنَ الْعَارِيَةِ . الْمَوْشَحَةُ : الْمَزِينَةُ .
 الْأَسَاجِيعُ : جَمْعُ أَسْجُوعَةٍ ، وَهِيَ الْكَلَامُ الْمَرْبُوطُ بِقَافِيَةٍ . أَنْعَمَ : بِالْغَلَاظِ الْمَطْرُوقَةِ :

التي نزل عليها . المعقولة : المربوطة . الشوارد : الفارة ، يقول : ليس للقدا . إلا
 المعاني التي قصدها المتأخرون ، كما قصدها المتقدمون ، وقيدها المتأخرون بالكتاب
 كما قيدها المتقدمون ، فكان تقييدها سبباً لأن مشت في الأقطار فعرفت
 وحفظت . المأثورة : المحدث بها . الصادر : الخارج عن الماء ، والوارد : الداخل
 إليه ، وذكر هنا أن الصادر يتقدم الوارد ، وذلك أنا إذا فرضنا موضع ماء
 لا يمكن وروده إلا واحداً بعد واحد ، فالصادر يسبق الوارد على ما ذكره في
 المقامة . قال الحريري في درة القواس : إن^(١) الخواص يقولون : هذا أمر يعرفه
 الصادر والوارد ، ووجه الكلام أن يقال : الوارد والصادر ، لأنه مأخوذ من
 الورد والصدر ، ولما كان الورد يقدم الصدر ، وجب أن يقدم لفظ «الوارد»
 على الصادر ، وهذا كما ترى ، الورد يقدم الصدر في حق واحد ، يقال : ورد الماء ثم صدر
 عنه ، وأما في حق اثنين كما قدمنا وكما ذكر هو في هذه المقامة ، فالصادر يتقدم
 الوارد . وقول الناس : هذا أمر يعرفه الصادر والوارد في حق اثنين ، فهم فيه على
 صواب ، ومحال أن يكون المثل في حق واحد ، لأن الشيء لا يعطى على نفسه ،
 ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه ، لأن الواو لا تعطى
 رتبة ، يقول : لا تتحدث بكلامهم ونظامهم ونثرهم لفضلهم علينا ، لكن لسبقهم لنا .
 أنشأ : كتب . وشي : زين ورقم . عبر : تكلم أو فسر . حبر : حسن .
 أوجز : اختصر . أعجز ، أى عجز عن فعله غيره . أسهب : أطال الكلام . أذهب :
 جاء بالذهب ، وأصل أسهب ، حفر بئراً بعيدة القعر ، وأذهب : صادف معدن الذهب
 في حفير . بدّه : ارتجل ولم يتفكر . شدّه : حبر من يتعاطى منزلته . اخترع :
 قال ما لم يسبق إليه . خرج : شقق المعاني .

* * *

فَقَالَ لَهُ نَاطُورَةُ الدِّيَّانِ ، وَعَيْنُ أُولَئِكَ الْأَعْيَانِ : مَنْ
 قَارِعُ هَذِي الصَّفَاةِ ، وَقَرِيعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ قِرْنُ

مَجَالِكَ ، وَقَرَيْنُ جِدَالِكَ ؛ وَإِذَا شِئْتَ ذَاكَ فَرُضْ نَجِيًّا ، وَادْعُ
 مُجِيًّا ، لَتَرَى عَجِيًّا . فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّ الْبُنَاتَ بِأَرْضِنَا
 لَا يَسْتَسِرُّ ، وَالتَّيْيزَ بَيْنَ الْفِضَّةِ وَالْقِضَّةِ مُتَبَسِّرٌ ، وَقَلَّ مَنْ
 اسْتَهْدَفَ لِلنُّضَالِ ، فَخَاصَّ مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ ، أَوْ اسْتَشَارَ نَقَمَ
 الْاِمْتِحَانِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ بِالْاِمْتِهَانِ ، فَلَا تُعْرِضْ عِرْضَكَ لِلْمَقَاضِيحِ ،
 وَلَا تُعْرِضْ شَيْئًا نَصَاحَةِ النَّاصِحِ . فَقَالَ : كُلُّ امْرِئٍ أَعْرَفُ
 بِوَسْمِ قَدْحِهِ ، وَمَسِيئَتَرَى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ . فَتَنَاجَتِ الْجَمَاعَةُ
 فِيمَا يُسَبِّرُ بِهِ قَلْبُهُ ، وَيُعَمِّدُ فِيهِ قَلْبُهُ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
 ذَرُوهُ فِي حِصَّتِي ؛ لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرِ قِصَّتِي ، فَإِنَّهَا عُضْلَةُ الْعُقَدِ ،
 وَتَحَكُّ الْمُنْتَقَدِ . فَقَالُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ الزُّعَامَةُ ، تَقْلِيدَ الْخَوَارِجِ
 أَبَا نَعَامَةَ .

• • •

قوله: «ناظورة» ، أى كبير القوم ومقدمهم الذى ينظرون إليه . الديوان :
 دار الكتاب وموضع اجتماعهم . والديوان ، الزمام يكون فيه أسماء الجند
 وأرزاقهم ، وأصله «ديوان» ، فقلبت واوه الأولى ياء لانكسار ما قبلها ، ودل عليه
 دواوين فى جمعه ، وهو اسم أعجمى عربى ، والأصل فى تسميته أن كسرى أمر
 الكتاب أن يجتمعوا له فى دار ، ويعملوا حساب السواد فى ثلاثة أيام ، وأعجبهم
 فيه ، فأخذوا فى ذلك . وأطلع عليهم لينظر ما يصنعون ؛ فنظر إليهم يحسبون بأسرع
 ما يمكن ، وينسخون كذلك ، فعجب من كثرة حركاتهم ، فقال : أرى «ديوان»
 ومعناه شياطين ، ثم ستمى موضعهم ديوانا ، ثم استعملته العرب ، وجعل كل محصل

من كلام أو شعر ديواناً^(١). قارع: ضارب وكاسر. الصفاة: الصخرة المساء، استعارها للصعب من الكلام. قريع: سيد. الصفات: النعوت التي تقدم أنه يُعرف بفعلها. وقرن مجالك: صاحب كلامك الذي تجول فيه — يعني نفسه. قرين جدالك: صاحب مجادلتك، والقرن بالكسر: الذي يماثلك في شدة أو خصام أو علم، وإن لم يكن بينكما معرفة، وقرينك: صاحبك الذي لا يفارقت كأنه قرن معك. والحال: الموضع الذي تراض فيه الخيل. رضى: سنن ولين. النجيب: الفحل الكريم من الإبل، وعنى نفسه. ادع مجيباً، يقول: سئني ثم ادعني أستجب لك. ترى مجيباً، في حسن جوابي. البغاث: صغار الطير. يستنسر: يصير نسرأ، يقول: نحن أهل علم ومعارف، فلا تجوز علينا المخاوف، والعرب تقول في أمثالها: «إن البغاث في أرضنا يستنسر»، أي يرجع الضعيف قوياً لغزنا وحمايتنا له ممن يريده، وقيل في البغاث: إنه ذكر الرخم، وقيل: البغاث كل ما يصاد من الطير، والجوارح: كل ما يصيد، والرهام: ما لا يصيد ولا يصاد، كالخفاف وغيره. القمضة: الحصى البيض الصغار، ويقال: جاء بالقض والقضيض بالقاف والضاد، ومعناه جاء بالكبير والصغير. والقضيض: صغار الحصى وما تكسر منه، وقالوا: جاءوا قضهم بقضيضهم. أي كلهم. استهدف: صار هدفاً، وهو الأيض للسهم. التضال: الرامة. المضال: الذي لا يبرأ منه. استثار: حرك نفع غبار. الامتحان: الاختبار. يقد: يقع في عينه القذى، وهو ما يسقط في العين، ويقول: من صار غرضاً للألسنة قل أن يسلم، ومن صار طالباً للمناظرة أهل المعارف أهين وأخف. المفاضح: الخزيات واشتهار العيوب. وسم: علامة. قدحه: سهمه، يريد قداح الميسر، وكان كل رجل يعمل في قدحه علامة يعرف بها، قال دريد بن الصمة:

وأصفر من قداح النبع فرع به علمان من عقب وخرس^(٢)

(١) العرب للجواليقي ١٥٤، وفي شفاء الغليل ٩٤ عن المرزوقي في شرح النصيح، قال: هو عربي، من دوت الكلمة إذا ضبطتها.

(٢) اللسان - خرّس

الضرس : العض بالضرس ، وسنذكر في الثالثة والأربعين قدام العرب :
 سيتفري : سيتكشف . قوله : «تناجت» ، أى تحدث سرّاً . يُسَبَّر : يقاس .
 قَلِيْبِه : بثره . يَعْمَد : يَقْصِد . تَقْلِيْبِه : تجريبه . ذُرُوْه : أتركوه . حِصَّتِي : نصيبي .
 قصتي : خبري ، وجعل لمألتة حجراً يرميه به مجاً . عُضْلَةٌ : صعبة . العقد :
 جمع عقدة ، يريد أن عقدها صعب الحال . محك المنتقد : وهو حجر يقاس به جيد
 الفضة والذهب من الرديء ؛ أراد أن مسألتة نهاية في الصعوبة ، والعُضْلَةُ : كل
 مسألة شديدة لا يُهْتَدَى لثلبها ، ولا يوقف على جوابها ، من قولهم : داء عضال
 ومعضل ، إذا كان شديداً لا يُهْتَدَى لدوائه ، ولا يوقف على علاجه ، وعضات
 المرأة تعضيلاً ، نسب ولدها في بطنها ، وعضت الدجاجة بيضتها كذلك ، وفلان
 عُضْلَةٌ من العضل ، أى داهية لا يُهْتَدَى لمكره . قوله : « الزعامة » ، أى
 الرياسة .

[ذكر قطري بن الفجاءة]

وأبو زعامة هو قطري بن الفجاءة النيمي الخارجي . وكان له فرس يكنى
 بها في الحرب ، ويسكنى في السلم أبا محمد . وقطري : منسوب إلى قطر ، موضع
 قريب من عقير .

وكان فارساً شجاعاً شاعراً مجيداً ، وكان رئيس الخوارج ، وسلموا عليه
 بأمر المؤمنين عشرين سنة ، وكان خطيباً فصيحاً . وله خطبة في ذم الدنيا انتهى
 فيها من البلاغة إلى الغاية . وأولها :

أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقَتْ
 بالقليل ، وتمحّبت بالمأجل ، وتحلّت بالأمانى ، وتزيتت بالغرور ،
 لا تدوم زهرتها ، ولا تؤمن لجمتها ، غرارة ضرارة ، حائلة زائلة ، نافذة بائدة ،

لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنيّة الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن تكون كما
قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً
تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ .

ومنها :

كم واثقٍ بها قد فجّته ، وذى طمأنينة إليها قد صرّعته ، وذى احتيالٍ فيها
قد خدّعه . وكم من ذى أهبة فيها قد صيّره حقيراً ، وذى نخوة قد ردّته ذليلاً ،
وذى تاج قد كبّته للبدن والنم ؛ سلطانها دول ، وعيشها رنق ، وعذبها أجاج ،
وحلوها صبر ، مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها
محروب ؛ مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي
الحكم العدل ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .

ومن جيّد شعره في وقعة دُولاب :

لعمرك إني في الحياة لزاهدٌ	وفي العيش ما لم ألقَ أمّ حكيم ^(١)
من الخفّرات البيض لم يُرَ مثلاً	شغاء لدى بثٍّ ولا لسقيم ^(٢)
لعمرك إني يوم أطمّ وجهها	على نائبات الدهر جدُّ تميم ^(٣)
ولو شهدتني يوم دُولاب أبصرتُ	طعان فتّى في الحرب غير ذميم ^(٤)
غداة طفت علماء بكر بن وائل	وعُجّنا صدور الخيل نحو تميم ^(٥)

(١) الأغاني ٦ : ١٤٨ ، الكامل للبرد ٣ : ٢٩٨ .

(٢) الأغاني : « لم أر مثلاً » .

(٣) دُولاب ، قال في الأغاني : « هي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحو من
أربعة فراسخ ، كانت بها حرب الأزارقة ومسلم بن عيسى بن كرز ، خليفة عبد الله
ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، وذلك في أيام ابن الزبير » .

(٤) علماء ، يريد على الماء ، وبعده في رواية المبرد :

وكان لعبد القيس أولُ جدّها وأحلافها من يَحْضَبِ وسليم

وظلّت شيوخ الأزد في حومة الوغى تعموم وظلّنا في الجلاء نعوّم

وفي البيت الثاني إقواء .

فلم أرَ يوماً كان أكثر منفعاً^(١) بُسِجُ دماً من فائِظٍ وكَلِيمٍ^(٢)
 وضاربة خذاً كريماً على فتى أغرَّ نجيب الأمهات ككريم
 أصيب بدولابٍ ولم تَكْ موطناً له أرض دولابٍ ودير حميم^(٣)
 فلو شهدتني يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كلَّ حريم
 رأيت فتيةً باعوا لإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وأم حكيم التي شتّب بها ، كانت معه في عسكر الإباضية ، وكانت من أشجع الناس ، وأجملهم وجهاً ، وأحسنهم بدينه متمسكاً . وكان قَطَرِيَّ يحبّها ويحلّها ، وأخبر من شاهدها في تلك الحروب أنها كانت ترتجز فتقول :
 أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَمَتْ حَمَلَهُ وَقَدْ مَلَتْ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

* أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ *

والخوارج يقدّونها بالآباء والأمهات ، وخطابها جماعة من أشراف الخوارج فردّتهم ، وقالت :

أَلَا إِنَّ وَجْهًا حَسَنَ اللَّهِ خَلَقَهُ لِأَجْدَرِ أَنْ يُبْلَغَ بِهِ الْحَسَنُ جَامِعاً
 وَأَكْرَمَ هَذَا الْجِرْمَ عَنْ أَنْ يَنَالَهُ تَوَرَّكَ فَخَلَّيْ هَمَّهُ أَنْ يَجَامِعَا

أين هذه من أمّ خارجة ، واسمها عمرة بنت سعد ، كان يقال : لها خِطْبٌ ، فتقول : نَكْح ، وضرب بها النثل فقيل : أسرع من نكاح أمّ خارجة^(٤)

(١) الأغاني والسكامل : « مقصدا » ، وهو الطعن بالرماح .

(٢) ط : « فائِظ » . تحريف ، صوابه من ا ، ب ؛ والفائِظ ، من قولهم : « فائِظ الرجل ، إذا مات » .

(٣) دير حميم : موضع بالأهواز .

(٤) المبدائي ١ : ٣٤٨

وأين هي من حفيذة قطري مع صاحبها ، حكى الإصهباني عن إسماعيل بن المهاجر قال : خرجت أنا والسيد الحميري سكارى ، فلتقينا بنت الفُجاءة بن عمرو ابن قطري بن الفُجاءة ، وكانت امرأة برزّة حسناء ، فواقظها السيد ، وأنشدها من شعره ، فأعجب كل واحد منهما صاحبه ، ثم خطبها ، فقالت : كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق ! قال : يكون كمنكاح أم خارجة ، قيل لها : خطب ، قالت : نكح ، فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا ، وعلى ذلك فمن أنت ؟ قال :

إن تسألني بقومي تسأل رجلاً في ذروة المجد من أجواد ذي يمن^(١)
ثم الولاء الذي أنجوا النجاة به من كعبة النار للهادي أبي حسن
فقالت : لا شيء أعجب من هذا ! يمانى وتميمية ، ورافضى وإباضية ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك تسخو نفسك^(٢) ، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً ، قالت : أفليس التزويج إذا علم ، انكشفت معه الستور^(٣) ؟ قال : وأنا أعرض عليك أخرى ، قالت : وما هي ؟ قال : المتعة^(٤) التي لا يعلم بها أحد ، قالت :

(١) بعده في رواية الأغاني :

حوّلي بها ذو كلاع في منازلها وذو رعين وهمدان وذو يزن
والأزد أزد عُمان الأكرمون إذا عدت ما أثرهم في سالف الزمن
بانت كريمة لهم عني فدارهم داري في الرحب من أوطانهم وطيني
لي منزلان : بلحج منزل وسط منها ، ولي منزل للعز في عدن

(٢) ط : « تحشد نفسك » ، وما أثبتته من الأغاني .

(٣) الأغاني : « انكشف معه الستور وظهرت خفيات الأمور » .

(٤) المتعة : أن تزوج امرأة تتمتع بها أياماً ، ثم تخلّي سبيلها ؛ وذلك أن الرجل كان يشارط المرأة شرطاً على شيء ، بأجل معلوم ، ويسطيها شيئاً ، فيستعملها بذلك ، ثم تخلّي سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ؛ وقد كانت مباحة في أول الإسلام ثم حُرمت ؛ والجلودي ؛ أحد كبار علماء الشيعة الإمامية كتاب أسماء المتعة وما جاء في تحليلها .

تلك أخت الزنا ، قال : أعيذك بالله أن تكفري بعد إيمانك ! قالت : وكيف ؟ قال لها : قال الله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ، قالت : أستخير الله وأقلدك ، إذ كنت صاحب قياس وتفطيش . ولما انصرفت معه ، وبات معرساً بها ؛ وبلغ أهلها من الخوارج أمرها توعدوها بالقتل ، فبجحت وقالوا : أتزوجت بكافر ! فكانت تخلف إليه مدةً وتواصله ^(١) .

وقوله : «تقليد الخوارج بأبناعمة» ، لما قتل الزبير بن عتيب على الأيماني أمير الخوارج ، أداروا أمرهم ، فأرادوا تولية عبدة بن هلال البشكري ، فقال : ألا أدلكم على من هو خير مني لكم ؟ من يطلعني في قبلي ، يحسني عن دبري ؛ عليكم بعتري ابن الفجاءة المازني ، فبايعوه .

* * *

فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَهْلِ ، وَقَالَ : اعْلَمْ أَنِّي أَوَالِي ، هَذَا الْوَالِي ، وَأَرْقِعُ حَالِي ، بِالْبَيَانِ الْحَالِي . وَكُنْتُ أَسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أَوْدِي ، فِي بِلَدِي ، بِسَعَةِ ذَاتِ يَدِي ، مَعَ قِلَّةِ عَدَدِي . فَمَا تَقَلَّ حَازِي ، وَنَفِدَ رِزَاذِي ، أُمَّتُهُ مِنْ أَرْجَائِي ، بِرَجَائِي ، وَدَعَوْتُهُ لِإِعَادَةِ رِوَائِي ، وَإِرْوَائِي ؛ فَهَشَّ لِلْوِفَادَةِ وَارْتَاخَ ، وَغَدَا بِالْإِفَادَةِ وَرَاحَ . فَلَمَّا اسْتَأْذَنَتْهُ فِي الْمِرَاحِ ، إِلَى الْمِرَاحِ ، عَلَى كَاهِلِ الْمِرَاحِ ؛ قَالَ : قَدْ أَرْمَعْتُ أَلَّا أَرْوِّدَكَ بَيَاتًا ؛ وَلَا أَجْمَعُ لَكَ شَتَاتًا ، أَوْ تُنْشِيءُ لِي أَمَامَ أَرْتِحَالِكَ ، رِسَالَةً تُودِعُهَا شَرْحَ حَالِكَ ، حُرُوفُ إِخْدَى كَلِمَتِهَا يَعْصِمُهَا النَّقْطُ ، وَحُرُوفُ الْآخِرَى لَمْ يُعْجَمَنَّ قَطُّ ، وَقَدْ اسْتَأْنَيْتُ

(١) الأغاني ٧ : ٢٦٤ . مع اختلاف في الرواية .

بَيَانِي حَوْلًا ، فَمَا أَحَارَ قَوْلًا ، وَنَبَّهْتُ فِكْرِي سِنَّةً ، فَمَا اَزْدَادَ
إِلَّا سِنَّةً . وَاسْتَعْنْتُ بِقَاطِبَةِ الْكِتَابِ ، فَكُلُّ مِنْهُمْ قَطَّبَ
وَتَابَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَدَعْتَ عَنْ وَصْفِكَ بِالْيَقِينِ ، فَأَتِ بَايَةَ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ اسْتَسْعَيْتَ يَمْعُوبًا ، وَاسْتَسْقَيْتَ أَمْسُكُوبًا ،
وَأَعْطَيْتَ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَأَسْكَنْتَ الدَّارَ بَانِيهَا . ثُمَّ فَكَّرَ رَيْثًا
اسْتَجَمَ قَرِيحَتَهُ ، وَاسْتَدْرَأَ لِقَحَّتَهُ ، وَقَالَ : أَلْقِ دَوَاتَكَ وَاقْرُبْ^(١) ،
وَاخْذُ أَدَاتَكَ وَاكْتُبْ :

• • •

قَوْلُهُ : « أُوَالِي » ، أَيْ أَلْأَزِمُ وَأَتَّخِذُهُ وَلِيًّا . أَرْقَعَ : أَصْلَحَ ، يُقَالُ رَقَعَ مِنْ
عَيْشِهِ ، إِذَا أَصْلَحَ مِنْهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

يَتْرُكُ مَا رَقَعَ مِنْ عَيْشِهِ يَعْثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجٌ^(٢)

الْهَمَجُ : الْبَعْوُضُ ، ثُمَّ قِيلَ لِأَرْذَالِ النَّاسِ : هَمَجٌ . الْحَالِي : الْمَزِينُ بِالْخَلْقِ .
أَوْدَى : عَوَّجَى . سَعَةً : كَثْرَةً . ذَاتُ يَدَى ، أَيْ مَالِي . عَدْدَى : عِيَالِي . حَاذَى :
ظَهْرِي ، وَفُلَانٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ، أَيْ قَلِيلُ الْعِيَالِ ، وَأَصْلُ الْحَاذِ مُؤَخَّرُ الْفَخْذَيْنِ .
نَقْدَ رِذَاذَى : فَرَحٌ قَلِيلٌ مَالِي ، وَالرِّذَاذُ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ . أَمَّتَهُ : قَصَدَتْهُ . أَرْجَائِي .
جِهَائِي وَبِلَادِي . رَجَائِي : أَمَلِي . رُؤَائِي : حَسَنُ هَيْئَتِي وَحَالِي : إِرْوَائِي : إِزَالَةُ
عَطَشِي . هَشَّ : خَفَّ ، وَرَجُلٌ هَشَّ بَسَامَ : طَلَبَ الْوَجْهَ . لِلْفَوَادَةِ : الْقُدُومُ عَلَيْهِ . وَارْتَاخُ :
طَرِبَ وَاهْتَزَّ . الْإِفَادَةُ : تَكْسِيبُ الْفَوَائِدِ . الْمَرَّاحُ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ : الْمَشْيُ وَالْانْصِرَافُ .

(١) ساقطة من مخطوطة المقامات .

(٢) اللسان - رقع ، ولسبة إلى الحارث بن حنظلة .

والمراح، بالضم: الموضع الذي تروح إليه الإبل وتروح منه، أو تراح إليه، أى تساق بالعشي. والمراح، بالكسر: النشاط والخفة، وقد مَرِحَ مَرَحًا، لعب، من الفرح. كاهل: ما بين فروع الكتفين، استعاره للنشاط. أزمعت: عرمت. بتاتًا: زادًا. شتاتًا: مالا متفرقا. تنشىء: تصنع وتكتب. أمام ارتحالك: قبل سفرك: تودعها: تضمها وتجعل فيها. يعجمن: ينتظن، وأعجمت الكتاب: أزلت عنه عجمته.

قط: لفظة موضوعة لما مضى من الدهر. وجعل الحريرى قول الخواص: «لا أكله قط» من أخش الخيا للتناقض الكلام، قال: وذلك أن العرب تستعمل لفظة «قط» فيما مضى من الزمان، كما تستعمل لفظة «أبدأ» فيما يستقبل، فيقولون ما كلمته أبدأ، والمعنى: ما كلمته فيما انقطع من عمري، لأنه من قطعتُ الشيء، إذا قطعته، ومنه قطّ القلم، إذا قطع طرفه. وفيما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان إذا استقبل قدا، وإذا استدبر قطا، فالقد قطع الشيء طولا، والقط قطع عرضا^(١). يقول: تصنع رسالة تضمها حالك، يكون تركيبها من كلمة بعم حروفها النقط، وكلمة لا ينقط منها حرف، وبهذا المعنى سُميت المقامة الخيفة، لأن الأخيف من الخيل: الذى إحدى عينيه زرقاء. والأخرى كحلاء. استأنيت: أمهات وأخرت. أحرار: ردّ وراجع. نبتت: أيقظت. سنة: حولا. سنة: نومًا. قاطبة: جماعة. قطب وجهه، إذا عبسه. صدعت: أوضحت وأظهرت، وأصل الصدع الشق. باليقين: بالحق الواضح. آية: علامة، قال ابن الأنبارى رحمه الله: فى قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه: قيل إنها علامة لانقطاع الكلام قبلها وبعدها، واحتج أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر:

• بآية ما تحبون الطعّامًا •

وبقول النابغة :

تَوَهَّمْتُ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا لِسْتَةً أَعْوَامٍ وَذَا الْقَامُ سَابِعٌ^(١)

الثاني: سُمِّيت الآية لأنها جماعة حروف ، قال أبو عمرو: خرج القوم بآيتهم ، أى بجماعتهم .

الثالث: سُمِّيت آية لأنها عجب من العجائب ، فالآية العجب .

قوله : «استسميت» : طلبت سمية أى جريه . والتعبؤب: الفرس السريع . استسقيت : استمطرت وطلبت سقياه . والأسكوب : المطر الكثير . باريها : صانعها ، وكل هذه أمثال ، ويريد : أنا أهل لكل ما طلبت .

[الخطيئة وسعيد بن العاص]

وأول من قال: أعط القوس باريها^(٢) الخطيئة ، وذلك أنه دخل على سعيد ابن العاص وهو يقرى الناس ، فأكل أكلًا جافيًا ، وخرج الناس ، فأقام ، وأتاه الحاجب ليخرجه فامتنع ، وقال : أترغب بهم عن مجالستي ! إننى بنفسى عنهم لأرغب ! فقال له سعيد : دعه . ثم تذاكروا الشعر والشعراء ، فقال لهم الخطيئة : والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ، ولو أعطيت القوس باريها ، وقسم على ما تريدون ، فقال له سعيد : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

لَا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقْدُ مَنْ قَدْ رَزِيَتْهُ الْإِعْدَامُ

إلى آخر القصيدة . قال : فمن قائلها ؟ قال : أبو دواد الإيادى ، قال : ثم من ؟ قال : والله لحسبك بى رهبة أو رغبة ؛ أنا إذا رفعت إحدى رجلتى على الأخرى ، وعويت فى إثر القوافى كما يعوى الفصيل الصادى إثر أمه ؛ قال :

(١) ديوانه . ٥٠ .

(٢) الميدانى ٢ : ١٩ ، وجهرة الأمثال ١ : ٧٦ .

[من أنت ؟ قال : ^(١) الحطيثة ، قال : حياك الله يا أبا مليكة ، ألا أعثمتنا بمكانك ، ولم تحملنا على الجهل بك ، فنضيع حقك ونبخسك قسطك ! وأدناه ووصله ^(٢) .

وقال الشاعر :

يا باري القوس برّيا ليس يُحسِنُه لا تظلم القوس واعط القوس باريها
ريث : مقدار وبطاء . استجم : استكثر . قريحته : طبيعته ، والقريحة في الأصل أوّل ماء البئر النابع ، واستجمها : تركها حتى تكثر . استدر : استنزل . درّها وهو لبنها . واللّقحة : الناقة ذات اللبن ؛ يريد : أقام قليلا يفكر ويختار . ما يقول : ومثل هذه الحالة ذكرُوا أن صديقا لكثوم العتّابي أتاه يوما ، فقال له : اصنع لي رسالة ، فاستمدّ مدّة ، ثم علّق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلّا شاردةً عنك ، فقال له العتّابي : إني لما تناولتُ القلم تداعت عليّ المعاني من كلّ جهة ، فأحببت أن أترك كلّ معنى حتى يرجع إلى موضعه ، وهذه مثل قول امرئ القيس - ويقال إنه قالها وهو ابن عشر سنين :

أذودُ القوافي عني ذبادا ذباد غلام غويّ جوادا ^(٣)
فلما كثرت وعينته تخير منها جوادا جبادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من درّها المستجادا

وقال عريف القوافي ^(٤) :

أبيتُ بأبواب القوافي كأنما أصادي بها ميربا من الوحش نزعا
عواصي إلا ما جعلت وراءها عصا ميربد تغشى وجوها وأذرعا
إذا خفت أن تُروى على ردديها وراء التراقي خشية أن تطلعا

(١) من الأغاني (٢) الأغاني ٢ : ١٦٧ ، مع تصرف واختصار .

(٣) ديوانه : ٢٤٨ .

(٤) كذا ذكر المؤلف ، والأبيات في الشعر والشعراء ٢٣ ، ٦١٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢ والأغاني ١١ : ١٢٣ منسوبة لسويد بن كراع .

أُصَادِي : أَدَارِي ، وجعل التوافي تفتحم عليه كالإبل ، وهو يضربها بعصاه حتى يختار جيادها .

[فصل في الدواة والمداد والقلم]

قوله « أَلِقْ » ، أى اجعل فيها ليفة ، تقول : أَلَقْتُ الدواة فهي مَلِيقَةٌ ، وَأَلَقْتُهَا فهي مَلَاقَةٌ ، وجمع الليفة لَيْقٌ . ويقال للصُّوفَةُ قبل أن تُبَلَّ بالمداد : البُوهة والمُوارة ، فإذا بَلَّت بالمداد سُمِّيَتْ لَيْقَةً ، وقد يقال لها : لَيْقَةٌ قبل أن تُبَلَّ ، سُمِّيَتْ بما تنول إليه ، كما قيل للكَبَشِ : ذَبِيحٌ ، وللصَيْدِ : رَمِيَّةٌ ، فإن كانت قُطْنَةٌ فهي الْمُطْبَةُ والكُرْسُفَةُ ، وكُرْسَفَتِ الدواة كُرْسُفَةً ، والقُطْنُ كُلُّهُ يقال له : الْعُطْبُ والكُرْسُفُ .

ويقال للمدَادِ : نَقَسَ وَنَقَسَ ، والكُسْرُ أَفْصَحُ ، وقيل : الفَتْحُ مصدر نَقَسَتْهَا ، جعلت فيها نِقْسًا ، والخَبْرُ من المداد بالكسر لا غير ، والخَبْرُ بالفتح والكسر : العالم . وقال بعضهم : سَمِيَ المداد خَبْرًا بِاسْمِ الْعَالِمِ ، كأنهم أرادوا مداد خَبْرٍ ، فحذفوا ، ولو كان ما قالوه صحيحًا لقالوا للمدَادِ : خَبْرٌ بالفتح ، والأشبه أن يَسَمَى خَبْرًا لِأَنَّهُ يَحْسَنُ الْكِتَابَةَ ، من قولهم : خَبَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا حَسَّنْتَهُ . ويقال لِلْجَمَالِ : خَبْرٌ وَسَبْرٌ ، فمداد خَبْرٍ ، كقولك مداد زينة وجمال ، أو يكون من الخَبْرِ والخُبَارِ ، وهو الأثر ، فيسَمَى بذلك لتأثيره في الكتاب . ويقال : مَدَدَتِ الدواة أَمَدَهَا مَدًّا ، إِذَا جَعَلَتْ فِيهَا مِدَادًا ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا مَدَادٌ فَزِدْتَ عَلَيْهِ قَلْتَ : أَمَدَدْتُهَا ، فَإِذَا أَمَرْتَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَدَادِ بِالْقَلَمِ قَلْتَ : اسْتَمَدَدَ ، فَإِنْ سَأَلْتَهُ أَنْ يَعْطِيَكَ عَلَى الْقَلَمِ مِدَادًا ، قَلْتَ : أَمَدِدْنِي مِنْ دَوَاتِكَ ، وَاسْتَمَدَدْتُهُ أَنَا ؛ سَأَلْتُهُ أَنْ يَمَدَّنِي . وقال الخليل : مُدَّنِي وَأَمَدَّنِي : أَعْطَنِي مِنْ مَدَادِ دَوَاتِكَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ زَادَ فِي شَيْءٍ فَهُوَ مَدَادٌ لَهُ ، وَأَمَهَتْ الدَّوَاةُ وَمَوَّهَتْهَا ؛ إِذَا جَعَلْتَ فِيهَا مَاءً ، وَالْأَمْرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَمَهُ وَمَوَّهَ دَوَاتَكَ .

واشتقاق الدَّوَاةِ مِنَ الدَّوَاءِ ، لِأَنَّ بَهَا إِصْلَاحَ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ اشْتَقَّهَا مِنْ دَوَى الرَّجْلِ يَدْوِي دَوِيًّا ، إِذَا صَارَ فِي جَوْفِهِ الدَّاءُ ، قَالَ : (١٦ - شرح مقامات الحريري)

أما الدواة فأدوى حياها جسدى وحرّف الخطّ تحريف^(١) من القلم
ووزنها « فعلة » تحرّكت الياء وقبلها فتحة ، فقلبت ألاناً ، وتجمع دويات ؛
كقناة وقنوات ، ودوى كقناة وقناً . ويقال : أدويت فأنا مدور : اتخذت
دواة ، ويقال للذى يبيعها : دواء كحياط ، وإذا أمرت من يتخذها قلت : أدور
دواة ، ويقال لمن يحملها ويمسكها : دواء ، ويقال لها : الدواة والرقيم والنون .
ويقال : هو القلم والمزبر بالزاي والمذبر من زبرت وذبرت ، أى كتبت ، ومن
فرقت بينهما قال : زبرت بالزاي ، أى كتبت ، وذبرت ، أى قرأت . وسمى
قلماً لأنه قلم ، أى قطع وسوى ، كما يقلم الظفر ، وكلّ عود قطع وحز رأسه وأعلم
بعلامة : هو قلم ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يُبَلِّغُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾^(٢) ،
وكانت سهاماً فيها أسماؤهم مكتوبة . ويقال للذى يقلم به : مقلم ، وللذى يُبرى
به : مبرى ، ولما سقط عن البرى والتقليم : القلامة والبراية . وقيل لأعرابي :
ما القلم ؟ ففكر ساعة ، وجعل يقلّب أصابعه ، ثم قال : لا أدري ؛ فقيل له :
توهّمه فى نفسك ، قال : هو عود قلم من جوانبه كتقليم الأظفار . ويقال
لعقده : الكعوب ، واحدها كعب ، ولما يئنها الأنايب ، واحدها أنبوب ،
وبستعلان فى الرمح ، وفى كلّ عود فيه عقد ، والعقدة التى تشينه تسمى
الأبنة وجمعها أبّن ، فإن كان فى العود أو القصبة تأكل ، قيل فيه : قاذح
ونقد ، ويقال لباطنه : الشحمة ، ولظاهره الليط ، فإن قشرت منه قشرة قلت :
لطيّطت من القلم ليطّة ، فإن أخذت شحمته بالسكين قيل : شحمته أشحمه ، فإن
أفرطت فى أخذها ، قلت : بطمته تبطيناً فهو مبطن ، وحفرته فهو محفور ، فإن
تركت شحمته ، قلت : أشحمته إشحاماً . ويقال لغشائه الذى عليه : الغلاف
واللحاء والتشر ، فإذا نزعها عنه قيل : قشرته ولحوته وقشوته وسحوته ،

(١) الانتصاب ٨٢ .

(٢) آل عمران ٤٤ .

ويقال في ثلاثيها بالياء ، ووسمته ونقخته ، مشدّان . ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما : السّنان والشّعيرتان ، واحدهما سنّ وشعيرة ، فإذا قطع طرفه وهيئ للكتابة قيل : قطّطته أقطه قطّاً ، ونصمته أفصمه قصماً ، والمقطّ بالكسر : ما يقطّ عليه ، وبالفتح الموضع الذي يقط من رأسه ، فإن جعلت إحدى سنيّه أطول من الأخرى قلت : قلم محرف ، وقد حرفته تحريفاً ، فإن سويتهما قلت : قلم مبسوط ، فإن سمع له صوت عند الكتابة ، فذلك الصريف والصرير والرشيّق . ويقال للقصب : اليراع والأبّاء ، الواحد يرّاعة وأبّاءة ، وقيل : الأبّاء أطراف القلم ، أي القصب ، ويقال للقطن الذي يوجد في بطنها : الببلمّ والقيصف والقيسع ، واحده بنبلمة وقيصفة وقيسعة ، فإن كان في القصب ثأكل قيل فيه : قادح ونقد ، وكذلك العود والسنّ والقرن ، فإن كان فيها عوّج فذلك الدرّ^(١) .

قوله : «خذأداتك» ، أي قلمك . وقال ابن طاهر لكاتب له : ألق دواتك ، وأطل سنّ قلمك ، وفرّق بين السطور ، وتوسط بين الحروف . وقال ابن عبد ربه : ينبغي للكاتب أن يصلح آلتّه التي لا بدّ له منها ، وأداته التي لا تتمّ صناعته إلا بها ، وهي دواته ، فلينعم ربّها بإصلاحها ، ثم ليغتر من أنابيب القصب أفضلها عُقْدًا ، وأكثفها لحماً ، وأصلبها قشراً ، وأعدّها لاستواء ، ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً ليكون عوناً له على برّى أعلامه ، ويبريها من ناحية نبات القصب .

واعلم أنّ محلّ القلم من الكاتب محلّ الرّمح من الفارس ، نظم أحد الشعراء فقال :

يُمسِكُ الفارسُ رُحماً بيدٍ وأنا أُمسِكُ فيها قَصَبَهُ
فكلّانا فارسٌ في شأنِهِ إنما الأعلامُ رُمُحُ الكُتّابِ

(١) نظر المؤلف في هذا الفصل إلى ما أورده ابن السيد البطلبوس في كتاب الاختصاف في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ص ٨٢ - ٨٧ مع تصرف واختصار .

وقال أبو الفتح البُستي :

إن هزَّ أقلامه يوماً لِيَعْمَلَهَا أنساك كلَّ كَمِيٍّ هزَّ عامِلُهُ^(١)
وإن أقرَّ على رَقٍّ أنامله أقرَّ بالرقِّ كتابُ الأنام له

رأى جعفر بن يحيى خطأ فاستحسنه ، فقال : الخلط خيطة الحكمة ، يُنظم فيه مشورها ، وتُفصل فيه شذورها .

ومن كتاب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث : أما بعد ، فليكن قلبك محرّفاً ، لامتينا ولا رقيقاً ، ضيق القلب ، فابره برياً مستويّاً كمنقار الحمامة ، أعطف بطنه ، ورقق شفرتيه ، وليكن قرطاسك رقيقاً مستويّ النّسج ، مخرّج السّحابة^(٢) ، مستويّاً من أحد الطرفين إلى آخره ، فليست تستقيم السّطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر مَطَك في أطراف القرطاس الذي فيه يسارك ، وأقله في الوسط ، ولا تخط في الطرف الآخر ، والمط نصف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل .

قال المتأبّي : سألتني الأصمعيّ في دار الرشيد : أيّ الأنايب للكتابة أصالح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما نُسِف بالهجير ماؤه ، وستره من تلويحه غشاؤه ، من الدّرية الظهور ، النّيرة القشور ، الفِضيّة الكسور ؛ قال : فأى نوع من البرى أصوب وأكتب ؟ فقلت له : البرية المستوية القطعة ، التي عن يمين سنّها قرنة^(٣) ، تأمن معها المجة عند المدّة والمطة ، للهواء في شقّها صفيق^(٤) ، وللريح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها رقيق . قال المتأبّي : فبقي الأصمعيّ شاخصاً إلى لا يحير جواباً^(٥) .

(٢) السحابة : القشرة .

(١) بنية الفهر ٤ : ٢٩١

(٤) للمقد : « فينق »

(٣) القرنة : الطرف المائل من كل شيء

(٥) المقد ٤ : ١٧٣

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : جودة برى القلم ،
 وإطالة جلسته ، وتحريف قطته ، وحسن التأني لامتناء الأنامل ، وإرسال المدة
 بعد إشباع الحروف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .
 وقال بعض الكتاب : عَطَّرُوا دِفَاتِرَكُمْ بِحَبِّدِ الْخَبَرِ ، فَإِنَّ الْكُتُبَ غَوَانِ
 هُوَ الْخَبَرُ غَوَالٍ .

وقال بعض الكتاب أيضاً :

وما رَوْضُ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهَاهُ نَدَى الْأَشْحَارِ بِأَرْجٍ بِالْعَدَاةِ
 بِأَضْوَعٍ أَوْ بِأَسْطَعٍ مِنْ نَسِيمٍ تُؤَدِّيهِ الْأَفَاوِهُ مِنْ دَوَاةِ
 كَانَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

دَعَى فِي الْكِتَابِ لَيْسَ مِنْهَا لَهُ فِصْكَرٌ يُكَاوِلُ لَابِدِيهِ^(١)
 كَانَ دَوَاتِهِ مِنْ رِيقٍ فِيهِ تَلَاقٌ ، فَرِيحُهَا أَيْدٍ كَرِيهِ

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد ، وهو يستره ، فقال له :
 لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وَحِلْيَةُ الْكُتُبِ
 ولبعضهم يهجو كاتباً :

حَارٌّ فِي الْكِتَابَةِ بِدَعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ
 فَدَغَ عَنْكَ الْكِتَابَةُ لَسْتُ مِنْهَا وَلَوْ لَطَأْتَ نَفْسَكَ بِالْمِدَادِ

وقال كُشَاجِمُ لُورَاقٍ يَدْعَى الْكِتَابَةَ :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ فِي الْكِتَابَةِ مَدْرُكٌ شَاوِي ، قَلْتَ : رَمَاحُنَا أَقْلَامٌ^(٢)
 هِيَّاتَ تِلْكَ صِنَاعَةُ مَمْزُوجَةٍ فِيهَا ضِيَاءٌ وَاضِحٌ وَظُلَامٌ

(١) أدب الكتاب للصولي ١٠١

(٢) ديوانه ١٦٠ وفيه : • يربق دماءنا •

هذا الحديد سلاح أبطال الوغى وبه يَنْسَجُ دماءنا الحِجَامُ
 وقال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس ، وهو يكتب كتاباً ،
 فنقطت من القلم نقطة مفسدة ، فمسحها بكفه ؛ فتمعّجت ، فقال : لا تعجّب ،
 المال فرع والقلم أصل ، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع ، وبهذا السواد
 جاءت هذه الثياب ، ثم أطرق قليلاً وقال :

إذا ما النكرُ وَلَدَ حسن لفظٍ وأسله الوجودُ إلى البيانِ
 ووشاه فنمنه جوادٌ فصيحٌ في المقالِ بلا لسانِ
 ترى حُلَّ البيانِ منشراتٍ تجلّى بينها صور المعانيِ
 وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ، فصرَّ
 القلم في يده ، فأنشد :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارماً بكادُ يصمُّ السامعين صريرُها
 تساقط في القِرطاس منها بدائعٌ كمثل اللآلى نظمها وشيرُها
 تقود أبيات البيان بفطنةٍ تكشف عن وجه البلاغة نورُها
 تظل المنايا والعطايا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضي أمورُها
 إذا ما خطوب الدهر أرخت ستورها تجلّت بنا عما يسر ستورها
 وأتى رجل وكيعاً ، فقال : رجل يمت إليك بحزمة ! فقال له : وما حُرمتك ؟
 قال له : كنت تكتب بمحبرتي عند الأعمش . فوثب وكيع إلى منزله ، ثم
 أخرج منه دنانير لنفقتة ، وقال له : اعذرني فما أملك غيرها ، ودنمها إليه .

وقال أبو الحسن بن لبّال في محبرة آبنوس :

وخديمة للعلم في أحشائها كلّفَ بجمع حلاله وحرامه
 ليست رداء الليل ثم نوشعت بنجومه وتوَجَّت بهلاله

وحدثني عن شيخى النقيه أبى عبدالله بن زرقون ابنه الفقيه أبو الحسين ،
قال : حدثني أبى أنه كان بسبته أيام الشبية والطلب ، فى مجلس جمع من طلبة
الأدب ، فتمرض لهم رجل بمحبرة صنعها ، وأراد أن يقصد بها الوالى على حسنها ،
وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة ، فأطرقوا يروون ، فبادرهم أبو الطالب
ابن أبى ركب فقال :

جاءتك من غرر العلا زنجية^(١) فى حلة من حلية تنبخر^(٢)
سوداء صفراء الحلى كأنها ليل تطرزه نجوم تزهرو

فاستحسنهما من حضر ، ورأوا أنه قد أربى على الفاية فيما عنه صدر ،
فكتبنا للرجل فى رقعة ، فبعد ما سار بها قليلا ، رجع فأبرز منها قلم صفر مذهباً ،
ورغب أن يضمن ذكره فى منظوم يضاف إلى البيتين ، فأطرقوا يروون فى ذلك ،
فبادرهم أبو طالب المذكور فقال :

كملت بأصفر من نجار حليها^(١) تخفيه أحياناً ، وحيناً يظهر^(٢)
خرسان إلا حين يرضع نديها^(٣) فقرأه ينطق ما يشاء ويذكر^(٤)
وقال آخر يصف دواة وأقلاما :

قد بعنا إليك أمّ العطايا^(١) والمنايا زجيجة الأخساب^(٢)
فى حشاها من غير حرب حراب^(٣) وهى أمضى من نأفذات الحراب^(٤)

وأحسن ما قيل فى القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات :

لك القلم الأعلى الذى بسنانه^(١) نصاب من المرء السكلى والمفاصل^(٢)
له الجملوات اللاء لولا نجيتها^(٣) كما احتفلت لملك تلك المحافل^(٤)
لعاب الأفاعى القاتلات لعابه^(٥) وأرى الجنى اشتارته أبدي عواسل^(٦)

(١) ديوانه ٢٥٧ ، وشبابة القلم : حده .

(٢) الأرى : العمل .

له ديمة طُلٌّ ، ولكن وقمها بآثاره في الشرق والغرب وأبل^(١)
فصيح إن استنطقته وهو راكب وأعجم إن خاطبته وهو راجل
إذا ما امتطى الحس الأذاف وأفرغت

عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوّضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رندته الخنصران وسدّدت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
رأيت جايلاً شأنه وهو مرهف ضئي ، وسمينا خطبه وهو ناحل

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعدّوه مما يكسب المجد والكرم^(٢)
كفى قلم الكتاب مجداً ورفعةً مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال البحتري :

تعنوله وزراء الملك خاضعةً وعادة السيف أن يستخدم القلم^(٣)

وقال أبو العباس التنوخي :

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت

له الرقاب ودانت خسوفه الامم

فالموت والموت لا شيء يقابله ما زال يتبع ما يجري به القلم

بذا قضى الله للأقلام منذ برئت أن السيوف لها منذ أرهنت خدام

(١) الطل : المطر القليل ، والوايل : المطر الكبير .

(٢) ديوانه ٢٠٤٨

(٣) الطرائف ٢٢

وناقضه أبو الطيب المتنبي فقال :

حتى يرجعتُ وأقلامي قوائِلُ لي : المجد لل سيف ليس المجد لل قلم ^(١)
اكتب بنا أبدأ بعد الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالخدم
وقال الصولي : فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أكتب
بلا غرر ، وأنت تقتل على خطر ، فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تم
مداده ، وإلا فإلى السيف معاده .

قال الصولي : وقال بعض اليونانيين : الدين والدنيا تحت شيتين : سيف
وقلم ، والسيف تحت القلم .

وفي ذلك يقول جرير النميري :

أتحقرني ولستَ لذك أهلاً وتُدني الأصفرين من الخوان
جهاذة وكتابٌ وليسوا بفرسان الكتبة والطعان
ستذكرني وتعرفني إذا ما تلاقي الحلقتان من البطان
وقال كشاجم :

هنيئاً لأصحاب السيوف بطالة تقضى بها أيامهم في التنعم
وكم فيهم من دائم الأمر لم يرغ بحرب ولم ينهد لقرن مصمم
وكل ذوى الأقلام في كل ساعة سيوفهم ليست تجف من الدم
وقال آخر :

قوم إذا أخذوا الأقلام من قصب ثم استمدوا بها ماء المنيات
فالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا

مألاً ينال بحدة المشرقيات

وقال البحتري يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه :

وإذا تآلق في العيون كلامه أ
وإذا دجت أقلامه ثم انتحت
فاللفظ يقرب فهمه في بعده
حكيم ، فسامحها خلال بنائه
فكأنها والاعم معقود لها
مخمود خلت لسانه من عضيه (١)
برقت مصابيح الدجى في كتيبه
منا ، ويبعد نيله من قرينه
متدفق ، وقلبيها في قلبه
شخص الحبيب بدا لعين محبيه

وقال علي بن الجهم في رقعة جاءت به بخط جارية :

ما رقعة جاءتك مشيئة كأنها خدت على خد (٢)
نبذ سواد في ياض كما (٣)
سأمة الأسفار مصروفة
يا كاتباً أسلمني عتبه
ذر فتيت المسك في الورد
عن وجهه الهزل إلى الجدد
إليه ، حسبي منك ما عندي

وقال البحرى في ابن الزيات :

قد تصرف في الكتابة حتى عطّل الناس ذكر عبد الحميد (٤)
في نظام من البلاغة ما شك أمرؤ أنه نظام فريد
وبدع كأنه الزهر الضا حك في روثي الربيع الجديد
ما أعيرت منه بطون القراطيد س وما حملت ظهور البريد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنّب ظلمة التعقيد
كالمداري غدوّن في الحلال الصف ر إذا رحن في الخطوب السود

قال المأمون لمحمد بن داود : إن شاركناك في اللفظ فقد تاركناك في الخط ،

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدي عن الله تعالى رسالته ، وحفظ وحيه ، وهو أعمى لا يعرف من فنون الخط فناً ،

(١) ديوانه ١٦٤

(٣) النبذ : الشيء القليل .

(٢) ديوانه ٩١

(٤) ديوانه ٦٣٦ .

ولا يقرأ من حروفها حرفاً ، وبقى عمود ذلك في أهله ، فهم يشرفون بالشرف
الكريم في نقص الخط ، كما يشرف غيرهم بزيادته ، وإن أمير المؤمنين أخص
الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقلد لنهيه ولأمره ،
فتعلقت به المشابهة الجائلة ، وتناهت إليه الفضيلة . فقال المأمون : يا محمد ، لقد
تركنتي لا آسى على الكتابة ولو كنت أمياً .

قد ذكرنا من آلات الكتابة ثراً ونظاماً ما فيه كناية وفي السادسة
والعشرين من النظم في أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردنا هنا .
وإنما أخرج الحريري رسالته انخفاً من هذه الأوصاف المنظومة في الرسائل التي
قدّمناها آنفاً لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لإنشائها وتاب ، لما فيها من
لزوم قط لفظة وترك أخرى ؛ وهي على ما بها من التكلف ، راتقة للمعاني ،
أنيقة المباني ، ولو غيره تعاطاها لأظلمت معانيها ، وتداعت مبانيها ، فله هو !
لقد كان منقاداً له صعب الكلام بأيسر مرام ! وما هو في محاولة البلاغة إلا
كما قال حبيب في سليمان بن وهب :

سُرُحُ نطقه إذا ما استمرت عقدة العي في لسان الخطيب^(١)
ومصيب شواكل الأمرفيه مشكلات مملكتي لب اللبيب
لامعني بكل شيء ولا كل عجيب في عينه بعجيب

الكرم - نبت الله جيش سمودك - يزين ، واللؤم - غض الدهر
جفن حسودك يشين ، والأروع يشيب ، والمور يخيب ، والحلاحل
يضيف ، والماحل يخيف ، والسّمح يُنذِي ، والمحك يُقْذِي ، والعطاء
يُنْجِي ، والمطال يُشْجِي ، والدّعاء يقى ، والمدح يُنْقِي ، والحر يُجْزِي .

(١) ديوانه ٣٧ . وفيه : « سرح قوله » .

والإلطاء يُخزي، وإطراحُ ذي الحُرمة غيٌّ، ومحرمة بني الآمالِ بغيٌّ،
وما صنَّ إلاَّ غيبينَّ، ولا غُبنَ إلاَّ صنينَّ، ولا خزنَ إلاَّ شقيَّ، ولا
قبضَ راحةٍ تقيَّ. وما فتى، وعدك يفي، وأراؤك تشفي، وهلاكك
يضي، وحلمك ينعفي، وآلاؤك تُغني، وأعداؤك تُثني، وحسامك
يُفني، وسوددك يبيدني، ومواصلك يعجتي، ومادحك يقتني، وسماحك
يغيث، وسماؤك تنيث، ودركك يفيض، وردك يفيض، ومؤمك
شيخٌ حكا في، ولم يبق له شيء. أمك بطن حِرصه يثب، ومدحك
ينخب مهورها تجيب، ومرامه يخف، وأواصره تشف، وإطراؤه
يجتذب، وملامه يجتذب، ووراءه ضفف، مسهم شطف، وحصم
جنف، وعمهم قشف، وهو في دمعٍ يجيب، ووله يذيب، وهم
تضيّف، وكمدٍ نيف، لما مولٍ خيب، وإهمالٍ شيب، وعدوٍ نيب،
وهُدوٍ تغيب، ولم يزغ وده فيمضب، ولا خبت عوده فيقضب،
ولا نقت صدره، فينفض، ولا نشر وصله فيبفض، وما يقتضي
كرمك تبذ حرمه، فيبيض أمله، بتخفيف أمله، ينت حمدك بين
عالمه. بقيت لإمارة شجب، وإعطاء شجب، ومداواة شجن، ومراعاة
يفن، موصولاً بخفض، وسرور غض، ما غشي معهد غني، أو خشي
وهم غبي، والسلام :

قوله : «غَضَّ الدهر جفن حودك» ، يقال : غَضَّ جفنه ، أى سدَّ عينيه ، دعاء عليه بالعمى ، يقول : الكرم يزيت صاحبه . واللؤم -- وهو البخل -- يشينه ويَعيبه ، ثم دعاه بدوام السعد وثبوته ، وبعمى عين الحسود حتى لا يبصر ما أُعْطِيَ الممدوح من النعم ، فيأخذها بالعين . الأروع : السيد الكريم ، وهو الذى قصد ، وقيل : الأروع الحديد النفس ، وقيل : الذى يروغك بجاله . يُثيب : يُجازى . قاصده . والمغور : البادى العورة ، وهو الفارس يظهر فى طمغه خلل ، وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة ، ومن جملة عيوبه البخل حتى يخيب قاصده ، لأنه قابل به الأروع ، وهو التام الجسم ، الجهير الصوت ، قال الشاعر :

بواخى لثيمُ الناس كلُّ ملائمٍ وينطق بالموراء من كان مغوراً

الملاحل : السيد الذى يحل به الناس كثيراً . يُضيف : يُنزل الأضياف ويكرمهم . والمالحل : البخیل ، شبه بالبلد المالحل ، وهو الجذب ، فكان المالحل الذى لا يوجد عنده خير ، يقال : أحل البلد ، وبلد مالحل وذو تحل ، مثل لابن وتامر ، والمالحل النقام ، يقال : تحل به إلى السلطان إذا وثى به ، وهو الذى يخيف على الحقيقة ، والمالحل أيضاً : الخصم ، وقد ماحلته وماحلنى . يُغذى : يطعم . والحلك : اللجوج ، وهو مقابل السمح الخلق . يُغذى : يجعل فى العين قذى ، أى يضر قاصده ويؤله . يُنجى : يخلص صاحبه من الذم ، وتقدم المطال . يُنقى : يفسل العيب . والإلطاء : الامتناع من فعل الخير ، ويقال : لطف وألطف ، إذا ذهب ، واطأ الشئ وألطفه ، إذا ستره . يُخزى : يهين . أطراح : ترك . ذى الحرمة ، أى صاحبها ، والحرمة ما لا يحل تركه لضياع ، ومن قصدك فقد دخل فى حرمك ، فتركه ليس من المروءة . نغى : فساد وضلال . تحرمة : منع . بنى . الآمال : أهل الرجل الذين يرجون خيره ويأملونه . بنى : ظلم . ضن : بخل . غيبين : مخدوع فى رأيه . ضنين : بخيل ، يقول : ما يضمن بماله من هو شديد .

النظر ولا الصيب الرأى إنما يبخل به مَنْ هـ فاسد النظر مغبون فى رأيه .
 خزن : حبس ماله : قبض راحه : ضم كفه على مافيه ، وهذه كناية عن المنع والبخل .
 والتقى : الذى بقى نفسه من العذاب بعمله الصالح ، من وقيتُ نفسي أقيها ،
 واختلف فى وزنه قليل « فعول » وأصلها « وقوى » ، فأبدلوا من الواو تاء لقرب
 مخرجيهما ، ومن الواو الثانية ياء وأدغموها فى الياء ، وكسروا القاف لتصحح
 الياء ، والاختيار أن يكون وزنه « فميلاً » وأصله « تقى » ، فأدغموا الياء فى الياء ،
 وللدليل على صحته جمعهم له على أتقياء ، كولى وأولياء ، ومن قال : إنه
 « فعول » قال : لما أشبه « فميلاً » جُمع جمعه .

قوله : « ما فتى » ، أى مازال . ينى : يصدق ويكون وقتاً . آراؤك : جمع رأى .
 تشفى : تزيل الهم عن قلب وليك ، وتبرى مرض قاصدك من فقره ، يصفه بخودة
 الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده . هلالك بضى :
 يصفه بطلاقة الوجه وإضاءته عند السؤال ، قال زهير :

تراه إذا ما جثته متهاًلاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله^(١)

وكما قال أبو بكر فى الطلاقة :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

خلاقاً لسيء الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء ، واللثيم الذى إذا سئل
 انزوى وتقبض .

بفضى : يسمع . آلاؤك : نعمك . أعداؤك تُثنى : يقول لكثرة المادحين
 لك والناشرين لفضلك ، لم يمكن أعداؤك وحسادك ذمك لتكذيب الناس
 إياهم ، فصاروا يثنون عليك مع من يثنى ؛ ويحكى أن أعرابياً استضاف حاتماً ،

فلم يُنزلهُ ، فبات جائعاً مقروراً ، فلما كان في السَّحر ركب راحلته ، وانصرف ،
فتقدمه حاتم ، فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكراً ، فقال له : من كان أبا
مشواك البارحة ؟ قال : حاتم ، قال : فكيف كان مبيتك عنده ؟ قال : خير
مبيت ، نحر لي ناقه فأطعمني لحماً عبيطاً ، وأسقاني الخمر ، وعلف راحلتي ، وسرت
من عنده بخير حال . فقال له : أنا حاتم ، والله لا تبرحُ حق ترى ما وصفت ،
فردّه وقال له : ما حملك على الكذب ؟ فقال له الأعرابي : إنَّ الناس كلَّهم
يثنون عليك بالجلود ، ولو ذكرت شراً كنت أ كذب ، فرجعت مضطراً إلى
قؤولهم ، إبقاء على نفسي لا عليك . وقد تقدّم قول البحريّ في هذا المعنى :

أأشكو نداه بعد ما وسع الوَرَى ومَنْ ذا يذمُّ الفَيْثَ إلا مُذَمَّمٌ^(١) !
وقال حبيب :

فإن أنا لم يمدحك عني صاغراً عدوك فاعلم أنني غير حامدٍ^(٢)
بسبّاقه تنساق من غير سائقٍ وتنقاد في الآفاق من غير قائدٍ
أفادت صديقاً من عدوٍّ وصيرت^(٣) أقاربَ دنيا من رجالٍ أباعدٍ
ومخلّفة لنا ترّدُ أذنَ سامعٍ فتصدر إلا عن يمين وشاهدٍ

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن الهيثم ، يقول : بسمع عدوك
إطناي في مدحك فيمدحك صاغراً ، فكيف وليك ! فأمدحك بقصيدة تقطع الأرض ،
ليست يا بل تُساق ، ولا بخيل تقاد ، فتردّ العدو صديقاً ، والبعيد قريباً ، ولا

(١) ديوانه ١٩٨٠

(٢) ديوانه ١١٩ ، ١٢٠

(٣) ط : « وعاودت »

يسمعا أحد إلا ويحلف أنه لم يسمع مثلها ، فيشهد له بالصدق .

قوله : « وسوددك ببدني » ، أى يرفع لك مجداً وشرافاً . حسامك يفتى ، أى سيفك يقطع ويفتى أعدائك . مواصلك يجتنى ، أى من زارك وواصلك اجتنى نعمتك ومواهبك . يقتنى ، أى يكتسب . سماؤك تفتى ، أى تاتى بالفتى وهو المطر فيستغيث الناس به من الجذب . سماحك يفتى ، أى جودك وحسن خلقك يفرج كرب المهموم ، وتقول : غوث الرجل ، أى قال : واغوثاه ، وأغشته أغيثه ، إذا فرجت عنه ما يشتكى منه . درك يفيض : عطاؤك يشمل ، أى لبنك يملأ الإناء ويفيض عليه ، يريد أن عطاءه يكثر لسائله . وردك يفيض ، أى منعك يذهب الرزق ، وغاض الماء : غار في الأرض ، مؤمّلك : راجيك . والنقء : الظل بعد الزوال ، يريد أن عمره قد أدبر ، فشبّه نفسه بالنقء الذاهب . أمّك بظن ، أى قصّدك برجاء . وحرصه يُشب ، أى طمعه يتزايد فيجعله في غاية من القلق . نُخب : مختارة . مهورها : حقوقها ، يقول : مدحك بنخب في ملته ، فوجبّت حقوقها لحسنها وجودتها . ومما ينظر إلى هذه المعارضة قول الشاعر :

وخذ حدى بجودك ، ذا بهذا كلانا اليوم أربحُ صيرفٍ
لأصبح من نوالك في رباشٍ ونصبح من مقالى في حُلى

وقال آخر :

وحلّة ككساها كالخلى في التهايه
فاستبطنت مديحاً كالأزى في نصايه
فراح في ثيابي ورُختُ في ثيابه

وقال ابن شهيد في ضيف له :

وَجِدْ أَنْفَكَ مَعشوق الشَّوَاءِ نَمُدُّهُ يَبْشُرُ وَتَرْحِيبُ وَبَسْطُ لِسَانٍ ^(١)
إِلَى أَنْ تَشْهَى الْبَيْنَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَحَنٌّ إِلَى الْأَهْلِينَ حَنَّةَ حَانٍ
فَاتَّبَعْتُهُ مَا سَدَّ خَلَّةَ حَالِهِ وَأَتَّبَعْنِي ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانٍ

قوله : « مرأه يخف » ، أى مطلبه يسهل عليك .

أواصره : جمع آصرة وهى صلة الرحم ، والأصر : الموضع الخابس ، من قولهم :
أصرت فلاناً على الشيء آصره أصرراً ، إذا حبسته عليه وعطفته ، ويقال : ما تأصرنى
على فلان آصرة ، أى ما تحبسنى عليه حابسة ، ولا تعطفنى عليه عاطفة . ذكره ابن الأنبارى .
وذكر الحريرى فى الدرّة ، أن اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر ،
بكسر الصاد ، ومعناه ! الوضع الخابس للمأز عليه ، قسّمت أواصر ، لأنها
تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم . قال : وحكى عبيد الله بن عبد الله
ابن طاهر ، قال : اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابى فتعادتا ^(٢) ،
فحكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد ، وعليه ثياب رثة ،
فكساه ثياباً جديدة من غير أن يسأله ، أو استكساه ، فخرج وهو يقول :

كسأك ولم تستكسبه فحسدته فتنى ماجد يعطى الجزيل وبأصر
وإن أحق الناس إن كنت مادحاً بمدحك من أعطاك والعرض وافر

قال ابن الأعرابى : « وناصر » بالنون ، فقال له أبو نصر : دعنى باهنا
وبأصرى وعليك بناصر ك ؛ يريد : « يا صر » يعطف ^(٣) .

(١) القحيرة لابن بام ١ : ٢٦٧

(٢) الدرّة : « فتجادبا الحديث » .

(٣) درة الفواص ٧١

قوله : «تَشَفَّ» ، أى تزيد وتفضل غيرها ، يقول : إن الأسباب التى توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشَّيْخُ^(١) والضعف وكثرة العيال وجودة المدح، والمعهود السابقة التى يبنى وبينك . إطراؤه يُجْتَذِبُ ، أى مدحه يتجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته ، وأصل الإطراء المدح فى الوجه ، فهو بمشاهدته كأنه مدح طرئ ، أو ظهرت عليه طراوة . ملامه يُجْتَنَبُ : ذمه يخاف ويبعد منه ، فيرثى عليه ، يقول : إن الذى رجاك شيخ مسنٌ فقير قصْدك بيقين لأنك من أهل الكرم ، فطامعه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك، وأهدى إليك من مدائح عرائس وجبت عليك حقوقها ، ومرامه سهل عليك ، ولديك عُلُقٌ تقوم مقام القرابة ، وتزيد على ذلك ، وله مدح يرغب فيه وذم يرهب منه .

ووراءه ضَفَفَ ، أى خلفه كثرة عيال ، من ضَفَّ الطعام ضَفًّا إذا كثرت القوم عليه ، وضَفَّ العيش اشتدَّ . والشَّظَفُ : سوء الحال . حصَّهم : عراهم وتفرَّشهم . جَنَفَ : ميل الدهر عليهم . قَشَفَ : بؤس عيش . يحيب : يساعد . وَلَهَ : هم وخيرة . يَذِيبُ : يذهب اللحم . تَضَيَّفَ : نزل به ومال إليه . كمد : حزن قارب الموت . تيف : زاد على المعهود . للأمول ، أى لمقصود مرجو . إهال : تضييع وتسيب . نَيْبٌ : عَضٌّ بأسنانه . وهدوٌ : تغيَّب ، أى سكون وأمن زال عنه . يزغ : يمل . نفث صدره ، أى تكلم بشراً ، ونفث : بَرَقَ من داء فى صدره . ومنه المثل : لا بدَّ للمصدور أن ينْفُثَ . ينفض ، أى يضرب ويبعد . نَشَرَ : ارتفع وزال . يقتضى : يتضمَّن ويلزم . نَبَذَ : طرح . حُرِّمَهُ : جمع حُرْمَةٍ . يبتضُّ أمه ، أى أسعد رجاءه ، ورُدَّه أبيض ببطائك الذى يخفف ألمه ، ويزيل وجعه . ينث : ينشر . عال : ناسه وأهل زمانه . بَقِيَتْ : عشت وطال بقاؤك . إماطة شجب : إزالة هلاك وتنحيته . نشب : مال . شجن : حزن ، والشَّجْنُ أيضاً الحاجة . مراعاة : حفظ . يَفَنَ : شيخ كبير . موصولاً ، أى

(١) الشيخ ، حركة ، مصدر شَاخ شيخ ، مثل الشيوخة .

متصلاً . يَخْفَضُ : عيش هنيء . غَضَّ : ناعم جديد . غَشِيَ : قُصِدَ ودخل .
معهد : موضع يعهد به جلوسه . وهم غبي : غلط جاهل .

* * *

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِثْلَاءِ رِسَالَتِهِ ، وَجَلَّى فِي هَيْجَاءِ الْبَلَاغَةِ عَنْ
بَسَاتِيهِ ، أَرْضَتْهُ الْجَمَاعَةُ فِعْلًا وَقَوْلًا ، وَأَوْسَعَتْهُ حَفَاوَةٌ وَطَوِيلًا . ثُمَّ
سُئِلَ مِنْ أَىِّ الشُّعُوبِ نِجَارُهُ ، وَفِي أَىِّ الشُّعَابِ وَبَارُهُ ،
فَقَالَ :

غَسَّانُ أَسْرَتِي الصَّمِيمَةِ	وَسَرُوجُ تَرْبَتِي الْقَدِيمَةِ
فَالَيْتُ مِثْلُ الشَّمْسِ إِشْدُ	سَرَاكًا وَمَنْزِلَةً جَسِيمَةٍ
وَالرَّبْعُ كَالْفِرْدَوْسِ مَطْمَ	سَيِّئَةٍ وَمَنْزَهَةٍ وَفِيمَةٍ
وَاهَا لِعَيْشٍ كَانَ لِي	فِيهَا وَلَذَاتٍ عَمِيمَةٍ
أَيَّامَ أَسْحَبٍ مُطَرِّفِي	فِي رَوْضِهَا مَاضِي الْقَرِيئَةِ
أَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَا	بِ وَأَجْتَلِي النُّعْمَ الْوَسِيمَةِ
لَا أَتَقَى نُوْبَ الزَّمَا	فِ وَلَا حَوَادِثُهُ الْمَلِيمَةِ
فَلَوْ أَنَّ كَرْبًا مُتَلِفٌ	لَتَلِفْتُ مِنْ كُرْبِي الْمَقِيمَةِ
أَوْ يُفْتَدَى عَيْشٌ مَضَى	لَفَدَّتُهُ مُهْجَتِي الْكَرِيمَةِ
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى	مِنْ عَيْشِهِ عَيْشِ الْبَهِيمَةِ
تَقَادُهُ بَرَّةُ الصَّفَا	ر إِلَى الْعَظِيمَةِ وَالْمُهْزِيمَةِ

وَيَرَى السَّبَاعَ تَنَوَّشُهَا أَيْدِي الضَّبَاعِ الْمُسْتَضِيَّةُ
وَالذُّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَوْ لَا شَوْمُهَا لَمْ تَنْبُ شَرِيَّةُ
وَلَوْ اسْتَفَامَتْ كَانَتْ أحوالُ فِيهَا مُسْتَقِيمةُ

• • •

قوله : « إملأ رسالته » ، أى إلقائها عليه ليكتبها . جلى : كشف . الهيجاء :
الحرب ، وهى من الهيج وهو الحركة والاضطراب . بسالته : شجاعته . أوسعته :
كثرت له . حفاوة : إكرام . والطَّوْلُ : الإِنعام . الشعوب : القبائل ، واحدها
شعب ، يفتح الشين وهو الأب الكبير . ثعلب ، الشعب : الأب الأكبر الذى ينتهون
إليه والقبيلة دونة . نجاره : أصله . الشَّعَاب : الطرق فى الجبال . وجَّره : جُعره ،
أراد بَيْتَهُ ، لأنهم سألوه من أى قبيلة هو ، وعن مسكنه فى أى موضع هو .
قوله : « غسان أسرقى » : أى هذه القبيلة أصلى وقرايتى . الصميمة : العريضة
الخالصة . تربى . بلدنى . إضرباً : إضيء وقته من العيب . جسيمة : عظيمة .
الفردوس : الجنة ، مُمَيَّتٌ بذلك لعراشها ، والفردوس : المعرش من الكرم .
مطوية ، أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء ، وفى نزعتها وحسنها ، وفى قدرها ،
وأراد بالبيت غسان ، وبالربع سروج ، أو يريد بَيْتَهُ فى غسان فى الشرف .
كالشمس ، ومنزله فى سروج كالجنة فى طيبها ونزعتها ، وقد قال فى أخرى :

مَنْ رَأَاهَا قَالَ مَرَّسَى جَنَّةِ الدُّنْيَا سَرُوجُ

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس ، قول أبى الطَّمَعَانِ القَيْنِ :

وَمَآئِي مِنَ الْقُومِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(١)

(١) الأبيات فى الكامل للبرد ١ : ٤٩ .

نجوم سماء كلنا غار كوكب بدا كوكب تاوى إليه كواكب
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دحى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه^(١)

وقال حسان بن ثابت :

بيض الوحوه مضيئة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول^(٢)
وزاد عليه في الإضاءة والإشراق حجة بن المضر ب فقال :

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت لنورهم الشمس المنيرة والبدر
وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس في علو الهمة وتبعد منازلها من منازل
الكواكب ، حيث يقول :

وعزمت بعشمتها همة زحل من تحتها بمكان التراب من زحل^(٣)
وزحل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلة ، وهذا من غلو
المتنبي الذي يخرج به عن الناس حتى يُعاب ، لأنه لو جعلها مع زحل في منزلة
واحدة ، كما جعل الحريري منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية ، وزاد على
غيره ، فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زحل ، كما يعلو زحل على الأرض .
ومن هذا الإفراط في شعره كثير ، وأكثر النقاد يعيرون عليه ؛ وبعد هذا فمعجزاته
في التسع زاد بها على المتقدمين والمتأخرين عند الأكثر فلا يجارى في كثير منها .
وها : تعجباً ، كأنه قال : ما أعجب ما كان عيشي بها ! عميمة : كثيرة .
أسحب مطرفي : أجر ثوبي المعلم في طرفه إعجاباً بنفسى . أختال : أمشى الخيلاء
متمكبراً . برّد الشباب : ثوب الفتوة . أجتلى : أنظر . الوسيمة : الحسان .
والنوب والحوادث : النوازل والمصائب ، كلها بمعنى واحد ، وهى ما ينوب
الإنسان ، أو يحدث عليه أو ينزل به ، أو يصيبه من البلاء بعد العافية . المليمه :

(١) الجزع ، بالفتح ويكسر : الحيز البالي .

(٢) ديوانه ٣٠٨

(٣) لم أجده في ديوانه ، كما لم أجده في شعره أبى طالب المتنبي الأندلسي فيما أورده ابن
بسام في الذخيرة وعلى بن سعيد في الغرر .

التي تأتي بما يَلام عليه . كَرَبِي المقيمة : هموى الثابتة . مُهَجَّتِي : نفسى ، وأصلها :
دم القلب . تَقْتَادُهُ : تسوقه . بُرَّة : حَلَقَةٌ من صُفَر تجعل فى وتره أنف البعير ،
هَذَا بِهَا . الصَّغَار : الذَّلَّة . العظيمة : داهية يُسْتَعْظَم أمرها . والهضيمة : الحَقْمرة .
لشأنه عند الناس ، فيريد بالبهيمة البعير الذى يقاد وبذلك بالبرَّة ، وبالعظيمة سؤاله
الناس ، وبالهضيمة احتقارهم له إذا سألهم فيردونه خائباً . والسباع هنا : الأسود .
تنوَّثَها : تناوَلها وتحدثَها .

[الضباع وما قيل فيها]

والضباع : جمع ضَبْع ؛ وهو نوع من سباع الأرض ، وهى مضادة فى الخِلْقَةِ
لسبع الأندلس ، لأنها عظيمة الكفَل والفخذين رقيقة الصدر ، وهذا السبع
أَزَل^(١) عظيم الصدر ، والضبع عظيم البطن ، ولذلك سُمى خُضَاجراً بالجمع ، والخِضَجَر :
عظيم البطن . والخِضَجَر : الوطاب الكبير من اللبن ، ويشبه به العظيم البطن .
وهى عرجاء مثل هذا السبع ، ويضرب بحمها المثل فيقال : أحق من ضَبْع ،
وأحق من أُمِّ عامر وهى كنيته . ومن حمها أن الصائد يدخل وجارها فيقول
لها : خامرى أُمِّ عامر ، ومعناه الجئى إلى أقصى مغارك واستترى ، فتتقبص ، فيقول :
أُم عامر ليست فى وجارها ، ثم يقول : أبشرى أُمِّ عامر بكمر الرجال ، أبشرى
أُم عامر بشاة هزلى ، وجرادة عظمى ، فتمد يديها ورجليها ، فيوثقها ويشد عراقيبها ،
بحبال فلا تتحرك ، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها ، ولا يدخل عليها إلا عرياناً ،
وإن دخل بثوب قتله ، ثم يخرج لأصحابه بالحبال ، وهم على فم الوجار بأسلحتهم ،
فيخرجونها بالجر من قعر الوجار ويقتلونها .

ومن حمها أنها تترك جِراءها إذا خرجت تلتبس ما تأكل ، فتجد جِراء
أخرى قد خرجت أيضاً لذلك ، وتركت جِراءها فتضع أولاد غيرها ، وتترك
أولادها ، فربما ضاعت جِراؤها فأكلها الذئب^(٢) . وقال الشاعر :

(١) الأزل : الخفيف الوركين .

(٢) جبهة الأمانال ١ : ٤١٦ ، المبدانى ١ : ٢٣٨ .

كُفْرُ ضِعْفٍ أَوْلَادٍ أُخْرَى وَضَيِّقَتْ^(١) بَنِي بَطْنِهَا ، هَذَا الضَّلَالُ عَنِ الْقَصْدِ

قال أبو زيد : والضباع لا تفرس شيئاً إنما تأكل الجيف ، وتنش القبور
عن الموتى ، وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته ، وليس لها بالنهار
كبير عمل ، قال الهذلي :

تَبَيْتَ اللَّيْلَ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا حِمَارٌ حَيْثُ جُرَّ وَلَا قَتِيلٌ^(١)

قوله : « المستضيئة » أي المذلة . والضم : الذل ؛ يضرب المثل لتلاعب الزمان
بالناس بالأسود والضباع ، فقال : إن الضباع المحترقة عند الأسود تتناول
الأسود بالضرر ، وكذلك الزمان يرفع الحقير والهجين ويكثر رزقه ، ويضع
الرفيع ويقتري عليه ، ويملك الهجناء والأراذل الخطاط الجسام ، ويجرّع النبلاء
والأعيان عُصَصَ الخمازي وكنوس الحمام .

[نبذ في أحوال الدهر]

وهذه أحوال مشاهدة تنسب إلى الدهر لوقوعها فيه ، وقد رها الباري عز وجل
اختباراً لعباده ، وليبصر العقلاء جريان أحكامه في خلقه ، وأن الكل تحت قهره ،
وأن كل إنسان من أهل الحزم والرأي عاجز عن إدراك ما لم يقدر له ؛ وقال محمد
ابن الفضل :

هَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ فَأَعْطَاهَا النَّشَامَا
فَهُمْ فِيهَا يَمِينُسُوْنَ وَيَلْحَوْنَ الْكِرَامَا

(١) اساعدة بن جؤية الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ٢١٦ .

وقال المعري في معنى بيت الحريري :

وَمَنْ صَحِبَ اللَّيَالِي عِلْمُهُ خداع الإلف والقيـل المحالاً^(١)
وغيّرت الخطوب عليه حتى تربه الذر يحمان الجبالاً

وقال يزيد المهدي يرثي المتوكل :

علتك أسياف من لادونه أحد وليس فوقك إلا الواحد الصمد^(٢)
وأصبح الناس فوضى يعجبون به ليثاً صريعاً تندى حوله النقد^(٣)

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب :

مَنْ لَمْ يَغَايِنْ أَبَا نَصْرِ وَقَاتَلَهُ فما رأى ضُبعاً في شدقه سبع^(٤)
فيم الثمالة إعلانا بأسدي وعي أفنأهم الصبر إذ أبقاكم الجزع !

هكذا يُنظم حرّ الكلام ، ويُعتذر لموت الكرام ، وتنفي عنهم شماتة اللثام .
وقد أحسن الاعتذار أيضاً لأبي نصر بأعرب من هذا ، وجعله قاتل نفسه ، إذ
لا نظير له في شجاعته فيقتله ، وإنما قتله أمر الله الذي لا يغالب ، كما قال أبو الطيب :
ألا إنما كانت وفاة محمد دليلاً على أن ليس لله غالب^(٥)

وكذلك قوله :

فإن ترم عن عمرٍ تواني به المدى تخانك حتى لم يجد فيك منزعا^(٦)
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطعها حتى اثنتي فتقطعا

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ١٢٤

(٤) ديوانه ٣٧٢

(٦) ديوانه ٣٧٤

(١) سقط الزند ٨٩

(٣) النقد : جنس من الفم .

(٥) ديوانه ١ : ١٠٩

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه ، وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابل الخرمي
ومما قال فيه حبيب — وهو أشجع بيت قيل — قوله :

ونفسٌ تعاف العار حتى كأنما هو الكفر يوم الرُّوع أودونه الكفر^(١)
فأثبت في مستنقع الموت رجلاً وقال لها: من تحت إخصك الحشرُ

قوله : «الذنب للأيام» ، نسب الذنب إليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم .
تنبُ : ترتفع ، شيمة : طبيعة ، أى لولا شؤم الأيام لم تتغير الطباع ، أى لو استقامت
هى لاستقامت أحوال الناس فيها ، فكان كل إنسان يدرك منها على قدر منزلته .

[نبذ وأقوال وحكايات في ذم الزمان]

ومما قيل في ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ، أن عبد الملك بن مروان سأل
مسلمة بن يزيد — وكان من المعمرين — فقال : أى الملوك رأيت أكمل ؟ وأى
الزمان رأيت أفضل ؟ فقال : أما الملوك فلم أر إلا حامداً أو ذاماً ، وأما الزمان
فيرفع أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يذم زمانه . لأنه يبلى جديدهم ، ويفرق عديدهم ،
ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم .

أبو جعفر الشيباني قال : أتانا أبو ميثاس الشاعر ، ونحن في جماعة ، فقال :
ما أنتم فيه ؟ قلنا : نذكر الزمان وفساده ، قال : كلاً إن الزمان وعاء ، وما ألقى
فيه من خير أو شر كان على حاله ، ثم أنشأ يقول :

أرى حُللاً تُصان على رجال وأخلاقاً تُدال ولا تُصانُ
يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمانُ

وقال آخر :

أيا دهر إن كنت عاديتنا فيها قد صنعت بنا ما كفا
جعلت الشرار علينا خياراً وأوليتنا بعد وجه قفاً

وقال أبو المتاهية :

كفاك عن الدنيا الذميمة مخبراً غنى باخليها وافتقار كرامها
وأن رجال النفع تحت مداسها وأن رجال الضر فوق سنامها

وقال ابن كفاك :

يا زمانا ألبس الأح شرار ذلاً ومهانة
لست عندي بزمان إنما أنت زمانة^(١)

وقال ابن الرومي :

دهرٌ علا قدرُ الوضيع به وغدا الشريف يحطه شرفه^(٢)
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلًا ويطلق فوقه جيفه

وكرره فقال :

قالت: علا الناس إلا أنت قلت لهما: كذلك يسفل في الميزان مارجحك

وقال آخر :

رب يوم بكيت فيه فلماً صرت في غيره بكيت عليه^(٣)

(١) الزمان : العامة

(٢) التنبيل والمحاضرة ٢٥٩

(٣) التنبيل والمحاضرة ١٠٦ نهاية الأرب ٣ : ٩٨

وقال آخر :

لم أهلك من زمنٍ نكدي أساء به إلا بكيتُ عليه حين أقدته
ولا جزعتُ على مَيتٍ فُجعتُ به إلا خَلَّتْ بسكنى القبر أحسده
ولا ذمتُ زماناً في قلبه إلا وفي زمني قد صيرتُ أحده

وقال ابن أبي عيزارة :

عتيتُ على سلمٍ فلما قدته وجرتُ أقواماً بكيتُ على سلم
رجعتُ إليه بعد تفويتِ غيره فكان كبرء بعد طول من السقم

وأشد المبرد :

حياة أبي العباس زدتُ بقربه أختا ثقةٍ قاس الأمور وجرباً
ونعتب أحياناً عليه ولو قضى لكنا على الباقي من الناس أعتباً

قال عروة بن الزبير : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، أخذه أبو الطيب

فقال :

وشبه الشيء منجذبٌ إليه وأشبهنا بدني أنا الطغام^(١)
ولو لم يعلُ إلا ذو محلٍ تعالى الجيشُ وانحطَّ القتامُ
ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صغارٌ وإن كانت لهم جُثٌّ عظامُ
وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهمُ ولكن معدنِ الذهبِ الرغامُ
الطغام : السفلة .

* * *

نمَّ إن خبره غمّاً إلى الوالى ، فملاً فأم بالآلى ، وسامه أن
ينضوى إلى أخسائه ، وَيَلِي دِيوانَ إنشائه ، فأحسبه الجباء
وظلفه عن الولاية الإباء .

قال الراوى : وَكُنْتُ عَرَفْتُ عُودَ شَجَرَتِهِ ، قَبْلَ إِيْنَاعِ
ثَمَرَتِهِ ، وَكِدْتُ أَنْبَهُ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ ، قَبْلَ اسْتِنَارَةِ بَذْرِهِ ،
فَأَوْحَى إِلَى يَأْمَاضِ جَفْنِهِ ، أَلَّا أُجْرِدَ عَضْبَهُ مِنْ جَفْنِهِ . فَمَا
خَرَجَ بَطِينُ الْخُرْجِ ، وَفَصَلَ فَايزًا بِالْفُلْجِ ، شَيْعَتُهُ قَاضِيًا حَقَّ
الرُّعَايَةِ ، وَلَا حَيًّا لَهُ عَلَى رَفْضِ الْوَلَايَةِ ، فَأَعْرَضَ مُتَبَسِّمًا ،
وَأَنْشَدَ مُتَرَنِّمًا :

لِجَنُوبِ الْبِلَادِ مَعَ الْمُنْتَرِبَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُرْتَبَةِ
لِأَنَّ الْوَلَاةَ لَهُمْ نَبْوَةٌ وَمَعْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبَةٌ !
وَمَا فِيهِمْ مَنْ يَرْبُّ الصَّنِيعَ وَلَا مَنْ يُشَيِّدُ مَارْتَبَةَ
فَلَا يَخْذَعَنَّكَ لِمَوْعِ السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أَمْرًا إِذَا مَا اشْتَبَهَ
فَكَمْ حَالِمٍ صَرَّ حِلْمُهُ وَأَذْرَكَ الرُّوعُ لَمَّا انْتَبَهَ

قوله : « تما » ، أى ارتفع ووصل . الآلى : الدرر . سامه : كلفه .
ينضوى : ينضم . وأحشائه : خاصته . بلى ديوان إنشائه : يتولى دار كتابته ،
أى يكون هو الذى ينشئ الكتب ، وينسخها الكتاب وتنفذ إلى البلاد .
أحسبه : كفاه . الحياء : العطاء . ظلفه : منعه . الإباء : الامتناع ، وقد أبيت
من كذا ، أى امتنعت منه ؛ ويكنى به عن نزاهة النفس . عود شجرته ، يريد
أنه كان عرفه قبل أن يتكلم ، وأن يعرف نفسه . وإيناع الثمرة : إدراكها
ونضج ثمرتها . إيماض جفنه : إشارة عينه . عضبه : سيفه . جفنه : غمده ، أى

أشار على أن أستره . بطين : مملوء . أخرج : وعاء معلوم ، وهذا
كقول الشاعر :

يبيتون بالدهن خفافاً عيائهم ويخرجن من دارين بجر الحقايب^(١)

وقد أخذ هذا اللفظ في مقامة أخرى قال : حتى آل ذا عيبة خضراء
وحقبة بجراء ، أي مملوءة . وإلى هذا المعنى أشار ، نصيب في قوله :

أقول لركب قافلين رأيتهم قفاذات أو شال ومولاك قارب^(٢)
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمروفا من أهل ودان طالب^(٣)
فداجوا فائنوا بالذي أنت أهله ولوسكتوا أثنت عذيت الحقايب

ثناؤها عليه ، أن بدت للناس مملوءة من معروفة ، فآتى أبو العتاهية فزاد
للغنى بيانا بقوله :

إن المطايا تشتكك لأنها قطعت إليك سباباً ورمالاً^(٤)
فإذا أتيت بنا أتيت مخففة وإذا رجعت بنا رجعت ثقلاً

قوله : « فصل » ، أي زال وتنحى . الفلج : الظفر بما أراد . الرعاية :
حفظ الصحبة . لاحقاً : لائماً . رفض : ترك . مترنماً : مطرباً ، أي لاء
خرج بمثلي الوعاء : ظافراً بما أراد ، لئمته على ترك خدمة الأمير التي كلفه ، فأنشد .

(١) لأعشى همدان ، يهجو لصوصاً ؛ وهو من خواهد ابن عليل ١٩٨/١

(٢) البيان والبيان ١ : ٨٣ . والقارب : طالب الماء . وذات أو شال : موضع بيت

(٣) ودان : موضع بين مكة والدينة قريب من الجسفة ؛ قال ياقوت : « وقد أكرر
نصيب من ذكرها في همره » وأنشد الأبيات .

(٤) ديوان ٣١٢ .

معتذراً . المتربة ، أى الفقر . المرتبة : المنزلة الرفيعة . وهذا البيت ينظر إلى حكاية الأصمعيّ وقد رُئي راكباً حماراً فقيل له : أبعد براذين الخلفاء تركب هذا ؟ فقال متمثلاً .

ولما أبت إلا طرافاً بودّها وتكديرها الشرب الذى كان صافيا
شربنا برئقي من هواها مكدر وليس يعاف الرئقي من كان صاديا
يقول : هذا وأملك ديني ونفسي ، أحب إلى من ذلك مع ذهابهما^(١) .
أطرف الشيء وتطرفه : استفاده ، وقيل : استجاده .

نبوة : ارتفاع وقلة ثبات . معتبة : سخط . يالها : تعجب ، كأنه قال :
يا عجباً لها ، ما أشدها . يربّ : يصلح ويقوّى . الصنيع : الفعل الجميل . يشتدّ :
يرفع ويتم . رتبته : بناء وهَيّاه . السراب : ما يظهر نصف النهار كأنه ماء ،
اشتبه : أشكل . الحالم : من يرى فى منامه رؤيا ، وقد حلم يحلم : والرّوع :
الفرع ، يقول : مثل المترفة بالخطأ السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميراً ،
فانتبه فى أيدى أعاديه أسيراً ، أو رأى نفسه بين غزلان ورباحين فانتبه لزيور
أسود ولصفير ثعابين ، وكذلك الأمراء إن رفعوا الخديم ببعض إنعامهم كدّروه
بتمجّيل انتقامهم . ومما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر :

إلى الله أشكو كل يومٍ وأيلةٍ إذا كنت لم أعدم خواطر أو هامٍ
فإن كان شراً كان لاشكٍّ واقماً وإن كان خيراً كان أضغاث أحلامٍ

أخذ المعنى هذا الشاعر من قول أشعب الطماع ، قال : رأيت رؤيا نصفها حق ،
ونصفها باطل ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنت أراى أحمل بذرة ، فمن ثقلها كنت
أسلح فى ثيابى ، فانتبهت فإذا السّلاح ولا بذرة . قال الفنجديهي : ومن أحسن
ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة المعانى خريفة المباني ، شرقى بإنشادها وإملاؤها
على السيّد الأجلّ أبرا المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بـ قاهرة مصر لبعضهم :

(١) تاريخ بغداد ١٠ : ٤١٢ .

وزارني طيف من أهوى على وجلٍ من الوُشاةِ وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحاً وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتهت وآمالى تحيبنى نيل النى فاستحالت غبطتى أسفا

ومن ملح هذا الباب ، أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة ، فقال : أيها الأمير إني رأيت رؤيا ، فأذن لي بقصتها ، فقال : قل ، فقال :

أغيت قبل الصبح نوم مسهدٍ في ساعة ما كنت قبل أنامها^(١)
فرأيت أنك رعتني بوليدةٍ مفنوجة حسنٍ على قيامها
وببدره نحت إلى وبغلة شهاب ناجية يصل للجأها^(٢)

فقال له بشر : كل شيء رأيتك فيه عندك إلا البغلة ، فإنها دهاء ، قال : امرأتى طالق ثلاثاً إن كنت رأيتها إلا دهاء ولكنى غلظت .

قال البطين الشاعر : قدمت على علي بن يحيى الأرميني ، فكتبت إليه :
رأيت في النوم أنني راكب فرساً ولي غلام وفي كفي دنانيرُ
فجئت مستبشراً مستبشراً فرحاً وعند مثلك لي بالفعل تبشيرُ
فوقع في أسفل كتابي : (أضحك أحلام وما نحن بتأويل الأحلام
بِعالمين)^(٣) ، ثم أمر لي بكل ما رأيتك فيه منامي

(١) الخبر والشعر في ذيل زهر الآداب ١٠١ .

(٢) بيده في زهر الآداب :

فدعوتُ ربِّي أن يثيبك جنةً عِوضاً بصيبك بردها وسلامها

(٣) سورة يوسف ٢٤ .

المقالة السابعة وهي البرقعيد

حكى الحارث بن همام ، قال : أزمعتُ الشُّخُوصَ مِنْ بَرَقَعِيدٍ ،
وَقَدْ شَمْتُ بَرَقَ عِيدٍ ، فَكُرِهَتْ الرِّحْلَةُ عَنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، أَوْ أَشْهَدَ
بِهَا يَوْمَ الزَّيْنَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرَضِهِ وَنَفْلِهِ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ
وَرَجْلِهِ ، انْبَعَثَ الشُّنَّةُ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ ، وَبَرَزَتْ مَعَ مَنْ بَرَزَ
لِلتَّعِيدِ . وَحِينَ النَّامِ جَمْعُ الْمُصَلِّيِّ وَانْتِظَمَ ، وَأَخَذَ الزَّحَامُ بِالْكَظَمِ ،
طَلَعَ شَيْخٌ فِي شَمَلَتَيْنِ ، مَحْجُوبُ الْمُقْلَتَيْنِ ، وَقَدْ اغْتَضَدَ شِبْهَ الْخَلَاةِ ،
وَاسْتَفَادَ الْمَجُوزَ كَالسَّعْلَةِ ، فَوَقَفَ وَرِقَّةً مُتَهَاوِتٍ ، وَحَيًّا تَحِيَّةَ
خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دُعَائِهِ ، أَجَالَ خُمْسَةً فِي وَعَائِهِ ؛ فَأَبْرَزَ
مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كَتَبَ بِالْوَانِ الْأَصْبَاغِ ، فِي أَوَانِ الْفَرَاغِ ، فَنَاولَهُنَّ عَجُوزَهُ
الْحَيْرَبُونَ ، وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَتَوَسَّمَ الزَّبُونِ ، فَمَنْ آتَتْ نَذَى
يَدَيْهِ ، أَلْقَتْ مِنْهُنَّ وَرَقَةً لَدَيْهِ ، فَاتَّاحَ لَهُ الْقَدْرُ الْمَعْتُوبُ ، رِقْعَةً
فِيهَا مَكْتُوبٌ ...

• • •

أزمعت الشُّخُوصَ ، أى عزمْتُ عَلَى الْخُرُوجِ . بَرَقَعِيدٌ : بَلَدٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْوَصْلِ عَشْرُونَ فَرَسَخًا . شَمْتُ : نَظَرْتُ .

وَيُرِيدُ يَوْمَ عِيدٍ ، مَقْدَمَاتُ الْعِيدِ الَّتِي يَنْظُرُ النَّاسُ بِهَا فِي أَسْبَابِهِ ، سَأَلَ رَجُلًا

الجَنيد ، لماذا سُمِّيَ يوم العيد ؟ فقال : لأنَّ آدمَ لما خرج من الجنة ، وأهبط إلى الأرض ، ثم تاب الله عليه ، فردّه إلى الجنة ، كان في ذلك اليوم ؛ فقيل له يوم عيد ، لأنه أُعيد إلى الجنة فيه ، قال ابن الأنباري رحمه الله : معنى يوم العيد ، الذي يعود فيه الفرح والسرور . والعيد عند العرب : الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن ، وأصله « العود » لأنه من عاد يعود ، فلما سكّنت الواو وكُسِر ما قبلها قلبت ياء ، فصارت من باب ميزان وميقات ، وهما من الوزن والوقت ، وكذلك الياء إذا سكّنت ، وانضمَّ ما قبلها قلبت واواً مثل مُوسر وموقن ، وهما من أيسر وأيقن ، ويقولون في الجمع مياسر .

المدينة : البلد ، مَنْ أَخَذَهَا مِنْ مَدَنٍ بِالْمَكَانِ يَمْدُنْ ، إذا أقام فيه ، فهي « فَعِيلَةٌ » والجمع مدائن بالهمز ، والميم أصلية والياء زائدة ، ومن أَخَذَهَا مِنْ دَانَ يَدِينْ ، فاليم زائدة والياء أصلية ، وهي « منفعولة » . يقال : دِنْتُ الرَّجُلَ مَلَكَتَهُ ، ودنّت له أطعت ، ويقال للأمة مَدِينَةٌ لأنها مملوكة ، قال الشاعر :

رَبِّتْ وَرَبّاً فِي حَجَرِهَا ابْنُ مَدِينَةٍ يَظَلُّ عَلَى مَسْحَاتِهِ يَتَرَكَلُ^(١)

يعنى عبداً . يوم الزينة : يوم العيد لتزيّن الناس فيه . قوله : « أخلل » ، أي قرب ودنا حتى دخلنا في ظله . بفرضه : یعنی زكاة الفطر . ونقله : یعنی صلاة العيد .
الفتجديهيّ : فرض العيد : صدقة الفطر ، ونقل العيد مثل الصلاة والفُسل ولبس الجديد من الثياب .

ابن عمر رضي الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو شعير ، على كل حرّ أو عبد ، ذكر أو أنثى من المسلمين .

ابن عباس رضي الله عنهما : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة

(١) للاخلل ، ديوانه • . تركل الشيء : دفعه برجله .

الفطر من رمضان لجبر الصيام من الافر والرفث طعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعدها فهي صدقة من الصدقات .
أجلب بخيله ورجله ، أى جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ، ضرب به المثل لإقباله وتصميمه على الحجى . لبس : لباس ، وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبي مهنته لجمته ولعيده » .

جابر : كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة .
برزت : خرجت . التأم : التحم والتصق . المصلى : موضع صلاة العيد . الزحام : الضيق لكثرة الناس . الكظم : تضيق النفس من شدة الزحام . شملتين : عباءتين ، والشملة : نوع من الأكسية ، وقيل لها شملة لأن صاحبها يشتعل بها ، أى يديرها حواليه . محجوب : مستور . المقلتين : العينين ، أراد أنه أعمى . اعتضد : علقها فى عضده . استقاد : جعلها تقوده . السعلاة : أتى الفول ، وذكروها يستى الكمنكع ، وأنشدوا :

* غولا تراعى شرساً كمنكماً *

والفول : جن مسكنها الصغارى تترأى للإنسان كأنها إنسان فلا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فيهلك . قوله : « منهافت » ، أى متساقط لضعفه ، ومنهافت الشيء فى يدي : تناثر . خافيت : خفى الصوت ، وقد خفت الرجل ، إذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك ، وأصل خفت مات هزالاً . فرغ : أتم . أجال : مشى وصرّف . خسه : أصابه . فى وعائه ، بمعنى المخللة التى اعتضدها ، وهى تعلقية يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه ، ويجعل فيها ما يعطى من الصدقة . أبرز : أخرج . أوان : وقت . الفراغ : قلة الشغل . ناولهن : أعطاهن . الحيزبون : المسنة القوية الخلق . تتوسم : تنظر . الزبون : المنخدع عن حاله « فمول » بمعنى « مفعول » ، وهو من ألقاظ أهل المشرق ، وأراد به الكثير

المصدقة ، آنت : أبصرت . ندى : كرم . أتاح : ساق . القدر المعتبر : الملوم .

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالٍ
وَمَمْنُوءًا بِمُخْتَالٍ وَمُخْتَالٍ وَمُغْتَالٍ
وَحَوَّانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ نَ قَالَ لِي لِإِلَالِي
وَأَعْمَالٍ مِنَ الْأُمَمَاءِ لَ فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي
فَكَمْ أَضَلِّي بِأَذْحَالٍ وَأَنْحَالٍ وَتَرْحَالٍ
وَكَمْ أَخْطَرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطَرُ فِي بَالٍ
فَلَيْتَ الدَّهْرَ لَمَّا جَاءَ رَ أَطْفَأَ لِي أَطْفَالِي
فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَغْلَالِي
لَمَّا جَزَّزْتُ أَمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَالِي
وَلَا جَزَّزْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبٍ إِذْ لَالِي
فَمِخْرَابِي أَحْرَى بِي وَأَسْمَالِي أَسْمَى بِي
فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخَفِي فَيَفِئَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالٍ
وَيُطْفِئَ حَرَّ بِلْبَالِي بِعِزِّ بَالٍ وَسِرِّ وَالٍ !

• • •

قوله : « موقوداً » ، أى مشرقاً على الموت من شدة الأوجاع والأوجال ،
والموقودة في القرآن ^(١) : المقتولة بالحطب ، والموقد : شدة الضرب . أو جال :
مخاوف . ممنوءاً : مبتلى . مختال : ما كر كثير الحيلة . مختال : متكبر . مغتال :
مهلك . حوَّان : كثير الخيانة .

ابن عمر رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلما يوجد في

(١) وهو قوله تعالى في سورة المائدة ٣ : « والنخعة والموقودة » .

آخر الزمان درهم من حلال ، أو أخ يوثق به » . قال : مبغض . إقلالى : قرى ..
 أعمال : جدّ وبحث ، تقول : أعمات الشيء فى الشيء ، إذ جعلته يعمل
 فيه . والعمال : عاملو كلّ شيء . تضليع : إفساد . أعمال : جمع عمل ، يريد أنه
 مطلوب يبحث على أعماله إذا أتى بها مجموعة فتنتقض أعماله وتصير له أضلاعاً بعد
 اجتماعها ، وذلك فساد لها . ويحتمل أن يكون التضليع من « ضلّك مع فلان » .
 أى ميلك معه ، فأعماله تميل عن طارقتها فتفسد . وقيل : تضليع الأعمال : تثقيفها ،
 قال الأزهري رحمه الله : ضلّع الدين . ثقاه حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله ،
 وفى الحديث : « أعوذ بالله من ضلّع الدين » . أضلّى : أحترق . أذحال : أحقاد
 وعداوات . إمحال : فقر . ترّحال : سفر ونقلة من بلد إلى بلد . أخطر : أمشى
 متبخترأ ، وقد خطر الرجل ، إذا أقبل بيديه وأدبر بهما ، وهى مشية الشبان . بال :
 خلق . ولا أخطر فى بال : لا أمر على بال أحد ولا خاطره . جاز : مال عن الحق
 ولم يعدل . أطفأ : أemat . أطفالى : أولادى ، ومثله : أشبالى .

الفتجديهي : يقول : ليت الدهر لمّا ظلم أولادى ، وجاز عليهم أمانتى .
 لا تخلص ، فإنّ مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المصائد . قال ابن عيينة : قلت
 لصياد : أى طائر أسرع إلى مصايدكم ؟ قال : الذى يرق ، يعنى الذى يطعم ولده .
 أغلالى : قيودى . والأغلال : جمع عل ، وهو القراد الضخم ، وهو الذى
 ياصق بأنفاذ الدواب ، وهو كثير التشبث والالتصاق ، لا يقام إلا بجهد ،
 فيريد بالأغلال أولاده لأنهم قيوده فلا يسرح بسببهم ، وبالأغلال أنهم
 قد تعلّقوا به يطلبون ما عنده ، وقال الشاعر يصف ناقته :

• ولو ظلّ فى أوصالها القلّ يرتقى •

ويقال للقراد : الطلح والفينق والحجير والعلّ والبرام والقرشوم واللّبود
 فى بعض اللغات . جهّزت : أرسلت . آل : قريب ، وآل : أهل ، أو يكون
 آل أميراً وسائناً ؛ قال عمر رضى الله عنه : أئنا وأئيل علينا ، أى سئنا الناس .

• وساسنا غيرنا ، فيكون على هذا مقلوباً من «آيل» ، كما قيل : سار في سائر .
 • مسح : طريق . يقول : لولا ذل الأولاد ما قصدت والياً ، ولا جررت ذيلي
 في طريق ذل ، ويقال : سحب ذيله سحباً إذا جرته ، والمسحب : موضع جرته
 ثوبه . محرابي : مسجدى . أخرى : أحق بى . أسمالي . أثوابي الخلقة . أسمى لى :
 أعز لى وأرفع لقدرى . أتقالى : هوى أو دىونى ، أو كثرة عيالى واحدها ثقل ،
 وثقل الشيء ثقلاً ضد خف ، وأثقل الرجل : كثر عياله . بلبالي : حزنى ،
 والبلبال : وسواس الموم . سربال : قميص . والسروال : معروف ، وفى الحديث
 أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها ،
 فقالوا : إنها متسرولة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم اغفر للمتسرولات
 من أمتى - ثلاثاً - يا أيها الناس اتخذوا السراويلات فإنها من أستر ثيابكم ،
 يوحضوا بها نساءكم إذا خرجن » .

ومن مباح الصاحب بن عباد أن بعض الشعراء^(١) كتب له :

أيا من عطاياه تُعطى الغنى إلى راحتي من نأى أو دنا
 كسوت القيمين والزائرين كسا لم يخل مثلها ممكنا
 وحاشية الدار يمشون في ثياب من الخرز إلا أنا

فقال الصاحب : قرأت فى أخبار مَعْن بن زائدة أن رجلاً قال له : احملنى
 أيها الأمير ، فأمر له بإتاقه وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت
 أن الله خلق مركوباً غير هذا لملتك عليه . وقد أمرنا لك من الخرز بجبة وقميص
 ودُرّاعة وسراويل وعمامة ومنديل ومُطَرَف ورداء وكساء وجُورب وكيس ،
 ولو علمنا لباساً غير هذا من الخرز لأعطيناكه . ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة ؛
 وصب تلك الخلع عليه^(٢) .

وأخبار الصاحب مستظرفة كثيرة الملح .

(١) هو أبو القاسم الزعفرانى .

(٢) الخبر والدمع فى بقيمة الدهر ٣ : ١٤١ ، مع تصرف واختصار .

قال الحارث بن همام : فلما استعرضت حلة الأنيات ، تفت
إلى معرفة ملحمها ، وراقم علمها . فناجاني الفكر بأن الوصلة إليه
المعجوز ، وأفتاني بأن حلوان المعرف يجوز ؛ فرصدتها ومي
تستقرى الصفوف صفًا صفًا ؛ وتستور كفاً كفاً ،
وما إن ينبجج لها غناؤه ، ولا يرشح على يديها إناءه ، فلما أكدي
استعطافها ، وكدها مطافها ، عاذت بالاسترجاع ، ومالت إلى إرجاع
الرقاع ، وأنساها الشيطان ذكر رُفعتي ، فلم تمج إلى بقمتي ، وآبت
إلى الشئخ بركة للجزمان ، شاكية تحامل الزمان ؛
فقال : إنا لله ، وأفوض أمري إلى الله ، ولا حول ولا قوة إلا
بالله ! ثم أنشد :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينُ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينُ

قوله : «ملحمها» ، ناسجها ، ولما جعل الشعر حلة جعل له ناسجاً وراقماً .
ناجاني : حدثني . الوصلة : الموصلة . استعرضت ، أى نظرت وعرضتها على
نفسى . تفت : اشتقت . أفتاني ، أعلمنى . الحلوان : أجر الكهان ، وأراد
أجرة العراف ، وهو الذى يعرف بالتلائف الملتقطة أربابها ، فيفتكونها منه بما اتفقوا
عليه ، فذهب مالك أن من عرف اللقطة^(١) ، وكان من شأنه أخذ الجمل على مثل
ذلك ، فله أجره مثله ، والشافعى لا يوجب له حقاً ؛ سواء كان من شأنه أن يعرف

(١) اللقطة ، كهزة : ما النقط .

باللَّقْطَةِ أو لم يكن ، تعب في ذلك أو لم يتعب ، إلا أن يشترط قبل الطلب .
 رصدتها : ارتقيتها . تستقري : تتبع ؛ واقتربت الأرض واستقربتها ،
 تتبعتها متأملاً . تستوكف : تستعطر . ينجح : ينفع ويؤثر ؛ يقال : نجحت
 الحاجة إذا انقضت ، ونجح طالبها إذا لم يخب ، وأنجح : أثمهر ؛ يقول : إن مشيها
 عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها . وقصد برشح الإناء كرم الكف ؛ يقول :
 لم يرشح لها كفٌ بعطية . أكدي : خاب وصعب ، ويقال : أكدي الحافر ،
 وهو أن يحفر البئر يطلب الماء ، فإذا بلغ إلى الصلابة وبس من الماء ولم يقدر على
 الحفر قيل له : أكدي فهو مكدي ، والكُدْيَةُ هي الصلابة التي يتعذر حفرها .
 استعطافها : تليينها القلوب . كدّها : أتعبها . مطافها : مشيها وطوفانها على الناس ،
 ويحسن أن ينشد هنا في حالها لأبي نُوَاس :

إذا لم يُعِنْكَ اللهُ فيما تريدُه فليس للخلقِ إليه سبيلُ
 وإن هو لم يرشدك في كلِّ مَلَكٍ ضلّلتَ ، ولو أن السَّمَاكَ دليلاً
 غيره :

إنا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهدُه
 عاذت : تعوّذت ولاذت . الاسترجاع ؛ قولهم : إنا لله وإنا إليه راجعون ،
 وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : «ما قال أحدٌ عند
 المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجِرْني في مُصِيبتي ، وأخلف لي خيراً
 منها ؛ إلا استجيب له » .

إرجاع : ردّ . تعج : تميل وترجع . بقعت : موضعي . آبت : رجعت .
 الحرمان : الخيبة والمنع . تحامل : مشقات ، وتحاملت في الأمر : تسكّفته على
 مشقة . أفوض : أردّ .

لا حول ، أى لا حيلة ، يقال : ما له حيلة ولا حول ، وما له احتيال ولا محتال ، ولا تحالة ولا تحيلة ؛ كانه بمعنى . ويقال : ما له محال بالفتح ، أى حول ، ومحال بالكسر ، أى مكر . ثعلب : هو من قولهم : يحل به ؛ إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك . وتحل به القرآن : شهد عليه بالتقصير ؛ وقال الفرّاء : التحالة على ثلاثة أقسام ؛ هى الحيلة ، والى تجعل على رأس البئر كالبكرة ، وواحدة محال الظهر وهى فقاره . ويقال : أخذت فى الحوالة والحوالة ، إذا قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وينصب « لا حول ولا قوة » بالتبرئة ، وإن شئت رفعتهما بالابتداء ، « وبالله » خبر « قوة » ، وحذفت خبر « لا حول » لدلالة الثانى عليه ، وإن شئت رفعت « حول » بالابتداء ، ونصبت « قوة » بالتبرئة ، وإن شئت نصبت « حولا » بالتبرئة ورفعت « قوة » بالمطف على موضع « لا حول » ، وإن شئت نصبت « قوة » بالتنوين عطفاً على اللفظ .

قوله : « صاف » ، أى خالص الود . مصاف : صادق فى وده . معين : ماء كثير ، يريد صاحب كرم كثير . معين : يُعين بماله . المساوى : ضد المحاسن ، واحدها « سوء » على غير قياس ، وقيل لا واحدها . بدا : ظهر . الثمين : النفيس الغالى الثمن ؛ يقول : إن الناس قد استواوا فى الأفعال السيئة ، وأراد قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما تنابنوا » ، فإذا استواوا هلكوا ، ومعناه أن الناس فى الغالب إنما يتساوون فى الشر ، ولا تجدهم كلهم فضلاء لأن الخير قليل .

قال أبو العباس التّطيليّ فيما يتعلق بهذا المعنى :

والناس كالنّاس إلّا أن تجرّ بهم
وللبصيرة حكم ليس للبصر^(١)
كالأليك مشتبهات فى منابها
وإنما يقع التفضيل بالثمر
وقال التّهامي :

وَمِنْ الرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَبَاحِلٌ وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي^(١)
 وَلَرَبَّمَا اعْتَصَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بِغَيْرِ يَسَارٍ
 وَالنَّاسَ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ بِالْإِضْدَارِ

* * *

ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَنَى النَّفْسَ وَعَدِيهَا ، وَاجْمَعِي الرُّقَاعَ وَوَعْدِيهَا ،
 فَقَالَتْ : لَقَدْ عَدَدْتُهَا لَمَّا اسْتَعَدْتُهَا ، فَوَجَدْتُ يَدَ الضِّيَاعِ ،
 قَدْ غَالَتْ إِحْدَى الرُّقَاعِ ، فَقَالَ : تَعَسَّالَكَ يَا لَكَاعِ ، أَنْتُحَرَّمُ
 وَيَحْكُ الْقَنْصَ وَالْجِبَالَةَ ، وَالْقَبَسَ وَالذُّبَالَهَ ! إِنَّهَا لَضِيفَتْ عَلَى
 إِبَالَةٍ . فَاَنْصَاعَتْ تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا ، وَتَنْشُدُ مَدْرَجَهَا ؛ فَلَمَّا
 دَانَتْ قَرَنْتَ بِالرُّقْعَةِ ، دِرْهَمًا وَقِطْعَةً ، وَقُلْتُ لَهَا : إِنْ رَغِبْتَ
 فِي الْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ - وَأَشَرْتُ إِلَى الدَّرْهَمِ - فُجُوحِي بِالسَّرِّ الْمُبْهِمِ .
 وَإِنْ أَيْتَ أَنْ تَشْرَحِي ، فَخُذِي الْقِطْعَةَ وَأَسْرَحِي . فَمَالَتْ إِلَى
 اسْتِخْلَاصِ الْبَذْرِ التَّمِّ ، وَالْأَبْلَجِ الْهَمِّ ، وَقَالَتْ : دَعِ جِدَالَكَ ،
 وَاسْلُ عَمَّا بَدَالَكَ ، فَاسْتَظْلَمْتُهَا طِلْعَ الشَّيْخِ وَبِلْدَتِهِ ، وَالشَّعْرِ
 رَوَاسِيجَ بُرْدَتِهِ .

o o o

قوله : «عديها» ، أى طمعيها . استعدتها : رددتها . غالت : أهلكت ،
 واستعار للتضييع «بدأ» مجازاً . تعساً : هلكاً ، والتعس : الدعاء ألا تقال عثرته .
 يالكاع : يا لثيمة يا مُنْدِنَة ، واللكاع : وسخ الفرح . واللُكع : ولد الحمار .
 القَنْص : الصيد .

الحباله : الشبكة ، وصفه الحباله أن يُعمد لحبل من شعر مخلوط بيسير من صوف ، فذلك أقوى له ، فيعقد في أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ، ويربط في الطرف الثاني خشبة ، وربما حددوا طرفها ، ثم يأتون إلى الطريق الذي يدخل منه الصيد إلى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ، ويفتحون عليها عين الحبل ، ثم يغطونها بالتراب والزبل ، حتى تصير في طبع الأرض ، فإذا أقبل الصيد للماء ، فوضع يده أو رجله في الحفرة ، سقطت به ، وانضم على يده أو رجله الحبل ، فيثب فازعاً ويفرّ ، فتتبعه تلك الخشبة ، فكما انتفض أقبلت عليه ، فتضربه بين يديه ورجليه وبطنه وظهره ، فتوهي أعضائه ، وربما كسرت يديه أو رجليه ، فلا يسير بها قدر ميل ، حتى يقف موقوذاً منها ، فيأتيه الصائد فيأخذه ، وأنواع الحباله كثيرة .

قوله : « القبس » ، يريد به نور المصباح . والذُّبالة : القليلة . ضِفْتُ : حُزِمَ من حشيش صغيرة ، وأصلها جماعة القضبان ، وشبهها من النبات ، يجمعها أصل واحد ، وكلّ ما جمعت عليه كنتك من حشيش أو عيدان فانتزعتَه من أصله ضِفْتُ . إِبَالَة : حُزْمَة كبيرة ، والضِفْتُ على الإِبَالَة مثل حُزْمَة الخطّاب إذ لا حملها للبيع ، وجعل فوقها حُزْمَة صغيرة لنفسه ؛ فالكبيرة إِبَالَة والصغيرة : صِفْتُ ، فكأنه قال : إنها خسارة على خسارة ، ويقال لها : إِبَالَة وأبيل وأبيلة ، وضِفْتُ على إِبَالَة ، مَثَل أخذه من قول الشاعر :

في كلِّ يومٍ من ذُوَالْهِ ضِفْتُ يزيدُ على إِبَالَةٍ^(١)

وقال آخر وذكّر ناقته :

رَدَّتْ عَوَارِيَّ غِيْطَانِ الْفَلَا وَنَجَتْ بِمَثَلِ إِبَالَةٍ مِنْ خَالِصِ الشَّعْرِ

وهذا مثل قول حبيب :

(١) المبدائي ١ : ١٥ ، من غير نسبة واللان - أبيل ، ونسب إلى أسماء بن خارجة .

فَكَمْ جَزَعٍ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةُ غَارِبٍ وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَتَمَكْتُهُ جَوَانِيهِ^(١)

قوله : « انصاعت » ، أى ذهبت نافرة واشتت مسرعة ، وكلّ مائنته ولوبته .
بسرعة ؛ فقد صعته صوعاً ، وكذلك إذا جمعته وفرّقه ، فذهب عنك بسرعة ،
وصاع الشجاع القوم فى الحرب ؛ إذا جمعهم بهيبته ثم ضدهم ، ففروا سراعاً
متفرقين . وكلّ نافرٍ مسرعٍ منصاع ، وقال ذو الرمة فى الخمر :

رَمَى فَأَخْطَأَ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ فَأَنْصَعُنَ وَالْوَيْلُ هَجِيرَاهُ وَالْحَرْبُ^(٢)

تقتص ، أى تتبع . مدرجها : طريقها التى مشّت فيها لتفريق الرقاع ، ويقال :
درج الشيخ والصبي درجاً ودرجاً ، إذا تقاربت خطاهما ، والمدرج : للموضع الذى
درج فيه ، والمدرجة : قارعة الطريق . تنشد : تطلب من نشدت الضلالة ، ومدرجها :
رقعتها ، ويقال : أدرجت الكتاب والثوب طويتهما . القِطعة : عند أهل المشرق :
الواحدة من صرف يعرفونه الحندوس ، يعمدون إلى دراهمه فيقطعونها قطعاً ،
فهمى صرفهم ، وبها يتصدقون ، فأراد أنه قرن برقة الشعر درهماً ، وقطعة من
الحندوس ، وقال لها : إن خبرتني بقائل الشعر ، نغذى الدرهم أجرة ، وإن أبيت
أن تعرفيني به نغذى القطعة صدقة وانصرفى . المشوف : المصقول المجلّو ، والشوف :
لجلاء ، والمعلم : النقوش ، ونقشه علامته ، وقيل : هو الذى عليه علامة الملك ،
وأخذه من قول عنتره :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالشُّوفِ الْمَعْلَمِ^(٣)

(١) ديوانه ٤٤ . جزع الوادى : جانبه . جبّ : قطع . الذروة : أعلى نى . غارب :
السكاهل . أتمكته : رفته . وفى الديوان : « أتمكته جوانبه » .

(٢) ديوانه ١٦ ، وانظر حواشيه .

(٣) من المعلقة ٢٥٨ بشرح التبريزي .

بُوحى . تكلمى . المبهم : المغلق الملبس . أبيت : امتنعت . اسرحى : اذهبى .
 استخلاص : تخليص ، واستخلص الشيء ، جعله خالصاً . التم : الكامل . والأبلج :
 النقي الأبيض ، وفعله ابلج كاحمار . اللهم : الكبير الذى يهيم به من رآه ،
 وشيخ هم : مسن ، اللهم : الرقيق النحيف ، وهو من همت النار إذا أذاخته ،
 وهممت الشحم : أذبتة . استطلعتها طلمعه : استخبرتها خبره ، وسألها أن تطلعنى
 عليه ، وتقول : استطلعت طلع الشيء ، إذا حاولت الاطلاع عليه ، وأردت معرفة
 خبره الذى تطلع منه عليه ، وطلع بالكسر . برؤته : ثوبه .

فَقَالَتْ : إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرُوجَ ، وَهُوَ الَّذِي وَشَى الشَّعْرَ
 الْمَنسُوجَ ، ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرْهَمَ خِطْفَةً الْبَاشِقِ ، وَمَرَقَتْ مُرُوقَ
 السَّهْمِ الرَّاشِقِ ، فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ، وَتَأَجَّجَ كَرْبِي
 لِمُصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ ، وَآثَرْتُ أَنْ أَفَاجِيهِ وَأُنَاجِيهِ ، لِأَعْجَمَ عُودَ فِرَاسَتِي
 فِيهِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطَّى رِقَابِ الْجَمْعِ ، الْمَنْهِي
 عَنْهُ فِي الشَّرْعِ ، وَعِيفْتُ أَنْ يَتَأَذَّى بِي قَوْمٌ ، أَوْ يَسْرِى
 إِلَيَّ لَوْمٌ ، فَسَكَدْتُ بِمَسْكَانِي ، وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِي ،
 إِلَى أَنْ انْقَضَتْ الْخُطْبَةُ ، وَحَقَّتِ الْوُثْبَةُ ، فَخَفَقْتُ إِلَيْهِ ،
 وَتَوَسَّعْتُ عَلَى التَّحَامِ جَفْنِيهِ ، فَإِذَا الْمَعِيَّتِي الْمَعِيَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
 وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَّاسٍ .

وَشَى : زين ورقم . خطفت : أخذت بسرعة . الباشق : من جوارح
 الطير . مرفت : خرجت بسرعة . الراشق : الذى يرشق الصيد ، أى ينشبه ،

ويكون الراشق بمعنى الرشوق ، كقوله تعالى : ﴿ من ماء دافق ﴾ ^(١) ، أى مدفوق ..
قوله : « خالج » ، أى داخل وجاذب . تأجج : اشتعل . كربى : هَمَى ، والتأجج
« التفتل » من الأجيح ، وهو تصويت النار ولهبها إذا اشتعلت وعظمت .
آثرت : اخترت وفضلت ، وآثرته بكذا : فضّلته به والإيثار المصدر . أفاجيه :
آتيه فجأة وهو لا يشعر . أناجيه : أحذّته . أعجم : أجرب . فراستى : نظرى ،
وجعل لها عوداً مجازاً . تخطى رقاب الجمع : الجواز على أعناق الناس ؛ خرج
الترمذى فى النهى عن ذلك ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من
تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتّخذ جسراً إلى جهنم » .

عفت : كرهت . بذأى : يصيبهم أذى . يسرى : يصل . اللوم : ضد الحمد ،
وهو أن تأخذ الإنسان بلسانك ذمّاً لما فعل . شكّدت : التصقت ولزمت . قيد .
عيانى : غرض نظرى ، أى قيدت نظرى فيه . انقضت : تمت . حقت الوثبة ،
أى وجبت القفزة إليه . خفت : أسرع . توّسمته : نظرت . التحام : التصاق .
وانغلاق . ألمعيتى : ذكائى وصدق ظنى ، والألمى ، هو الذى يظن بك الظنّ ،
ولا يخطئ ، وهو اليلمى من اللعان ، كأنه يلمع لذكائه وجودة فطنته ،
وقال أوس :

الألمى الذى يظن بك الظنّ كأنّ قد رأى وقد سمعاً ^(٢)

ولا يبين أحد الألمى بأحسن مما بينه أوس ، فإذا سئلت : ما الألمى ؟
فأنشدت بينه نأت بالجواب الشافى .

والفراصة ، أن تنظر الشيء فتستدلّ بظاهره على باطنه ، وبما حضر على ما
غاب ، وقيل : الألمية أن ترى الشيء على بُدّ فتعرفه وتحققه ، والفراصة أن ترى
الرجل بين يديك فتحكم عليه بما أضمر ، أو بما يريد أن يفعله ، فالألمية فى البعد ،
والفراصة فى القرب ، وكيف اختلفت الألمية والفراصة ، فالظنّ الصادق يجمع بينهما .

[ذكر ابن عباس وبعض أخباره]

وابن عباس رضى الله عنه ، هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، يكنى أبا العباس .

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلف في السنة التي مات فيها ، ما بين ثمان وستين في الأقل ، وأربع وسبعين في الأكثر . وصلى عليه محمد بن الحنفية ، وقال : اليوم مات ربانى هذه الأمة ، وضرب على قبره فسطاط .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن» ، وفى حديث آخر : «اللهم بارك فيه ، وانشر منه ، واجعله من عبادك الصالحين» . وفى حديث آخر : «اللهم زده علماً وفقهه» ؛ وفى حديث آخر : «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» . وكلها أحاديث صحاح .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويؤدبه ويقربه ويشاوره ، مع وفور جلة الصحابة رضى الله عنهم .

وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول : ابن عباس فقى الكهول ، له لسان ستول ، وقلب عقول .

عبد الله بن عبد الله : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة ، ولا أجلد رأياً ، ولا أثبت نظراً من ابن عباس .

ولقد كان عمر يمدّه للمعضلات ، مع اجتهد عمر ونظره للمسلمين .

عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر .

عطاء : كان الناس يأتون ابن عباس فى الشعر والأنساب ، وناس يأتونه

لأيام العرب ووقائعها ، وناسٌ باتونهُ للعلم والنقّه ، فما منهم صنف إلا يُقبل عليهم بما يشاءون .

مسروق : كنتُ إذا رأيت ابنَ عباس ، قلت : أجهل الناس ؛ فإذا تكلم قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

أبو وائل : خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو على الموسم ، فافتتح سورة ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيتُ ولا سمعتُ كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والترك والروم لأسلمت .

طاوس : أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكروا ابنَ عباس خالفوه ، فلم يزل يقومهم حتى ينتهوا إلى قوله .
ابن مسعود : زعمَ ترجمان القرآن ابن عباس ، ولو أدرك أسناننا ما عاشره منا رجل .

يزيد الأصم : خرج معاوية حاجباً ، ومعه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

القاسم بن محمد : ما رأيتُ في مجلس ابن عباس باطلاً قط ، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه .

وكان أصحابه يسمونه الحبر والبحر . وذكر أبو العباس في الكامل أن عمر بن أبي ربيعة أنشده قصيدته :

أَمِنْ آلِ نَمٍ أَنْتَ غَادٍ فَبِكْرُ غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَهَجْرُ

فحفظها من سمعها ، وهي ثمانون بيتاً^(١) .

(١) الكامل للمبرد ٣ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وفي آخره بعد أن أورد أبياتاً من القصيدة :
« فقال له ابن الأزرق — وقد كان حاضراً في المجلس : قد أنت يا ابن عباس ! أنضرب إليك =

مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما : رأيتُ جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ، ودعا لى بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وروى عنه أنه رأى رجلاً مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه ، فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أرايته ؟ قال : نعم ، قال : ذاك جبريل ، أما إنك ستفقد بصرَكَ ؛ فعِمى بعد ذلك فى آخر عمره ، وهو القائل فى ذلك - ويروى لحيان رضى الله عنهما :

إن يأخذ الله من عيني نورها فى لسانى وقلبي منهما نور^(١)
 قلبٌ ذكى وعقل غير ذى دَخلٍ وفى قلبي صارمٌ كالسيف مأثورٌ
 نظر إليه الخطيئة فى مجلس عمر رضى الله عنهما ، فقال : مَنْ هذا الذى برع
 الناس بعلمه ، ونزل عنهم بسنه ؟ فقيل له : عبد الله بن عباس .

وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنهما :

إذا ما ابنُ عباسٍ بدَا لك وجهه رأيتَ له فى كلِّ أحواله فصلاً^(٢)
 إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ بمنتطحاتٍ لا ترى بينها فصلاً^(٣)
 كفى وشقى ما فى النفوسِ ولم يدعْ لذي إزبةٍ فى القولِ جدًّا ولا هزلاً

= أ كباد الإبل ، نسألك عن الدين فتعرض ، وبأتيك غلام من قريش فينشذك سفهافتسعه !
 فقال : نأقه ما سمعت سفها ، فقال ابن الأزرقي : أما أنشدك :

رأتُ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيخزى ، وأمّا بالعشى فيخسرُ
 فقال : ما هكذا قال ؟ إنما قال : فيضحي وأمّا بالعشى فيخسر ، فقال : أو تحفظ الذى
 قال ؟ قال : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أرددها لرددتها ، قال : فأرددها ،
 فأنشدها إيها كلها .

(١) ديوان حسان ١٦٥ .

(٢) ديوانه ٣٥٩ ، ولم يرد فيه البيت الأول .

(٣) الديوان : « بكتطات » .

سموتَ إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا ذليلاً ولا وُغلاً^(١)

ونظر إليه معاوية يوماً يتكلم معه ، فأتبعه بصره ، فقال متمثلاً :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ مصيب ولم يثن اللسان على هُجْرٍ
يصرّف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر في أعطافه نظر الصَّقرِ

وروى أن طائراً أبيض خرج من قبره ، فتأولوه علمه خرج إلى الناس .

وقيل : دخل قبره طائر أبيض ، فقيل : هو بصره .

وقال أبو الزبير : مات ابن عباس رضى الله عنهما بالطائف ، فجاء طائر أبيض فدخل في نعشه حين حُل ، فما رُئى خارجاً منه .

وفضائله كثيرة مشهورة ، فلنتف منها على هذا القدر .

[ذكر إياس القاضي]

وأما إياس ، فهو أبو وائلة بن معاوية بن قرّة بن إياس بن هلال بن رباب المزنيّ ، قاضي البصرة . وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب إلى عدى بن أرطاة عامله على البصرة ؛ أن اجمع إياس بن معاوية المزنيّ والقاسم ابن ربيعة الحارثي ، قول القضاء أنذها وأفقههما . فجمع بينهما ، فقال كل واحد : إن صاحبه أنفذ وأفقه ، فقال له إياس : سل عنّي وعن القاسم فقيهي المصر : الحسن وابن سيرين - وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما - فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عنّي ولا عنه ؛ فوالله الذي لا إله إلا هو ؛ إن إياساً لأفقه منّي ، فإن كنت كاذباً فما عليك إلا ألا توليّنِي

(١) الرغل من الرجال : الضعيف الباطل .

وأنا كاذب، وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل قولي. فقال له إياس: إنك جئتَ برجل، فوقفته على شفير جهنم، فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف، فقال له عدى: أما إنك إذ فهمتها فأنت لها؛ فاستقضاء. وقال إياس رحمه الله: أرسل إلى ابن هبيرة فأتيته، فسألني فسكت، فلما أطلت قال: هيه! قلت: سل عما بدا لك، قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أتفرض الفرائض؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أتعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بها أعرف، قال: إني أريد أن أستعين بك على عملي، قلت: إن في خصالاً ثلاثاً لا أصلح معها للعمل، قال: ما هي؟ قلت: أنا دميم كما ترى، وأنا عيى، وأنا حديد، قال: أما دمامتك فإني لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأما العيى فإني أراك تُعرب عن نفسك، وأما الحدة فإن السوط يقوّمك، قم. فولاني القضاء، وأعطاني عشرة آلاف درهم، فهي أول مالٍ تمولته.

ودخل عليه عدى بن أرطاة في مجلس القضاء - وعدى أمير البصرة، وكان أعرابياً الطبع - فقال: يا هناء، أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، قال: فاسمع مني، قال: للاستماع جلست، قال: إني تزوجت امرأة، قال: بالرّفاء والبنين، قال: وشرطت لأهلها ألا أخرجها من بينهم، قال: أوف لهم بالشرط، قال: فأنا أريد الخروج، قال: في حفظ الله، قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فبم تحكم؟ قال: بألا تخرجها، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وأول ما ظهر من ذكائه، أنه دخل دمشق، وهو غلام، فتحاكم مع شيخ عند قاضيهما، فقال إياس بحديثه على الشيخ، فقال له القاضي: إنه شيخ كبير، فخنّض كلامك، فقال له إياس: الحق أكبر منه، فقال له القاضي:

«اسكت ، فقال : ومن ينطق بحجتي ؟ فقال له القاضي : ما أراك تقول حقاً ، فقال إياس : لا إله إلا الله ، أحقُّ هذا أم باطل ؟ فدخل القاضي من فوره إلى عبد الملك بن مروان ، فأعلمه بما رأى من ذكائه ، فقال له عبد الملك : «اخرج فاحكم بينهما ، وأخرجهُ الآن من دمشق إلى بلاده لئلا يُفسد على أهل الشام .

ولما دخل عبد الملك البصرة رأى إياساً وهو صبي ، وخلفه أربعة من التُّرَّاء أصحاب الطيالة ، وإياس يقدمهم ، فقال عبد الملك : أفٍ لهذه العنانين ؛ أما فيهم شيخٌ يقدمهم غير هذا الحدث ! ثم التفت إليه ، وقال : كم سنُّك ؟ فقال : سنِّي - أطال الله بقاء الأمير - سنُّ أسامة بن زيد بن حارثة حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ؛ فقال : تقدّم بارك الله فيك ، وكان سنُّه سبع عشرة سنة .

وأما ذكاؤه وفراسته ، فقد أُلِّفَ في ذلك المدائني كتاباً سَمَّاهُ كتاب «ز كن إياس» . والزَّ كن : التشبيه ، يقال : ز كنَّ عليهم وز كنم : شَبَّه وخَيَّل ، وقيل : «الزَّ كن : الظن والتفُُّّس . ومن ز كنه أنه اختصم إليه رجلان في قطيفتين : حمراء وخضراء ، فقال أحدهما : دخلت الحوض لأغتسل ووضعت قطيفتي ، ثم دخل واغتسل ، فخرج قبلي ، وأخذ قطيفتي ، فتبعته ، فزعم أنها قطيفته ، فقال : ألك يدنة ؟ قال : لا ، قال : انتوني بمشط ، فأَتَيْ به ، فسرح رأس هذا ، ثم هذا ، فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ، ومن رأس الآخر أخضر ، فقضى بالأخضر لصاحب الأخضر ، وبالأحمر لصاحب الأحمر .

وأتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزكته أهله حتى صاروا فرقتين : فرقة تزعم أنه معلم ، وأخرى تزعم أنه قاضٍ ، ثم وجهوا إليه رجلاً ، فأخبره خبرهم ، فقال : أصاب الذين ذكروا أني قاضٍ ، ورويداً أخبرك عن القوم ؛ أما الذي من صفته كذا فهو كذا ، وأما الذي يليه فهو كذا ، وأما ذاك الشيخ فإنه نجار ، فقال الرجل : في كلهم والله أصبت إلا في الشيخ ،

فإنه من قریش ، فقال إياس : وإن كان من قریش ! فقام الرجل إلى أصحابه ، فقال : قد جئتكم من عند أعجب الناس ، والله إن منكم من أحدٍ إلا أخبرني بصناعته إلا هذا فزعم أنه نجار ، فقال : صدق والله : إني لأنجر عیدان جوارى - یعنی عود الزمار .

ونظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء ، فقال : هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر ، فسُئِلن فوجِذن كذلك ، فسئل من أين لك علم ذلك ؟ فقال : لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع لها ، فوضعت المرضع على ثديها ، والحامل على بطنها ، والبكر على رُجْلِها .

وسمع نباح كلب لم يره ، فقال : هذا نباح كلب مربوط على شئير بئر ، فنظر فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : سمعت عند نباحه دويًا ، ثم سمعت بعده صدًى يجيبه ، فعلمت أنه عند بئر .

ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير ، فقال : هذا بعير أعور ، فنظروا فكان كما قال ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأن وجدت اعتلافه من جهة واحدة .

ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل ، كما يضرب بجود حاتم وحلم الأحنف وشجاعة عمرو بن معديكرب ، نظامهم حبيب في بيت جمع فضلتهم المتفرق للعباس . ابن المأمون ، فقال :

إقدامُ عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس^(١)

وتوفي سنة ثنتين وعشرين ومائة . وأخباره كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية .

فَعَرَفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي ؛ وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ قُصِي ، وَأَهْبَتُ بِهِ -
إِلَى قُرَيْصِي ، فَهَشَّ إِعَارِفَتِي وَعِزْفَانِي ، وَلَبَّى دَعْوَةَ رُغْفَانِي .

(١) ديوانه ١٧٤ ، وفيه : « يمدح أحمد بن المنعم » .

وَانْطَلَقَ وَيَدِي زِمَامُهُ ، وَظَلِّي إِمَامُهُ ، وَالْعَجُوزُ ثَلَاثَةُ الْأَثْنَانِي ،
 وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنْتِي ،
 وَأَحْضَرْتُهُ عُجَالَةَ مُسْكَنْتِي ، قَالَ لِي : يَا حَارِثُ ، أَمَعْنَا ثَلَاثُ ؟
 فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا الْعَجُوزُ ، قَالَ : مَادُونَهَا سِرٌّ تَحْجُوزُ : ثُمَّ فَتَحَ
 إِحْدَى كَرِيْمَتَيْهِ ، وَرَأَى بَتْوَةً مَتِيهِ ، فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهَهُ يَقْدَانِ ،
 كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ . فَابْتَهَجْتُ بِسَلَامَةٍ بَصَرِهِ ، وَعَجِبْتُ مِنْ
 غَرَائِبِ سِيرِهِ ، وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارٌ ، وَلَا طَاوَعَنِي اصْطِبَارٌ ، حَتَّى
 سَأَلْتُهُ : مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَالِي ؛ مَعَ سَيْرِكَ فِي الْمَعَامِي ، وَجَوَابِكَ الْمَوَامِي ،
 وَإِنْعَالِكَ فِي الْمَرَامِي !

* * *

قوله : «أهبت به» ، أى دعوته ، وأصل «أهاب» دعاء نفسه مَنْ بَعْدَ : وَقِيلَ :
 «الإِهَابَةُ دَعَاءُ الْإِبِلِ لِلشَّرْبِ . وَالْقُرْصُ : رَغِيفٌ صَغِيرٌ يُسَمَّى قُرْصًا ، كَأَنَّهُ قُرْصٌ مِنَ
 الْعَجِينِ ، أَوْ قُطْعٌ ، وَالتَّقْرِيصُ : التَّقْطِيعُ . هَشٌّ : خَفٌّ فَرَحًا . وَالْعَارِفَةُ ، يَرِيدُ النِّعْمَةَ
 وَهِيَ الْمَعْرُوفُ . لَبَّى : أَجَابَ وَقَالَ : لَبَّيْكَ ، وَمَصْدَرُهُ تَلْبِيَةٌ وَهِيَ «تَفْعَلَةٌ» ، مِنْ
 الْإِلْبَابِ وَهُوَ الْأَزُومُ ، وَلَبَّ بِالْمَكَانِ وَأَلْبَبَ بِهِ : أَقَامَ ، وَأَصْلُهُ لَبَّبَ بِثَلَاثِ بَاءَاتٍ ،
 فَأَبْدَلُوا الْآخِرَةَ يَاءً اسْتِثْقَالًا لِاجْتِمَاعِ الْأَمْثَالِ ، كَمَا قَالُوا : تَنْظَيْتُ وَتَمَطَّيْتُ ، فَالْيَاءُ
 فِيهِمَا بَدَلٌ مِنْ مِثْلِ الْحَرْفِ الَّذِي قَبْلَهَا ، ثُمَّ أَتْبَعُوهُ الْإِبْدَالَ فِي الْمَصْدَرِ وَهُوَ تَلْبِيَةٌ ،
 فَيَاؤُهُ بَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ : لَبَّيْكَ ، مَعْنَاهُ إِجَابَةٌ بَعْدَ إِجَابَةٍ ، وَلِزُومًا لَطَاعَتِكَ بَعْدَ لُزُومِ .
 رُغْنَانٌ : جَمْعُ رَغِيفٍ ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِذِكْرِ الْخَبْرِ ، فَكَأَنَّ الْخَبَرَ دَعَاؤُهُ فَأَجَابَهُ .
 زِمَامُهُ : مَقُودُهُ . إِمَامُهُ : هَادِيهِ . الْأَثْنَانِي : حِجَارَةُ الْقَدْرِ ، وَهِيَ ثَلَاثُ ، وَالْعَرَبُ
 يَقُولُ : رَمَاهُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ الْأَثْنَانِي - يَعْنُونَ بِهَا الْجَبَلِ ، لِأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ حَجَرَيْنِ

وَبَلَصَقُونَهُمَا بِالْجَبَلِ ، فَيَقُومُ الْجَبَلُ مَقَامَ الْحَجَرِ الثَّالِثِ ، وَاحِدَتِهَا أَثْمِيَّةٌ بِالْقَشْدِيدِ ،
 وَقَدْ تُخَفَّفُ ، وَقَدْ أَثْنَيْتِ الْقَدْرَ وَأَثْنَيْتِهَا وَثْنَيْتِهَا ، وَتُسَمَّى الْعَرَبُ أَثْنَى الْحَدِيدِ .
 الْمِنْصَبُ . الرَّقِيبُ : الْحَافِظُ ، يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى . اسْتَحْلَسَ وَكُنْتِي ، أَيْ دَخَلَ بَيْتِي ،
 وَجَلَسَ عَلَى حِلْسِهِ ، وَهُوَ مَا يُبْسَطُ تَحْتَ بَسْطِهِ ؛ يَقِيهَا الْأَرْضُ ، وَقِلَانُ حِلْسٍ .
 بَيْتُهُ ، أَيْ لِازِمُ التَّمَعُّودِ فِيهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « كُنْ فِي الْفِتْنَةِ حِلْسٌ يَبْتَكَ » ، أَيْ .
 لَا تَدْخُلْ فِيهَا ، وَالْحِلْسُ : كِسَاءٌ يَلِي ظَهْرَ الْبَعِيرِ تَحْتَ الْبِرْدَعَةِ وَيُلْزِمُهُ ، فَشُبَّهَ
 الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الشَّيْءَ وَيُلْزِمُونَهُ بِالْحِلْسِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لَسْتُ مِنْ أَحْلَاسِهَا ، أَيْ .
 مِنْ أَصْحَابِهَا الْعَارِفِينَ بِهَا . وَمِنْهُ بَنُو فَلَانٍ أَحْلَاسُ الْخَلِيلِ ، أَيْ الَّذِينَ يَضْمُرُونَهَا
 وَيُلْزِمُونَ ظَهْرَهَا ، وَأَحْلَاسُ الْقَوَافِي : الْجَيِّدُونَ فِي نِظَامِ الشَّعْرِ ، وَالْوُكْنَةُ : الثَّقْبَةُ
 فِي الْحَائِطِ يَسْكُنُهَا الطَّائِرُ ، وَقِيلَ : هِيَ الْمَوْضِعُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَغَيْرِهَا ، يَقَعُ عَلَيْهِ .
 لِلْبَيْتِ ، وَهِيَ الْوَكْنُ ، وَوَكْنُ الطَّائِرِ وَكْنًا ، فَهُوَ وَاكْنٌ إِذَا حَضَرَ عَلَى فَرْخِهِ ،
 فَلَزِمَ وَكْنَتَهُ . عُجَّالَةٌ مُكْنَتِي : مَا تَعَجَّلَ وَأَمَكَّنَ مِنَ الطَّعَامِ . مَحْجُوزٌ : مَمْنُوعٌ ،
 وَحُجِرَتِ الشَّيْءُ : حُزِرَتْهُ وَمَنْعَتْهُ ، وَحُجِرَتْ بَيْنَ الشَّيْثَيْنِ حُجْرًا ، فَأَنَا حَاجِزٌ ، إِذَا
 جَعَلْتُ بَيْنَهُمَا جَائِلًا ، وَالْمَفْعُولُ مَحْجُوزٌ ، وَمِنْهُ الْحِجَازُ ؛ لِأَنَّهَا أَرْضُ حُجِرَتْ بَيْنَ
 نَجْدٍ وَالسَّرَاةِ . كَرِيمَتِيهِ : عَيْنِيهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « مَا مِنْ عَبْدٍ أَذْهَبَ اللَّهُ كَرِيمَتِيهِ إِلَّا كَانَ ثَوَابُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْجَنَّةَ » قَالُوا :
 وَمَا كَرِيمَتَاهُ ؟ قَالَ : عَيْنَاهُ . رَأَى : قَلْبَهُمَا وَأَدَارُهُمَا إِدَارَةً كَثِيرَةً . وَتَوَّامَتَاهُ :
 كَرِيمَتَاهُ ، وَقَوْلُهُ : « مَسَحَ كَرِيمَتِيهِ » ، يَرِيدُ أَنَّهُ حَكَّمَهُمَا بِكَفِّهِ ، فَانْتَفَضَ عَنْهُمَا
 مَا كَانَ أَلْصَقَهُمَا بِهِ ، حَتَّى التَحَمَّا . وَقِيلَ : رَأَى : أَدَارَ الْعَيْنِ وَحَدَّدَ نَظْرَهَا .
 وَتَوَّامَتَاهُ : عَيْنَاهُ ، وَفِي الْفَرِيبِ الْمَصْنُفِ : رَأَتْ الْمَرْأَةُ بَعِينَهَا وَلَأَلَّتْ ، إِذَا بَرَقَتْ
 عَيْنُهَا ، وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

عَجِبْتُ مِنَ الْخُورِ الْكَرِيمِ نَجَارَهَا تُرَارِيءُ بِالْمَعِينِ لِلرَّجُلِ الْحَبْلِ^(١)

الْحَبْلُ : الدَّاهِيَةُ . الْفَرْقَدَانِ : نَجْمَانِ مُنِيرَانِ فِي بَنَاتِ نَفْسٍ . ابْتَهَجَتْ : فَرَحَتْ .

(١) اللسان - حبل ، وروايته : « نيا عجباً للفرود تندي قناعها » .

سيرة : عاداته . يُبْنِي قرار : يحبسني سكون وطمأنينة . التعمى : استعمال العمى .
 المعامى : الطريق المجهولة ، وقيل : القفار البعيدة التي تعمى فيها الآثار فلا يُهتدى
 فيها . الموامى : القفار ، واحدها مَوَمَةٌ . إيفالك : إبعادك ومبالغة دخولك .
 المرامى : المقاصد والبلاد التي ترميه إلى بلاد أخرى ؛ يقول : سألت ما الذى
 دعاك إلى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق فى المشقات وجوب البلاد
 البعيدة ، فلم تجد لنفسك حيلة حتى تشبهت بالعميان !

* * *

فَتَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ ، وَتَشَاغَلَ بِاللَّهْنَةِ ، حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ ، أَتَارَ
 إِلَى نَظَرِهِ ؛ وَأَنْشَدَ :

وَأَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقَاصِدِهِ
 تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّى أَخُو عَمَى وَلَا غَرْرَ أَنْ يَحْذُوا الْفَتَى حَذْوًا وَلِدِهِ
 ثُمَّ قَالَ لى : انْهَضْ إِلَى الْمُخْدَعِ فَانْتِنِ بِغَسُولِ يَرْوِقِ الظَّرْفِ ،
 وَيُنْقِىْ أَنْكَفَ ، وَيُنْعِمِ الْبَشْرَةَ ، وَيُعَطِّرِ النَّسْكَهَةَ ، وَيَشْدُ اللَّئِنَةَ ،
 وَيَقْوَى الْمَعِدَةَ ، وَلْيَكُنْ نَظِيفَ الظَّرْفِ ، أَرِيحَ الْعَرْفِ ، تَقِ
 الدَّقَّ ، نَاعِمِ السَّخَقِ ، يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ ذُرُورًا ، وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا ،
 وَاقْرُنْ بِخِلَالَةِ تَقِيَّةِ الْأَصْلِ ، مَحْبُوبَةِ الْوَصْلِ ، أُنِيقَةَ الشَّكْلِ ، مَدْعَاةَ
 إِلَى الْأَكْلِ ؛ لَهَا نَعَافَةُ الصَّبِّ ، وَصَقَالَةُ الْعَضْبِ ، وَآلَةُ الْحَرْبِ ،
 وَلَدُونَةُ النُّصْنِ الرَّطْبِ .

* * *

تظاهر : استعان . واللكنة : احتباس اللسان ؛ يريد: لكنا امتلاً فيه بالطعام ،

لم يتسرح لسانه بالكلام ، فوجد بذلك علة لقطع الجواب ، فكان اللسنة أعانته
على ذلك . اللهنة : الطعام المعجل للضيف قبل الغداء ، وكل ما تمجّلت به قبل إدراك
الطعام لهنة ، ولهنت الضيف : علة به ذلك . قضى وطّره : أتم حاجته من الأكل ،
والوطر : المراد ، ولا فعل له . أثار : تابع نظره وحدّده . الورى : الخلق .
أنحائه : أغراضه ومقاصده ، والنحو كالتقصّد . لاغرّو : لا عجب . يحدّو حدّوه :
أى يفعل فعله .

[ذكر المعنى وما ورد فيه من الشعر]

وهذا الاعتذار عن التعامى حسن ، وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله
عنهما عنه . ومما يعزى للمصبرى^(١) فى ذلك :

وقالوا قد عميت فقلت كلاً فإنى اليوم أبصر من بصير
سواد العين زار سواد قلبى ليجمعها على فهم الأمور
أخذه من قول بشار :

إذا ولد المولود أعمى وجدته وجدك أهدى من بصير وأخولاً^(٢)
عميت جنيناً والذكاء من العمى فحيت عجيب الظن للعلم معقلاً
وغاض ضياء العين للقلب فاغتندى بقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً
وشعر كنوز الرّوض لا امت بينه بقول إذا ما أحنن الشعر أسماً
وقال بشار :

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدى لكم يهون^(٣)
تالله ما فى البلاد شىء تأسى على فقد العمىون

(١) المصبرى ، بضم الحاء وسكون الصاد ، منسوب إلى عمل المصبر أو بيعها : على
ابن عبد الفتى القيروانى ، صاحب قصيدة « يابل الصب » ، وهو ابن خالة إبراهيم بن علي
المصبرى ، صاحب كتاب زهر الآداب ، والبيتان فى نكت الهميان ٧٦ .

(٢) الأبيات عدا الأول فى الأغاني ٣ : ١٤٢ ، ونكت الهميان ٧٥ .

(٣) نكت الهميان ٧٥ .

وعكس هذا المعنى أبو العينا. حين سأله المتوكل : ما أشدُّ ما عليك في
ذهاب بصرِك؟ قال : ما حرِّمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس
على جمالك .

ومما يُستلح من هذا الباب : نشأ أعمى بين أعورين ، فإذا مشيا أو قعدا ،
لخاذا عورُ هذا عورَ هذا نشأ بينهما أعمى .

وقال المتنبي يمدح العور ويذمه في بيت واحد :

أيا بن كروسٍ يا نصفَ أعمى وإن تفخر فيا نصفَ البصير^(١)
فإذا انضم ابن كروس إلى مثله نشأ بينهما أعمى ، قال الشاعر :
ويديننا أبدأ أعمى نؤلفه قد يخلق الله عميانا من العور
وقال آخر :

ألم ترني وعمراً حين نغدو إلى الحاجات ليس لنا نظيرُ
أسايره على يميني يديه وفيما بيننا رجلٌ ضريرُ
وقال آخر في أعور وعوراء تعاشقا :

هي عوراء باليمين وهذا أعورٌ بالشمال وافق شئنا
بين شخصيهما ضريرٌ إذا ما قعدت عن شماله تنفني
فأما قول جميل^(٢) البشكري في صفة الذئب^(٣) :

وأعور من يمينه إن شاء مرة وإن شاء من يسراه ما كان راقداً
لقد فرزت دون المور - أوس - برتبة^(٣) وأعطيت نابا يفلق الصخر بارداً

(١) ديوانه ٢ : ١٤٤ ، قال في شرحه : « مخاطب ابن كروس الأعور وكان يعاديه » .

(٢) كذا في الأصول ، ولعله تصحيف عن « المنخل » .

(٣) أوس اسم علم على الذئب .

فإنما وصفه بشدة الحذر ، وذكر العور^(١) على معنى الاستعارة كما قال حميد
ابن ثور :

ينام بإحدى مقلتيه ويبتنى بأخرى المنايا فهو يقظان نائم^(٢)
وقال ابن المعتز :

أشتهى في القلة القبلا لا كثيراً يشبه الحولا
واحمرار الخلد من خجل إننى أستحسن الخجلا
وقال آخر :

وأحول ذى حرّكه يملأ بيتى برّكه

يريد أنه يرى من الشئ اثنين ، كما قال الآخر :
قد جعلت أرى الشخصين أربعةً والواحد اثنين مما بورك البصر
لأن هذا يصف الكبير .

واعتذر القاضي أبو محمد عبد الوهاب^(٣) عن الحول فأحسن ، حيث يقول :
حدث إلهى إذ بُليت بحبها وبى حول يغنى عن النظر الشرير
نظرت إليها والرقيب يظننى نظرت إليه ، فاسترحت من العذر
فجعله رفع عنه ثقل مؤنة التكلف الذى ذكر الآخر حين قال :
ولما التفتينا والعيون نواظر وليس لنا مثل سوى الطرف للطرف

(١) البيت لحميد بن ثور ، ديوانه ١٠٥ ، : « يقظان هاجم » .

(٢) هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن أحمد المالكي ، القاضي ذكره البناهي في
المرقبة العليا ٤٠ - ٤٢ .

نَزَهَتْ فِي خَدَّيْكَ مِنْ نَظَرِ خَفِيٍّ وَمَا زِلْتُ أَخْفِي الْوَدَّ ضَعْفًا عَلَى ضَعْفِي
فَإِنْ غَفَلَ الْوَاشُونَ فَزْتُ بِنَظَرَةٍ وَإِنْ نَظَرُوا نَحْوِي نَظَرْتُ إِلَى كَفِيٍّ
فَلَذَلِكَ حَمْدُ اللَّهِ عَلَى الْحَوْلِ .

وقال الناشئ في هذا المعنى فأحسن :

يَتَنَاقِلَانِ اللَّفْظَ مِنْ جَنْبَيْهِمَا فَكَأَنَّمَا يَتَنَاسَخَانِ كِتَابًا
وَإِذَا سَمَتْ عَيْنُ الرَّقِيبِ تَحَالَتْ كَفَّاهَا خَلَسَ السَّلَامُ سِلَاحًا

وللقاضى أبى محمد عبد الوهاب ، أنشدنا بعض أشياخنا البيت الثانى
والأخير من القطعة التالية ، وكان كثيراً ما يحرصنا بها على الطلب ، ويسلينا
عن الغربة :

وَمَحْجُوبِيَّةٌ فِي الْخِذْرِ عَنْ كُلِّ نَاطِرٍ وَلَوْ بَرَزْتُ بِاللَّيْلِ مَاضِلٌ مَنِ يَسْرِي
أَقُولُ لَهَا وَالْدَّمْعُ يَطْلُبُ صَبْرَهَا أَعِدِّي لِقَعْدِي مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّبْرِ
سَأَنْفِقُ رُبْعَاتِ الشَّيْبَةِ آفَافًا عَلَى طَلَبِ الْعُلَيَاءِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ
أَلَيْسَ مِنَ الْحَرَمَانِ أَنْ لِيَالِيًا تَمُرُّ بِلَانْفَعٍ وَتَحْسَبُ مِنْ عُمرِي!

ولم ينشدنا البيت الأول ولا الأوسط ، وهما من القطعة .

وأما كلام الحريرى الذى فرغنا من شرحه ؛ فهو منقول من مقامة البديع^(١) ،
يقول على لسان عيسى بن هشام : « ثم فارقهم وتبعته ، وعرفت أنه متعالم لسرعة
ما عرف الدبتار . فلما نظمنا خلوة ، مددت يميني إلى يسرى عضديه ، فقلت :
والله لترينى سرّك ، أو لأهتكى^(٢) سترك ، ففتح عن ثوءمته^(٣) ، وحدّر لثامه .
عن وجهه ، فإذا والله أبو الفتح الإسكندري ، فقلت له : أنت أبو الفتح ؟ فقال :

(١) المقامات ٩٣ .

(٢) المقامات : « لأكهفن » .

(٣) المقامات : « ثوءمته لوز » .

أنا أبو قهوف في كل لون أكون
 اختر من الكسب دوناً فإن دهرك دون
 زج الزمان بحسبي إن الزمان زبون
 لا تكذب بعقل ما العقل إلا الجنون

وعتب الحريري على المعنى فائق في النثر ، وشعره في الاعتذار عنه رائق في
 النظم ، وهو على انطباعه في التصيد إذا أتى بالبيتين أتى بالعجب ، وهو في ذلك
 كما قيل في أبي منصور الفقيه : إذا رمى بزجيه قتل .

* * *

قوله : «المخدع» ، هو بيت داخل بيت ، قال ابن الأنباري : هو الخزانة في جانب
 البيت ، وهو من خدع ، إذا توارى واستتر ، وأخدعه إخداعاً : أخفاه ، فمن ضم
 ميم «مخدع» فهو من «أخدع» ، ومن فتح فهو من «خدع» ، وخدع الضب
 في جحره خدعاً : دخله خوفاً من صائده . الفـول : الأسنان ، وهو النقاوة ،
 ويقال أيضاً : الفاسول ، وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسول .
 يرؤق : يعجب . والطرف : العين . ينقى : ينظف . والبشرة : ظاهر الجلد .
 والنسكة : رائحة الفم ، ونكته الرجل أنكهه وأنكهه - والفتح أقل -
 واستنكهته ، كله شممت فاه ، قال الشاعر :

نكته مجالداً فشممت منه كريح الكلب مات حديث عهد
 واللثة : اللحم على الأسنان . نظيف الطرف : قى الوعاء . أريج العرف :
 عطر الرائحة ، والأرج : فوح الطيب وأرج المسك : فاح . فتى الدق : طرى الكسر .
 ناعم : حسن ، قد بولغ في سحته ، يريد أنه في الحال الذي يسحق يستعمل .
 الناشق : الشام . والذرور والكافور : من أنواع الطيب ، والذرور هو

(١) اللسان - نسكه ، وفيه : « فوجدت منه » .

المعروف بالذريرة ، والذرور أيضاً : غبار يُذَرّ في العين ، وكلّه مأخوذ من الذرّ ، وهو التفرّس ، لأن أجزاءه تفرّقت عند سحّقه ، وفعله ذرّ ، وأصله ذرر . والكافور مأخوذ من الكفر ، وهو التغطية ، فلشدّة فَوْحِهِ وحده يستر رائحة غيره من الطّيب . واللامس : الذي يمسّه بيده . الخلالة : عويدة رقيق يخرج به الطعام من خلال الأسنان . أنيقة الشكل ، معجبة الهيئة ، وشكل الشيء : هيئته التي هو عليها . ومدعاة : داعية ، والهاء للمبالغة . نحافة الصّبّ : رقة العاشق . والعضب : السيف القاطع . آلة : عدّة وأداة ، يريد أنها معدّة مصنوعة مثل آلة الحرب . ويروى : « آلة » بالتشديد ، وهي الحربة . لدونة : لين . نحافة الصّبّ : ليس هو تشبيهاً حقيقياً ، وإنما أراد أنها أخذت من العاشق نحافته ، ومن العضب صقالته ، ومن الغصن لدونته ، ولو شبه الخلالة في الرقة بالعاشق ونحوه لكان جائزاً ، وكان من التشبيه المقلوب ، وكلاهما بديع في بابه .

والخلالة التي ذكر ، أصلها نبات لشجيرة نبت في الصيف ، وتطلع له رؤوس ، يكون في الواحد منها عدّة من قضبان رقاق ، فيمسك الرجل منها في جيبه رأساً ، فتي أكل طعاماً نزع منها قضيباً فتخلل به ، ويعرف هذا النبات عندنا بالبستينج ، فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذي عندهم في المشرق ، وإلا فصفته التي وصفت موجردة في البستينج من الرقة والصفاء واللين والحدة .

وجاء في الحديث النهي عن التخلل بعود الآس والرمان والقصب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقوا أفواهكم بالخلال فإنها مسكن للمكين الكاتبين الحافظين ، وإن قلها لسان ، ومدادها الرقيق ، وليس عليهما شيء أشدّ من فضول الطعام » .

أبو أيوب : قال صلى الله عليه وسلم : « حبذا المتخللون في الوضوء والطعام » . أبو هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « من أكل فليتخلل ، فما تخلل فليلفظ ، ومالك بلسانه فليبتلع » .

[استطراد بذكر أشعار في التشبيه رائعة]

والخِلالة إذا بلغت من رقتها ، أن تقع بين الأسنان ، فالعاشق إذا بلغ الغاية
التحول ، هو الذي يشبه بها ، كما قال في التاسعة في وصف الصبي الهزيل من
الجوع : « ولي منه سُلالة ، كأنها خِلالة » ، وأخذه من قول ديك الجن :
أرحمَ اليوم ذلتى وخُضوعي فلقد صرت ناحلاً كالخِلالِ
وقال أبو الطيب :

رُوحٌ تَرَدَّدُ في مثل الخِلالِ إذا أطارَت الريح عنه الثوب لم يَبين^(١)
فذكر أن ثوبه على بدنٍ لم يتبين للناظر . والتشبيه المقلوب عندهم شىء
مستظرف ، ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة :
ورملٍ كأوراكِ العذارى قطعته وقد جَلَّته المظلماتُ الحناديسُ^(٢)
فقلب التشبيه ، لأن العادة أن تشبه الأعجاز بكثبان الرمل ، كما قال الآخر
* مثل قضيبٍ تحته كُثيبٌ *

وكما قال الآخر :

وبيضٍ نضيراتِ الوجوه كأنما تازرن دون الأزرِ رملاتِ عالجٍ
وأخذه حبيب ، وجوّد الصنعة حيث قال :
كم أحرزت قضب الهندى مصلته تهتز من قضبٍ تهتز من كُثبٍ^(٣)

(١) ديوانه ٤ : ١٨٦

(٢) ديوانه ٣١٨

(٣) ديوانه ١١

علق قوله : « من قُضِبَ تَهْتَز » : « أحرزت » يلج^(١) لك بديع صنعته بسرعة ، فإنه أراد : كم أحرزت قُضِبَ الهند وهى السيوف إذا أُضِلَّت من أغمارها ، وهزّت . من قُضِبَ ، أى قدود نساء . تهْتَز من كُشِبَ ، أى أكفال شبه أكفاس رمال . وما أعذب وأظرف قول البحترى :

أين الغزال المستعير من النِّقَا كَفَلًا ، ومن نَوَّرِ الأَقاحى مِيبًا^(٢)

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه ، قلب ذو الرمة العُرف والعادة ؛ فشبه كُشِبَانِ النِّقَا بأ كفال النساء ، وتبعه خالد الكاتب وغيره . حدث جعظة قال : حدثنى خالد الكاتب ، قال : جاءنى يوماً رسول إبراهيم بن المهديّ ، فسرت إليه ، فرأيت رجلاً أسود على فُرُشٍ قد غاص فيها ، فاستجلسنى وقال : أنشدنى من شعرك ، فأنشدته :

رَأَتْ مِنْهُ عَيْنِي مَنْظَرَيْنِ كَمَا رَأَتْ	مِنَ الشَّمْسِ وَالبَدْرِ الْمُنِيرِ عَلَى الأَرْضِ
عَشِيَّةً حَيَّانِي بوردٍ كَأَنَّهُ	خُدُودٌ أَضِيغَتْ بِمَعْضِنٍ إِلَى بَعْضِ
وَنَازَعَنِي كَأَسَا كَانَ حَبَابُهَا	دَمُوعِي لَمَّا صَدَّ عَنْ مُقَلَّتِي غَمَضِي
وَرَاحَ وَفَعَلَ الرِّاحُ فِي حَرَكَاتِهِ	كَفِعَلِ نَسِيمِ الرِّيحِ فِي الغُصْنِ الغَضِّ

فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخدود بالورد ، وأنت شبهت الورد بالخدود ! فزدنى ، فأنشدته :

عَاتَبْتُ نَفْسِي فِي هَوَا	لَكَ فَلَمْ أَجِدْهَا تَقْبِلُ ^(٣)
وَأَطَعْتُ دَاعِيَهَا إِلَيَّ	لَكَ وَلَمْ أَطِيعْ مِنْ يَغْذِلُ
لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْوَجُو	هَ لِحَسَنِ وَجْهِكَ تَمَثَّلُ
لَا قُلْتُ إِنْ الصَّبْرَ عِنْدَ	لَكَ مِنَ التَّصَابِي أَجْمَلُ

(١) كذا فى ١ ، ب ، و فى ط : « يلج » .

(٢) ديوانه ١٩٥٨

(٣) الأغاني ٢١ : ٣١

فرحفت حتى انحدر من الفراش ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

عش فحُبِّيكَ سريعاً قاتلي والصُّنى إن لم تصلني واصلِ
فأنا بين اكتبابٍ وضئى تركاني كالة ضيب الذابِل
فبكي العاذل لي من رحمةٍ فبكائي لبكاء العاذِل

فاستخفت طرباً ، ثم قال : يابليق^(١) ، كم معك لنفقتنا؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً ، قال : اقسما بيني وبين خالد ، فدفع إلي نصفها .

وقد سبق إلى قوله : « كأنه خدود » ، قال المفضل : دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد ، وعنده جارية مليحة شاعرة أدبية ، قد أهديت إليه ، قال : يا مفضل ، قل في هذا الورد شيئاً تشبه به ، فأنشأت أقول :

كأنه خدٌ معشوقٍ يقبله فم الحبيب وقد أبقى به خجلاً

وقالت الجارية :

كأنه لونٌ خدّي حين تدفعني كف الرشيدٍ لأمر يوجب الغسلاً
فقال : يا مفضل قم فاخرج ، فإن هذه اللابنة قد هيَّجتنا ، فقامت وأرخت الستور .

ولقد أحسن ابن الزقاق في قوله :

ورياضٍ من الشقائق أضحت تنهادي بها نسيم الرياح^(٢)
زرتها والغمام يجليدها زهراتٍ تروق لونَ الرياح
قلت : ما ذنبها ؟ فقال مجيباً : سرقتُ حُمْرَةَ الخدود الملاحِ

(١) الأغاني : « يارشيقي » .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، المغرب ٢٢٤ .

وقال البحتري :

في طالع الشمس شيء من ملاحظتها وللقضيب نصيب من تشنُّبها^(١)

وقال ابن المعتز :

سقتني في ليلٍ شبيهة بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت في ليالي : في الشعر والدجى وشمسين : من خمر وخذ حبيب
وأستطرد إلى قلب التشبيه من مبالغة النحول الذي ذكرنا ، فأقول : إذا
صار جسم العاشق من النحول يوصف بمثل قول الشاعر :

أنحلتني الحب فلو زج بي في مُقَلَّةِ النَّائم لم ينتبسه
قد كان لي فيما مضى خاتم والآن لو شئت تمنعت به
وبمثل قول أبي بكر بن دُرَيْد :

إن الذي أبقيت من جسمه يامتاف الصب ولم يشعر^(٢)
صباية لو أنها قطرة تجول في جفئك لم تنقطر

صار جسم الخلالة على تخافته أكبر من جسم الصب بأضعاف ، فينقلب
التشبيه ، وكذلك إذا بولغ في وصف الأ كفال بالعظم صغرت عندها الكُثبان ،
فينقلب التشبيه .

وقد ترجم ابن جني في خصائصه ترجمة ، فقال : هذا باب من غابة الأصول
على الفروع ، ثم أنشد بعض ما أنشدنا ، وقرنها بمسائل من العربية حسان تشبه
الباب^(٣) .

(١) ديوانه ٢٤١ ، وفيه : « في حرة الورد شكل من تلبها » .

(٢) ديوانه ٦٧

(٣) الخصائص ١ : ٢٠١ - ٢٠٣

والمتقدمين والمتأخرين في النحول شعر كثير، ويستحسن في ذلك قول المجنون:
 فأصبحتُ من ليلَى الغداة كناظرٍ مع الصّبح في أعقابِ نجم مغربٍ^(١)
 ألا إنما غادرتِ يا أُمّ مالكٍ صدّى أينما تذهبُ به الريح يذهبُ
 أخذه المؤمل فقال :

قد صرتُ من ضعفى إلى حالٍ تجرى لها آفاقُ حسّادى
 يكاد جسمى من نحول الضنى تحمله أنفاسُ عُودادى

وزاد خالد الكاتب ، فجعله لا يدرك إلا بالوهم ، فقال :
 يا من تجاهلَ عما كان يعمه عمداً وباح بسرِّ كان يكتمه
 غداً خليلك نضواً لا حراركَ به لم يبق من جسمه إلا توهمه

فزاد ابن المعتز ، وجعله يخفى على الموت ، فقال :
 مُسمِّدٌ خانه التفريق في أمّله أضناه سيّده ظلماً بمرتحمه^(٢)
 فدلّ حتى لو أن الدهر قاد له حتناً لما أبهرته مقلتنا أجله

فأعده المتنبي واستريح منه ، فقال :

أراكِ حببتِ السلكَ جسمى فعقته عليك بدُرٍّ عن لقاء الترائب^(٣)
 ولو قلم ألقيتُ في شقِّ رأسه من السقم ماغيّرتُ من خطِّ كاتب

* * *

قال : فهَضْتُ فيما أمر ، لأذراً عنه العَمَر ، ولم أهِمَّ إلى أَنَّهُ

(١) البيتان في حاشية ابن الفجرى ١٥٦ ينسبهما إلى محمد بن النمرى

(٢) ديوانه ١ : ١٤٩ . السلك : الحيط . والترائب : محل القلادة من الصدر .

قَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ ، بِإِذْخَالِي الْمَخْدَعَ ، وَلَا تَظَنِّتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ ،
فِي اسْتِدْعَاءِ الْخِلَائَةِ وَالْفُسُولِ .

فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمُلْتَمَسِ ، فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ ، وَجَدْتُ
الْجَوْ قَدْ خَلَ ، وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا ، فَاسْتَشْطْتُ مِنْ مَكْرِهِ
غَضَبًا ، وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا ، فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ ، أَوْ
عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ .

• • •

قوله : «أدرا» ، أى أزيل . الفعر : الودك . أظن : أظن ، ويذهب وهمي .
تظنيت : حسبت ، وأبدل إحدى نوني «ظن» بباء تحقيقاً للتضعيف . سخر : هزأ .
الملتمس : المطلوب . الجوّ هنا : داخل البيت . أجفلا : هربا وأسرعنا . قوله :
«استشطت» : اشتد غضبي . مكره : خداعه . أوغلت : بالغت وباعدت .
قمس : غمس . عرج به : طلع به . عنان بفتح العين : سحاب ، والعنانة :
السحابة ، وأعننت السماء : صار لها عنان ، والله الموفق للصواب .

المقالة الثامنة وهي المعصرة

[معرفة النعمان]

هي بلدة بالشام ، والنعمان : اسم جبل مطّل عليها ، والمصرة اسم البلدة ، فأضيفت إليه ، ولها سبعة أبواب ، وعلى جبل منها دَيْر سمان ، فيه قبر عمر بن عبد العزيز ، وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها ، وداخلها قبر يوشع بن نون ، وله يوم حَفِيل في كل عام ، وإلى المصرة ينسب الشاعر المرمي . قال شيخنا ابن جبير : إنه خرج من قنّسرين يريد حمص ، قال : فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المصرة ، وهي سواد كلها محاطة بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ، ويتصل التفاف بساتئنها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهي من أخصب البلاد ، وأكثرها أرزاقاً ، ووراءها جبل لبنان ، وهو سامي الارتفاع ، ممتدّ الميول ، متصل من البحر إلى البحر ، وفي سفح الجبل حصون للملحدة الإسماعيلية ، فرقة مَرَقَت من الإسلام ، وادّعت الإلهية^(١) ، قُبِضَ لهم شيطان يعرف بسنان ، خدعهم بأباطيل وخیالات ، ومَوّه عليهم باستعمالها ، وسحّرهم بمُحالها ، فأتخذوه إلهاً يعبدونه ، ويبدلون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته^(٢) بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل ، فيتردى النامور ، والله يضل من يشاء^(٣) .

أخبر الحارث بن همام قال : رأيتُ من أعاجيب الزّمان ، أن :

(١) بعدها في ابن جبير « في أحد الأيام » .

(٢) بعدها في ابن جبير « وامتنان أمره » .

(٣) رحلة ابن جبير ٢٣٤

تَقَدَّمَ خَصْمَانِ ، إِلَى قَاضِي مَعْرَةِ الثُّمَانِ ، أَحَدُهُمَا قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ
الْأُطْيَانُ ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ قَضِيبُ الْبَانِ .

° ° °

قوله : « الأُطْيَان » ، أى الأكل والنكاح ، أى هو شيخ مسن ، وقيل :
الأُطْيَان : النوم والنكاح ، وقيل : طيب النكاح ، وطيب النكحة .

أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأُطْيَان التمر والابن » .

وسئل شيخ مسن من العرب عن حائه ، فقال : ذهب منى الأُطْيَان :
السَّيْر والأَيْر ، وبقي الأُزْطَبَان : الضَّرَاط والسَّعَال .

والبان : شجر تشبه بقضبانة القدود الناعمة .

* * *

فَقَالَ الشَّيْخُ : أَيْدَ اللَّهِ الْقَاضِي ، كَمَا أَيْدَى بِهِ الْمُتَقَاضِي ، إِنَّهُ
كَانَتْ لِي مَمْلُوكَةٌ رَشِيقَةٌ الْقَدُّ ، أَسِيلَةٌ الْخَلْدُ ، صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ ،
تَحْبُ أَحْيَانًا كَالنَّهْدِ ، وَتَرْقُدُ أَطْوَارًا فِي الْمَهْدِ ، وَتَجِدُ فِي تَمُوزَ
مَسَّ الْبَرْدِ ، ذَاتُ عَقْلِ وَعِزَانٍ ، وَخَدَّ وَسِينَانٍ ، وَكَفَّ بَيْنَانٍ ، وَفَمٌ
بِلَا أَسْنَانٍ ؛ تَلْدَغُ بِلِسَانٍ نَضْاضٍ ، وَتَرْفُلُ فِي ذَيْلٍ فَضْفَاضٍ ،
وَتُجَلِي فِي سَوَادٍ وَيَاضٍ ، وَتُسْقَى وَلَسْكِنْ مِنْ غَيْرِ حِيَاظٍ ، نَاصِحَةٌ
خُدَعَةٌ ، خُبَاءَةٌ طَلْعَةٌ ، مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْمُنْعَمَةِ ، وَمِطْوَاعَةٌ فِي الضِّيقِ
وَالسَّعَةِ ، إِذَا قَطَعْتَ وَصَلْتَ ، وَمَتَى فَصَلْتَهَا عَنْكَ أَنْفَعَلْتَ ، وَطَلَمْنَا
خُدَمَتَكَ فَجَعَلْتَ ، وَرُبَّمَا جَنَّتْ عَلَيْكَ فَالَمْتَ وَمَلَمْتَ ، وَإِنَّ هَذَا

الْفَقَى اسْتَعْدَمْنِيهَا لِعَرْضٍ ، فَأَخَذَ مِنْهُ إِثْيَاهَا بِلَا عِيَوضٍ ، عَلَى أَنْ
يَجْتَنِي نَفْسَهَا ، وَلَا يُكَلِّفَهَا إِلَّا وَسْمَهَا ، فَأَوَاجِعُ فِيهَا مَتَاعَهُ ، وَأُطَالُ
بِهَا أَسْتِمْتَاعَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَيَّ وَقَدْ أَفْضَاهَا ، وَبَدَلَ عَنْهَا قِيَمَةً
لَا أَرْضَاهَا .

• • •

المتقاضى ، أى المتحاكم إليه الذى يطلب من الحاكم قضاءه ، وعونه على خصمه ؛
وهذا العرض الذى ذكره ضرب من الألفاظ ، لأنه مشى كلامه فى وصف جارية
وغلام ، وقد ضمن الكلام وصف إبرة ومزود . مملوكة ، يعنى الإبرة جعلها مملوكة
لأنها مما يتمول . رشيقة القد : معتدلة القامة . أسيلة : ملساء . خد الإبرة : شق فيه
نقبيها ، وأصل الخد شق مستطيل فى الأرض ، والأسالة : ملاسة مع طول .
صبور على الكد ، أى صابرة على المشقة والتعب ، ونعول - بمعنى فاعل -
يتمنع من إلحاق الهاء به إذا وقع صفة لمؤنث ، قال عنتره :

إِنِّى أَمْرٌ سَهْلٌ الْخَلِيقَةُ مَا جَدُّ لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّجْجُوجَ هَوَاهَا

ومنه : امرأة شكور وصبور ولجوج ولحن أبو محمد خواص العراق بقولهم :
شكورة ولجوجة وصبورة ، قال : إن هذه التاء إنما تدخل فى «نعول» إذا كانت
بمعنى «منعول» ، نحو ناقة ركوبة وشاة حلوبة^(١) . قال : وذكر النحويون فى امتناع
الهاء من «فعول» بمعنى «فاعل» للمؤنث عيلاً ، أجودها أن الصفات الموضوعة
للمبالغة نُقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخلصت به ، فأسقطت الهاء من صبور
وفتاة معطار ونظائره ؛ كما أُلحقت بصفة المذكور فى رجل علامة ونسابة ، ليدل
على تحقيق المبالغة ، وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة . وامتناع الهاء المذكورة

(١) قال فى درة القواس : «لأنهما بمعنى مركوبة ومحلوبة» .

أصل مطرد [لم يشذ منه إلا قولهم] ^(١) : عدوة ، فإنهم ألقوه بصديقة ، والشئ في أصول العربية [قد] يحمل على ضده ونقيضه ، كما يحمل على نظيره ورسيه ^(٢) .
 تَخُبُّ : تثب في الثوب بسرعة . النهد : الفرس الضخم . أطواراً : أحياناً ، ومهداً : مثبر الخائط الذي تمسك به إبرته . تَمْوُز : أحد الشهور ، وهو يوليه .
 والبرد : أن يبردها الحداد بالمبرد ليقومها ويعدها ، فالبرد هنا فعل صانعها . قال ابن ظفر : ذهب بالبرد إلى ما طبع عليه الحديد من البرد في القبط . قوله : « ذات عقل وعنان » ، أراد بالعنان الخيط لأنها ترسله في الخياطة ، والعقل شدّها بالخيط حين تمسك في الثوب . سنان : طرفها المسنون ، أي الحداد . كَفَّ بينان : الكف والتضريب شيثان معروفان في الخياطة ، فيريد أن الخائط يقلب التضريب بأصابعه وهي البنان وبكفه بالإبرة . فم ، يريد ثقب الإبرة . تلدغ : تضرب الإصبع . واللسان التضناض للحية ، والنضضة ، قيل : هي صوت الحية ، وقيل : حركة لسانها ، وإنما اختلف فيها لأن الحية إذا ضيق عليها فتحت فاهها وصفرت وحركت لسانها ، فيقال : نضضت ، وشبه طرف الإبرة بلسان الحية لكثرة حركته في الثوب ؛ وما أحسن قول الشاعر في تشبيه لسان الأفعى بنور السراج :

وقنديل كأن النور منه محيّا من أحب إذا تجلّى
 أشار على الدجى بلسان أفعى فشمر ذيله فرقا وولى

وقال ابن الصباغ الصقلي في شمة :

يطعن صدر الدجى بعالية صنوبرى لسان كوكبها
 كحبة باللسان لاحسة ما أدركت من سواد غنيمها

وللبيتين الأولين حكاية مستظرفة ، حدثني بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لأمرين : لشهرتها ، ولأنى وجدت البيتين مثبتين في بعض النسخ من

(١) من درة الفواس .

(٢) درة الفواس ٦٨ .

القائد لأحد رجالها ، ثم عزم على بعض الأدباء أن أذكرها ، فذكرتها على اختصار انائدتها ؛ وذلك أن الشاعر المعروف بالبكى الهجاء ، دخل عليه في ليلة مطيرة ذات رعد وبرق في بيت فندق دواب - شخص في الظلام لا يعرفه ، وعلى البكى بقية من سيئهامة^(١) خلقة ، لا يواريه غيرها ، وعلى الثاني بقية من قميص قد اسود من طول البلى وكثرة الأوساخ ، حتى لا يعرف رائيه من أى ثوب هو ؛ وقد بلل كل واحد منهما المطر ، وهما في بلاء من الفقر والجوع والبرد ، فرق لهما خادم الفندق ، فدخل عليهما بقنديل ، فعندما نظر كل واحد منهما صاحبه تأسى به ، ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيراً في الشقاء . فقال البكى لجليسه : أى شيء أنت ؟ فقال : شاعر ، وشؤم الأدب بلغ بى ماترى ، قال : فأجز ، فقال : * وقنديل كأن النور منه *

فقال الآخر :

* محباً من أحب إذا تجلى *

فقال البكى :

* أشار على الدجى بلسان أفعى *

فقال الآخر :

* فشمر ذيله فرقاً وولى *

فقال له البكى - وقد أعجب به : بمن تعرف ؟ فقال : بعنق البرة ، قال له : وأنا البكى ، فجعل يتناظران بقية ليلتهما في أيهما أكثر حرماناً ، حتى أصبحا وكانا يتامسان . فقال عنق البرة للبكى : هلم لنفترع ؛ أينما يقسم هنا ، وأينما يرتحل ؟ فإننا إن بقينا في موضع واحد ، أدرك الناس من شؤمنا ما يؤدى بهم إلى الهلاك ، فافترعنا فخرجت قرعة البكى بالرحيل ، فارتحل ونزل بفاس ، فحل بأهلها من بلاءه ما قد شهير .

(١) كذا في الأصول ، ولم أقف على معناها .

قوله : « ترفل في ذيل فضفاض » ، أى تمشى في خيط طويل . تجلّى في سواد . وبياض ، أى تبرز في خيط أسود لخياطة السواد ، وأبيض لخياطة البياض . تسقى : أراد سقى الحدّاد لها إذا أخرجها من النار وألقاها في الماء لتصلب . ناصحة : خائطة ، والنصاح : الخياط ، ونصحت الثوب : خطته . خُدعة : مخدع الخائط كثيراً ، فتخطيط وجه الثوب الأعلى ، وتترك الأسفل ، والهاء في هذه الصفات للمبالغة . خُبأة طُلعة ؛ يصف حالها من الخياطة حين تختبئ في الثوب ، ثم تطلع في يد الخائط . مطبوعة ، أى مصنوعة لينتفع بها . مطواعة في الضيق والسّة ؛ يريد إذا دفعته في الثوب دخلت فيه ، سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق . إذا قطعت وصلت ، يريد إذا قطعت الثوب وفصلته ألقته . فصّاتها عنك : نحيتها ، وجعلتها في مثيرها . خدمتك ، أى صرفتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك . جمّلت : ألفت قطع الثوب . جنت عليك فألمت ، أى ضربتك فأوجعتك وصيرتك ذا ألم . مالمت ، أى جعلتك متقلّباً لشدة الوجع . قوله : « استخدمنيها » ، أى طلب منى خدمتها . الغرض : الحاجة ، وأصل الغرض ما قصدته سهام الراعى ، ثم سميت الحاجة غرضاً ، لأنها قصدت بالرغبة فيها . وسعها : طاقتها وقدر ما تحمل مما تكلف . أوج فيها متاعه ، أى أدخل فيها خيطه . أفضاها : خرق عينيها ، وفي المرأة خلط مسلكتها ، من أفضيت إلى الشيء ، وصات إلى مدّسه ، ومنه : القوم فوضى ، أى متسعون مختلطون . بذل : أعطى .

فَمَالَ الْحَدَّثُ : أَمَّا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا ، وَأَمَّا الْإِفْضَاءُ
فَفَرَطَ عَنْ خَطَا ، وَقَدْ رَهْنَتْهُ ، عَنْ أَرْضٍ مَا أَوْهَنْتُهُ ، تَمْلُوكًا لِي
مُنْتَسِبَ الطَّرَفَيْنِ ، مُنْتَسِبًا إِلَى الْقَيْنِ ، نَقِيًّا مِنَ الدَّرَنِ وَالشُّنَنِ ،
مِقَارِنُ مَحَلِّهِ سَوَادَ الْعَيْنِ . يُفْشِي الْإِحْسَانَ ، وَيُذْشِي الْأُسْتِحْسَانَ ،

وَيُغْذِي الْإِنْسَانَ ، وَيَتَحَامَى اللِّسَانَ ، إِنَّ سُودَّ جَادَ ، أَوْ وَسَمَ
 أَجَادَ ، وَإِذَا زُرِدَّ وَهَبَ الزَّادَ ، وَمَتَى اسْتَزِيدَ زَادَ ، لَا يَسْتَقِرُّ بَعْنَى ،
 وَقَلَمًا يَنْكَرِحُ إِلَّا مَثْنَى ، يَسْخُو بِمَوْجُودِهِ ، وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ ،
 وَيَنْقَادُ مَعَ قَرِينَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ طِينَتِهِ ، وَيُسْتَمْتَعُ بِزِينَتِهِ ،
 وَإِنْ لَمْ يُطْمَعْ فِي لِينَتِهِ .

• • •

[القَطَا]

الْقَطَا : طَائِرٌ يَصِيحُ « قَطَاً قَطَاً » فَسُمِّيَ بِصِيَاحِهِ ، وَبِمَا يُفْهَمُ مِنْ صَوْتِهِ ، وَلِلْقَطَا
 تَسْمِيَةُ الْعَرَبِ الصَّدُوقِ ، وَيُقَالُ : أَنْسَبَ مِنْ قَطَاةٍ ، لِأَنَّهَا إِذَا صَاحَتْ عَرِفَتْ ،
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

تَدْعُو الْقَطَا وَبِهِ تَدْعَى إِذَا انْتَسَبْتُ يَاصِدُوقَهَا حِينَ تَدْعُوهَا فَتَنْتَسِبُ
 حَمْرَاهُ مُقْبِلَةٌ سَكَّاءَ مَدْبَرَةٍ لِلْمَاءِ فِي الْبَحْرِ مِنْهَا نَوَاطَةُ عَجَبُ

وقال الكمي :

لَا تَكْذِبِ الْقَوْلَ إِنْ قَالَتْ قَطَا صَدَقْتُ إِذْ كُلَّ ذِي نَسَبٍ لَا بُدَّ يَنْتَحِلُ^(١)

وقال أبو وجزة :

مَا زِلْنِ يَنْسُبُنِ وَهْنًا كُلَّ صَادِقَةٍ بَاتَتْ تَبَاشِرُ غُرْمًا غَيْرَ أَزْوَاجِ^(٢)

(١) الحيوان ٦ : ٥٧٨ .

(٢) الحيوان ٥ : ٥٧٣ ، وروايت : « وَهْنِ يَنْسُبُنِ » ، والوهن : نصف الليل

يريد ، أن الحير وَرَدَت الماء ليلاً ، فأثارت القطا عن أفاحيصه ، فصاحت : «قطا قطا» ؛ فذلك انتسابه وجعاً صادقة لصياحها قطا ، والعُرم يبيضها ، لأن فيه سواداً وبياضاً ، وبيض القطا أفراد ثلاثة أو خمسة ، قال مزاحم العقيلي في القطا وفراخها :
فلما دَعَتْهُ بِالْقَطَاةِ أَجَابَهَا بِمَثَلِ الَّذِي قَالَتْ لَهُ لَمْ يَدَلِّ^(١)

وقال المعري :

عُرِفَتْ جُدُودُكَ إِذْ نَطَقْتَ وَطَالَمَا لَفْظُ الْقَطَا فَأَبَانَ عَنْ أَنْسَابِهَا^(٢)
وقال الأصمعي : القطا لا تصبح إلا إذا أرادت الماء ، فإذا عدم الماء ، وسمعت العرب صياح القطا ، فرحوا به وعرفوا قُرب الماء من بعده .
وقيل : سُمِّيَ الْقَطَا لِثَقَلِ مَشْيِهِ ، يقال : قَطَا الرَّجُلُ يَقْطُو ، إِذَا ثَقُلَ مَشْيُهُ ..

* * *

قوله : «فرط» أي سبق . عن خطأ ، أي عن غير تعمد . رهنته : أعطيته . رهناً ، وأرهنتك : أعطيتك ما ترهنه . والأرْش : قيمة العيب ، أي دية الجرح ، مأخوذ من أرش بين القوم لأنَّ الأرض يُختصم في قدره . وأوهنته : أفسدته ، ووهن الشيء يُوْهِنُ وَيُوهِنُ : ضعف ، وأوهنته أنا ، إذا أضعفته . مملوكا ، يعني المروء . متناسب الطرفين ، أي هذا الطرف مثل هذا الطرف ، تكتحل بأيُّهما شئت . القَيْن : الحداد الذي صنعه . الدَرَن : وسخ الحديد ، والشَّيْن : العيب ، أي هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب . يقارن محله سواد العين ، أي عند التكحل به . يفشى : يحدث ويظهر . وإحسان الكحل في العين لا ينحى . ينشئ استحسان ، أي ينشئ لناظر العين استحسان الكحل في العين .

(١) الحيوان : ٥٧٨ .

(٢) لم أجده في سقط الزند ولا في الأروميات .

والإنسان : إنسان العين بنذيه بالكحل ، والإنسان : السواد الذي في وسط العين ، إذا رأته رأيت فيه شخصاً ، والشخص هو الإنسان ، فسُمي السواد به . يتحامي : يبعد عنه ، يريد أنه بكحل العين ولا يقرب من الفم . قوله : « سَوْد » ، أى جعل فيه الكحل . جاد : أعطاه العين . وَسم العين بالكحل : أجاد عمله فيها . قلما ينكح إلا مثنى ، أى ينكح عينا واحدة في الغالب . وقد نظم هذا الشرفى الثانية والأربعين .

جوده ، أى يجود بكحله للعين . ويسمو : يطعم للعين ، وجعل له الكحل غذاء يأخذ ويرتفع به للغير . قرينته : مكحلته . من طينته : من جنسه . زينته : تزيينه للعين . يطمع فى لينته : أى لا يطمع أن يكون الحديد لينا . وكل لفظة فسر بها المروء والإبرة ، لها لفظ فى ظاهرها غير ما فسرت به .

* * *

فقال لهما القاضى : إِمَّا أَنْ تُبَيِّنَا ، وَإِلَّا فَبَيِّنَا ، فابْتَدَرَ
الغلامُ ، وقال :

أَعَارَنِي إِبْرَةً لِأَرْفُوَ أَطْ	مَارًا عَفَاهَا الْبَلَى وَسَوْدَهَا
فَانْخَرَمَتْ فِي يَدِي عَلَى خَطَا	مَنَى كَمَا جَذَبْتُ مِقْوَدَهَا
فَلَمْ يَرَ الشَّيْخُ أَنْ يُسَامِحَنِي	بَارُشِيهَا إِذْ رَأَى تَأْوُدَهَا
بَلْ قَالَ هَاتِ إِبْرَةً كَمَا تِلْهَا	أَوْ قِيَمَةً بَعْدَ أَنْ تُجَوِّدَهَا
وَاعْتَاقَ مِثْلِي رَهْنًا لَدَيْهِ وَنَا	هَيْكَ بِهَا مِثْلِي تَزَوُّدَهَا
فَالْعَيْنُ مَرَّمَى لِرَهْنِهِ وَيَدِي	تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفُكَّ مِرْوَدَهَا
فَاسْتَبْرَأَ بَذَا الشَّرْحَ غَوْرَ مَسْكَتِي	وَارْتِ لِي لَمْ يَكُنْ تَعَوُّدَهَا

• • •

تبينا : توضّحًا وتفسّرًا حديثك الملمّز . فبيننا : أبعدا ، أو ارتفعنا .
قوله : «أرفو» أى أخيط ، ويروى «لأرفأ» يقال : رفأت الثوب أرفؤه ورفوته
وأرفوه ، والرفو من أدقّ أنواع الخياطة ، وهو نسج الخرق في الثوب حتى يعود
كأنه لم يكن فيه خرق .

[مما قيل في رفو الثياب]

وقال ابن القابلة السبتي في غلام رفاء :

يارافيا قطع كل ثوبٍ ويارشيا حبة اعتماي
عسى بخيط الوصال ترفو ما قطع المجر من فؤادي
وقال الحلواني في خياط :

ربّ خياطٍ فتنت به فتنة أوهت قوى جلدي
لاعبٌ بالخيط يفتله أتراه ظنه جسدي !
ليت أنى كنته فأرى بين ذاك الدرّ والبرد
فعلت بالثوب إبرته فملّ سهم الشوق في خلدي
وجرى الممراض في يده جرى عينيه على كبدي

ومن مجون أبي نواس ، أنه كان يؤاكل إسماعيل بن أبي سهل ، فعرضت
له على مائدة رفاقة في جانبها خرق قد ضمّ ، فرفعها بإحدى يديه ونقرها بالأخرى ،
فانفجرت ، وقال وهو يضحك : أخبزكم مرفوء ؟ فلما خرج قال :

خبز إسماعيل كالونسي إذا ما انشق يُرفأ
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
إن رفاءك هذا أطف الأمة كفا
فإذا قابل بالنصف من الخبز نصفًا

أَلْطَفَ الصَّنْعَةَ حَتَّى لَا تَرَى الْمَغْرَرَ أَشْفَى
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنُورِ مَا غَادَرَ حَرْفًا

والأطمار : الثياب الخَلَقَة ، واحدها طِمْر . عفاها البلى : غَيَّرَهَا الْقَدَمُ
وَدَرَسَهَا ، وَسَوَّدَهَا بِالْأَوْسَاحِ حَتَّى صَارَتْ فِي طَبْعِ الثَّوبِ ، فَتَى غَسَلَتْ لَمْ تَزَلْ .

[مِمَّا قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي الْأَطْمَارِ الْبَالِيَةِ]

وَمِمَّا قَالَتِ الشُّعْرَاءُ فِي الْأَطْمَارِ الْبَالِيَةِ مِمَّا يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ الْحَمْدُونِيِّ فِي
طَيْلَسَانَ^(١) وَهَبَهُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ الْمُهَلَّبِيُّ :

يَا بْنَ حَرْبٍ أَطَلْتَ هَمِّي بِرَفْوِي طَيْلَسَانًا قَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا^(٢)
فَهَوِيَ الرِّفْوَى آلَ فِرْعَوْنَ فِي الْعَرَى ضَ عَلَى النَّارِ بَكْرَةً وَعَشِيًّا
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

طَيْلَسَانُ لَا بْنَ حَرْبٍ يَتَدَاعَى لَا مَسَاسًا
قَدْ طَوَى قَرْنًا فَقَرْنًا وَأُنَاسًا فَأُنَاسًا
لَيْسَ الْأَيَّامُ حَتَّى لَمْ تَدْنُ فِيهِ لِبَاسًا
غَابَ تَحْتَ الْخَسِّ حَتَّى لَا يُرَى إِلَّا قِيَاسًا

(١) قَالَ النَّعَالِيُّ فِي الْمَضَافِ وَالْمَنْسُوبِ ٦٠٢ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ أَهْدَى إِلَى الْحَمْدُونِيِّ طَيْلَسَانًا
خَلَقًا ، وَكَانَ الْحَمْدُونِيُّ يَحْفَظُ قَوْلَ ابْنِ حَرَّانِ السُّلَمِيِّ فِي طَيْلَسَانَ :

يَا طَيْلَسَانَ أَبِي حَرَّانٍ قَدْ بَرَمَتْ بِكَ الْحَيَاةُ فَمَا تَلْتَذُّ بِالْعُمُورِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ رَفًا يَجْسَدُهُ هَيْبَاتُ بِنْفَعٍ تَجْدِيدٌ مَعَ الْكِبَرِ
إِذَا ارْتَدَاهُ لَعِيدٍ أَوْ لَجَعَةٍ تَنْكَبُ النَّاسَ لَا يَبْلَى مِنَ النَّفَرِ
وَاحْتَدَى حَذْوَهُ ، وَاشْتَالَتْ عَلَيْهِ الْمَعَانِي ، حَتَّى قَالَ فِي وَصْفِ الطَّيْلَسَانِ قِرَاقَةَ مَائَتِي مَقْطُوعَةً ،
يُؤَلَّا تَخْلُو وَاحِدَةً مِنْهَا مِنْ مَعْنَى يَنْبَغِ

(٢) الْمَضَافُ وَالْمَنْسُوبُ لِلنَّعَالِيِّ ٦٠٢ ، وَقَبْلَهُ : « أَطَلْتَ فَرَوِي » .

وقال فيه أيضاً :

قل لابن حرب مقالة العاتب
أما رأيت الترفاء يُحزِنني
أفناه جورُ البلي عليه كما
ولستُ فيما أقولُ بالكاذب
برفوه طيلسانك الذاهِب
أفنى الهوى عمرَ خالد الكاتب

وقال فيه أيضاً :

إن ابن حرب جادى كاسياً
انظر إلى كثرة تمزيقه
رفوى له وهو رميمٌ كمن
يصدعه اللحظ بإيماضه
يذكرني كثرة تمزيقه
بطيلسان هريمٍ قشعر
كأنما مُزق في مائتم
يبنى بناء فوق مستهدم
صدع فؤاد العاشق المغرم
تذرق الناس عن الموسم

وقال فيه أيضاً :

يا ابن حرب كسرتني طيلساناً
طال تردادهُ إلى الرفو حتى
فحسبنا نسج المناكب قد جئن
مل من صحبة الزمان وصدّاً^(١)
لو بعثناه وحدة كتهدي
إلى ضعف طيلسانك شداً

وقال أيضاً فيه :

يا قاتل الله ابن حرب لقد
بطيلسان خلت أن البلي
أجد في رفوى له والبلي
أطال إيتابي على عمد
يطلبه بالوثر والحد
يأهو به في الهزل والجدد

إن أتهم الراقي في رفوه مفي به التزيق في تجد
شئته لا مفي راحلاً : تركتني يا واحد وحدي

والحمدوني هو إسماعيل بن إبراهيم جدويه ، نسب إلى جده ، وهو من أهل
ميسان ، وكان حلو التصرف مايج الافتنان ، وهو القائل :

من كان في الدنيا له شارة فتع من نظارة أذني
نلحظها من كتب حسرة كأننا لفظ بلا معنى

وقال ابن الرومي في طيلسانه :

ولي طيلسان ناحل غير أنه ثبوت لهفات الرياح الزعازع
وما ذاك إلا أنه منهتك يخلى سبيل الريح غير منازع
أراه لضوء الشمس بالعين رؤية ويتمنى من له بالأصابع
شكاقل اسم الطيلسان لضعفه فسميته ساجا فهل ذاك نافي !

وقال ابن سارة في فروة :

أودت بذات يدي فريوة أرنب كفؤاد عروة في الضنا والرقعة
يتجشم الرقاء في ترقيعها بعد المشقة في قريب الشقة
لو أن ما أنفقت في ترقيعها يحصى ل زاد على رمال الرقة
إن قلت : « باسم الله » عند لباسها قرأت على « إذا السماء انشقت »

وله فيها أيضاً :

لي فروة وصفي لجأحتي بها بأنيك بين مقروط ومشتف
عطلت كتب أبي عبيد بالذي ألقت فيها من غريب مصنف
يسطو على الغرم في ترقيعها سطو الغرام على فؤاد المدنف

فأنا وفروى خوف تمزيقي لها أحكى معاويةً بجنب الأحنفِ

وله في طيلسانه :

وطيلسان هَرِمٍ يُحْتَمَى عليه أكلُ الغُلِّ والبقلِ
كأن كَفَى إذا انضَمَّتَا عليه خوف الرِّيح في غُلِّ

ولبعض أصحابه فيه :

على منكب ابن عليٍّ سَمَلٌ تقطّعه لحظّات المَقَلِّ
إذا غَيِمَ الجوّ أبصرته رهين الذَّبُول بكفّ البَلَلِ
نسوا طيلسان ابن حربٍ به وصاروا به يضربون المَثَلِ

وله في غِفَارته ^(١) :

لأحمد بن عليٍّ غِفَارَةٌ كالسَّرَابِ
إن هبَّ أدنى نسيمٍ تمرّ مرّ السَّحَابِ

والشعر في هذا الباب كثير .

قوله : « انخرمت » ، أى انكسرت . مقودها : خبطها . تأودها :
انكسارها ، وأصله الاعوجاج . اعتاق ميلى : أحبس مرودى . ناهيك :
كافيك ، ومعناه المبالغة ، كأنه بلغ النهاية في العيب الذي فعل . سُبَّة : عيب
يُسَبَّ به . مرَّهَى : خالية من الكُجُل ، وقد مرَّه الرجل مرَّهاً إذا لم يتعهد
الكحل ، والمرَّهَى من النساء : البيضاء البينة الزَّرَق الذى يختص الكحل في
زرقها . استبر : قس . غور : غاية وقدر . ارث : ارحم وتوجع .

(١) الغفارة ، ككتابة : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة .

(٢١ - شرح مقامات الحريري ١)

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَى الشَّيْخِ ، وَقَالَ : إِيْهِ ، بِغَيْرِ تَمْوِيهِ ،

فَقَالَ :

أَفْسَمْتُ بِالشَّعْرِ الْحَرَامِ وَمَنْ	ضَمُّ مِنَ النَّاسِكِينَ خَيْفَ مِنِّي
لَوْ سَاءَفْتَنِي الْأَيَّامُ لَمْ يَرْنِي	مُرْتَهَنًا مِثْلَهُ الَّذِي رَهَنًا
وَلَا تَصَدَّقْتُ أَبْتَنِي بَدَلًا	مِنْ إِبْرَةٍ غَالِمًا وَلَا ثَمَنًا
لَكِنَّ قَوْسَ الْخَطُوبِ تَرْشُقُنِي	بِمُصْمِيَّاتٍ مِنْ هَاهُنَا وَهَنًا
وَكُفْرٌ حَالِي كَكُفْرٍ حَالِيهِ	ضُرًّا وَبُؤْسًا وَغُرْبَةً وَضَنِي
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ يَدْنَنَا فَأَنَا	نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا
لَاهُو يَسْتَطِيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ	لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهَنًا
وَلَا مَجَالِي لِضَيْقِ ذَاتِ يَدِي	فِيهِ اتَّسَاعٌ لِلْعَفْوِ حِينَ جَنَى
فِيهِدِهِ قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ	فَانْظُرْ إِلَيْنَا وَنَيْنَا وَلَنَا

° ° °

إِيْهِ : كلمة يُستزاد بها الحديث . والتمويه : الكذب ، وهو في الحديث كالتعمية ، وقد موّه عليه ، إذا خيل له أنه على شيء وهو على ضده ، وأصل التمويه الصَّفْل ، كُنَّ عَلَى أَلْفَاظِهِ الْمَوَّهَةُ صَقَالَةٌ ، وهو من لَفْظِ الْمَاءِ . الْمَشْعَرُ : المزدلفة ، وهو جمع ، سُمِّيَ مشعراً لأنه من علامات الحج ، وكل علامات الحج مشاعر ، والمشعر والمنسك : موضع ذبح الهدى بمكة المفضَّل ، سُمِّيَ مشعراً ، لأنه شعر أنه حرام كالبيت . الناسكين : الحجاج الذين يُشعرون الهدى وما يُنحر ، أَنْسَكَ وَنَسَكَ مَنَسَكَ وَنَسَكَ ، إِذَا ذَبَحَ الذَّنْكَ ، وَأَصْلُهَا ذَبَاحٌ

الجاهلية ثم سُميت الأضاحى ، والناسك أيضاً : الزاهد . خَيفَ : موضع بمنى .
 قوله : « ساعفتنى » : ساعدتنى . تصدّيت : تعرّضت . غالها : أهلكتها .
 الخلوب : الأمور الشداد . ترشفتنى : تصيبنى . بمصميات : بسهام قاتلة .
 بؤس : شدة حال . ضنّى : ضعف ومرض . وهو أنا ، أى هو مثلى فى
 ضيق الحال . مجالى : موضع تصرفى . ذات يدى : مالى ، وذات اليد ما يملك .
 العفو : الغفران . جنى : أذنب . قصّتى : حديثى ، يقول : فانظر إلينا بعين الشفقة
 والرحمة ، وأصلح بيننا بما تنصرف به شاكرين لك ، وهب لنا ما نثنى به
 عليك ، وجعل النظر عاملاً فى الجميع ، لأن من وجوه النظر الإصلاح بينهم
 والتكريم عليهم .

فلما وعى القاضى قصصهما ، وتبين خصائصهما وتخصّصهما ؛
 أبرز لهما ديناراً من تحت مصلاه ، وقال لهما : اقطعا به الخصام
 وافصلاهما . فتلقّفه الشيخ دون الحديث ، واستخلصه على وجه
 الجِدِّ لا القَبْثِ ، وقال للحديث : نصفه لى بسهم مبرّتى ،
 وسهمك لى عن أرض إبرتى ، ولست عن الحق أميل ، فقم
 وخذ المبل . فقرأ الحديث لما حدث اكتئاب ، واكفهر على
 سماءه سحاب ، وجم له القاضى ، وهيج أسفه على الدّينار الماضى ؛
 إلّا أنّه جبر بالفتى وبلباله ، بدريهمات رضى بها له ، وقال
 لهما : اجتنبا المعاملات ، وادراا المخاصمات ، ولا تحضراى فى
 المحاكمات ، فما عندى كيس الفرامات .

فَنَهَضًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَرَحِينًا بِرَفْدِهِ ، مُفَصِّحِينَ بِحَمْدِهِ ،
وَالْقَاضِي مَا يَخْبُو ضَجْرَهُ ، مُذْ بَضَّ حَجْرَهُ ، وَلَا يَنْصُلُ كَمْدَهُ ،
مُذْ رَشَحَ جَلْمَدَهُ .

• • •

قصصهما ، أى حديثهما ، وهو جمع قصة . خصاصتهما : فقرهما . تخصصهما : رفعتهما وانتقياضهما ، وقد تخصص الرجل ، إذا انقبض عن العامة وتشبه بالخاصة . أبرز : أخرج . مصلاه : بساطه الذى يصلى عليه . افصلاه : اقطعه وأزيله . استخلصه : حازه لنفسه خالصاً . الجِدَّ : التحقيق . العبث : الهزل . مهم : نصيب . مبرتى : إكرامى الذى وصلنى به القاضى . أميل : أخرج وأعدل عنه . عرا : قصد ونزل به . حدث : ظهر . اكتئاب : حُزن وهم . وجَم : غضب ، والوجوم : السكوت على غضب . هَيَّج : حرَّك . أسفه : حزنه . باله : فكره . بلباله : حزنه ووسواسه . رضح : كثر العطاء . اجتنبنا : باعدنا . المعاملات : المعاوضات والمواري . ادركا : ادفعنا . كيس : وعاء الدراهم . رَفْدَه : عطاؤه . يخبو ضجره : يسكن غضبه : بَضَّ حَجْرَهُ : رشحت كفه ، قال الأخطل :

كَزَمَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَطِيَّةِ مَمْسُكٌ مَا إِنْ تَبِضَّ صَفَاتُهُ بِلَالٍ^(١)

ينصل كمده : يزول حزنه . الجلمد : الصخر الصلب ، كنى به عن كفه ؛ وأنه بخيل ، ويد البخيل تشبه بالحجر ، وقال جرير :

كَأَنَّمَا خَلَقْتَ كَفَاهُ مِنْ حَجَرٍ فَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالنَّادَى عَمَلٌ^(٢)
يَرَى النِّيمَ فِي بَرٍّ وَفِي بَحْرِ مَخَافَةَ أَنْ يَرَى فِي كَفِّهِ بَلَلٌ

(١) ديوانه ١٥٩ .

(٢) لم يرد البيتان في ديوانه

وقال ابن عبد ربه :

يَرَاةٌ غَرَنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنَاءٍ حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهِ الْكَفَّ مُقْتَبِسًا^(١)
فَصَادَفْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لُؤْمِهِ بَعْصًا مُوسَى لَمَا انْبَجَسَا
كَأَنَّمَا صَيَغَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَذِبٍ فَكَانَ هَذَا لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسًا

أين هذه الألف من التي ذكر حجّية بن المضرّب ، حين قال :

أَنَاسٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ فَأَيْدِيهِمْ بِيضٌ وَأَوْجُهُمْ غُرٌّ
يَصُونُونَ أَحْسَابًا وَمَجْدًا مُؤَنَّلًا يَبْذُلُ الْكَفَّ دُونَهَا الْمُزْنَ وَالْبَحْرُ
مَغْلُولًا مَسَّ الصَّخْرَ الْأَصْمُ أَكَنَّهُمْ أَفَاضَ يَنَابِيعَ النَّدَى ذَلِكَ الصَّخْرُ

وقال أبو الشيص :

إِنِّ الْأَمَانَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ يَا عَقَبَ شَطَاً بِمَرْكِ الْفَيَاضِ^(٢)
بِحَرٍّ يَلُودُ الْمُعْتَفُونَ بِسَيْلِهِ فَعَمَّ الْجُدَاوِلَ مَتَرَعُ الْأَحْوَاضِ
لَأَبِي مُحَمَّدٍ الْمُؤَمِّلِ رَاحَتَا مَلَكٍ إِلَى أَعْلَى الْعُلَا نَهَاضِ
فَيَسُدُّ تَدَفَّقَ بِالْفَنَى لَصْدِيقِهِ وَيَدُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ سَمَّ قَاضِ

وقال أبو تمام :

تَعُودُ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ دَعَاها لِقَبْضٍ لَمْ تَجِبْهُ أُنَامِلُهُ^(٣)

وقال البحتري :

قَدْ قَلْتُ لِلْفَيْثِ الرِّكَامَ وَلَجَّ فِي إِبْرَاقِهِ ، وَأَلَحَّ فِي إِرْعَادِهِ^(٤)

(١) المقدم ٦ : ١٩٥ .

(٣) ديوانه ٣٣٢ .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ٧٦

(٤) ديوانه ٧٠٣

لا تعرضن لجعفرٍ مثبتهً بندي يديه فلت من أنداده
الله شرفه ، وأعلى ذكره ورآه غيث بلادهِ وعباده

وقال ابن الرومي :

مُقبِلٌ ظهر الكف وهاب بطنها له راحةٌ فيها الحطيمُ وزمزمُ
فظاهرها للناس ركنٌ مقبَلٌ وباطنها عينٌ من الجود عَليمٌ

حَتَّى إِذَا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ ، أَقْبَلَ عَلَى غَاشِيَّتِهِ وَقَالَ : قَدْ
أَشْرِبَ حِسِّي ، وَنَبَأَنِي حَدَّثِي ؛ أَنَّهُمَا صَاحِبَا دَهَاءٍ ، لَا خَصَمََا ادِّعَاءِ ،
فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سَبْرِهِمَا ، وَاسْتِنْبَاطِ سِرِّهِمَا ! فَقَالَ لَهُ نَحْرِيرُ
زُمَرَتِهِ ، وَشَرَارَةُ جَهْرَتِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَتِمَّ اسْتِخْرَاجُ خَبْنِهِمَا إِلَّا بِهِمَا ،
فَقَفَّاهُمَا عَوْنًا يَرْجِعُهُمَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُمَا : اصْدُقَانِي
سَنَ بَكَرِكُمَا ، وَلَكُمَا الْأَمَانُ مِنْ تَبِيعَةِ مَكْرِكُمَا . فَأَحْجَمَ الْحَدَّثُ
وَاسْتَقَالَ ، وَأَقْدَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ :

قوله : « غشيتُهُ » ، أى ذهب عقله بأن يُفَعَى عليه . وغاشيته : زواره ومن
يفشى موضعه . أَشْرِبَ : دُوخِلَ : حِسِّي : إدراكي وفهني . نَبَأَنِي : حَدَّثَنِي .
وَأَخْبَرَنِي . حَدَّثَنِي : ظَنَنِي ، قال الفراء رحمه الله : حَدَّثْتُ أَحَدِسَ ، إِذَا قُلْتَ فِي
الشَّيْءِ بِرَأْيِكَ . غَيْرُهُ : حَدَّثْتُ : ظَنَنْتُ ظَنًّا بَلَغْتَ مِنْهُ غَايَةَ الشَّيْءِ فِي عَدَدِهِ أَوْ

وزنه ، وأصله من قول العرب : باغت الخدس ، أى الشيء الذى تطالب لحاقه .
والدهاء فى الرجل : الخدق والتبعض فى الأشياء . لاختصاص ادعاء ، أى ليس بينهما
ادعاء على الحقيقة فيختصمان فيها . سبها : اختبارها . استنباط : استخراج .
نحرير : حاذق . زميرته : جماعته ، وجعله شرارة ؛ لنفوذ ذهنه واتقاده ، ولذلك
يسمى نحريراً ، أى ماهراً بالأشياء كلها ، كأنه لإدراكه وفهمه بالأشياء ينحريها بظنه
الصادق . خبئها : خفى ما عندها . قفاها : أتبعها . والعون : الشرطى ، لأنه
يعين من يتصير له . مثلاً : وقفاً ، يقال : مثل الشيء ، فهو مائل ، إذا قام
واتنصب ، وإذا لطف بالأرض أو ذهب ، وهو من الأضداد . سن بكر كما :
حقيقة خبر كما . والبكر : الفتى من الإبل ، وسنه : مبلغ عمره ، لأن بالسن يعرف كم
بلغ من العمر ، ولفظ المثل « صدقنى سن بكره » ، وروى البكرى عن ابن الأعرابي
أن رجلاً سأم رجلاً بكرّاً على أن يشتريه مسنّاً ، فقال البائع : هذا جمل ؛ لبكر
له ، وقال المشتري : هذا بكر ، فقال البائع : بل هو مسن ، فبينما هما يتنازعان
إذ نفر البكر ، فقال صاحبه : ليسكن نفاره : « هدع هدع » ، وهى كلمة من العرب
يسكن بها صفار الإبل عند نفارها ، ولا تقال للكبار ، فقال المشتري عند ذلك :
صدقنى سن بكره . تبعة : شُرحت فى الصدر . أحجم : تأخر فزعاً . أقدم :
تقدم متشجعاً . استقال : طلب الإقالة .

* * *

<p>أنا المَرْجِيُّ وَهَذَا وَلَدِي وَمَا تَعَدَّتْ يَدُهُ وَلَا يَدِي وَإِنَّمَا الدَّهْرُ الْمُسِيءُ الْمُعْتَدِي كُلَّ نَدَى الرَّاحَةِ عَذْبِ الْمُرْدِ</p>	<p>وَالشَّبْلُ فِي الْمُخْبِرِ مِثْلُ الْأَسَدِ فِي إِبْرَةِ يَوْمَا وَلَا فِي مِرْوَدِ مَالَ بَنَّا حَتَّى غَدَوْنَا نَجْتَدِي وَكُلَّ جَمْدٍ الْكَفِّ مَغْلُولِ الْيَدِ</p>
--	---

بِكُلِّ فَنِّ وَبِكُلِّ مَقْصِدٍ بِالْجِدِّ إِنْ أَجْدَى وَإِلَّا بِالذِّدِ
لِنَجْلِبَ الرَّشْحَ إِلَى الْحَفْظِ الصَّدَى وَنَنْفِدَ الْعُمَرَ بِعَيْشِ أَنْكَدِ
وَالْمَوْتُ مِنْ بَعْدُ لَنَا بِالْمُرْصَدِ إِنْ لَمْ يَفَاجِ الْيَوْمَ فَاجَى فِي غَدِ

• • •

الشبل : ولد الأسد . المخبر : التجربة والخبرة . تعدت : ظلمت ، والتعدى :
الظالم المجاوز الحد في الظلم . مال بنا ، أى حطنا . نجتدى : نسأل الناس الجدا ، وهو
للعطاء . ندى الراحة : كريم الكف . وجعد الكف ، ضده ، وأراد أن يسأل كل
كريم سهل العطاء ، وكل لثيم صعبه ، وأصل الجمودة انقباض الشعر ، ثم استعيرت
لنقبض الكف من اللؤم ، ومثله مغلول اليد ، أى كأن يده محبوسة بغلّ اللؤمها ،
والسائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيجدها محبوسة بغلّ اللؤم ، وفي الكتاب
العزيز : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾^(١)
فهذا نهى عن التبذير .

وقال حبيب في قصيدة يمدح بها حنص بن عمر الأزدي ويذكر الجمودة ، وهي :

يَرَى الْوَعْدَ أُخْرَى الْعَارِ إِنْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مَقْدَمَةَ الْوَعْدِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ مَا يَعْطِيهِ غَيْثًا لَأَمْطَرَتْ سَحَابُهُ مِنْ غَيْرِ بَرْقٍ وَلَا رَعْدِ
مَنْ الْقَوْمَ جَعَدَ أَبْيَضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى وَلَيْسَ بِنَانٍ يَجْتَدِي مِنْهُ بِالْجَمْدِ

(١) سورة الإسراء ٢٩

(٢) ديوانه ١٣٠

وقال البحتري :

حسنتني عن معاشر لا أسمى أوليهم إلا غداة سيباني^(١)
من جماد الأ كف غير جماد
خطروا خطرة الجهام وساروا وغضاب الوجوه غير غضاب
في نواحي الظنون سير السحاب

وقال أيضاً في نحوه :

وخلقني الزمان على أناس وجوهم وأيديهم حديد^(٢)
لهم خلل حسن فمن بيض
أناس لو تأملهم لبيد وأخلاق قبحن فمن سود
بكي الخلف الذي يشكولبيد

قوله « الدد » : ضد الجد ، وهو اللهو واللعب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لست بمن ددر ولا الدد مني » ، أي لست من باطل ولا الباطل مني . أجدى : نفع . الحظ : البخت والنصيب . والصدى : العطشان ، وأراد أن حظه في الدنيا قليل ، فهو سعى له ليجلب رزقاً يكثر به حظه . تنفذ : تتم . أنكد : مشغوم وكل ما جلب شراً فهو أنكد ونكد . والرصد : الموضع الذي ترتقب فيه من تريد أخذه ، وقد رصده رصداً ترتقبه . يفاج : يأت على غفلة ، وأصله فاجأ بالهمز ، فستله .

فقال له القاضي : لله درك ، فما أعذب نفثات فيك ، وواها
لك لولا خداع فيك ، وإني لك لمن المنذرين ، وعليك من

(١) ديوانه ٨٦

(٢) ديوانه ٨١

الْحَذِرِينَ ، فَلَا تَمَّا كِرَ بَعْدَهَا الْحَاكِمِينَ ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ الْمُتَحَكِّمِينَ ،
فَمَا كُلُّ مُسَيِّطَرٍ يُقِيلُ ، وَلَا كُلُّ أَوَانٍ يُسْمَعُ الْقِيلَ .

فَمَا هَذِهِ الشَّيْخُ عَلَى اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ ، وَالْارْتِدَاعِ عَنْ تَلْبِيسِ
صُورَتِهِ . وَفَصَلَ عَنْ جَهَّتِهِ ، وَانْخَلَّتْ يَلْمَعُ مِنْ جَبْهَتِهِ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْهَا فِي تَصَارِيفِ الْأَسْفَارِ ،
وَلَا قَرَأْتُ مِثْلَهَا فِي تَصَانِيفِ الْأَسْفَارِ .

• • •

قوله : «لله درك» ، أى ما أحسن كلامك ، والدَّرَّ أصله اللين ، وكأنه سُمِّيَ
بِحكاية صوته عند الحالب . والله ، أصله القسم ، ولا تدخل اللام في القسم إلا على
اسم الله تعالى ، والتعجب معها لازم ، فإذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب
الناقة : لله درك ! فكأنه قال : والله إن درك هذا لكثير ، ثم استعير للفصيح في
كلامه ، ولكل من أحسن فى شيء ، فكأنه قيل : ما أحسن ما جئت به ! وقيل :
معناه لله اللين الذى شربته من أمك ، قال الفراء رحمه الله : ربما قالوا : درك ، ولم
يقولوا : لله درك ، وأنشد :

دَرَّ دَرَّ الشَّبَابُ وَالشَّعَرُ الْأَسَدُ — وَدِرَ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرَّجَالِ

قوله : «نفثات» ، أى كلمات . واهًا : عجبًا . والمنذر : المعلم بما يخاف . تماكر :
تمخادع . سطوة : بطشة . المتحكم : الذى يتحكم بما شاء فيمثل حكمه . مسيطر :
أمير مساط . يقيل : يغفر الزلة . أوان : وقت . عاهده : حاله . مشورته : أخذ
رأيه . الارتداع : الكف . تلبيس : تخليط . صورته : قصته . فصل : زال .

الخطر : الخداع . يلعب : يضىء ، يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة الغدر ،
وأن يمينه التي حلف له كاذبة ، وأوّل مَنْ نظم في هذا المعنى الشّماخ
حين قال :

أَتَنِي تَمِيمٌ قَضُّهَا بِقَضِيغِهَا تَمَسَّحَ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَاهَا
يقولون لي : احلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيما أنالها
ففرّجت هم النفس عني بحلفه كما شئت الشقراء عني جلاها .

ومن الملح في اليمين الفاجرة ، قول ابن الرومي :

وإني لندو حلف كاذب إذا ما استمعت وفي المال ضيق
وهل من جناح على معسر يدافع بالله ما لا يطيق
وقال فيه أيضاً :

إذا حلت على ضيق دُبُونِي وباكرني التجار وخوفُونِي
دفعتهم بمن لو شاء أدّى حقوقهم إليهم منذ حين

والدعبل :

سألوني اليمين فارتعت عنها كي يفروا بذلك الإرتياع^(١)
ثم أرسلتها كمنحدر السَّيْلِ تدلى من المكان اليفاع
وأنشد أبو علي :

لا شيء يدفع حق خصم شاغب إلا كحلف عبيدة بن سميدع
يمضي اليمين على اليمين لاجبة عَضَّ الجروح على اللجام المقدع
فإذا يذكر حلفة أصغى لها وإذا يذكر بالتقى لم يسمع

قوله: «تصارييف»، أراد التصريف بالجلولان في البلدان. والأسفار: الأول :
 جمع السفر في البلاد، والثاني : جمع سفر، وهو الكتاب، قال القراء رحمه الله:
 الأسفار: الكتب العظام. والتصانيف: التأليف المتنوعة، والمصنّف الذي فيه
 أنواع شتى.

المقامة التاسعة وهي الإله كندرانة

قال الحارث بن همام : طعاني مَرَحُ الشَّبَابِ ؛ وَهَوَى
الْاِكْتِسَابِ ، إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْغَانَةٍ وَغَانَةٍ ، أَخُوضُ النِّعَمَارَ ،
لِأَجْنَى الثَّمَارِ ، وَأَقْتَحِمُ الْأَخْطَارَ ، لِكُنَى أَذْرِكَ الْأُوطَارَ ،
وَكُنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ ،
أَنَّهُ يَلْزَمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ ، إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ ، أَنْ يَسْتَمِيلَ
قَاضِيَهُ ، وَيَسْتَخْلِصَ مَرَاضِيَهُ ، لِيَشْتَدَّ ظَهْرُهُ عِنْدَ الْخِصَامِ ،
وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جُورَ الْحُكَامِ ؛ فَاتَّخَذْتُ هَذَا الْأَدَبَ إِمَامًا ،
وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا ، فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً ، وَلَا وَجِلْتُ عَرِيبَةً ،
إِلَّا وَامْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ ، وَتَقَوَّيْتُ بِعُنَايَتِهِ
تَقَوَّى الْأَجْسَادُ بِاللُّوْاحِ .

• • •

طحا بك قلبك ووهبك طحوا وطحنيا : ذهب بك ، وطحا الله الأرض .
ودحاها : بسطها . ابن الأنباري : طحا قابله في الهوى واللهو ، إذا تطاول وتمادى ، قال .
علقمة :

* طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبٌ *

مرح الشباب : نشاط الفتوة . جُبْتُ : قطعت ومشيت .

[ذكر فرغانة]

فرغانة : مدينة في أقصى خراسان ، وكان فيها بيت يُسمَّى هيكَل الشمس ،
 بناه فارس الملك ، وخرَّبه المعتصم ، وبها قُتِل قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان
 سنة ثلاث وخمسين ، وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخاً . قال اليعقوبي :
 من سمرقند إلى أسروشنة خمس مراحل شرقاً ، ومن أسروشنة إلى فرغانة
 مرحلتان ، ومدينة فرغانة التي ينزلها الملك يقال لها كاسان ، وهي مدينة جليلة
 القدر ، عظيمة الأمر ، وكلُّ هذه المدن مضافة إلى عمل سمرقند . وكان
 أنوش . وان بنى فرغانة ، ونقل إليها من كل بيت قوماً ، وسمّاها أزهرخانة ، أي
 من كل بيت .

[ذكر غانة]

وغانة : بلد من بلاد السودان ، وإليها ينتهي التجار ، والمدخل إليها من
 سجلماسة ر ن سجلماسة إليها مسافة ثلاثة أشهر ، ومن غانة إلى سجلماسة شهر
 ونصف ، ودون ذلك ، وسبب ذلك أن الرِّفاق تتجهز إليها من سجلماسة
 بالأمّاع والأثقال ، فتباع في غانة بالتبر ، فمن سافر إليها بثلاثين حملاً يرجع منها
 بثلاثة أحمال ، أو بحملين : واحد لركوبه ، وثانٍ للماء بسبب المفازة التي في طريقها ،
 حدّثنني غير واحدٍ من تجارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يوماً ، لا يرون
 فيها ماء إلا على ظهور الإبل ، فأثمان أحمال الثلاثين حملاً يجتمع فيها من التبر
 ما يجعل في مزود واحد ، فيطوون المراحل للخيمة . وغانة بلد مملكة السودان ،
 وانتشر الإسلام في أهلها ، وبها مدارس للعلم ، وبها من تجار المغرب كثير يدخلون
 للتجارة فيصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجر ، فيشترون بها خدماً للتسري ،
 ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة ، والخدم فيها قد جعل الله فيهم من

الخصال الكريمة في خلقهنّ وخلقهنّ فوق المراد، من ملاسة الأبدان، وتفتق السواد،
وحسن العينين، واعتدال الأنوف، وبياض الأسنان، وطيب الروائح.

[مما ورد من الشعر في وصف السواد والبياض]

وكان ابن الرومي وصف واحدة منهنّ بقوله :

تذكرك المسك والفوالى والنبد ذوات النسيم والعبق
ليست من العبس الأكل ولا الفلج الشفاء الخبائث العرق
أكسبها الحب أنها صيفت صيفه حبّ القلوب والحدق
يفترذاك السواد عن بقى من تفرها كاللآلى النسق
كانها والمزاح يضحكها ليل تمرى دجاء عن فلق
لها حر يستعير وقده من قلب صبّ وصدردى حنق
يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
غصن من الآبنوس ركب في مؤزر معجب ومنتطق
وقال الشريف الرضى :

أحبك يا لون السواد فإنني رأيتك في العينين والقلب توأماً^(١)
وما كان سهم العين لولا سوادها ليبلغ حبات القلوب إذا رمى
إذا كنت تهوى الظبي ألقى فلاتم جنوني على الظبي الذي كله لمى
وقال ابن مسلة :

يكون الخال في خد قبيح فيكسوه الملاحسة والجمالاً

فكيف يَلامُ مشفوفٌ على مَنْ يَراها كَلَّها في العَيْنِ خالاً!
وله أيضاً :

لام العواذلُ في سوداءِ فاحمةٍ كأنَّها في سوادِ القلبِ تمثالُ
وهام بانئالِ أقوامٍ وما عَلِمُوا أنِّي أَهيمُ بشخصٍ كلَّه نَخالُ
ولابن رباح :

وسوداء الأديمِ إذا تبدَّت يرى ماء النعيمِ جرى عليه
رأها ناظري نَصَبًا إليها وشِبهُ الشَّيءِ مُنْجَذِبٌ إليه
ولابن رشيق :

دعا بِكَ الحسنِ فاستجِبي بِامسِكُ في صبغةٍ وطيبِ (١)
تِهَيَّي على البَيضِ واستطِيلي تِهَيَّ شَبَابٍ على مَشِيبِ
ولا يرْعكِ اسودادُ لونِ كَمَفَلَةِ الشَّادِنِ الرَّيْبِ
فإنَّما الثُّورُ عن سوادٍ في أعينِ الناسِ والقلوبِ

قال ابن رشيق : أخذته من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

مشبهاتُ الشَّبابِ والمسكُ تَفْدِيهِنَّ نَفْسِي مِنَ الرَّدىِ والخطوبِ
كيف يروى الذئبُ اللَّيْبِ وَصَالَ اللَّيْبِضُ ، والبَيضُ مشبهاتُ المَشِيبِ
وأخذ يته الآخر من قول الآخر ، أنشده الجاحظ :

وإنَّ سوادَ العينِ في العينِ نورُها وما لِبَياضِ العينِ نورٌ فَيُعْلَمُ
فأخذه أيضاً أبو الطيب ، فقال في كافور وأحسن :

(١) الغيث المنسجم ٢ : ١٦١ ، معاهد التنصيص ٢ : ٢٣ ، ديوان الصبابة (على هامش
ترجين الأسواق) ٦٨ .

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها وماقية^(١)
ولا بن الجنة :

وعائب للشمير من جهله مفضل للبيض ذي مخك^(٢)
قولوا له عني : أما تستحي ! من يجعل الكافور كالمسك !
والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشطرنجي ، والناس تبع له حيث قال :
أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعدة
لا شك - إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة
على أن العباس^(٣) بن الأحنف معاصره ، قال :

أحب النساء السود من أجل تكتمهم

ومن أجلها أحببت ما كان أسوداً
فجئني بمثل المسك أطيب نكهة وجئني بمثل اللؤلؤ أطيب مرقد
أخذ بيته الأول من قول ابن الأعرابي :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب
وقال ابن الرومي في تفضيل السواد على البياض :

وبعض ما فضل السواد به والحق ذو سلم وذو نفق
ألا يعيب السواد حناكته وقد يعاب البياض بالبهق

وهذه الأقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على
تحسين القبيح ، والأمر للجمع عليه تفضيل البياض .

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٧

(٢) ديوانه ١٦٢ (عن الصريفي)

(٣) كذا في ب ، وفي ط ، ١ : ٥ على بن العباس ، تصحيف ، ولم أجد الأبيات في
ديوان عباس بن الأحنف .

(٢٢ - شرح مقامات الحريري ١)

قال الجاحظ : العرب تمدح بالبياض ، وتهجو بالسواد ، وربما مدحوا
بالسواد ، واسكن أصل ما ينون عليه أمرهم ذمه ، وأنشد :

لهم ديباجةٌ عُرِفَتْ قديماً بياضٌ في الوجوه وفي الجلودِ
وأحسن كشاجم فيما قصد إليه بقوله :

يا مشيخاً في فعله لونه لم تعد ما أوجبت القسمة^(١)
خالقك من خالقك مستخرج والظلم مشتق من الظلمة^(٢)

قوله : « جبت ما بين فرغانة وغانة » ، ماها هنا بمعنى الذي ، كأنه قال : جبت
الذي بين فرغانة التي هي أقصى المشرق ، وغانة التي هي أقصى المغرب من البلاد
والقفار والبحار لكسب المال ، فها هي التي أوجبت ليا بين البلدتين ما ذكر
أن يعم بالشئ ، ولوسقطت لم يلزم العموم ، وكأنه يشير بهذا التعبير إلى
قول حبيب :

سلي هل عمرت القفر وهو سباسب^(٣) وغادرت رباعي من ركابي سباسباً^(٤)
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق وشرقت حتى قد نسيت المغارباً

قوله : « أخوض الفار » ، أي أدخل المياه الفزيرة فأجوزها . أقصم
الأخطار ، أي أترامى في المخاوف . والخطر : الفرار . والأوطار : الحاجات .
وقال أبو عمر القسطلي^(٥) فيما يتعلق بهذا :

تخوفني طول السفار وإنني لتقبيل كفّ العامري سفير
دعيني أريد ماء المفاوز آجناً إلى حيث ماء المكرمات تمير

(١) ديوانه ١٧ ، وفيه : « في لونه فعله » .

(٢) في الديوان : « خالقك من خالك » .

(٣) ديوانه ١٧ ، والسباسب : القفار الفسيحة .

(٤) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن الماس بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دار ، المعروف
بأبن دراج القسطلي ، في ط : « أبو عمرو » ، خطأ يذكر في بعض تراجمه ؛ وقد نبه إليه الدكتور
محمود مكي في حواشيه على ديوان ابن دراج ص ٢١ ، والآيات في ديوانه ٢٩٨ .

ألم تعلمي أنَّ الشَّوَاءَ هُوَ النَّوَى وَأَنَّ بِيوتَ الْعَاجِزِينَ قُبُورُ
وَأَنَّ خَطِيرَاتِ الْمَهَالِكِ ضُمُنُ لِرَاكِبِهَا أَنَّ الْجِزَاءَ خَطِيرُ

وقال النابغة الجعدي :

إِذَا لَرَاهُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ

شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر^(١)

فَسِيرُ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالتَّمَسِ الْغَنَى تَمَشُّ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتُ فَتُذَرَا

وقال ابن سارة :

سَافِرُ فَإِنَّ الْفَقْرَ مِنْ بَاتٍ مَفْتَحًا قَفَلَ النِّجَاحَ بِمِفْتَاحٍ مِنَ السَّفَرِ

إِنْ شئتَ خَضَرْتَهَا يَا ابْنَ الرِّخَاءِ فَكُنْ

فِي طَيِّ غَمْرِ الْفَيْيَافِي نَائِي الْحَضَرِ

وَلَا يَصَدِّقُكَ عَنْ أَمْرِ تَصَعُّبِهِ قَدْ يَنْبِغُ الْكُوْثَرُ السَّلْسَالُ مِنْ حَجَرٍ

لَا بَدَّ أَنْ يَقَعَ الْمَطْلُوبُ فِي شَرْكَهِ وَلَوْ بَنَى وَكَرَّهُ فِي دَارَةِ الْقَمَرِ

[باب في الحَضِّ عَلَى السَّفَرِ وَتَرْكِ الْعِجْزِ]

ومما ينتظم في باب الحَضِّ عَلَى السَّفَرِ وَتَرْكِ الْعِجْزِ قَوْلُهُمْ : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ
أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ ، إِمَّا فِي الْغَايَةِ مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا ، وَإِمَّا فِي الْغَايَةِ
مِنْ تَرْكِهَا ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُرَى إِلَّا فِي أَحَدِ مَكَانَيْنِ ، إِمَّا مَعَ الْمُلُوكِ مَكْرَمًا ،
وَإِمَّا مَعَ الْعِبَادِ مُتَبَتِّلًا ، وَلَا يَبْدُو الْغَرَمُ غَرَمًا إِلَّا إِذَا سَاقَ غُنْمًا ، وَلَا الْإِسْمُ غُنْمًا إِلَّا
إِذَا سَاقَ غُرْمًا ؛ وَنَظْمُ هَذَا الْمَعْرَى فَقَالَ :

ذِرِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَحْظَ فِيهَا وَكُنْ فِيهَا كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا^(١)
وَأَصْبَحْ وَاحِدَ الرَّجَالِنِ إِمَّا مَلِكًا فِي الْعَشَائِرِ أَوْ أَمِيلًا

الأبيل : الراهب .

وفي كتاب الهند : من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب .
وفي التوراة : ابن آدم ، خلقت من الحركة إلى الحركة ، فتحرك وأنا معك .
وفي بعض الكتب : امدد يدك إلى باب من العمل ؛ أفتح لك باباً من
الرزق .

وقالوا : مَنْ ضَعُفَ عَنْ عَمَلِهِ أَتَكَلَّ عَلَى رِزْقٍ غَيْرِهِ .
وقال علي رضي الله عنه : الحرص مقدمة الكون .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو فد عبد القيس : ما المروءة فيكم ؟ قالوا :
العفة والحِرَّة .

ورئي عكرمة وراء نهر بئخ ، فقيل له : ما جاء بك هاهنا ؟ فقال : بنائي .
وقال رجل لعروف السرخسي : يا أبا محفوظ أتحرك لطلب الرزق أم أجلس ؟
قال : لا بل تحرك ، فإنه أصلح لك ، فقال : أتقول هذا ؟ قال : وما أنا قاتله
ولكن الله عز وجل أمر به ، قال لمريم عليها السلام : ﴿ وَهْزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ
النَّخْلَةِ تَسَاقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ۝ ﴾^(٢) ولو شاء لأنزله عليها .

وأنشد الثعالبي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى لِمَرْيَمَ وَهْزِي إِلَيْكَ الْجِذْعَ بِسَاقِطِ الرُّطْبِ

(١) سقط الزند ١٣٧١ .

(٢) سورة مريم ٢٥ .

ولو شاء أن تجنيه من غير هزّها جنته ، ولكن كل شيء له سبب .
 وقال موسى بن عمران عليه السلام : لاتلوموا السّفر ؛ فإنني أدركت فيه ما لم
 يدركه أحد ؛ يريد أن الله كلمه فيه .
 ونظم هذا المعنى حبيب فقال :

ذابت موسى صلى على روحه الله صلاة كثيرة القدس^(١)
 صار نبيا وعظما بعيتة في جذوة للصلاة والقبس^(٢)
 قال المأمون : لاشيء ألد من السفر في كفاية ؛ لأنك تحمل كل يوم في حجة
 لم تحملها ، وتعاشر قوما لم تعاشرهم .

الثعالبى : من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار ، وبدائع
 الأقطار ، ومحاسن الآثار ، ما يزيده علما بقدرة الله ، ويدعوه إلى شكر نعمته .
 وفي الأثر الصحيح : سافروا تصحّوا وتغنموا .

آخر : السفر يشدّ الأبدان ، وينشط الكسلان ، ويشهى إلى الطعام .
 آخر : ليس بينك وبين بلد نسب ، تخير البلاد ما حملك .
 قال ابن رشيّق : كتبت إلى بعض إخواني : مثل الرجل القاعد - أعزك الله -
 كمثل الماء الراكد ، إن ترك تغير ، وإن تحرك تكدر ، ومثل المسافر كالسحاب
 الماطر ، هو لاء يدعونه رحمة ، وهؤلاء يدعونه نقمة ، فإذا اتصلت أيامه ، ثقل
 مقامه ، وكثر لوائمه ، فاجمع لنفسك فرجة الغيبة ، وفرحة الأوبة ، والسلام .

وقال ابن رشيّق :

غيب عن بلادك وارح حسن مقبلة إن كنت حقا تشكى الإقالة^(٣)

(١) ديوانه ١٧٠ . والقدس : الطهارة

(٢) البنية : المطلب . الجذوة : الحرة ، والصلاة ، التدفؤ .

(٣) نقله في التنف ٥٩

فالبدرُ لم يُجَحِّفْ به إدباره ألا يسافر يطلب الإقبالا
وقال أبو الطيب :

وما بلد الإنسان غير الموافق ولا أهله الأدنون غير الأصادق^(١)
وقال البحتري :

وإذا ما تذكرت لي بلاداً أو صديق فإنتى بالخيار^(٢)
وقال أبو الطيب :

إذا لم أجِدْ في بلدةٍ ما أريده فعندي لأخرى عَزْمَةٌ وِرْكَابُ
وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

لا يَمْنَعُكَ خَفْضُ العِيشِ في دَعَةٍ نزوعُ نَفْسٍ إلى أَهْلِ وَأَوْطَانِ^(٣)
تَلَقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ

أى لا يَمْنَعُكَ الشوقُ إلى الوطن في الغربة من الاستمتاع بِلَدَةِ العِيشِ ،
فالأرض واحدة ، والناس جنس واحد . وفي غير الحاسة :

لا يَمْنَعُكَ خَفْضُ العِيشِ في دَعَةٍ من أن تبدل أوطاناً بأوطانٍ
برفع « خفض » ، أى لا يَمْنَعُكَ عِيشُكَ الهنيء في بلدك أن تجول في البلدان ،
وترى الناس ، تستفيد النزهة والتجربة .

وقالوا : المسافر يسمع العجائب ، ويكشف التجارب ، ويجلب المكاسب ..
أوحش أهلك إذا كان أنسك في إيماشهم ، واهجر وطنك إذا نبت نفسك عنه .
قيل لأعشى بكر : إلى كم ذا الاغتراب ؟ أما ترضى بالدعة ! قال : لو دامت .
الشمس عليكم يومين الملتموها .

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ٩٨٧ .

(٣) ديوانه ١٠١ ، ديوان الماني ١ : ١٩٢ .

أخذه حبيب فقال :

وطولُ مقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدُ^(١)
فإِنِّي رأيتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إلى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
وقال الحكماء : لا تُنال الراحة إلا بالتعب ، ولا تدرك الدعة إلا بالنصب .

وقال حبيب :

على أنني لم أحوِ وَفراً مَجْتَمِعاً ففرت به إلا بشملٍ مَبْدَدٍ^(٢)
وَلَمْ تُعْطِنِي الأَيَّامُ يوماً مَسْكناً أَلَدَّ به إلا بنومٍ مُشَرَّدٍ

وقال ابن عبد ربه : هل يجوز في عقل ، أو يمثل في وهم ، أو يصح في قياس ،
أن يُحْصَدَ زرعٌ بغير بذر ، أو يثمر مالٌ بغير طلب ، أو تُجَنَّى ثمرة بغير غرس ،
أو يُورَى زندٌ بغير قدح ! وقد يكون الإكداء مع الكد ، والخيبة مع الغيبة .

وقال الشاعر :

وما زلت أقطعُ عَرْضَ البلادِ من المشرقين إلى المغربين
وأدرع الخوفَ تحت الدُّجَى وأستصعب الجُدَى والفرقدَيْنِ
وأطوى وأنشرُ ثوبَ الهمومِ إلى أن رجمتُ بِخُفِّي حُنَيْنِ

وقال ابن رشيقي :

يُعْطَى الفَتَى فيندالُ في دَعَاةٍ ما لم ينل بالكُدِّ والتَّعَبِ^(٣)
فاطْلُبْ لنفسك فَضْلَ رَاحَتِهَا إذ لَيْسَتْ الأشياءُ بِالطَّلَبِ
إِنْ كَانَ لَا رِزْقَ بِلَا سَبَبٍ فرجاء ربِّكَ أعْظَمُ السَّبَبِ

وقال محمد بن يسير :

(١) ديوانه ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) ديوانه ١٠٠ . وفيه : « ولكنني لم أحو » .

(٣) نقله في التنف ١١ .

قد يُرْزَقُ الخافضُ للقيمِ وما شَدَّ لِعَنْسٍ رَحْلًا ولا قَتَبًا (١)
ويحرم المسال ذو المطية والرُّحْلَ حل ومن لا يزال مُقْتَرِبًا
وقال آخر :

قد يُرْزَقُ المرء لم تتعب رواحله ويحرم الرُّزْقُ بالأسفار والتَّعَبِ
إني وعمر ك ما أحصى ذوى حق الرزق أعدى بهم من لاصق الجرب
ولآخر :

ألا رب باغى حاجة لا ينالها وآخر قد تُقضى له وهو جالس
آخر :

قد يُرْزَقُ المرء، لا من حسن حيلته ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهي
مامسى من غنى يومٍ ولا عدمٍ إلا وقولى فيه : الحمد لله
آخر :

لو كان باللب يزاد اللبيب غنى لكان كل لبيب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم يُقضى اللبيب، ويعطى كل ما خور
ومثل هذا قليل في كثير وإنما يحكم بالأغلب ، والنُّجج مع الطلب أكثر ،
والحرمان للعاجز أصعب ، وشرح حبيب هذا المعنى يقال :

هم الفقى فى الأرض أغصانُ المنى غُرِسَتْ وليست كل حين تُورِقُ
أوصى بعض الحكماء ابنه وأراد سفرا ، فقال : إنك تدخل بلدا لا تعرفه ،
ولا يعرفك أهله ، فتمسك بوصيتى تنفق بها ؛ عليك بحسن الشائل ؛ فإنها تداك على
الحرية ، ونقاء الأطراف فإنها تشهد باللوكية ، ونظافة البرزة فإنها تشهد بالنس . فى
النعمة ، وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة ، والأدب الجميل فإنه يُكسب المحبة ،
وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون فعلك ، ولباسك دون قدرك ، والزم

(١) الأغاني ٥ : ٢١ ، من أبيات نسبها إلى ابن عبد الأسد

الحياء والأئمة ذالك إن استحييت من النظاظة اجتنبت الحساسة ، وإن أنفت
من الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة .

قوله : «لَقِنتُ» ، أخذت ، واللقف : أخذ ما يرمى إليك بيدك . ثقفت : قيدت ،
ويمدح الرجل الحازم به فيقال : فلان ثقفٌ كَثِف . والأريب : العاقل ، وقد أرب
أرابة وأرباً ، صار أريباً ، والأريب من أربت العقدة أرباً ، شددتها . يستميل :
يستنزل ويدعوه أن يميل إليه . يستخلص مراضيه ، أى يحوزها لنفسه . ومراضيه :
ما يرضى القاضى وبواقفه ، وهو جمع مَرْضَاة ، ويقال : صلة الرحم مَرْضَاة للرب ،
أى يرضيه برّها ، يقول : العاقل إذا دخل بلدة استعطف قاضياً لنفسه ، بحسن خلقه
حتى يخفّ عليه أمره . ايشتدّ : ليقوى . جَوَز : ظلم ، إماماً : قدوة ، زماماً :
حبلاً أقودها به . ولجت : دخلت . عريفة : بلدة ، وأصاها بيت الأسد . الراح :
اسم الخمر ، وأبهم على ابن الرومى ممّ اشتق اسمها حين قال :

والله ما أدري لأية عالة يدعوها في الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها الارتاح !

وانظر الامتزاج الذى ذكر فى الخامسة والأربعين .

عنايته : اعتناؤه به واهتمامه .

فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية ، فى عشيّة عريّة ، وقد
أخضرت مال الصدقات ، ليفضّه على ذوى الفاقات ، إذ حلّ شخص
عفريّة ، تعتله امرأة مصيبة ، فقالت : أيد الله القاضى ، وأدام به
التراضى ، إني امرأة من أكرم جزئومة ، وأطهر أرومة ،

وَأَشْرَفِ خُثُولَةٍ وَعُمُومَةٍ ، مِيسَمِي الصَّوْنِ ، وَشَيْعَتِي الْهَوْنِ ،
وَوَخَّلَقِي نِعَمَ الْعَوْنِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَانِي بَوْنٌ ، وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي
بُنَاةَ الْمَجْدِ ، وَأَرْبَابُ الْجَدِّ ، سَكَّتَهُمْ وَبَكَتَهُمْ ، وَعَافَ
وَصَلَّتَهُمْ وَصَلَّتَهُمْ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ بِحِلْفَةٍ ، أَلَّا يُصَاهِرَ
غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ .

° ° °

[ذكر الإسكندرية]

مدينة عظيمة من بلاد مصر ، بناها الإسكندر ذو القرنين ، وهو الذي
مشى مشارق الأرض ومغاربها . قال السدي : لما سأل أهل الكتاب النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين ، قال : سأخبركم كما تجدونه مكتوباً عندكم :
إن أول أمره أنه غلام من الروم ، أُعْطِيَ مُلْكًا ، فَارْحَى أَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، فَابْتَنَى عِنْدَهَا مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا الْإِسْكَندَرِيَّةُ .

وقال الهمداني : ذو القرنين ينسب إليه التاريخ قبل الإسلام ، ومؤدبه
أرسطاطاليس الحكيم ، وكان مُلْكُهُ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ أَقْصَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ خَمْسَةَ عَشَرَ
عَامًا ، وَالْإِسْكَندَرِيَّةُ لَهَا بَنَاهَا رُخْمًا بِالرَّخَامِ الْأَبْيَضِ جُدُرُهَا وَأَرْضُهَا ، فَكَانَ
لِبَاسُهُمْ فِيهَا السَّوَادُ مِنْ نَصُوعِ بَيَاضِ الرَّخَامِ ، وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ مَقْمَرَةٌ يَدْخُلُ
الْخِيَاطُ الْغَيْطُ فِي خَرْقِ الْإِبْرَةِ مِنْ بَيَاضِ رُخَامِهَا .

وقيل : إنها مكثت سبعين عامًا لا يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء .
من بياض جِصِّهَا وَرُخَامِهَا ، وَلَمْ يَخْتِجْ لَهَا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلَى سِرَاجٍ بِاللَّيْلِ مِنْ
ضِيَائِهَا . وقيل : كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور .

قال ابن جبير: ماشهدنا^(١) بلداً أوسع مسالك، ولا أعلى بناء، ولا أعتق، ولا أحفل من الإسكندرية، وأسواقها في نهاية الاحتفال، ومن أعجب ما في وصفها: أن بناءها تحت الأرض كبنائها فوقها وأعتق، لأن الماء إذا جاء من النيل يخرق جميع آبارها وأزقتها تحت الأرض، فتصل الآبار بعضها ببعض، ويمد بعضها بعضاً، وعابنا فيها من سوارى الرخام وألواح كبراً وعلواً واتساقاً وحسناً، ما لا يتخيل إلا بالوهم؛ حتى إنك تلقى بعض سوارىها بفص بها الجو صموداً لا يدري معناها، ولا لأي شيء وضعت إلا ما يتحدث به أنه كان عليها من قديم الزمان مبان للفلاسفة وأهل الرئاسة. ومن أعظم عجائبها المنار، آية للمتوسمين، وهداية للمسافرين، لولاه ما اهدوا في البحر إلى بر الإسكندرية، ويظهر على أزيد من سبعين ميلاً، ومبناه في نهاية العتاقة والثاقة طولاً وعرضاً، يزاحم الجو سماءاً وارتفاعاً ينحصر عنه الوصف، وينحصر دونه الطرف، الخبر عنه يضيق، والمشاهدة له تسع، ذرغنا أحد جوانبه الأربع، فالفينا فيه كنيفاً وخسين باعاً، ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخسين قامة.

وأما داخله فرأى هائل، اتساع معارج، ومداخل^(٢) وكثرة مساكن. حتى إن الواج في مسالكه ربما ضل. وفي أعلاه مسجد موصوف بالبركة، يبرزك الناس بالصلاة فيه، طلعتنا إليه، وشهدنا من شأن مبناه عجبا لا يستوفيه وصف واصل، والله تعالى لا يخليه من عزة الإسلام.

قوله «عشية عربية»، أي باردة. بفضه: بفرقه. ذوى الفاقات: أهل الفقر والحاجات. عفرية: يقال رجل عفرية وعفر وعفري، إذا كان صحيحاً شديداً موثقاً.

(١) رحلة ابن جبير ٩، ١٠ بتصرف.

(٢) ط: «دواخل»، وما أثبتته من أ، ب وابن جبير.

الخلق ، أَخَذَ مِنْ عَفَرِ الْأَرْضِ ، وهو التراب ، أَيْ مِنْ عَلَقَ بِهِ عَفَرَهُ بِالْأَرْضِ وَمِنْهُ لَيْثٌ عَفِيرَيْن ، أَيْ لَيْثٌ لِيُوْثٌ ، مُعَفَّرٌ لِفَرِيَسْتِهِ . قَالَ الْخَلِيلُ : رَجُلٌ عَفِرٌ بَيْنَ الْعَفَارَةِ ، إِذَا وَصِفَ بِالشَّيْطَانَةِ ، وَالْعَفِيرُ أَيْضًا : الظَّرِيفُ الْكَتْسُ ، وَيُقَالُ لِلشَّيْطَانِ : عَفِيرِيْتٌ وَعَفِيرِيَّةٌ ، وَهِيَ عَفَارِيَّةٌ . وَقُرِئَ : ﴿ قَالَ عَفِيرِيَّةٌ مِنَ الْجِنَّ ﴾ ^(١) ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنْ أَلَّهِ لَيُبَغِّضَ الْعَفِيرِيْتُ النَّفَرِيْتُ » ، قِيلَ هُوَ الْجُمُوعُ الْمُنَوَّعُ .

وَقَالَ أَبُو عُمَانَ النَّهْدِيُّ : دَخَلَ رَجُلٌ عَظِيمَ الْجِسْمِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : مَتَى عَهْدُكَ بِالْحَقِّ . قَالَ : مَا أَعْرِفُهَا ، قَالَ : فَبِالصَّدَاقِ ؟ قَالَ : مَا أَدْرِي مَا هُوَ ! قَالَ : أَفَأَصِيبُ بِمَالِكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَرُزْتُ بِوَلَدِكَ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ أَلَّهِ لَيُبَغِّضَ الْعَفِيرِيْتُ النَّفَرِيْتُ » ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَرْزَأُ فِي بَدَنِهِ وَلَا يَصَابُ فِي مَالِهِ .

وَقَوْلُهُ : « تَعْتَلَهُ » ، أَيْ تَسْرُقُهُ بَعْنَفٌ ، وَكَذَلِكَ تَدْعُهُ . مُصْبِيَّةٌ : هَاصِبَةٌ . جَرْتُومَةٌ : أَصْلٌ ، وَكَذَلِكَ أُرُومَةٌ . مَيْسَى : عَلَامَتِي . الصَّوْنُ : الصِّيَانَةُ . وَالْإِنْقِبَاضُ . شَيْمَتِي : طَبِيعَتِي . الْهُوْمُنُ . الرِّفْقُ . بُونٌ : مُبْعَدٌ . بِنَاةٌ : جَمْعُ بَانٍ ، وَالْجُدُ : الشَّرَفُ الضَّخْمُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِبِلِ الْمَوَاجِدِ ، وَهِيَ الَّتِي امْتَلَأَتْ بِطَوْنِهَا مِنَ الرَّعَى وَعَظُمَتْ . وَأَمْجَدَ هَارَاعِيهَا ، إِذَا رَعَاهَا بِحَيْثُ تَمْجُدُ ، وَتَمْجُدُتُ وَهِيَ تَمْجُدُ : رَعَتْ فَامْتَلَأَتْ . وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أُتَيْتُ شُعْبَةَ يَوْمًا ، وَعِنْدَهُ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَهَمَا يَتَكَلَّمَانِ فِي حَدِيثٍ فَقَالَ شُعْبَةُ : يَا أَبَا سَلَمَةَ ، هَذَا الْفَتَى الَّذِي ذَكَرْتَ لَكَ ، فَقَالَ حَمَادُ : يَا بَنِيَّ كَيْفَ تَنْشُدُ بَيْتَ الْخَطِيئَةِ : « أَوْلَيْتُكَ قَوْمٌ . . » ؟ فَابْتَدَأَتْ الْقَصِيدَةَ مِنْ أَوَّلِهَا :

أَلَا طَرَقْتَنَا بَعْدَ مَا هَجَمَتْ هِنْدُ وَقَدَسِرْنَ خَمْسًا وَائِلَاتِ بِهَا الْجِدُ ^(٢)

(١) هِيَ قِرَاءَةُ عَيْسَى الثَّقَفِيِّ ، وَانْظُرْ تَفْسِيرَ الْفَرَزْدَاقِيِّ ١٣ : ٢٠٣ .

(٢) دِيْوَانُهُ ١٩ ، ٢٠ .

إلى أن بلغت قوله :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عَمَّدُوا شَدُّوا^(١)
فقال لى حماد : يا بني إن العرب تقول : بنى يبنى بناءً فى العمران ، ويقولون
فى الشرف : نبا يَنْبُو نَبْوا ، فأنشد هذا البيت « أحسنوا البنى » ، فعرفت قدّر
حماد من ذلك فما كنت أنشد إلا كما لقننى .

قوله : « أرباب الجَدِّ » . أى أصحاب السعد والمال ، والعرب تقول : لقان .
جَدُّ فى الدنيا ، أى حظ وبخت ، قال امرؤ القيس :
* وقاهم جدُّهم بنى أبيهم^(٢) *

وقال آخر :

عش بجدِّ ولا يضرُّك نوكٌ إنما عيشُ من ترى بالجدودِ
وجدَّ الرجل : صار له جدٌّ ، وأجدّه الله : جعل له جدًّا ، وما كنت
ذا جدٍّ ، ولقد جدِّدت تجدًّا ، ورجل جديد : حفايظ من الجدِّ والحظِّ .
أبو عبيد قوله : « ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ »^(٣) ، أى ولا ينفع ذا الفنى .
منك غناه إنما تنفعه طاعته . يعقوب : أى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه
ذلك فى الآخرة .

بكتهم : قطع كلامهم وأهانهم . عاف : كره . وضلتهم : اتصلهم به ،
والوَصْلَة : سبب التواصل ، وهى فى الأدميين ما يصل واحداً بآخر من حُبٍّ وغيره ،
والوَصْلَة بالفتح : ما جعلته بين عود وعود ، أو جبل وجبل ، فوصلتهما به . صلتهم :
عطيتهم . حلقة : يمين . بظاهر : يخائن . حِرْفة : صنعة ومكسب ، وهى فِعْلة
من الحرف وهو الحرمان ، والمحارَف : المحروم ، كأنَّ صاحبها منع الرزق ، فصار
يعالج كسبه .

(١) ديوان : ١٣٨ و بقية :

* وبالأشقيين ما كان العقابُ *

(٢) اللسان - جدد ، وفى رواية : الجدد ، بكسر الجيم ، أى الاجتهاد والصل .

أبو هريرة رضى الله عنه ، قال صلى الله عليه وسلم : « خير الكسب كسب
يد العامل إذا نصبح » .

سهل بن سعد رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمل
الأبرار من الرجال الخياطة ، ومن النساء الغزل » .

* * *

فَقِيْضَ الْقَدَرُ لِنَصَبِيْ وَوَصِيْ ، أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدَاعُ
نَادَى أَبِي ، فَأَقْسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ ، أَنَّهُ وَفَى شَرْعَهُ ، وَادَّعى أَنَّهُ طَالَمَا
نَظَمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ ، فَبَاعَهُمَا بَيْدَرَةً ؛ فَاغْتَرَّ أَبِي بِزُخْرَفِ مُحَالِهِ ؛
وَزَوَّجَنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ ، فَلَمَّا اسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي ، وَرَحَّلَنِي
عَنْ أَنَاسِي ، وَنَقَلَنِي إِلَى كَسْرِهِ ، وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أُسْرِهِ ، وَجَدْتُهُ
قُعْدَةً جُنْمَةً ، وَالْفَيْتَةَ ضُجْمَةً نُومَةً . وَكُنْتُ صَحْبَتُهُ بِرِيَاشٍ
وَزِيٍّ ، وَأَثَاثٍ وَرِيٍّ ، فَمَا بَرِحَ يَبِيعُهُ فِي سُوقِ الْهَضْمِ ،
وَيُتْلِفُ ثَمَنُهُ فِي الْخَضْمِ وَالْقَضْمِ ، إِلَى أَنْ مَزَّقَ حَالِي بِأُسْرِهِ ، وَأَنْفَقَ
مَالِي فِي عُسْرِهِ .

◦ ◦ ◦

قوله : « فيص » ، أى قدر وساق . نصبي : تعبي . ووَصِي : مرضي ،
ونصب الرجل نصباً . أعيا من التعب ، ووَصَبَ وَصَباً : أتعبه المرض ، فهو نصيب
ووَصِبَ . الخُدَاعُ : الكثير الخداع لغيره ، وبكون الدال الذى يخدعه غيره
كثيراً ؛ التحريك للفاعل والسكون للمفعول فيما يأتى على « قولة » من الصفات .
نادى : مجلس . رهطه : قومه ، وهو اسم لجماعة من ثلاثة إلى عشرة ، ويجمع

أَرْهَطَ وَأَرَاهَطَ . وَفَقَّ شَرْطُهُ : أَيْ مُوَافَقَ مَا اشْتَرَطَ . نَقَطُ دُرَّةً ، يَرِيدُ أَنَّهُ
 جَوْهَرِيٌّ يَنْظُمُ سُلُوكَ اللَّوْلُؤِ . بَدْرَةٌ : عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَأَرَادَ بِالدَّرَّةِ هُنَا
 الْكَلَامَةَ ، وَيَعْتَرِبُهَا عَنِ الْحِكْمَةِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَدْعُوا الدَّرَّةَ
 فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ » ، يَعْنِي الْعِلْمَ . اغْتَرَّ : انْخَدَعَ ، وَهُوَ افْتَعَلَ مِنَ الْغُرُورِ . زَخْرَفَ
 مَحَالَهُ : تَزَيَّنَ بِأَطْلِهِ ، وَأَصْلُ زَخْرَفَ : زَيَّنَ الشَّيْءَ بِالزَّخْرِفِ وَهُوَ الذَّهَبُ .
 كِنَاسِيٌّ : يَتَنَبَّأُ وَأَصْلُهُ لِلظُّبَى ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ ^(١) تَشْبِيهًا
 لَهَا بِالظُّبَاءِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ ؛ وَيُقَالُ لَهُ : كُنَّاسٌ وَمِمْكِنٌ مِنَ الْكُنَّسِ ،
 كَانَ الظُّبْيَةُ قَدْ كُنْتَ مَرَقْدَهَا وَوَطْأَتَهُ . رَحَلَنِي : ثَقَلَنِي وَحَثَلَنِي عَلَى الرَّحْلِ .
 كَثُرَهُ : بَيْتَهُ ، وَأَصْلُهُ جَانِبُ بَيْتِ الشَّعْرِ أَوْ الْخِجَابِ ، لِأَنَّهُ جَانِبُ الْخِجَابِ قَدْ
 انْكَسَرَ عَنْ يَمِينِهِ . أَشْرَهُ : حَبَسَهُ . قُعْدَةٌ : كَثِيرُ الْقُعُودِ . جُمُوعَةٌ : كَثِيرُ الْجُمُومِ ،
 وَهُوَ مُلَازِمَةُ الْمَوْضِعِ . ضُجْعَةٌ : كَثِيرُ الْاضْطِجَاعِ ، وَهُوَ الْإِمْتِدَادُ عَلَى الْأَرْضِ
 لِلنَّوْمِ . نَوْمَةٌ : كَثِيرُ النَّوْمِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَمْ يَلْقَ
 مِنْ اللَّهِ » ، وَذَكَرَ الَّذِي يَكْثُرُ النَّوْمُ بِالنَّهَارِ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا ، وَفِي حَدِيثٍ
 آخَرَ : « خَيْرُ أَهْلِ شَرِّ الزَّمَانِ مُؤْمِنٌ نَوْمَةٌ » . أَبُو عُبَيْدَةَ : هُوَ الْخَامِلُ الَّذِي كَرَّ
 الَّذِي لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ وَأَهْلَهُ ، فَتَرِيدُ أَنَّهُ عَاجِزٌ قَدْ لَازَمَ بَيْتَهَا ، فَإِنْ تَصَرَّفَتْ فِيهِ
 اعْتَرَضَهَا مَمْتَدًّا ، فَلَا تَجِدُ مَعَهَا رَاحَةً . رِيَّاشٌ : ثِيَابٌ ، « فِعَالٌ » مِنَ الرَّيَّاشِ ، لِأَنَّهَا تَكْسُو
 الْبَدْنَ كَمَا يَكْسُو الرَّيَّاشُ الطَّائِرَ . زِيٌّ : هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ اللَّبَاسِ . أَثَاثٌ : مَتَاعٌ .
 رِيٌّ : حَالَةٌ حَسَنَةٌ ، وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ ، فَسُئِلَ وَأُدْغِمَ لِيُوَافِقَ « زِيًّا » . قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ :
 الْأَثَاثُ : الْمَتَاعُ . وَالرَّوْزِيُّ وَالرُّؤْوَاءُ : الْمَنْظَرُ ، وَمَا لَهُ رَوْاءٌ أَيْ مَا لَهُ مَنَظَرٌ وَلَالَانٌ .
 وَالْحَرْقَانُ ، مِنْ رَأَيْتُ أَرَى . مَا بَرَحَ : مَا زَالَ . الْهَضْمُ : النِّقْصَانُ . الْخَضْمُ :
 الْأَكْلُ بِالْقَضْمِ كُلِّهِ . وَالْقَضْمُ : الْأَكْلُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ . مَزَقَ : قَطَعَ وَأَفْسَدَ .
 حَالِيٌّ : غَنَائِيٌّ ، وَيُرْوَى « مَالِيٌّ » مَكَانَ « حَالِيٌّ » ، وَمَا فِيهِ بِمَعْنَى الَّذِي كَانَهُ قَالَ : فَرَمَقَ

الذى لى ، ورواية ابن ظفر «بالي» بالباء ، وقال : البال : الخاطر ، وما لهذا الشيء .
بال ، إذا حَقَّرْتَهُ ، والبال كالخلد ، تقول خطرَ ببالى ، كما تقول : خطرَ بخالدى .
ونفسى ، وكأنَّ هذا هو الأصل . والبال : الحال أبيضاً ، ومنه قوله :

* وخالف بال أهل الدار بالى *

عسره ، أى فقره .

* * *

فلما أنساني طعمَ الراحةِ ، وغادَرَ يَتِيَّ أنقى مِنَ الراحةِ ،
قُلْتُ له : يا هذا ، إِنَّهُ لَا نَحْباً بَعْدَ بُوسٍ ، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ ،
فانهَضَ لِلْكَتْسَابِ بِمِثْلِكَ ، وَأَجْنَيْ ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ ؛ فَرَعَمَ أَنَّ
صِاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ ، لِمَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ ،
وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ ، كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ ، وَكِلَانًا مَا يَنَالُ مَعَهُ
شِبَعَةٌ ، وَلَا تَرْقَأُ لَهُ مِنَ الطَّوَى دَمْعَةٌ ، وَقَدْ قُدَّتُهُ
إِلَيْكَ ، وَأَحْضَرْتُهُ لَدَيْكَ ، لِتَعْجِمَ عُوْدَ دَعْوَاهُ ، وَتَحْكُمَ يَدُنَا
بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ .

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ له : قَدْ وَعَيْتُ قِصَصَ عِزِّكَ ،
فَبَرِهِنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ ،
وَأَمَرْتُ بِجَبْسِكَ ؛ فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأَنْعُمَانِ ، ثُمَّ شَمَرَ لِلْعَرَبِ
الْعَوَانِ ، وَقَالَ :

الراحة : القرار والعيش الهنيء ، وأراد بأنقى من الراحة خلوة الكف من الشعر . مخبأ : ستر . بؤس : شدة وفقر . عطر : طيب .

[أصل المثل : لا عطر بعد عروس]

ولا عطر بعد عروس ، مثل يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة إليه ، وأصله أن رجلاً تزوج امرأة فوجدها تَفَلَّةً^(١) ، فقال لها : أين عطرِك؟ قالت : خبأته لغير هذا الوقت ، فقال لها : لا مخبأ لعطر بعد عروس ؛ وبهذا اللفظ روى أبو زيد الأنصاري المثل^(٢) .

البكرى : عروس رجل كانت عنده ابنة عم له ، فمات عنها ، فترجوها بعده ابن عم لها آخر ، وهي كارهة ، وانطلق بها إلى أهلها وقد زوجها طيباً في سَفَطٍ ، فمر بها بقبر عروس ، فأقبلت تبكيه وترفع صوتها ، وتقول : يا عروس الأعراس ، ويا شديد الباس ؛ مع أشياء لا يعلمها الناس . فأنهرها زوجها ، وقال : ماتلك الأشياء ؟ فقالت : كان عن المكارم غير نَدَّاس ، يُعْمِلُ السيف صبيحة الباس . ثم قالت : يا عروس الأعراس الأزهر ، الكريم المحضر ، مع أشياء كانت تذكر ؛ فازداد زوجها غضباً ، وقال : ماتلك الأشياء ؟ فقالت : كان عيوقاً للنخنا والمذكر ، طيب النكهة غير أبخر ، ثم أخذت السَفَطَ وكسرتة على قبر عروس ، ثم قالت : لا عطر بعد عروس ، فذهب مثلاً . فقال زوجها : ارجعي إلى أهلك ، أنت طالق ، فقالت : إذا أنصرف مغتبطة^(٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن عروساً هذا رجل من هذيل ، وامرأته هذلية اسمها أسماء .

قوله : « براعتك » ، أى جودة تدبيرك . سلالة : ولد صغير كما سُلَّ من بطن

(١) تفل الشيء : تغيرت رائحته ، وامرأة تَفَلَّةٌ ومثقال .

(٢) اللسان - عرس ، جبهة الأمثال ٢ : ٣٩٥ ، الفاخر ٢١١ .

(٣) فصل المقال ٣٣٨

أمه ؛ ولهذا سُمِّيَ ولد الناقة عند التَّجَاج قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى : سليل ، ثم اتسموا في السُّلالة فقالوا : فلان كريم السُّلالة . والخِلالَة : عود تُنقَى به الأضراس من الطعام ، شَبَّهَتْ ولدها به في رِقَّتِه . ترقأ : تنقطع . الطَّوى : الجوع ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » . تعجُّم : تختبر . دَعَوَاه : ما أدعاه من الصَّنعة ، وعجمت العود : عضضته بأسنانك لتعلم قوَّته من ضعفه . وعيت : حَفِظْتَ . قِصَص عرسك : حديث زوجك . بَرَهِنَ : أظهر حُجَّتَكَ ، والبرهان : الحجَّة . لبَّسك . تخليطك والتباس أمرك . أطرق : أمال رأسه إلى الأرض ساكناً . الأَفْمُوان : ذَكَر الأفاعى ، وهذا منقول من قول المتنبي :

فأطرقَ إطرَاقَ الشَّجاع ولو رأى مساعاً لنابيه الشَّجاعُ لصمًّا^(١)

ووقع لنا في رواية « لناباه »^(٢) ، وهي لغة . شمر : احتزم . العوان : التي قُوتل فيها مرة بعد أخرى ، وهي أشد ، والمرأة العوان : التي علت في السن ولم تهزم . والعوان : الثيب ، كانت ذات زوج أو لم تكن ، وعوت المرأة تعويئاً ، والجمع عُون .

اسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبُ * يَضْحَكُ مِنْ شَرَحِهِ وَيُنْتَحَبُ *
أَنَا امْرُؤٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ * عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَائِرِهِ رَيْبُ *
سَرُوجُ دَارِي الَّتِي وَلِدْتُ بِهَا * وَالْأَصْلُ غَسَّانُ حِينَ أَنْتَسِبُ *
وَشُغْلِي الدَّرْسُ ، وَالتَّبَحُّرُ فِي السِّعْمِ طِلَابِي ، وَحَبِّذَا الطَّلَبُ *
وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي * مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيبُ وَالْخَطَبُ *

(١) من الأصحبة ٩٢ ص ٢٥٦ ، الشجاع : الحية الذكر ، ومساغ ، مفعول من صاغ يسوغ ، وأصل معناه سهولة مدخل الشراب في الملقى .

(٢) يحملونه شاهداً على إلزام المتن الألف في إمرايه .

أُغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأُخْـسِتَارُ اللَّالِي مِنْهَا وَأُنْتَخِبُ
وَأُجْتَنِي الْيَانِعَ الْجَنَى مِنَ السَّقْوَلِ ، وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ
وَأَخْذُ اللَّفْظِ فِضَّةً فَإِذَا مَا صُنَّتُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أُمْتَرِي نَسَبًا بِالْأَدَبِ الْمُنْتَقَى وَأُخْتَلِبُ
وَيَسْتَعْلِي أَخْصَى لِحْزَمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ
وَطَالَمَا زُفَّتِ الصَّلَاتُ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ

• • •

قوله : « يُنْتَخِبُ » ، أى يُبْكِى ، ونحب نحياً : أعلن بالبكاء . خصائصه :
خصائصه وما يختص به من الأفعال المحمودة . رُبُّ : شكوك . التبخر : التوسع .
طِلَابِي : أى طَلَبِي ، وإنما هو للعلم ، وذكر التبخر واللالى والغوص وغير ذلك
مجازاً ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما اتعل رجل قط ولا تحقف
ولا لبس ثوباً ليفدؤ في طلب علم يتعلمه إلا غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته » .
رُوى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « من اتعل ليتعلم خيراً غفر الله له قبل أن يخطو » .

ابن عباس رضى الله عنهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الغدؤ والرواح
في تعليم العلم خير عند الله من الجهاد في سبيله » .

ابن مسعود رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خَرَجَ يَطْلُبُ
بَاباً مِنَ الْعِلْمِ لِيُردَّ بِهِ ضَلَالاً إِلَى هَدًى ، أَوْ بَاطِلاً إِلَى حَقٍّ ، كَانَ كَعِبَادَةِ مُتَعَبِدٍ
أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

قوله : « يَصَاغُ » ، أى يَصْنَعُ . القريض : الشعر . أغوص : أغيب في الماء إلى
قعره . واللجة : معظم الماء ، جعله للبيان مجازاً . اللالى : جمع لؤلؤة . أنتخب :

أختار . وقال المسيب بن عأس^(١) في وصف الغائص وانتخابه الدرّة ونشبيه
المرأة بها :

كجَمَانَةِ الْبَحْرِىِّ جَاءَ بِهَا غَوَاصُّهَا مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ^(٢)
نصف النهار الماء غامرُه وشريكه بالغيب ما بدرى
فأصاب مُنَيَّتَه فجاء بِهَا صدقيّة كضيفة الجمر
يُعْطَى بِهَا ثَنَا فِيمَنْعُهَا ويقول صاحبه : ألا تشرى !^(٣)
وترى الصّراري يسجدون لها ويضمّنها بيديه للنحر
وقال عبد الرحمن بن حسان :

وهى بيضاء مثل جوهرة الفواصِ مُيِّرَتْ من جوهري مكنون.
وقال النابغة :

أو درّة صدقيّة غواصُّها بهرج متى يرها يهزل ويسجد
قوله : « البيانع » أى الناعم . الجنيّ : الطرى . أمترى نشباً ، أى أستخرج
مالاً ، ومربتُ ضرع الناقة : مسحته وحككته ليدّر اللبن . والنشب ، قيل : هو
العقار ومالا بنقل ، وكأنّ مالكه قد نشب إليه حيث لا ينتقل به ، كالذى ماله الماشية
أو الذهب والنضة . المنتقى : المختار ، ويروى « المقتنى » ، وهو المكتسب . ويقال :
احتلب وحلب حلباً ، والحليب : اللبن ، وهو الحلاب ، والحلاب أيضاً : الإماء بحلب
فيه ، وأصله السّيلان . وتحلب الضرع : سال ، وانحلبت عينه : سال دمعها . يمتطى :
يركب . أخصى : باطن قدمي ، وهو ماضر منها وارتفع عن الأرض . الحرمته :
أى لرفته وشرفه . مراتباً : منازل : والمرتبة منزلة الشرف ، من الرتب وهو

(١) ط : ه على ، تحريف .

(٢) الأبيات في شعراء النصرانية ٣٥٦ ، وخزانة الأدب ١ : ٥٤٥ .

(٣) ألا تشرى ، أى ألا تبيع ، كما ذكره ابن الأثير في الأضداد ٥٤

ها أشرف من الأرض . والرُّتَب : جمع رتبة ، وهي بمعنى المرتبة ، وأصل الرُّتَب
الدرَج تُقَطَع في الحجر ليصعد بها إلى أعلى الجبل ، ومنه رتَب كلامه ، إذا أتبع بعضه
بعضاً على نظام واعتدال . زُفَّت : نُحِتَتْ ، من زَفَقَت العروس إلى زوجها
إذا أهدبتهأله . الصَّلَات : العطايا . رَبَّيْ : منزلي . لم أرض كل مَنْ يَهَبُ ،
أي لا أرضى أن أكون تحت مِنَّة كل أحد .

فَالْيَوْمَ مَنْ يَمْلَقُ الرَّجَاءَ بِهِ أ كَسَدُ شَيْءٍ فِي سَوْقِهِ الْأَدَبُ
لَا عَرَضُ أَثْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا يُرْقَبُ فِيهِمْ إِنْ لَا نَسَبُ
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جَيْفٌ يُبْعَدُ مِنْ كَثْمِهَا وَتُجْتَنَّبُ
فَحَارَ لُبِّي لِمَا مُنِيتُ بِهِ مِنَ اللَّيَالِي وَمَرْفَهَا عَجَبُ
وَصَاقَ ذَرْعِي لَضِيقِ ذَاتِ يَدِي وَسَاوَرَتْنِي الْهُيُومُ وَالْكُرْبُ
وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ إِلَى سُلُوكِ مَا يَسْتَشِينُهُ الْحَسَبُ
فَبِئْسَتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدٌ وَلَا بَقَاتٌ إِلَيْهِ أَنْقَلِبُ
وَادَّنتُ حَتَّى أَنْقَلْتُ سَائِلَتِي بِحِمْلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ
ثُمَّ طَوَيْتُ الْحَشَى عَلَى سَعَبٍ خَسَاً فَلَمَّا أَمَضَنِي السَّعَبُ
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَضًا أَجُولُ فِي يَمَعِهِ وَأُضْطَرِبُ

• • •

مَنْ يَمْلَقُ : معنى من استفهام ^(١) . يَرْقَبُ : يرعى . إِلَ : قرابة ، وإِلَ : بقاء

(١) حاشية ط : قوله : مَنْ استفهام ، الظاهر أن من موصولة وعبارة غيره ؛ أي أن من يطلق به الأمل ، ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف ، حتى صار ذلك كالسلطة الكاسدة عنده . انتهى بالحرف . مصححه .

عهد . وسبب : معرفة وصحبه ، والسبب : العلم ، ومنه : ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(١) ؛ وأصله الخبل ؛ ثم يستعمل في كل ما يربط شيئاً بشيء ، من كلام أو غيره . عِرَاصِهِم : مواضعهم ، وأصل العِرَاصَةُ ، فناء الدار . يقال : لَبَّ الرَّجُلُ يُلَبُّ لَبَابَةً ، ورجل ملبُوب : موصوف باللبابة ، ولُبَّ كل شيء من الثمار ولبابه : داخله ، ولَبَّ كل شيء : خالسه . مُنِيَّت : ابتليت وقُدِّر لي . صَرَفُهَا : قلبها وتصرفها بما يكره . ذَرَعِي : كناية عن صدرى وخلقى ، وأصل الذراع : كيل الشيء بالذراع ؛ ثم صار مثلاً ، يقال : ضاق ذَرَعِي بكذا إذا لم تحمله . وضاق تصرفك فيه . ذات يدي ، أى مالى . ساورتني : واثبتني . الكَرْب : الهموم ، وكررها لاختلاف اللفظ . المُسِيم : الذى أتى بما يُبْلَم عليه . سُلُوك : دخول . يَسْتَشِينُهُ : يستعيبه ، والشَّيْن : العيب . لَبَد : شيء لا قليل ولا كثير ، وأصله الصوف ، وأكثر ما يستعمل مُزْدَوِجاً مع سَبَد ؛ يقال : ما عنده سَبَد ولا لَبَد ، أى لا شعر ولا صوف ، ويراد بها نقي الإبل والقَم ، ثم صار نقياً لكل شيء من المال . بَتَات : زاد . أَقْلَب : أرجع .

ادَّنت : أخذت بالدين ، وفي حديث عمر : «قَادَانُ مُعْرِضَا»^(٢) . والسالفة : صفحة العنق ، يريد أن هذا الدين لثقله ومقاساة همومه فوق العَطَب ، والعطب : الذى هو الهلاك دونه فى الشدة . عائشة رضى الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَذِلَّ عَبْدَهُ ابْتَلَاهُ بِالَّذِينَ وَجَعَهُ فِي عُنُقِهِ» ، وقال أنس رضى الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِيَّاكُمْ وَالَّذِينَ فَإِنَّهُمْ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ» ، وروى جابر رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لَا هُمْ إِلَّا هُمُ الدِّينُ وَلَا وَجَعٌ إِلَّا وَجَعُ الْعَيْنِ» .

الحشى : أسقاط الجوف . سَقَب : جوع . أَمْضَى : أحرقت . جهازها :

(١) سورة الكهف ٨٤ .

(٢) فى حديثه عن أسيفج جهينة ، أى استعان مرضاً . النهاية لابن الأثير ٢ : ١٤٩ .

متاعها الذي جاءني به ، والجهاز ، متاع البيت ، يريد شوارها . عرضاً ، أراد « عرضاً » فحركة ضرورة ، والعرض الأمتعة هنا ، أخبرني بهذا من يوثق به في اللغة : والعرض خلاف النقد مشهور في اللغة . وفي العين : العرض ، بفتح الراء : كثرة المال ، فيقول : لما لم يبق لي مالٌ لم أر مالاً إلا جهازها ، فيكون على هذا أتم معنى ، ويخرج عن الضرورة التي ألزمت ذلك التحريك . أحول : أتصرف . أضطرب : أكثر الترداد والتصرف .

فَجَلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ	وَالْعَيْنُ عَبْرَى وَالْقَلْبُ مَكْتَنِبٌ
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبَّثْتُ بِهِ	حَدَّ التَّرَاضِي فَيَحْدُثُ النَّصَبُ
فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُمَهَا	أَنْ بَنَانِي بِالنُّظْمِ تَكْتَسِبُ
أَوْ أَنِّي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا	زَخَرَفْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ الْأَرْبُ
فَوَالَّذِي سَارَتْ الرُّفَاقُ إِلَى	كَمَيْتِهِ نَسْتَحِثُّهَا الثُّجْبُ
مَا الْمَكْرُ بِالْمُحَصَّنَاتِ مِنْ شَيْمِي	وَلَا شِعَارِي التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبُ
وَلَا يَدِي مَذْ نَشَأْتُ نَيْطَ بَهَا	إِلَّا مَوَاضِي الْبِرَاجِ وَالْكَذِبُ
بَلْ فِسْكَرَتِي تَنْظِمُ الْقَلَائِدَ لَا	كُنِّي ، وَشِعْرِي الْمَنْظُومُ لَا السُّخْبُ
فَهَذِي الْحِرْفَةُ الْمُسَارُّ إِلَى	مَا كُنْتُ أَخْوِي بِهَا وَاجْتَلِبُ
فَأَذَنْ لَشَرْحِي كَمَا أَذِنَتْ لَهَا	وَلَا تَرَاقِبْ وَاحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

عَبْرَى : باكية . مكثب : حزين . عَبَّثْتُ : لعبت وتحكمت فيه ؛ يقول :
ما تصرفت في بيعه إلا برضا منها ومنى^(١) . قوله : « تَوَهُمَهَا » ، أى ظننها . خطبتها :

(١) حاشية ط : « قوله : ومنى ، لاحاجة إليه » .

مراسلتها في النكاح . لينجج الأرب : لتقضى الحاجة . تستعجها : تستعجلها .
 التَّجُبُّب : الإبل الكرام . المكر : الخداع ، المحصنات : العفائف . شيمى :
 طبائعى . شعارى : علامتى : التمويه ، تقدم في الثامنة . نيط : علق ، وناط الشيء
 خوطاً : علقه . البراع : الأقلام . والمواضى : السرعة في الكتابة ؛ يريد أنه فصيح
 لا يتوقف قلمه . السُّخْب : جمع سخاب ، رهى فلادة قرنفل ليس فيها جوهر
 ولا لؤلؤ . قال ابن ظر : السُّخْب : العقود من اللؤلؤ وغيره ، ومن الطيب
 أيضا . أخوى : أحوز وأجمع .

فأذن : اسمع . لا تراقب : لا تراع متناً أحدا ولا تؤثره على صاحبه
 فواحكم بيننا بما يجب ؛ وأخذ معنى الأبيات المقدمة من قول ابن هرمة :
 إني امرؤ لأصوغ الخلى تعله كفاى لكن لسانى صائغ الكلم
 وقال آخر :

وإني لنظام القلائد للعلأ ولستُ بنظام القلائد للنَّخِرِ

قال : فلما أخكم ما شأده ، وأكمل إنشأده ، عطف القاضى إلى
 الفتاة ، بعد أن شرف بالأبيات ، وقال : أما إنه قد ثبت عند جميع
 الحكام ، وولاة الأحكام ، انقراض جيل الكرام ، وميل الأيام
 إلى اللثام ، وإني لإخال بملك صدوقا فى الكلام ، برىا من الملام ،
 وهأهرو قد اعترف لك بالقرض ، وصريح عن المحض ، وبين مصداق
 النظم ، وتبين أنه معروق العظم ، وإغنيات المَعْدِرِ مَلَأمة ، وحبسُ
 المَعِيرِ مَلَأمة ، وكيماؤ الفقير زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر

عِبَادَةَ ، فَارْجِي إِلَى خِدْرِكَ ، وَاعْذُرِي أَبَا عُدْرِكَ ، وَتَهْنِئِي
 مِنْ غَرْبِكَ ، وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا فِي
 الصَّدَقَاتِ حِصَّةً ، وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهِمَا قَبْضَةً ، وَقَالَ لُهُمَا :
 تَعَلَّامًا بِهَذِهِ الْعِلَالَةِ ، وَتَنْدِيًا بِهَذِهِ الْبِلَالَةِ ، وَاصْبِرَا
 عَلَى كَيْدِ الزَّمان وَكُدِّهِ ، فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ
 أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . فَهَـضَا وَالشَّيْخُ فَرَحَةً الْمَطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ ،
 وَهَزَّةَ الْمَوْسِرِ بَعْدَ الْإِعْسَارِ .

• • •

قوله : « أَحْكَمْ » ، أَيُ أَتَقَن . شاده : بَنَاهُ وَزَيَّنَهُ ، وَشَادَ الْبِنَاءُ : أَطَالَهُ وَعَمَلَهُ
 بِالشَّدِيدِ ، وَهُوَ الْجِصَّ ، وَيُقَالُ فِيهِ : أَشَادَ ، وَيُقَالُ : شَادَ عَمَلَهُ بِالشَّدِيدِ وَأَشَادَهُ : أَطَالَهُ ،
 هُوَ الْأَوَّلُ ، وَأَشَادَ الْحَدِيثَ : رَفَعَهُ ، وَعَطَفَ : ثَنَى عُنُقَهُ وَرَدَّهَا ، وَكُلُّ مَا تَثْنِيهِ
 مِنْ عُنُقٍ أَوْ جَارِحَةٍ أَوْ عُودٍ فَقَدْ عَطَفْتَهُ . شُعِفَ : أَعْجَبَ . انْقَرَضَ : انْقِطَاعُ
 وَهَلَاكُ . جَيْلٌ : صِنْفٌ ، وَجَيْلُكَ : أَهْلُ عَمْرِكَ . بَنُوكَ : زَوْجُكَ ؛ وَبَلَّ الرَّجُلُ
 بُعُولَةً : تَزَوَّجَ . وَالْقَرَضُ : السَّلْفُ ، أَرَادَ بِهِ مَا أَعْطَيْتَهُ مِنْ ثَمَنِ جَهَازِهَا سَلْفًا .
 صَرَّحَ : بَيَّنَ . وَصَرَّحَ عَنِ الْمَحْضِ ، مِثْلُ يَضْرِبُ لِسَرِّ الْأَمْرِ ، إِذَا انْكَشَفَ ،
 وَقَالُوا : أَمْرٌ صُرَّاحٌ ، أَيُ مِنْكَشَفٍ ظَاهِرٌ ، وَالصَّرِيحُ مِنَ اللَّبَنِ : الْحَمِضُ الْخَالِصُ
 الَّذِي لَا رَغْوَةَ فِيهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

* وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنِ الصَّرِيحُ ^(١) *

ثُمَّ قَالُوا : لِكُلِّ شَيْءٍ خَالِصٌ صَرِيحٌ . وَقَوْلُهُ : « بَيْنَ مُصْدَاقِ النِّظَمِ » ، يُرِيدُ
 أَنْ نَظْمَهُ إِنَّمَا هُوَ لِلشَّمْرِ لَا لِلْجَوْهَرِ . مَعْرُوقٌ : لَا لَحْمَ عَلَى عِظْمِهِ ، أَيُ هُوَ قَبِيرٌ

(١) أصل النمل : « تحت الرغوة الصريح » ، وأول من قاله عامر بن الطرب . وانظر

إعنات : مشقة . المَعْدِر : الذي يجهد نفسه في الشئ ثم لا يستطيعه ، يقال : قد أعذر ، أى قد بين عذره أنه لا يقدر عليه ، وعذر فهو معذر ، إذا قصر في طلب الشئ ، قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمَعْدِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾^(١) ، وقال ابن دريد :
* حكم المعذر غير حكم المعذر *

الملائمة والمأئمة : اللؤم والإثم . والمعسر : الفقير : والزهادة : قلة الرغبة ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَاعَ وَاحْتَاَجَ فَكُتِمَ النَّاسُ وَأُنْزِلَ بِاللَّهِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ رِزْقَ سَنَةٍ مِنْ حَلَالٍ » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » .

وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثاً إلا أتاهم الله عز وجل برزق » .

خدرك : يبتك ، وأصله الستر يكون خلفه الجارية المحجوبة . أبا تُذْرِك : زوجك المقتض لك . نههى : كُفِّي . غربك : حدة لسانك . وقيل : معنى « نههى من غربك » ، أى غيضى من دموعك ، والغرب : قيض الدمع ، والأوّل أشبه . سلمى : اقترادى . قرَض ، أى أوجب . حصّة : نصيب . ناولهما : أعطاهما . قبضة : ما أخذت بأطراف أصابعك . العلالة : الشئ القليل . تعللاً : خذاً منه شيئاً بعد شئ ، وكذلك تندباً ، وأصل العلالة بقية المساء فى الإناء ، وبقية اللبن فى الضرع بعد الحلب ، قال الراجز :

* يرضعها الدرة والعلالة *^(٢)

(٢) اللسان - علل ، وروايته : « ترضى » ، وقوله :

* أحمِلُ أُمِّيَ وَهِيَ الْحَمَالَةُ *

(١) - سورة التوبة ٩٠

والبلالة : الندى القليل يدلُّ وجه الأرض . كيد : مكر . كذبه : جهده .
وأشدُّ أبو نَحَجْنِ الثَّقَفَى :

عسى فرجٌ يأتي به الله إنه له كلُّ يومٍ في خليقته أمرٌ
عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى له فرجاً مما ألحَّ به الدهرُ
إذا اشتدَّ عسرٌ فارحٌ يُسرّاً فإنه قضى الله أن العسرَ يتبعه اليسرُ

الإسار : الحبل يشدُّ به الأسير . هزّة : طرب . الموسر : الغنى . الإعسار :
الفقر ، وسئل حكيم : أى الأشياء أحلّى ؟ قال : النصرّة على العدو بعد الهزيمة ،
والاستغناء بعد الحاجة ، والغلبة للمتكلم .

• • •

قال الراوى : وكنتُ عرفتُ أنه أبو زيد ساعة برّغت
شمسه ، ونزّغت عرسه ، وكذت أفصح عن افتنانه ؛ وإثمار
أفنانه ؛ ثم أشفقتُ من عثور القاضى على بهتانه ، وتزويق
لسانه ، فلا يرى عند عرفانه ، أن يرشّحه لإخسانه ، فأحجبتُ
عن القول إحصاء المرتاب ، وطويتُ ذكره كطى السجلِّ للكتاب ؛
إلا أنى قلتُ بعد ما فصل ، ووصل إلى ما وصل : لو أن لنا
من ينطلق في أثره ، لأتانا بفصّ خبره ، وبما ينشر من خبره ؛
فأتبعه القاضى أحد أمنائه ، وأمره بالتجسس عن أنبائه ،
فما لبث أن رجع مُتدّ هديها ، ومهقر مُتّقيها ، فقال له القاضى : مهيم ،
يا أبا مريم ، فقال : لقد طأنت عجباً ، وصممتُ ما أنشأ لي طرباً .

فَقَالَ لَهُ : مَاذَا رَأَيْتُ ، وَالَّذِي وَعَيْتُ !

• • •

قوله : « نَزَعْتُ » ، أى طَلَعْتُ . وَنَزَعْتُ : نَشَرْتُ وَقَابَلْتُهُ بِالْشَرِّ وَالذِّكْرِ الْقَبِيحِ ، وَأَرَادَ أَنَّهُ عَرَفَهُ حِينَ سَاقَتْهُ زَوْجَتُهُ إِلَى الْقَاضِي . أَفْصَحَ : أَيْبَنَ . ائْتَنَانَهُ : تَنَوَّعَهُ . إِثْمَارُ : إِخْرَاجُ الثَّمَرِ ، وَهُوَ حُلُّ كُلِّ شَجَرَةٍ . أَفْنَانُهُ : أَغْصَانُهُ . أَشْفَقْتُ : خَافْتُ . عَثُورٌ : ظُهُورٌ ، وَعَثَرَ عَلَى الْأَمْرِ : أَطْلَعَ عَلَيْهِ . بَهْتَانُهُ : بَاطِلُهُ وَكَذِبُهُ . تَزْوِيقٌ : تَزْيِينٌ ، وَهُوَ مِنَ الزَّائِوَيقِ الَّذِي يَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ بِالزَّوْاقِ ، أَيْ أَنَّهُ تَزْيِينٌ فِي الظَّاهِرِ ، وَلَيْسَ لَهُ ثَبَاتٌ . عَرَفَانُهُ : تَقَدَّمَ مَعْرِفَتُهُ . يَرْشَعُهُ : يَهْيِئُهُ ، وَفُلَانٌ يَرْشَعُ لِكَذَا ، أَيْ يُؤْهِلُ لَهُ ، مِنْ رَشَعَتِ الْأُمُّ وَلَدَهَا بِاللَّيْنِ ، إِذَا جَعَلَتْهُ فِيهِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى يَقْوَى ، وَقِيلَ : التَّرْشِيعُ : التَّرْبِيَةُ ، وَقِيلَ : هُوَ تَحْنُنُ الْأُمِّ عَلَى وَلَدِهَا مِنَ الشَّدَةِ . أَحْجَمْتُ : تَأَخَّرْتُ . الْمُرْتَابُ : صَاحِبُ الرِّيْبَةِ . طَوَيْتُ : سَتَرْتُ . السَّجَلُ : الْوَرَقُ . وَالْكِتَابُ : الْمَكْتُوبُ فِيهَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كُتِبَ السَّجَلُ لِلْكِتَابِ ﴾ ^(١) ، قِيلَ : السَّجَلُ : اسْمُ كَاتِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقِيلَ : مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ تَرْفَعُ إِلَيْهِ الْحَظَظَةُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلِّ خَمِيسٍ وَإِثْنَيْنِ . فَصَّلَ : زَالَ وَانْفَصَلَ . بِنَصِّ خَبْرِهِ : بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ . يَنْشُرُ : يَظْهَرُ . خَبْرُهُ : حَسَنُ كَلَامِهِ ، وَأَصْلُهُ ثِيَابٌ يَمَانِيَةٌ مَزِينَةٌ ، وَنَشَرُهَا : حَاطَهَا مِنْ طَائِفِهَا . التَّجَسُّسُ : الْبَحْثُ . أَنْبَأْتُهُ : أَخْبَارُهُ . مَا لَبِثُ ، أَيْ مَا أَقَامَ ، وَالْمَعْنَى مَا أَبْطَأَ شَيْئًا حَتَّى رَجَعَ . مَتَدَهْدَهُ : مَتَحَرَّرَ كَأَنَّ ، وَالتَّدَهْدُهُ : قَدْ ذَكَرْتُ الْحَجَرَ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ . قَهَرٌ : رَجَعَ إِلَى خَلْفٍ مَقْهَمًا : مِبَالِغًا فِي الضَّحْكَ ، وَالتَّهْقِينَةُ : حِكَايَةُ صَوْتِ الضَّاحِكِ . مَهِيمٌ : كَلِمَةُ اسْتِفْهَامٍ ، مَعْنَاهَا : مَا الْأَمْرُ ؟ غَايَنْتُ : رَأَيْتُ . أَنْشَأُ : أَحْدَثُ ، وَتَقْدِيرُهُ : سَمِعْتُ شَيْئًا أَحْدَثَ لِي ذَلِكَ الشَّيْءَ .

(١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ١٠٤ .

المسوع الطَّرب ، ولا يكون «أنشأ» فعلاً لأبي زيد ، إنما هو فعل «ما» من قوله : «ما أنشأ» . وعيت : حفظت .

قال : ولم يزل الشيخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ يَدَيْهِ ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَيُغَرِّدُ عَلَى شِدْقَيْهِ ، وَيَقُولُ :

كَذْتُ أَضْلَى بَيْلِيهِ مِنْ وَقَاحِ شَمْرِيهِ
وَأَزُورُ السُّجُنِ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَانْدَرِيهِ
فَضَحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَرِيئَتُهُ ، وَذَوَتْ مَكِيَّتُهُ ،
فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ ، وَعَقَّبَ الْاسْتِغْرَابَ بِالْاسْتِغْفَارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ
بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ ، حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَأَدِّينَ . ثُمَّ قَالَ
لِذَلِكَ الْأَمِينِ : عَلَى بِهِ ، فَانْطَلِقْ مُجِدِّاً فِي طَلْبِهِ . ثُمَّ حَادَّ بَعْدَ
لَايِهِ ، مُخْبِئاً بِنَايِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ ، لَكُنِّي
الْحَذَرَ ، ثُمَّ لَأَوَّلَيْتُهُ مَا هُوَ بِأَوَّلِي ، وَلَأَرَيْتُهُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ
لَهُ مِنَ الْأَوَّلِي .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ صَغُورَ الْقَاضِي إِلَيْهِ ، وَفَوَتْ
ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، غَشِيَتْني نَدَامَةُ الْفِرْزَدِقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ ،
وَالْكُسَيْمِي لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ .

• • •

يُصَفِّقُ يَدَيْهِ : يضرب بكفيه . يُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ : يمشي بهما في مشيه .

خمضع كل رَجُلٍ موضع الأخرى ، وهى من أنواع الرقص ؛ أراد أنه يضرب بكأيه ويرقص . يفرّد : يفتى . يملء شدقيه ، أى بصوت شديد تمتلئ به أشداقه .

وملء القدح : قدر ما يملؤه . أبو يعقوب : يقال : أعطنى ملء القدح ماء ، وأعطنى مِلْأَيْه ، وأعطنى ثلاثة أمْلأته .

أصلى ببلية ، أى قربت أن أحترق بها وأتصلّى بها ، والبلية : المصيبة يبتلى بها ، وَقَاح ، جمع وقاحة ، وهى صلابة الوجه ، وأصلها من الحافر الصُّلب ، وقال بعضهم فى صلابة الوجه :

لا يعملُ المبرّدُ فى وجهِهِ بل وجهه يعمل فى المبرّدِ

فجعل وجهه لصلابته يؤثر فى الحديد . شَمْرِيّة ، أى شديدة القحّة ، قال الأصمعى : سألت أعرابيا ، وقد خرج من الصلاة : ما قرأ الإمام ؟ قال : ما أدرى إلا أنه وقع بين موسى وفرعون شمريّة . هوت : سقطت . دَرِينَتَه : قلنسوته ، وهذه اللفظة إنما وقعت فى المقامات بفتح الدال وكسر النون ، ودنينته بنونين لتوافق «سكينته» ، والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الأولى ، وهى قلنسوة محدّدة الطرف يابسها القضاة والأكابر ، وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ، وقد استعملها شعراؤهم ، قال ابن لُؤسَكْ :
 نفسى تفيك أبا الهندامِ يا أملي إننى بكلّ الذى ترضاه لى راضى^(١)
 ما كان أرى قفيا إذ ظفرت به فكيف ألبسته دَرِينَةَ القضاى

وقال الصابى :

وفوقه دينيّة تذهب طورا وتجي

(١) بيتة الدهر .

(١) بيتة الدهر ٢ : ٣٢٦ ، وهناك : « تفيك أبا الهندام كل أذى » ، وأبو الهندام شاعرا اسمه كلاب بن حمزة ؛ كان ابن لُؤسَكْ مولعا بهجائه .

ذَوْتُ : زالت وخفيت . سكينته : وقاره ، وأصل ذَوَى ، في الشيء الذي فيه بلل وندوة ، فيجف بالله ، فاستعاره للسكينة . فاء : رجع . وعقَّب : أتبع . الاستغراب : كثرة الضحك ، حتى تدمع العينان ؛ أراد أنه أتبع ضحكه الاستغفار ليكون كفارة له ، وهذا الذي حُكي عن القاضي يُحكي مثاله عن الحجاج ، يقال : إنه كان إذا استغرب ضحكاً يوالى من الاستغفار .

وقال عبد الله بن مسعود : في كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنباً قرأها ثم استغفر الله إلا غفر له الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ... ﴾ ^(١) الآية ، والثانية قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ... ﴾ ^(٢) الآية .

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : من قال : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحق القيوم وأتوب إليه » خمس مرات ، غفر له ولو فرّ من الزحف .

شدّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت وأنا عبدك أصبحت على عهدك ^(٣) ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء بنعمتك عليّ ، وأبوء لك بذنبي فأغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

وأصل غفر واستغفر غطى . قال قطرب : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أي غطها ، من قول العرب : غفرت المتاع في الوعاء أغفره غفراً ، أي غطيته . ثعلب : غفر الرجل في مرضه يغفر غفراً ، أي نكس ، فكأن المرض غطى عليه . وقال الأصمعي رحمه الله : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، أي استرها علينا ، ومنه : اصبح ثوبك ، فإنه أغفر للوسخ ، أي أستر ، وهذه معان متقاربة .

(١) آل عمران ١٣٥

(٢) النساء ١١٠ .

(٣) الجامع الصغير ١ : ٥٧ ، وفيه : « وأنا عبدك » ، وأنا على عهدك ووعدك ، وفي آخر الحديث : « ومن قالها من الليل وهو راقب بها فوات قبل أن يصبح كان من أهل الجنة » .

قوله : « عَلَىَّ بِهِ » ، أى جئنى به . مجدًا : مجتهدًا فى طلبه . لأُيه : إبطائه . نأيه : بعده . الحذر : الخوف . أوليته ، بمعنى وليته وأعطيته . أولى : أحق ، يريد أنه لو رجع إليه كان يصله فى المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أوّل مرة . قوله : « صفو » ، أى ميل . قوت : ذهاب . التنبيه : الإعلام . غشيتنى : غطتنى . ولحقتنى . أبان : طلق . النوار : بنت عم الفرزدق وزوجه . استبان : تبين .

وقال الشاعر :

لو أن صدور الأمر تبرز للفتى كأعقابه لم تُلَفْه يتندّم

[ذكر الفرزدق وبعض أخباره]

والفرزدق اسمه همام بن غالب بن صعصعة ، دارمى من أشراف تميم ، والفرزدق لقب به لجهومة وجهه وغلظه ، والفرزدق : قطعة العجين ، وقيل : الرغيف الضخم .

وخبره مع النوار بنت أعين المجاشعي ، أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم ، فبعثت إلى الفرزدق أن يكون وليّها إذا كان ابن عمها ، فقال : إن بالشّام مَنْ هو أقرب إليك منى ولأى ، وأنا حذر من أن يقدم منهم قادم ، فينكر ذلك علىّ ، فاشهدى أنك جعلت أمرك إلىّ . فجعلت له أمرها أن يزوجه ممن يرى ، وأشهدت له بذلك ، فقال لها : أرسلنى إلى القوم أزوتجك ممن خطبك . فلما غصّ مسجد بنى مجاشع ببني تميم جاء الفرزدق ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد علمتم أن النوار ولّتنى أمرها ، وأشهدكم أنى قد زوّجتها من نفسى ، فنشزت عليه ونافرته من البصرة إلى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعيأها أمراء البصرة ، أن يطلقوها منه . وأعيأها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شرّه ، فلم يقدر أحد على

حملها ، حتى تممَّ لها قومٌ من بني عدى ، يقال لهم بنو نُسَير إلى مكة ، فصحبهم
النوار ، فقال الفرزدق :

وقد سَخِطَتْ مِنِّي النُّوَارُ الَّذِي ارْتَضَى به قباها الأزواجُ ، خاب رحيبها^(١)
أطاعت بني أمّ النُّسَيرِ فأصبحتُ على شاربٍ ورفاء صعب ذُلُوها^(٢)
وإن امرأ يسعى ليفسد زوجتي^(٣) كساعٍ إلى أسدِ الشَّري يستديها^(٤)
ومن دون أبوال الأسود بسالةٌ وبسطة أيدٍ يمنع الضَّيمَ طُولها
وإنَّ أمير المؤمنين لعالِمٌ بتأويل ما وصَّى العبادَ رسولها

ثم ارتحل في أثرها حتى وصلا مكة ، فنزلت النُّوار على بنت منظور بن
زبان زوجة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، ونزل الفرزدق على ابنه حمزة ، وقال :

أصبحتُ قد نزلتُ بحمزة حاجتي إن المنوّه باسمه الموثوقُ^(٥)
بأبي عُمارة خير من وطئ الحصى وجرت له في الصاخين عروقُ
بين الحوارى الأغرى وهاشمٍ ثم الخليفةُ بعدُ والصديقُ

فكان كلُّ ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهارةً أفسد به
بنت منظور ليلاً ، حتى غلبت النُّوار ، وقضى ابن الزبير عليه ، فقال :

أما البنون فلم تُقبلْ شفاعتهمُ وشُمَّمتُ بنتُ منظور بن زبانا^(٥)
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فلما سمع ابن الزبير شعره ، توقّف في أمره ، فلقى يوماً بباب المسجد ، فضمه
إلى الحائط ، حتى كادت تُزهق نفس الفرزدق . وكان الزبير في غاية من التّوّء ، ثم

(١) ديوانه ٦٠٤ ، ٥ ، النقائض ٨٠٤ ، طبقات الشعراء ٢٨١ (٢) الشارف : النافذة المسنة .

(٣) يستبسلها : يأخذ بولها بيده . (٤) ديوانه ٥٧٠ .

(٥) ديوانه ٨٧٣ ، النقائض ٨٠٥ ، طبقات الشعراء ٢٨٢ .

(٢٤ - شرح مقامات الحريري ١)

هزّه وتركه خائفاً . ثم دخل على النّوار ، فقال لها : إمّا أن تُتِمّي زواج ابن عمك وإلا قتلته ، وأرحمت المسلمين من شرّ لسانه ، فقالت له : ولا بدّ أن تقتله ؟ قال : ولا بدّ ، فمطفئها عليه رَحِمَ القراية ، وقالت : لا والله لا أدعّه للقتل ، قد رضيت . فتزوَّجها ، فحكم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم ، فسأل : هل بمكة أحد يعينه ؟ فدلّ على سلم بن زياد ، وكان ابن الزبير قد حبسه ، فقال :

دَعِيَ مُعَلِّقِي الأبواب دون فعالهم ومُرِّي بمسرى لي هُبْلَتِ إلى سَلَمٍ^(١)
إلى مَنْ يرى المعروف سهلاً سبيله ويفعل أفعال الكرام التي تنمي

ثم دخل على سلم ؛ وأنشده القصيدة ، فقال : هي لك ومثلها لنفقتك ، فقبض عشرين ألفاً ، فدفع مهرها ، فدخل بها ، وأحبها قبل أن تخرج من مكة ، ثم خرج بها ، وها عديلان في محل ، وكانت أبداً تخالفه وتسبه ، لأنها كانت صالحة الدّين ، وكان هو رديء الدين ، زانياً قاذفاً للمحصات ، فكانت تكرهه .

ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها ، فامتنعت عليه ، فتمدّدها بالهجاء ، فاستعانت بالنّوار ، فقالت : واعدّيه ليلة ، ثم أعلميني . ففعلت ، وجاءت النّوار ، ودخلت الحُجْلة مع المرأة ، فلما دخل الفرزدق البيت ، أمرت الجارية فأطفت السراج ، وبادر الحُجْلة والنّوار فيها ، وهو لا يشكّ أنها صاحبة الدار ، فواقمها . فلما فرغ قالت : يا عدوّ الله ، يا فاسق ! فعرّضها ، وعلم أنه قد خُدِعَ ، فقال لها : وأنت هي ! يا سبحان الله ! ما أطيبك حراماً ، وأبردك حلالاً ! فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها .

فحدّث أبو معقل راويته ، قال : قال لي الفرزدق يوماً : امض بنا إلى حلقة الحسن ، فإنّي أريد أن أطلق النّوار ، فقلت : إنّي أخاف أن تتبعها نفسك ، ويشهد

عليك الحسن وأصحابه ، قال : امض بنا ، فجننا حتى وقفنا على الحسن فقال :
كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ قال :
لعملن أن النّوار طالق مني ثلاثاً ، فقال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، قال :
فانطلقنا ، فقال الفرزدق : يا هذا ، إن في قلبي من النّوار شيئاً ، فقلت : قد
حذرتك ، فقال :

ندمتُ ندامةَ الكُسميِّ لما غدت مِنِّي مطلقاً نواراً^(١)
وكانتُ جَنَّتِي فخرجتُ منها كما دم حين أخرجهُ الضَّرَّارُ
ولو أني ملكتُ يدي ونفسي لأصبح لي على القَدَرِ اختيارُ
وكنتُ كفاقي عينيهِ عمداً فأصبح ما يُضِيءُ له نهارُ

وتوفي سنة عشر ومائة. وفيها مات جرير وابن سبرين والحسن ، فقالت
امرأة بصرية : كيف يفلح بلد مات قفيهاه وشاعراه ، وأضافت جريراً إلى البصرة
لكثرة قدومه إليها ، ومسكنه باليمامة . وأخباره تطول ، وإنما ذكرنا منها ما تعلق
بالنّوار معه .

[ذكر خبر الكسعي وقوسه]

وأما الكُسميُّ فرجل منسوب إلى كُسم ، قبيلة باليمن ، واسمه محارب
ابن قيس ، وبندامته يُضرب المثل ؛ يقال : أُنْدم من الكُسميِّ^(٢) ، وقيل : إنه من بني
سعد بن ذبيان ، وقيل : اسمه عامر بن الحارث .

ومن حديثه أنه كان يرعى إبلاً بوادي كثير العشب والخلط ؛ فبينما هو يرعاها
بُصِرَ بِذَبْعَةٍ على صخرة ، فقال : ينبغي أن تكون هذه قوساً ، فجعل يتمهداها
ويتمومها حتى أدركت ، فقطعها ، فلما جئت اتخذ منها قوساً ، وأنشأ يقول :

(١) ديوانه ٣٦٣ .

(٢) ثمار القلوب ١٣٤ ، المبداء ٢ : ٣٤٨

يَا رَبِّ وَفَّقْنِي لِنَجَاتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لَدُنِّي لِنَفْسِي
وَأَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْمِي أَنْحَثُهَا صَفَرَاءَ مِثْلِ الْوَرَسِ
* صَدَاءُ لَيْسَتْ كَقَيْسَى النَّكْسِ *

ثم دهنها وخطمها بوثر ، واتخذ من برأيتها خمسة أسهم ، وجعل يقلبها في
كفه ، وبنشد :

هَنْ وَرَبِّي أَسْهَمٌ حِسَابُ يَلْدَ لِلرَّامِي بِهَا التَّنَافُ
كَأَنَّمَا قَوْمُهَا مِيزَانُ فَأَبْشُرُوا بِالْخَصْبِ يَا صَبِيانُ
* إِنْ لَمْ يَعْنَى الشُّومُ وَالْحَرَمَانُ *

ثم أتى قنطرة^(١) على موارد حمر ، فكمن فيها ، فمر به قطيع ، فرمى غيراً
منها بسهم ، فأخطه - أي أنذه - وجازه ، وأصاب الجبل ، فأورى نارا ، فظن أنه
أخطاه ، فأنشأ يقول :

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَا وَالْحَرَمَانِ
مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ بَيْنَ الصَّوَّانِ يُورِي شَرَاراً مِثْلَ لَوْنِ الْعُمَيَّانِ
* فَأَخْلَفَ الْيَوْمَ رَجَاءَ الصَّبَّيَّانِ *

ثم مر به قطيع آخر ، فرمى غيراً فأخطه السهم ، فصنع صنيعه الأول ،
فأنشأ يقول :

لَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي رَمْيِ الْقَمَرِ أَعُوذُ بِالْخَالِقِ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ
أَأَخْطِ السَّهْمَ لِإِرْهَاقِ الضَّرَرِ أَمْ ذَالِكُ مِنْ سُوءِ احْتِيَالٍ وَنَظَرِ
* أَمْ لَيْسَ يَعْنَى حَذَرٌ عَنْهُ قَدَرٌ *

(١) القنطرة : ناموس الصائد .

ثم مرة به قطع آخر فرمى غيراً ، فأخطه السهم ، فصنع صنيعه الأول ، فأنشأ
بقول :

ما بال سهمي يوقد الحباحباً قد كنت أرجو أن يكون صائباً
فأخطأ العبر وولى جانباً فصار رأيي فيه رأياً خائباً
ثم مرة به قطع آخر ، فرمى غيراً بسهم فأخطه السهم ، وصنع ما صنع أولاً ،
فأنشأ يقول :

يا أسفاً للشؤم والجد التكد في قوس صدق لم تزين بأود
أخلف ما أرجو لأهل وولّد فيها ولم يغن الحذار والجلد
* نغاب ظن الأهل جمعاً والولّد *

ثم مرة به قطع آخر ، فرمى غيراً بسهم ، فأخطه السهم ، وصنع كما صنع أولاً ،
فأنشأ يقول :

أبعد خس قد حفظت عدها أحمل قوسي وأريد ردها
أخزي الإله ليها وشدها والله لا نعلم مني بعدها
* ولا أرحى ما حيت رفدها *

ثم أخذ القوس ، فكسرها على حجر وبات ، فلما أصبح أبصر الأعيار
الخمسة مطروحة حوله ، فأسف وندم على كسر القوس ، وعض على إبهامه
فقطعها تلمهاً ، وأنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذا لقطعت خسي
تبين لي سفاه الرأي مني لعمر أبيك حين كسرت قومي

المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية

حكى الحارث بن همام قال : هتف بي داعي الشوق ، إلى رَحْبَةِ
مالك بن طوق ؛ فليته تمتطياً شيلةً ، ومُنْتَضِياً عَزَمَةً مُشَعِّلَةً . فلمَّا
أَلْقَيْتُ بِهَا الرَّاسِي ، وَشَدَدْتُ أُمْرَاسِي ، وَبَرَزْتُ مِنَ الْحَمَامِ بَعْدَ
سَبْتِ رَاسِي ، رَأَيْتُ غُلَامًا أَفْرِغَ فِي قَالِبِ الْجَمَالِ ، وَالْبَسَ مِنَ الْحُسْنِ
حُلَّةَ السَّكَمَالِ .

• • •

هتف بي ، أى دعانى ، يقال : هتف بي هتفاً وهُتَافاً : دعاه ، وهتفت الحمامة :
مدت صوتها . والشَّوْقُ : تحريك الحب ، يريد أن شوقه إلى الرَّحْبَةِ يهيج عليه
حتى سار إليها ، وجعل له داعياً مجازاً . والرَّحْبَةُ : مدينة شهيرة من عمالة الفرات ،
بناها مالك بن طوق ، ووليها فتُسبت إليه ، وإليها تنسب الثياب الرحبية ، وتعرف
برحبة الشام ، وهى على يسار الطريق هى والرقعة فى استقبالك الفرات جاثيا من
حران ، وهى فى آخر ديار ربيعة ، وأول بلاد الشام والفرات ، بين ديار ربيعة
والشَّام ، فإذا عبرته صرت فى حد الشام .

[ذكر مالك بن طوق]

ومالك - كنيته أبو كلثوم - بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جُشم
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب . وقال حبيب يمدحه ويذكر
الرَّحْبَةَ :

يأمالٍ قد علمت ربيعة أنه طالت يدي لما رأيتك سالماً
ما كان مثلك في الأراقم أرقم^(١) وأنىخ عن خدي ذاك العظام^(٢)
وشمت ترب الرّحبة العبق الثرى أسمى بها يأوى إليه المعدم^(٣)
كم حلّ في أكنافها من معدم

وقال فيه:

رأته في النوم عتاب فقال لها فجاء والنسب الوضاح جاء به
ذوو القراصة : هذا صفوة الكرم^(٤) طعان عمرو بن كلثوم وناثله
كأنه بهمة فيهم من البهم^(٥) لو كان يأمل عمرو مثله خلفاً^(٦)
إن السيور التي قدت من الأدم^(٦) من صلبيه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا في اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم ، وأين هذا من قول دعبل

يهجوه :

الناس كلهم يمدو لحاجته ما بين ذى فرج منهم ومهموم^(٨)
مالك ظل مشغولاً بنسبته يرؤوم منها بناء غير مهدوم^(٩)
ببنى بيوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوقٍ إلى عمرو بن كلثوم

(١) ديوانه ٢٧٥ ، والأراقم بنو تغلب .

(٢) الديوان : « وأنحت عن خدي » ، والعظام ، كزبرج : نبت يصنع به .

(٣) الحضر : الماء الكثير .

(٤) ديوانه ٢٦٨ .

(٥) البهمة : الشجاع .

(٦) النائل : العطاء . والأدم : الجلد .

(٧) الديوان : « ولما » .

(٨) ديوانه ١٤٤ ، ديوان الثاني ١ : ١٨١ .

(٩) الديوان « خراباً غير مرموم » .

وكان ما-كاشجاءاً ، جواداً ممدوحاً أميراً على الجزيرة مسكن قومه
بنى ثعلب .

قوله « لَبَيْتِ » ، أى أجبته . ممتطياً : راكباً . شِمْلَةٌ : ناقة سريعة . منتضياً :
مجرّداً . عزمة مشمعة ، أى عزمة سريعة لاتوانى فيها . المراسى : هى محابس
السفينة . أمراسى : حبالى ، يريد أنه استعد الإقامة وترك السفر ، وضرب لذلك
المثل بإلقاء المراسى وشدّ الأمراس . برزت : خرجت وظهرت . سَبَّتْ : حَاقَ ،
ومتى دخل أهل المشرق الحمام حلّقوا رؤوسهم . أفرغ : وُضِعَ ليصنع . والقالب :
الذى تطبيع فيه الدراهم ، ودرهم مفرغ ، إذا أذيت فضته وصُبَّتْ فى قالبه ، فيريد
أنّ هذا الفلام لإفراط حسنه أفرغ فى قالب الجمال .

[نبذ وحكايات وأشعار مما ورد فى الحسن والجمال]

ونذكر فى هذه المقامة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ، ونضيف إلى
ذلك ما قيل فى الالمان من الأشعار الحسان ممّا يابق بهذا المكان وندعها من كل
مقامة يقع فيها ذكر الالمان . قال ابن عبد ربه : الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه
الصفرة مع طول المكث فى الكِنِّ والتضخخ بالطيب كما تضرب فى بيضة الأدحى .
وقال أعرابى :

وما تطيّبت من صفراء خالية كالعاج صفرها الأكنان والطيبُ
وقال آخر :

كأنّ لون البيض فى الأدحى لونك لولا صفرة الجادى

يريد أنها تضخخ بالجادى ، وهو الزعفران ، وصفرة النعمة لا تبلغ صفوته .
وقالوا : إن الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس ، فهى بالضحى بيضاء ،
وبالعشى صفراء ، قال الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالمرارة^(١)

القرار : البهار .

وقال الحريري في الدرة : فأما^(٢) قولهم في الحسن : أحمر ، فعناه أنه لا يكتب ما فيه من الجمال إلا بتحتل مشقة يحمر^(٣) منها الوجه ، كما قالوا : السنة الحمراء للمجدبة^(٤) ، وكنوا عن الأمر المستصعب بالموت الأحمر ، وأما قوله :

هيجانٌ عليها حمرة في بياضها تروق لها العينان والحسنُ أحمرُ
فإنه عني به الحسن في حمرة اللون مع البياض ، دون غيره من الألوان .

وقالوا في الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسناً .

وقيل : الجميلة السمينة ؛ من الجميل ، وهو الشحم^(٥) ، والمليحة البيضاء من الملح^(٦) ؛ وهي البياض ، والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه .

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر ، وإذا فرق يصفر ، ومنه قولهم : ديباج الوجه ، يريدون تلونه من رفته .

وقال عدی بن زيد في تلون الوجه :

حمرة خلط صفرة في بياضٍ مثل ما حاك حائك ديباجا

(١) ديوانه ١٥٣ . والمرارة : شجر لها نور أصفر .

(٢) درة القواس ١٠٤

(٣) الدرة : • بحمار • .

(٤) الدرة : • السنة المجذبة حمراء • .

(٥) في القاموس : • الجميل : الشحم الذائب • .

(٦) في القاموس : • الملح : بياض يخالط سواد • .

وقال ابن عبد ربه في ذلك :

يَا تَوَلُّوْا بَسْبِي الْعُقُولَ أُنِيقًا وَرَشًا بِتَقْطِيعِ الْقُلُوبِ رَفِيقًا^(١)
 مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِشَلِهِ دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقًا
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ أَلْفَيْتُ وَجْهَكَ فِي سَنَاءِ غَرِيقًا
 يَأْمَنُ تَقْطَعُ خَضْرُوءُهُ مِنْ رِقَّةٍ مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقًا !

وأعاد معنى : « دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقًا » ، في بيت آخر فقال وأحسن :

كَمْ سَوَّسَنِ لَطَافَ الْحَيَاءِ بِلَوْنِهِ فَأَصَارُهُ وَرْدًا عَلَى وَجَنَاتِهِ
 قَالَتْ امْرَأَةٌ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ لَخَالِدٍ : لَقَدْ أَصْبَحْتَ جَمِيلًا ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ
 وَمَا فِي رَدَاءِ الْحُسْنِ وَلَا عُمُودِهِ وَلَا بُرْنَسِهِ ! قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : عُمُودُهُ
 الشُّطَّاطُ^(٢) ، وَرَدَاؤُهُ الْبَيَاضُ ، وَبُرْنَسُهُ سَوَادُ الشَّعْرِ .

وقالوا : الْحَلَاوَةُ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ، وَالْحُسْنُ فِي الْوَجْهِ ، وَالْمَلَا حَةُ
 فِي الْفَمِ .

وقال بعضهم : الْغَارِفُ فِي الْقَدِّ ، وَالْبَرَاعَةُ فِي الْجِيدِ ، وَالرَّقَّةُ فِي الْأَطْرَافِ
 وَالْخَصْرُ ، وَالشَّانُ كُلُّهُ فِي الْكَلَامِ ، وَالْمَدَارُ عَلَى الْعَقْلِ .

وقال علي بن عبيد الرِّيحَانِيُّ : الْحُسْنُ تَنَاسُبُ الصُّورَةِ ، وَزِينَتُهُ اعْتِدَالُ
 الْحَرَكَةِ ؛ ثُمَّ مَا لَا يَحْسُنُ اللِّسَانُ التَّرْجُمَةَ عَنْهُ مِنْ خَفَةِ الرُّوحِ وَالْقَبُولِ .

وسئل عن اختياره من الحُسْنِ ، فقال : أَمَّا مَا يُمْكِنُ نَعْتُهُ فَخَلَّتْكَانَ

(١) مطمح الأنفس ٥٢

(٢) الشطاط : الطول وحسن القوام .

وثلاثة بينهما ، أيسر من صفة اللسان تعجبنى صورة أكثر نعتها الملاحاة ،
وبراعة بفصاحة ، والخاتمة الثالثة نسميها مراح الروح وشكل النفس وماهية الشوق ،
وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل ، فهذه زبدة
هذا الباب .

وأحسن الحسن ، ما لم يُجْلَبْ بتزيين وتضييق ، وتحلية وتزويق ، وأطيب
الطيب أنفاس عبقّة من كبديسايمة ، ومزاج معتدل ، وثغر نقيّ ، قال امرؤ القيس :
ألم ترَ آني كلما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيّب^(١)
وينكح أن سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقياً ، لثلاث شغله بحسنه
عن تعليمه . ومعنى «سبويه» بالفارسية رائحة التفاح ، وكان يقال : إنه أطيبُ
الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه ، فكان إذا استأذن عليه سبويه
يقول : مرحباً بزائرٍ لا يملّ .

وكان أبو حاتم السجستاني يختم القرآن في كل أسبوع ، ويتصدق كل يوم
بدينار ، ومع هذا الفضل كان يميل بحبه إلى أبي العباس المبرد ، وكان أبو العباس
يلزم حلقته وهو غلام وسيم ، فقال فيه :

ماذا لقيتُ اليومَ من مُتَمَجِّنٍ خَنِثَ الكلامِ^(٢)
وقفَ الجلالَ بوجهٍ فسمتُ له حدقُ الأثامِ
حركته وسكوته يُجَنِّي بها ثمرَ الإثامِ
فإذا خلوتُ بمثله وعزمت فيه على اغترامِ^(٣)
لم أعدُ أفعالَ العفا ف ، وذاك آكدُ الغرامِ
نفسى فداؤك يا أبا العباس يا جلَّ اعتصامي

(١) ديوانه ٤١ .

(٢) الشعر والخبر في ابن خلكان ١ : ٢١٨ ، والأبيات الثلاثة الأخيرة في نزهة الألباء ١٩٠ .

(٣) ابن خلكان : « اغترام » .

فأرحمُ أخاك فإنه نزر الكرى بادي السقام
وأَنله مادون الحرام م فليس يرغب في الحرام
والوُكوع في الجمال سجيّة ركبها الله في الأولياء وأكابر العلماء ، فمن دُونهم
من الشوْقة والفوْغاء . وعلى قدر ذكاء الأرض يطيب زرعها ، وعلى قدر طيب
التربة يطيب ثبُّها ، فمنها العذب والأجاج وما بينهما ، وعلى قدر شرف النفس يكون
حبّها ، فمنه المستحسن ومنه المستقبح .

• وكلّ إناء بالذي فيه ينضح •

في كتاب الوشاح : العشق إذا تزيّن بالمغاف فهو معنى شريف ، ويتلو
قوله تعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾^(١) ؛ فمن اتقى
الله فهو خليل .

وذهبت طائفة من المتكلمين البغداديين إلى أن الله تعالى إنما امتحن الناس
بالموى ، ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه ، وليشقّ عليهم سخطه ، ويسرّهم رضاه ؛
فيستدلّوا بذلك على قدر طاعة الله تعالى . لأنّه لا مثْلَ له ولا نظير ، وهو خالقهم
غير محتاج إليهم ، ورازقهم مبتدئ المن عليهم ، فإذا أوجّبوا على أنفسهم طاعة
لسواه كان هو تعالى أولى أن يُتبع رضاه .

قالوا : ولا ينبغي للعاقل ولا للجاهل أن ينكر علاقة شخص بشخص ،
وحنين شكل إلى شكل ، ومؤلفة إلف إلى إلف ، فالقلوب صافية قابلة ، والعيون
إليها ناقلة .

وقالوا : لا عاشق على الأغلب إلا موفور النعماء ، مكفى كد المعيشة ؛ لأنّه من
فراغ نفسه ورقة حاشيته .

وقد قيل : إن جميلًا وبُشينة لوقعا لبنتين دون غداء وعشاء لبزق كلٍّ واحد منهما في وجه صاحبه .

ومن شرط المعشوق أن يكون ممن يؤيس ويطمع ، ويستتر ويلع ، ويبدو ويحجب ، وياين ويصعب ، ويرضى ويسخط ، ويقرّب ويشحط ، كما قال أبو الطيب :

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصل ربُّه
في الهجر فهو الدهر يَرْجُو ويتَّقَى^(١)
وبين الرضا والسخط والقرب والنوى

بحالٍ لدمع المقلّة المترقِّق
والحسن أول سعادة المرء ، ورائد اليُمن ، وسائق النجح ؛ لأن الله تعالى بلطف الحكمة ، وبشرف الإبداع والصنعة ، لم يخلق الصورة مختارة الصفات ، سليمة من الآفات ، إلا عن فضل الاحتفاء ، ولم يطابقها من الأخلاق إلا بما يناسب جمالها من العقل والصفاء . ولما تمجد الخلق إلا تبعاً للخلقة ، تناسباً بطرد ، وأصلاً لا بنعكس ، وإجمالاً لا بيفرد ، وما خلق الله نبياً قط إلا وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه ؛ فإذا نظرته لأوّل وهلة رأيت أحسنهم صورة ، وأتقنهم بنية ، فهو أوّل مرتبة ، وأعلى منقبة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يعذب حسان الوجوه ، سواد الحدق» .
وورد عليه وفد عبد القيس ، وفيه غلام وضى الوجه ، فأقعه وراء ظهره ، وقال : إنما أتى أخى داود من النظر .

وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن ؛ فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسام موكّانه بصف الفتى الذى ذكره الحريري :

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٤ ، وفيه البيت الأول بعد الثانى .

يَأْمَنُ تَسْرُبَلُ بِالْمَلَاةِ وَارْتَدَى فَعَلِيهِ تَعْتَكِفُ الْعَيُونُ إِذَا بَدَا
 فَيُرَى هَالِلاً زَاهِراً وَيُرَى قَضِيْباً نَاضِراً وَيُرَى كَثِيباً أَمْلَداً
 إِذَا نَهَضَتْ تَرْجَرُجَا وَإِذَا سَفَرَتْ تَبَاجَا وَإِذَا مَشِيَتْ تَلَوَّداً
 فَتَرَى الْجَبِينَ كَتَاجَ مَلِكٍ زَانَهُ دَرَّ تَرَامٍ مَفْرَقَا وَمَنْضَداً
 وَيَجُولُ ذَاكَ الرَّشْحُ فِي أَقْطَارِهِ كَالْيَاسْمِينِ جَرَى بِهِ قَطَرُ النُّدَى
 الْوَجْهَ فَضِيٌّ أَحَاطَ بِوَجْنَتِيْ ذَهَبٍ ، فَأَنْبَتَ عَارِضِينَ زَبَرُجَدَا
 وَفَمَّ عَقِيْتِيْ تَضَمَّنَ لَوْلَا رَطْباً وَنَظَمَ فَوْقَ ذَاكَ زُمَرَدَا
 وَلَأَبِي إِسْحَاقَ الْخَفَاجِيَّ^(١) :

وَأَعْيَدَ أَهْدَى تَرْجَسَا مِنْ مَحَاجِرٍ وَتَنَى فَأَبْدَى سَوَسَنًا مِنْ سَوَالِفِ
 وَقَدْ مَاجَ مِنْ عِطْفَيْهِ مَاءٌ شَبِيْبَةٌ تَعْبٌ وَلَا أَمْوَاجَ غَيْرُ الرُّوَادِفِ
 تَمَلَّعَ مِثْلَ الرَّمْحِ بِسَطَةِ قَامَةٍ وَفَتَكَةً الْحَاطِظِ وَلَيْنَ مَعَامِلِفِ
 وَلابن وكيع :

يَأْمَنُ إِذَا لَاحَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ غَفَرَتْ بِدَائِمِهَا جَمِيعَ ذُنُوبِهِ^(٢)
 إِنْ كَانَ فِي تَعَذُّبِ قَلْبِي رَاحَةٌ لَكَ فَاجْتَهِدْ بِاللَّهِ فِي تَعَذُّبِهِ
 وَلَأَبِي إِسْحَاقَ الْخَفَاجِيَّ :

يَارَبَّ وَضَّاحَ الْجَبِينَ كَأَنَّمَا رَسْمُ الْعِذَارِ بِمُفْخَتِيهِ كِتَابُ^(٣)
 تُغْرَى بِطَلْعَتِهِ الْعَيُونُ مَلَاةً وَتَبِيْتُ تَعَشَّقُ عَقْلَهُ الْأَلْبَابُ
 خَلِمَتْ^(٤) عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ غِلَالَةٌ تَنْدَى وَمِنْ شَفَقِ السَّعَابِ هَابُ

(١) هو أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة ، والأبيات في ديوانه ٣٣٦ .

(٢) ينسب الدهر ٢ : ٣٤٠ ، وبمده هناك :

النَّجْمُ يَعْلَمُ أَنَّ عَيْنِي فِي الدُّجَى مَعْتُودَةٌ بِطُلُوعِهِ وَغُرُوبِهِ

(٣) ديوانه ٣٣٧ .

ولأبي نواس :

أساء فزادته الإساءة حُظْوَةً حبيبٌ على ما كان فهو حبيبٌ
بعدَ على الواشيان ذنوبُهُ ومن أين للوجهِ الجميلِ ذنوبُ !

ولأبي إسحاق الخفاجي :

تعلقته نَشْوَانٌ من خمرِ رِيقَةٍ له رشفه أدوني، ولي دونها الشُّكْرُ^(١)
ترقرق ماء مُقْلَتَيَّ ووجهُهُ وبذكي على قلبي ووجنته الجُرُ
أرقَ نسبي فيه رِقَّةٌ حسنه فلم أدر أيُّ قبلها منها السُّخْرُ
وطبنا مما نغرا وشعرا، كأنما له منطقي نغراً، ولي نغره شعرُ

وَقَدْ اغْتَلَقَ شَيْخٌ بِرُدْنِهِ، يَدْعِي أَنَّهُ فَتَكَ بَابِهِ، وَالْعَلَامُ
مُنْكَرٌ عِرْقَتُهُ، وَيُكْبِرُ قِرْقَتَهُ، وَالْخِصَامُ يَنْهَمُ مَطَّائِرُ الشَّرَارِ،
وَالزُّحَامُ عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، إِلَى أَنْ تَرَاضِيَا بَعْدَ
اشْتِطَاطِ اللَّدَدِ، بِالتَّنَافُرِ إِلَى وَالِي الْبَلَدِ، وَكَانَ مِمَّنْ يَزُنُّ بِالْمَنَاتِ،
وَيَغْلِبُ حُبُّ الْبَنِينَ عَلَى الْبَنَاتِ، فَأَسْرَقَا إِلَى نَدْوَتِهِ، كَالسُّلَيْكِ فِي
عَدْوَتِهِ.

قوله : « وقد اعتلق شيخ برُدْنِهِ »، أي تعلق بكه وأطراف ثوبه . فتك :
قتل ، والفتك : أن تأتي رجلاً آمناً منك وتقتله، أو تكن له في موضع لا يعرف
بك، فإذا أذاك قتلته، ثم سُمِّيَ من هجم على الأمور العظام فاتسكاً، فإذا أدخلت

رجلاً منزلك أو موضعاً لا مغيث له فيه ، فقتلته فذلك الغيلة ، فإن كان رجلاً يخافك فأمنته وآنسته حتى آمنك ، ثم قتلته فذلك الغدر . عِرْفَتُهُ : معرفته . يُكْبِرُ : يراه امرأً كبيراً قِرْفَتُهُ : تهمة ، وقد قِرْفَتُهُ بذنب ، إذا حملته عاياه واتهمته به ، وشبهه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار اشتطاط اللدد : اشتداد الخصام . التنافر : التحاكم . يزن بالهنات : يتهم بالقبائح ، والهنات : الدواهي والهن والهنّة من السكنايات العامة التي يكنى بها عن كل شيء ولا يقتصر بها على شيء دون شيء .

[فصل في ذكر بعض أخبار الولاة]

قوله «ويغلب حبّ البنين على البنات» نذكر هنا من الولاة المتهمين بهذه الهنات ما يليق بالموضع . قال أهل الأخبار : إن القاضي يحيى بن أكثم^(١) ، كان مشتهراً بحبّ الغلمان ، وإن أهل البصرة رفعوا أمره إلى المأمون قبل اتصاله به ، وقالوا فيه : إنه قد أفسد أولادهم ، وظهرت منه الفواحش ، وأنه القاتل في صفة الغلمان :

أربعةٌ تُعشَقُ الحاظمُ	فمين من يشقهم ساهرة
فواحد دنياه في وجهه	مناقٍ ليست له آخرة
وآخر دنياه منقوصةٌ	من خلفه آخرةٌ وأفره
وثالث فاز بكاتيهما	قد جمع الدنيا مع الآخرة
ورابعٌ قد ضاع ما بينهم	ليست له دنيا ولا آخرة

فاستعظمها المأمون وعزله عنهم .

ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ، وناداه ، فخرج معه في يوم عيد ، وقد ركب الجند أمامه ، ويحيى يحادثه ويضحكه ، فنظرت إلى غلام أمرد من أولاد

(١) انظر أخبار يحيى بن أكثم في ابن خلسكان ٢ : ٢١٧ - ٢٢٤ وأخبار القضاة لوكيع ٢ : ١٦١ - ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٩١ - ٢٠٤ ، وثمار القلوب ١٥٦ ، ١٥٧

الجند في غاية الفَراهِة ، عليه ثوب حرير أخضر ، ودرع موشاة مزررة بالذهب .
فالتفت إلى يحيى ، وقال له : ما تقول في هذه البضاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنّ هذا لتبيح من إمام ، مثلك مع فقيه مثلى ، قال : فمن الذى يقول :

قاضٍ يرى الخد في الزناة ولا يرى على من يلو ط من باسٍ

قال : من عليه لعنة الله وغضبه ، ابنُ أبي نعيم^(١) ، الذى يقول :

أميرنا يرئسنا وحاكمنا يلو ط والشر بيننا راسي

قاضٍ يرى الخد ... البيت ، وبعده :

لا أحسب الموت ينقضى وعلى الـ أمة والـ لآل عباس^(٢)

قال : أوصحيح هذا ؟ قال : نعم ، قال : يُنقَى إلى السند ، وإنما ما زحناك ، ثم
قال المأمون في الغلام :

أيها الراكب ثوباً • حريراً وحديدُ

جئت للعيد وفى وجهك للأعين عيدُ

أنت جندى ولكن فىك للحسن جنودُ

وفى يحيى يقول ابن أبي نعيم :

يا ليت يحيى لم يلد أكنه • ولم تطلأ أرض العراق قدنه^(٣)

ألوط قاضٍ فى البلاد نعله • أى دواة لم يلقها قلنه

* وأى جحر لم يلج أرقمه^(٤) *

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٢ .

(٢) ديوانه ٩٨٢ .

(٣) المضاف والمنسوب ١٥٨ .

(٤) ذكر فى المضاف والمنسوب بعد الأبيات : • فقال يحيى : دواتك أيها الأمير • .
(٢٥ - شرح مقامات الحريري ١)

وهذا كقول الآخر :

* يُدْخِلُ الْأَفْعَى إِلَى خَيْسِ الْأَسَدِ *

ويحيي خُراسانيّ من مَرو . وبلغ من تحمّكه على المأمون أن فرض لأربعائه
غلامٍ مُردّ ، واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه ، فقال راشد بن إسحاق :

خَلِيلِيْ أَنْظِرَا مَتَعَجِّبِيْنَ	لَا ظَرْفَ مَنْظَرٍ تَقْلَاهُ عَيْنِيْ
لِفَرْضٍ لَيْسَ يُقْبَلُ فِيهِ إِلَّا	أَسِيلُ الْخُلْدِ حُلُوُّ الْمَقْلَتَيْنِ
يَقُودُهُمْ إِلَى الْهَيْجَاءِ قَاضٍ	شَدِيدُ الطَّعْنِ بِالرُّمَحِ الرُّدَّيْنِ
إِذَا شَهِدَ الْوَغَى مِنْهُمْ غَلَامٌ	تَجَدَّلُ لِلْجَبِيْنِ وَلِلْيَدَيْنِ
وَبَاتَ الشَّيْخُ مَنْحَنِيًّا عَلَيْهِ	وَصُدْغَاهُ تَحَاذِي الرُّكْبَتَيْنِ

وقال فيه :

وَكُنَّا نَرْجَى أَنْ نَرَى الْعَدْلَ يَدْنَا فَاَعْقَبَنَا بَعْدَ الرَّجَاءِ قَنُوطُ
مَتَى تَصْلُحَ الدُّنْيَا وَبِصَالِحِ أَهْلِهَا إِذَا كَانَ قَاضِي السَّامِيْنَ يُلُوطُ

* * *

وكان القاضي أبو القاسم عليّ بن محمد التنوخي^(١) مولعاً بالفلمان ، وكان له
غلام اسمه نسيم ، في نهاية من الحسن ، وكان يُؤثره على سائر غلمانه ، ويخصّه
بتفريبه واستجدانه ، فكتب إليه بعض من يأنس به :

هَلْ عَلَى مَنْ لَامَهُ مَدْغَةٌ لِاضْطِرَارِ الشَّرِّ فِي مِمْ نَسِيمٍ

فَوَقَعَ تَحْتَ الْبَيْتِ : نَعَمْ ، وَلَمْ لَا !^(٢)

وسند ذكر من شعره في هذه المقامة ما يستباح .

(١) انظر أخبار تاريخ بغداد ١٢ : ٧٧ ، وابن خلكان ١ : ٣٥٣ .

(٢) الخبر في معجم الأدباء ١٤ : ١٦٦ .

ومن كان يميل إلى الغلمان من الأمراء أبو العشائر الحمداني^(١) الذي يقول
فيهِ المتنبي :

فيا بحرَ البُحُور ولا أُرَى ويامالكَ الملوك ولا أحاشي^(٢)
كأنك ناظرٌ في كلِّ قلبٍ فما يخفى عليك غلٌّ غاشٍ

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة ، فقلت : ما
يُجِدُّ الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه ، كأنَّ رضوان قد غفل عنه فأبقى من
الجنة ، ثم أنشأ يقول :

أُسَقِّمُ هذا الغلامَ جسمي بما بعينه من سقام^(٣)
فتورُ عينيه من دلالٍ أهدي فتوراً إلى عظامي
وامتزجت روحه بروحي تمازج الماء بالدم

ولأبي العشائر :

سطا علينا سَوَمَنٌ حازَ الجمالَ سَطاً - ظبيٌّ من الجنة الفردوس قد هَبَطاً
له عِذاران قد خُطَا بوجنتيه فاستوقفا فوق خديهِ وما انبَسَطاً
وظلَّ يخطو فكلُّ قال من شَفَفَ : ياليتَه في سواد الناظرين خَطَا !

ومع هذا الميل ، كان نزيه النفس ، رفيع الهمة ، سليم الناحية ، وكان في
الجود غاية ، وفي الشجاعة نهاية ، وفي الشعر آية . وإذا كان المتنبي الذي هو
أشعرُ الناس عند الأَكْثَرِيَّة ، يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره :
قد تجوّزت في شعري ، وأعفيت طبعي ، واغتنت الراحة ، مذ فارقت آل
حمدان ، ومنهم الذي يقول - يعني أبا العشائر :

(١) انظر أخبار أبي العشائر في بنية الدهر ١ : ٧١ - ٧٥ .

(٢) ديوانه : ٢١١ .

(٣) بنية الدهر ١ : ٧٢ :

أخا الفوارس لو رأيت موافقي والخليل من تحت الأسنة تَنحَطُ^(١)
 لقرأت منها ما تخطُّ يد الوعى والبيض تُشَكِّلُ والأسنة تنقُطُ
 فهكذا تستعار المعاني البديعة في الألفاظ الرفيعة ؛ فما ظنك بمن يُبَنِّى عليه
 المتنبي هذا الثناء !

* * *

وممن وصف غلاماً فأحسن ، الأمير تميم بن المعز صاحب مصر ، حيث يقول :
 وبات ضجيجي منه أهيفُ ناعمٌ وأدعجُ وسنانٌ وألّسُ أشنبُ^(٢)
 كأنَّ الدجى من لون صدغيه طالعٌ
 وشمس الضحى في صحن خديه تغربُ
 وقال أيضاً :

يا ليلةً باتَ فيها البدرُ معتنقِ وكانت الشمس فيها بعض جلاسى^(٣)
 وبتُ مستغنياً بالشعر عن قدحى وبالحدود عن التفاح والآسِ
 وقال أيضاً :

ورْدُ الحدود أرقُّ من ورْدِ الرياض وأنعم^(٤)
 هذا تنشُّهُ الأتو فُ وذا يقبَلُه الفمُ
 فإذا عدلت فأفضل الـ وردين ورد بلـنمُ
 قوله : « ندوته » ، أى مجلسه .

[ذكر السُّلَيْك بن السُّلَكَة]

والسُّلَيْك ، هو ابن السُّلَكَة ، معروف بأمه ، وكانت أمةً سوداء شديدةً

(١) بقيمة الدهر ١ : ٧١

(٢) ديوانه ٤٠٤ ، ٤١ . العس : سواد مستحسن في الشفة . والشنب : رقة وعذوبة ويرد
 في الأسنان .

(٤) ديوانه ٣٨٦ .

(٣) ديوانه ٢٥٠ .

السواد ، وكان هو أسود ، وأبوه عمرو بن سنان بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدى التميمى .

وكان يسبق الخليل على رجليه ، وكان من العدائين ومن رجلى العرب - وهم الذين يسمون على أقدامهم ، ويسبقون الخيل ، فيستغنون بأرجلهم عنها - وكان من أشجع الناس ، وكان لا يُغيرُ إلاَّ وحده ، وكان يقال له : الرئبال :

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب ، فقال : أى العرب كان أبغضَ لك أن تلقاه ؟ فقال : أمّا من معدّ فعديّ بن فزارة ومرة بن ذبيان وكلاب بن عامر وشيبان بن بكر وشقّ بن عبد القيس والأراقم من تغلب ، ثم لو جئت بفرسى على مياه سعد ما خفت هَيْجَ أحدٍ ؛ ما لم يلقى حرّاهَا أو عبداها ، قال : أما حرّاهَا فعامر بن الطفيل وعُتَيْبَة بن الحارث بن شهاب ، وأما عبداها فعنزة الفوارس وسُليك المقانب .

وأما عدوّته المذكورة ، فيقال : إنه أحاط به عدوّته فنزا نزوة عدّ فيها أربعاً وعشرون خطوة ، وعدّ أيضاً فى نزوة للشنفرى إحدى وعشرون خطوة .

ويقال فى المثل : أعدى من الشنفرى ، وأعدى من السليك .

فأما الشنفرى فإنه أغار على بجيلة مع تأبط شرّاً وعمرو بن براق ، فرصدتهم بجيلة على الماء ، فقال تأبط شرّاً : إنّ بالماء رصدّاً ، فقالا : ليس عليه أحد ، ولا بدّ من وروده ، فورد الشنفرى ثم عمرو ، فقال تأبط شرّاً : القوم إنما يريدوننى ، فلذلك لم يعرضوا لكما ، وإذا وردتُ أنا الماء فسيشدّون علىّ ، ويأسروننى ، فاذهب يا شنفرى ، كأنك تهرب ، وكن فى أصل ذلك القرن ، فإذا سمعتنى أقول : خذوا خذوا ، فتمال وأطلقتى ، وقال عمرو : إني سأمرّك أن تستأير لهم ، فلا تتبععد ، ولا تمكّنهم من نفسك . ثم ورد الماء ، فشدّوا عليه ، وكتفوه ، وفعلوا

ما أمرهما ، فقال : تأبط شرًّا : يامعشر بجيلة ، هل لكم في أن تيسروا فداءنا ،
ونستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا : نعم . فقال باعمرؤ : هل لك في أن تستأثرو بيكسرونا
في الفداء ؟ قال : حتى أروض نفسي شوطاً أو شوطين ، فجرى الأول كالريح ،
والثاني كالخيل ، ثم أراد أن يجري ثالثاً ، فجعل يقع ويقوم فشلاً ؛ يطعمهم بذلك ،
فقال لهم تأبط شرًّا : خذوا خذوا ، فأسرعوا إليه بأجمعهم ، وهوى الشنفري
كالريح فقطع وثاقه ، ثم أحضروا ثلاثتهم ، فنجوا ، فقال تأبط شرًّا من قصيدة :
ليلة صاحوا وأغرّوا بي سراعهم^(١) بالعيككتين لدى عمرو بن براق^(٢)
لا شيء أسرع مني غير ذي عذري^(٣) أودى جناح بحنب الريد خفاق^(٤)
فالثلاثة عدّاءون ، والمثل مقصور على الشنفري .

وأما السليك ، فرأته طلائع جيش لبكر بن وائل ، جاءوا مجردين لينبروا على
تميم ، فقالوا : إن عام السليك بنا أنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ،
فمّا صاحاه خرج يحمص^(٥) كأنه ظبي ، فطارده يوماً أجمع ، ثم قال : إذا كان
الليل أعيا فمّا أخذه ، ووجد أثر بوله قد خد^(٦) في الأرض ، فقالا : قاتله الله ! ما
أشدّ متنه ! فتبعاه لياتهما : فلما أصبحا وجداه قد عثر بأصل شجرة ، فندر^(٧) منها
كمكان قدمه ، وسقطت قوسه في جريه فانخطمت ، فوجد قطعاً منها قد ارتزت^(٨)
بالأرض ، فقالا : ما بعد هذا شيء ، والله لا تبعناه بعد هذا . ومّر السليك إلى
أهله ، فأنذرهم ، فكذبوه لبعد الغاية ، فقال :

(١) من قصيدة مفضلية ٢٧ - ٣١ ، مطلعها :

ياعيد مالك من شوق وإيراق^(٩) ومّر طيف على الأهوال طراق^(١٠)

والعيكتان : موضع ، ورواية المفضليات : « معدي ابن براق » ، ومعدي مصدر ميمي من
عدا يعدو .

(٢) العنر : جمع عنرة ، وهي ما أقبل من شعر الباصية على وجه الفرس . والريد :
الشمراخ الأعلى من الجبل ، يقول : لا شيء أسرع مني إلا الفرس ، وإلا الطائر الجارح
الذي يأوى إلى الجبل .

(٣) يحمص : يسرع .

(٤) ندرت : سقطت .

(٥) خد في الأرض : شقها .

(٦) ارتزت : أنبت .

يَكْذِبُ بَنِي الْعَمْرَانِ : عمرو بن جندب وعمر بن سعد والمكذب أكذب^(١)
 نَسَكْتَكُمَا إِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسَ يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوْكِبُ
 كَرَادِيسَ فِيهَا الْخَوْفَزَانُ وَحَوْلَهُ فَوَارِسَ هَمَامٍ مَتَى يَدْعُ بَرَكَبُوا
 فَصَدَّقَهُ قَوْمٌ ، فَفَجَّوْا ، وَكَذَّبَهُ آخَرُونَ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِمُ الْجَيْشُ فَاسْتَسَحَمُوا .
 وَمِنْ شَعْرِ السَّيِّدِ يَرِثِي فَرْسَهُ — وَكَانَ يُقَالُ لَهَا النَّحَامُ — وَأَنْشَدَهَا
 الْمُبَرَّدُ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ مِنَ الْكَامِلِ :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ كَلَامًا تَحْمَلُ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارًا^(٢)
 عَلَى قَرْمَاءٍ عَالِيَةٍ شَوَاهُ كَأَنَّ بَيَاضَ غَرَّتِهِ يَخَارًا^(٣)
 وَمَا يُدْرِيكَ مَا قَفَرِي إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَّوْا أَوْ أَغَارُوا^(٤)
 وَيُخْضِرُ فَوْقَ جُهْدِ الْخَضِرِ نَضًّا بِصَيْدِكَ هَلِالًا وَالْمَخْرُورَ^(٥)

أَيُّ بِصَيْدِكَ . وَنَافِلًا : ثَانِيًا ، وَرَارَ : ذَائِبٌ مِنَ الْهَزَالِ ؛ وَحِكَايَةُ السُّلَيْكِ ،
 عَنْ أَبِي عَمِيْدَةَ ، وَحِكَايَةُ الشَّنْفَرِيِّ عَنْهُ وَعَنِ الشَّيْبَانِيِّ ؛ وَكَلَّمَا عَلَى اخْتِصَارٍ .
 وَنَزَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ كِنَانَةَ ضَيْفًا ، فَأَكْرَمُوهُ ، وَجَمَعُوا لَهُ إِبِلًا كَثِيرَةً ،
 وَأَعْطَوْهُ إِيَّاهَا ، وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَشَاحَ ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَانْتَقَصَ عَدُوُّهُ ، فَقَالُوا
 لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَرِينَا مَا بَقِيَ مِنْ عَدُوِّكَ ! قَالَ : نَعَمْ ، ابْعَثُوا لِي أَرْبَعِينَ شَابًا ،

(١) الْأَغَانِي ٢٠ : ٣٥٣ (طَبْعَةُ بَيْرُوت)

(٢) الْكَامِلُ ٣ : ٣ : ٦٩ ، قَالَ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ : الْمَحَارُ : الصَّدَقَةُ ، يَرِيدُ الْمَلَاسَةَ
 وَأَنَّهُ قَدْ ارْتَفَعَتْ قَوَائِمُهُ لِمَوْتِهِ . وَالْأَصْلُ : جَمْعُ أَصِيلٍ ، وَالْأَصِيلُ : الْعَشِي .

(٣) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : قَرْمَاءُ ، مَمْدُودَةٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ : وَشَوَاهُ : قَوَائِمُهُ .

(٤) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَلَوْ أَوْ أَغَارُوا ؛ إِذَا طَلَبُوا أَوْ هَرَبُوا .

(٥) قَوْلُهُ . هُ بِصَيْدِكَ ، أَيُّ بِصَيْدِكَ ، يُقَالُ : صَدَنَكَ ظِيْبًا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ يُخْشِرُونَ ﴾ .

وأتوني بدرع ثقيلة عظيمة ، فأتوا بها واختاروا من شبانهم أربعين أقوياء .
عدائين ، فلبس سليلك الدرع ، ثم قال للشبان : الحقوني ، ثم عدا عدواً وسطاً ،
وعدا الشبان وراءه جهدهم ، فلم يحقوه حتى غاب عنهم ، ثم كرّ راجعاً حتى عاد
إلى القوم وحده يخطر ، والدرع عليه ، وسبق الشبان .

وخرج في ليلة مقمرة يطلب الإغارة ، فغلب عليه النوم آخر الليل ، فبينما هو
ملتف بكساء ، جثم عليه رجل مثله ، شديد البأس ، عظيم القوة ، وأمسك على
يديه ، ومنعه التحرك ، وجعل يلزمه ويؤذيه ، ويقول له : استأسر يا خبيث ،
فاجتهد سليلك حتى خلص إحدى يديه ، فضمّ الرجل إليه خنّمة ، وعصره عصرة ،
فصرط ، فقال له : أضربتاً وأنت الأعلى^(١) ! فأرسلها مثلاً ، فلما تخلص منه ،
قال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت قنيت : لأخرجنّ ولا أرجع إلى
أهلي حتى آتيهم وأنا غني . فقال له السليلك : انطلق معي ، فانطلقا فوجدوا ثالثاً ،
قصته قصتهما ، فاصطحبوا حتى أتوا وادياً لمُراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعَم ،
قد ملأ نواحيه من كثرته ، فقال لهما السليلك : كونا قريباً مني حتى آتي الرّعاء ،
فألم علم الحى : أهو قريب أم بعيد ؟ فإن كان قريباً رجعت ، وإن كان بعيداً
أوحيت إليكما بقولي فأغيرا . فأتى الرّعاء فاستخبرهم عن الحى ، فأخبروه
ببعد الحى ، وأنهم إن طلبوا لم يدركوا ، فقال للرّعاء : ألا أغنيكم ؟ قالوا :
بلى ، فرفع صوته فغنى :

يا صاحبي ألا لا حى في الوادى سوى عبيد وآم بين أذواد^(٢)
أتنظران قريباً ريث غفاتهم أم تغدوان فإن الريح للعادى !
فلما سمعا ذلك أتياه ، وطرّدوا الإبل فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصربخ الحى ،
حتى فاتوا بالإبل^(٣) .

(١) المبدأى ١ : ٤٢٠ ، ٣ : ١٣٠

(٢) الريح هنا : القوة

(٣) الشعر والشعراء ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

قال ابن الأعرابي : آم مقلوب آيم ، وهم العزّاب ، جمع أمة^(١) .
 وكان السليك من أدلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وكان يستودع
 ثلثاء بيض النعام في الشتاء ، ويدفنه في المفاوز العظيمة ، فإذا كان الصيف
 وانقطعت إغارة الخيل أغار على ربيعة ، وشرب من ذلك الماء . وكان يقول :
 اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، وأما الهيبة فلا هيبة .

* * *

قوله : «عدوته» ، العدو بالكسر : الحالة ، وبالفتح المرة الواحدة ، فيريد
 الحريرى أن يسراعهما إلى الوالى كان كعدوة السليك .

* * *

فلما حضره ، جدّد الشيخ دعواه ، واستدعى عدواه ، فاستنطق
 الغلام وقد فتنه بمحاسن غرته ، وطرّ عقله بتصفيف طرّيه ، فقال :
 إنها أفيكة أفاك ، على غير سفاك ؛ وعضيّة مختال ، على من لبس
 بمختال . فقال الوالى للشيخ : إن شهد لك عدلان من المسلمين ،
 وإلا فاستوف منه اليمين . فقال الشيخ : إنه جدّ له خاسيا ،
 وأفاح دمه خاليا ، فأنى لي شاهد ، ولم يكن ثمّ مشاهد ! ولكن
 ولّني تلقينه اليمين ، ليبين لك : أصدق أم يمين ! فقال له : أنت
 المالك لذلك ؛ مع وجدك المتهاك ، على ابنك الهاك !

* * *

واستدعى عدواه ، أى طلب إغاثة وأعداء الحاكم : أغاثه . استنطق :
 أمره أن ينطق ، وقد بين سرّ هذا الاستنطاق في الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام .

(١) نقله في اللسان ١٨ : ٤٧ .

قال : « ثم استنطقته عن اسمه ، لا لرغبة في علمه ، بل لأنظر أين فصاحته من صباحته ، وكيف لهجته من بهجته ^(١) » . وكذلك لم يُرد الوالى أن يستنطقه ليقول حجته ؛ بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته . وقد ذكرنا أن فائدة الحسن إنما تدور على اللسان .

[إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره]

وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب بإبراهيم بن سيار النظام ، الذى هو إمام فى علم الكلام إلى علاقة غلام ؛ وذلك أنه لَقِيَ غلاماً جميلَ الوجه ، مقبول الصورة ، فاستخسنه ، وتصوّرفيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة ، فقال له : يا غلام ، إنه لولا ما سبق من قول الحكماء ، لما جعلوا السبيل لثلى إلى مثلك . بقولهم : لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول ، ولا أن يكبر عن أن يقال له ، أما أنستُ إلى مخاطبتك ، ولا انشرح صدرى إلى محادثتك ، لكنه سبب الإخاء وعقد المودة ، ومحلك من قلبى محلّ الروح من جسد الجبان ، فقال له الغلام - وهو لا يعرفه : لئن قلتَ ذلك أيُّها الرجل ، لقد قال أستاذنا إبراهيم بن سيار النظام : الطباع تجاذب ما شاكلها بالجانسة ، وتميل إلى ما قارنها بالمواقفة ، وكيانى مائل إلى كيانتك بكليتى ؛ ولو كان الذى انطوى عليه لك عرضاً لم أعتد به ودّاً ، ولكنه جوهر جسمى ، فبقاؤه ببقاء النفس ، وعدمه بعدمها ، وأقول كما قال الهذلى :

فتبتنى أنى بكم كلفٌ ثم اصنعى ما شئت عن علمٍ ^(٢)

فقال له النظام : إنما كلمتك بما سمعت ، وأنت عندى حسن الصورة غلام ، ولولا أن محلك محلٌّ مقيم ما تعرّضت لك ، ثم اعتلقه النظام بعد ، وقال فيه جرياً على علمه :

(١) متن المقامات ص ٢٧٣ (طبع الحسينية) .

(٢) ديوان الهذليين ٩٧٣ ، ونسبه إلى أبى سفر (طبعة مدنى) .

توهمه طرفى فآلم خدّه فصار مكان الوهم من نظرى أتر^(١)
 وصالحه كفى فآلم كفه فمن لم كفى فى أنامله عقر
 ومرّ بفكرى خاطراً فجرحته ولم أر خلقاً قطّ يجرحه الفكر^(٢)
 وقال فيه أيضاً :

وإذ تأمل فى الزجاجة ظلّه جرحته لحظة مقلة الظلّ
 وقال فيه أيضاً :

أفرغ من نور سماوى مصوّر فى جسم إنسى
 وافتقر الحسن إلى حسنه فجلّ عن تحديد كفى
 وقال فيه :

يا مشرقاً ملاً العيو ن فلحظها ما يستقل^(٣)
 أوفى على شمس الضحى حتى كأنّ الشمس ظلّ
 أتريد قتلى عامداً وأفتلّ مثلى ما يحلّ !

فصرف فى شعره من صناعته ، وأبدع فى تخيله ببراecته .

* * *

قوله : « غرته » ، أى وجهه . طرّ ، أى قطع وأذهب . نصف طرّته : شعره .
 المعتدل على جبهته . أفىكة أفاك : كذبة كذاب . سفاك : قتال . عضيهة : بهتان .
 وباطل . مغتال : قاتل الغيلة . استوف : استكمل . جدّله : صرّعه وألقاه على

(١) أمالى المرتضى ١ : ١٨٨

(٢) بمدح أمالى المرتضى :

يمرّ فمن لينٍ وحُسنٍ تعطفٍ يقال به سكرٌ وليس به سُكرٌ

(٣) ديوان المعانى ١ : ٢٣١

الجدالة ، وهى الأرض : خاسياً : متباعداً ممنوع الكلام ، كأنه فهره ومنعه أن يصيح عند قتله ، ولذلك لم يجد عليه شاهداً ، وأصله الهمزة فسهله ليوافق « خاليا » إن أخذته من خسات الكلب ، وإن أخذته من خسى البصر إذا كلب ، فلا تسهيل فيه ، ومعناه قريب من الأول ، أى أنه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله . أفاح دمه ، بجاء مهملة : أراقه . قال أبو زيد فى نوادره : أفحت دمه ففاح فيحاً وفيحانا ، وأنشد :

نحن قتلنا الملك الجعججاً ولم ندع لسرح مراحاً
* إلا دباراً أو دماً مفاحاً *

وقال أبو حاتم : أراد : ودماً مفاحاً أى مهراقاً . خاليا : بمعنى « منفرداً » . أنى ، بمعنى كيف . مُشاهد : من شاهد حاله وحضر عليها . ولئى : مكئى . تلقينه : تفهيمه وإلقاءه عليه . يمين : يكذب . وجدك : حزنك . التهاالك : الكثير التفاوت ، وتهاالكت المرأة عليه : تراخت عليه ، وتكاسلت ، قال الأعشى ^(١) :
تهاالك حتى ينكر المرء عقله وتُسبى الحكيم ذا الحجبى بالتقتل ^(٢)

فقال الشيخ للغلام : قلب : والذى زين الجبابة بالطرر ،
والعيون بالخور ، والحواجب بالبلج ، والعباسم بالفلج ،
والجفون بالسقم ، والأنوف بالشمم ، والخدود باللآب ، والثغور
بالشذب ، والبنان بالترف ، والخصور بالهيف ، إننى ما قتلت أبك

(١) اللسان - فيح ، ونسبه إلى ابن حرب بن عقيل .

(٢) ديوان الأعشى ٣٥٣

(٣) الديوان : « حتى ينكر المرء عقله » . وتهاالكت المرأة فى مشيها : تمايلت .

سَهْوًا وَلَا عَمْدًا ، وَلَا جَعَلْتُ هَامَتَهُ لِسِنِّي غَمْدًا ، وَإِلَّا فَرَمَى اللَّهُ
جَفَنِي بِالْعَمَشِ ، وَخَذَى بِالنَّمَشِ ، وَطَرَّتِي بِالْجَلَخِ ، وَطَلَعِي بِالْبَلَعِ ،
وَوَرَدَّتِي بِالْبَهَارِ ، وَمِسْكَتِي بِالْبُخَارِ ، وَبَذَرِي بِالْمَحَاقِ ، وَفِضَّتِي
بِالْخِتِرَاقِ ، وَشُعَائِي بِالْإِظْلَامِ ، وَدَوَاتِي بِالْأَقْلَامِ .

• • •

قوله : « الذي زين الجباه بالطرر ... » ، إلى آخر يمينه ، إنما ذكر صفات
الحسن شيئاً بعد شيء ، ليُرى هذا الوالى كمال الغلام ، فيشتدّ حبه فيه ، فإذا ذكر صفة
من صفاته تبه الوالى بذكرها على النظر إليها ، فوجدوها كما يصف ، فهو الآن فى
هذه اليمين يجأو محاسن الغلام عليه .

الطَّرَر : جمع طُرّة ، وهى اعتدال الشعر على الجبهة ، والطُّرّة عندهم أن يقطع
للجارية من مقدّم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها ، فيبقى ما بين شعر
ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقياً ، والشعر عليها معتدل ، كطُرّة الثوب ثم تستى .
الشعور الحسان طُرراً .

أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث فائتات : الشعر
الحسن ، والوجه الحسن ، والصوت الحسن » .

عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ملائكة السماء
يستبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال ، فيقولون : سبحان الذى زين الرجال
باللهى ، والنساء بالدوائب » .

قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن
شعرها كما يسأل عن وجهها » .

قالوا : الشعر الحسن يزيد الوجه حسناً وجمالاً ، وقال ابن صارة^(١) - وكأنه وصف طرة هذا الغلام - يصف بها أبا الفضل بن الأعم ، وكان من أجل الناس وأذكهم^(٢) في علم النحو والأدب ، وقرأ النحو قبل أن يلتحق ، فقال فيه :

أكرم نجعفر اللبيب فإنه مازال يوضح مُشْكِلَ «الإيضاح»^(٣)
 ماء الجمال بخدّه متفرقٌ فالعين منه تجول في ضَعَضَاحٍ^(٤)
 ما خدّه جرحته عيني ، إنمّا صَبَفَتْ غِلَالَتَهُ دِمَاءَهُ جِرَاحِي
 لله زائٍ زرجد في عجدٍ في جوهرٍ في كَوَثَرٍ في رَاحِ
 ذى طُرّةٍ سَبَجِيّةٍ ذى غَمَرَةٍ عاجية كالليل والإضباح
 رشاً له خدّ البرى والحظي أبداً شريك الموت في الأزواج

* * *

[مما قيل في أنواع الحسن والجمال]

ونذكر بعد هذا الخور في العينين ، وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل ، وكل ذلك عندهم ممدوح . وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر ، على أننا نلّم ببعض ما قيل في ذلك ، وأما ما يزهد فيه من ذلك ، ويقلّ ذكره في أشعارهم فالزرق ؛ على أنه قد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الزرق في العينين يُمن» .

(١) ط : « صارمة » ، أصحيف . (٢) فتح الطيب : « وأذكاهم » .

(٣) فتح الطيب ٥ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، وكتاب الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي .

(٤) الضعضاح : الماء القليل .

وقال معاوية لضحار العبدى : إنك أحر ، قال : والذهب أحر ، قال :
إنك لأزرق ، قال : والبازى أزرق .

ولبعض أصحابنا :

أحبك أن قالوا بعينيك زُرْقَةً كذاك عِناق الطير زُرْقَى عيونها

وقال الصنوبرى :

قالوا به زُرْقَةً ، قلت لهم بذاك تمت خصالُه البَهْجَةُ^(١)
ما كحل العين مثل زُرْقَتِها كم بين ياقوتة إلى سَبْجَةٍ!

وقال آخر :

ما مثلُ ذا الظبي في الظباء الأزرق الأزرق القَبَاءُ
يجول في مقلتيه طرفي في زُرْقَةِ المَاءِ والسَّمَاءِ
يا أبى الشَّقر ما عليهم من ذلك النُّور والبَهَاءِ
شُقرَّةٌ شمسٍ على بياضٍ شعاع شمس على هَوَاءِ

وكلّ هذا اعتذار جاء على وَفْق مدح سواد الألوان ، ولسواد الألوان في
التاسعة فصل مستظرف قف عليه .

واختلفوا في الحَوَر ، فقال أبو عبيدة : الحوراء : الشديدة بياض بياض العين
في شدة سواد سوادها .

وقال أبو عمرو : الظبية الحوراء : السوداء العين التى ليس في عيناها بياض ،
ولا يكون هذا في الإنس إنما يكون في الوحوش .

وقال يعقوب : الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض .

وقال قطرب : الحوراء : الحسنة الحاجر ، صغرت العين أم كبرت .

واشتقاق « ح و ر » يدل على صحة قول يعقوب وأبي عبيدة ؛ لأنهم إنما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحواري للدرمك الشديد البياض ونحوه ، وقلما يتفق شدة بياض العين إلا مع شدة سوادها ، ألا ترى أن بياضها مع الزرق ليس هناك في النقاء ، وقال القاضي التنوخي في أحور :

حَوْرٌ بعينه أطال تحيّر ترك الدموع بخدّي المتعصفر^(١)

غصنٌ تأوّد فوق غصنٍ من نقّ ليل تبلّح عن نهارٍ مُستفِر

كالشمس إلا أنه متنفّس عن مسكةٍ متبسمٍ عن جوهر

والبلّج : أن يكون ما بين الحاجبين نقياً من الشعر ، وهو من علامات

السيادة عند العرب ، ويُتمدّح به ويُتيمن بصاحبه ، ويُتطّير بمقرون الحاجبين ؛

ويقال : أبلج وأبلد ، وهي البلجة والبلدة ، قال كثير :

جميلُ الحَيّا أبلجُ الوجه واضحٌ حلیم إذا ما زلزلته الزلازلُ

النّاج : أن يكون بين منابت الأسنان تباعد ، وقد فاج ثفره فلجاً ، وهو

مستحبٌ في الثفر . قال وجيه الدولة : وهو مما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافاً

ذكرها الحريري رحمه الله هنا :

إذا عدم الرّوضَ النورَ ناظري أرائيه ظبيّ فاطر الطّرف أدعجُ

فصدّغاه ریحاني وعیناة ترّجسی ومن ثفره لی أقحوان مفالجُ

وواحرَ بآ من حسن وردٍ بخدّه يُطيف به من عارضیه بنفسجُ

(١) الأبيات في نونية الدهر ٢ : ٣١٨ .

(٢) بعمده في النونية :

وأطالَ مِنْ ليلي وقصر ليله أتى سهرت وأنه لم يسهر

الجنون : أغشية العيون ، ثم تسمى العين جفنًا مجازاً .

والسقم : فتور العين ، ومن حسن التشبيه في ذلك قول أبي نواس :

فطبَّ بِحَدِيثٍ مِنْ نَدِيمٍ مُسَاعِدٍ وَسَاقِيَةٍ بَيْنَ الرَّاهِقِ وَالْخَلْمِ^(١)
ضَمِيفَةً كَرَّ الطَّرْفُ تَحْزِيبُ أَهْلِهَا قَرِيبَةً عَهْدَ الْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمٍ

وقال أيضاً :

وشادنٍ قال لي أنسا رأيت سقمي

وضعف جسمي والدَّمع الذي انسجماً

أخذت دمعك من لفتي ، وجسمك من

خصري ، وسقمك من طرفي الذي سقمًا

وقال ابن الرومي :

قلبي من الطرف السقيم سقيم لو أن من أشكو إليه رحيم

وقال ابن الزقاق :

ومقلع شادنٍ أودت بجسمي كأنَّ الثُّمَّ لِي وَلَهَا لِبَاسُ^(٢)

يسلَّ اللَّحْظُ مِنْهَا مَشْرِئِيَا لِقَتْلِي ثُمَّ بَعْدَ — دُهُ النَّعَاسُ

ولأبي العلاء بن زهر في مثل ذلك :

يا راشقي بسهامِ ما لها غرضُ إلا فؤادي وما منها له عِوَضُ

(١) ديوانه ٣٢ ، حاشية ابن الجرجي ١٩٥ ، وذكر البيت الثاني وبعده :

تفوتني مالي من طريف وتاليد تفوتني الصَّهْبَاءُ مِنْ حَلَبِ الْكُرْمِ

قال : قوله « تفوتني مالي » هو من الفوات ؛ وهو ما بين الحلبين .

(٢) ديوانه ١٩٠

ومرضى بجفون كلِّها سقمٌ صحَّتْ وفي طبعها التمريضُ والمرضُ
 آمن ولو بخيالٍ منك يؤنسني فقد يبدُ مسدَّ الجواهر العَرْضُ
 الشمم : ارتفاع في لين الأنف ، وهو من علامات الجمال والسودد ،
 قال الفرزدق :

بسكفه خَيْرُ رَأْنٍ رِيحُهُ عَبَقٌ من كَفَّ أَرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمٌ^(١)
 يُغْضِي حياءَ وَيُغْضِي من مَهَابَتِهِ فلا بِكَلَمٍ إِلَّا حينَ يَنْسَمُ
 وقال آخر :

في باعه طولٌ وفي وجهه نورٌ وفي العرين منه شَمَمٌ
 وقال النابغة^(٢) :

* شَمَّ العرائنَ ضَرَّابُونَ لِلْهَامِ *

الذهب : اشتعال النار بغير دخان ، فشبه الحرارة في الخدِّ وضياؤه بحمرة النار ،
 كُنِيَ به أبو لهب لجماله .

وقال ابن وكيع : فجمع السقم والذهب :

واحزني من جفون ظبي أقام عُنْزِي بها عِذارُهُ^(٣)
 أسقم جسمي بسقم طرفٍ حَبَّرَنِي في الهوى اخوَرَّارُهُ
 عجبت من جمرٍ وجنتيه يحرقني دونه استعمارُهُ
 هو اختياري فأبصروه^(٤) شاهدُ عقلٍ التي اختيارُهُ

(١) ديوان الحماسة - بشرح المرزوقي ١ ، ١٦ .

(٢) ديوانه ٧٣ ، صدره :

* مستحقني حَقَّ الماذي يَقدُّمُهُم *

(٣) ينمية الدهر ١ : ٣٤٢ ، وفيه : « واحزني » .

(٤) البنية : « هذا اختياري » .

وله قريب منه :

كَأَنَّ صَدْعًا لَهُ تَرَاهُ وهو على خذّه مُدَارٌ^(١)
يَتَّ مِنْ الْحَسَنِ لِي إِلَيْهِ حَجٌّ مَدَى الدَّهْرِ وَاعْتِمَارٌ
وَلَا بِنَ الزَّقَاقِ :

بَأَبَى مَنْ لَمْ يَدْعُ لِي لِحُظِّهِ فِي الْهَوَى مِنْ رَمَقٍ مِنْذُ رَمَقٍ^(٢)
جَعَلَتْ نَكَبَتُهُ فِي تَفْسِهِ عَبَقًا فِي نَسَقٍ يَسِي الْحَدَقِ
وَبَدَتْ خَجَلَتُهُ فِي خَذِهِ شَقَقًا فِي فَلَقٍ تَحْتَ غَسَقِ
وَقَالَ الْخَفَاجِي^(٣) :

يَابَانَةُ تَهْتَزُّ قَيْنَانَةً وَرَوْضَةٌ تَنْفَحُ مِعْطَارًا
كَمْ دَمَعِ عَيْنٍ فِيكَ قَدْ أَجْرِيَتْهُ وَقَابَ صَبَّ فِيكَ قَدْ طَارَا
كَتَنِي فَسَبَى قَوْسَهُ حَاجِبًا رَمَزًا وَسَمَى النَّبْلَ أَشْفَارًا
فَإِنْ رَمَى يَجْرَحُنِي طَرَفُهُ لَحَظَّتْهُ أَجْرَحُهُ ثَارَا
فِيصْبِغُ الدَّرَّ عَقِيقًا بِهِ وَأَصْبِغُ الْأَلْوَانَ أَزْهَارًا^(٤)
يُدِيرُ لِلْأَعْيُنِ مِنْ وَجْهِهِ كَعْبَةً حُسْنٍ حَيْثُمَا دَارَا
قَدْ طَبَعَ الْحَسَنُ بِهِ دَرَاهِمًا تَسْلِكُ مِنْهُ الْعَيْنُ دِينَارًا
فَلِي بِهِ عَيْنٌ مَجْوسِيَّةٌ تَعْبُدُ مِنْ وَجَنَتِهِ نَارَا

غيره :

وَأُعِيدُ تَذْمِي وَجَنَتَاهُ مِنَ اللَّحْمِ تَخْلُقُ إِلَّا مِنْ صُدُودِي بِالشُّعْ
غَدَا قَاتِلِي أَنْ ظَلْتُ أَجْرَحُ خَذَهُ مَتَى صَارَ بِالْقَتْلِ الْقِصَاصُ مِنَ الْجَرْحِ !

(١) بنية الدهر ١ : ٣٢٣ .

(٢) ديوانه ٢٠٨ .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خلفاجة ، ويعرف بالخفاجي أيضا ، والأبيات في ديوانه ١٢٥ .

(٤) الديوان ٥ وأصبع النوار ٤ .

الشفور : جمع ثغر وهو السن . وتقدم الشذب في الثانية .

وقال العباس بن الأحنف في طيب الفم :

ذكرتكِ بالتفاح لما شممتُهُ وبالراح لما قابلتِ أوجهَ الشربِ^(١)
وتذكرتِ بالتفاح منكِ سوا الفأ وبالراح طعماً من مقبلِكِ العذبِ

وقال ديك الجن ، واسمه عبد السلام :

يا بى فمٌ شهد الضميرُ له قبل اللهاقِ بأنه عذبُ
كشهادةِ لله خالصـةً قبل العيانِ بأنه الربُّ

وقال أحمد بن محمد الصائغ :

له مبسمٌ برقه خاطفٌ عقولَ الرجالِ إذا ما ابتسمُ
أقولُ له إذ بدا دُرّه شهدنا لصانه بالحكمِ
أرى الدرّ تشبه الناظمونَ وما تقبوا إذا فكيف انتظامُ!

وقال أبو بكر البلوى :

تقطِفُ من ثغره ووجنته أناملُ الطرفِ زهرةَ عجبنا
شقيقها مذهباً يرى خجلاً وأقحواناً مفضضاً شنباً

وقال ابن بشر الكاتب :^(٢)

ولم نزلْ ، والظلام حارسنا جسمينِ مستودعينِ في جسمِ
ألتمهُ في الدُّجَى وبرق ثنا ياهُ يربى مواقعَ اللثمِ

(١) ديوانه ٤٤

(٢) هو الحسن بن علي بن بشر الكاتب ، والأبيات في نهاية الأرب ٢ : ١٠٤

ثم افترقنا عند الصباح وقد أتر فيه كهيئة الخاتم

وقال الشريف الرضي :

بقنا فجميعين في ثوبى هوى ونقى بمنى الشوق من فرق إلى قدم^(١)
وبات بارق ذاك الشجر يوضح لى مواقع اللثم في داج من الظلم

وقال المتنبي :

حسان النشئ ينقش الوشى مثله إذا مشن في أثوابهن النواعم^(٢)
ويستمن عن دري قلدن مثله كأن التراقي وشحت بالمبايم

فهذه معاني مختلفة في أوصاف الشعر كلها حسان .

* * *

قوله : « والبنان بالتrof » ، أى الأصابع باللين والنعمة ، وأحسن ما قيل في

ذلك قول النابغة :

بمخضب رخص كان بناة غم بكاد من اللطافة يعقد^(٣)

فهذا تشبيه بدیع .

وقال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شئن كأنه أسارع خطي أو مساويك إسجل^(٤)

وقال غيره :

يا قمرأ أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب^(٥)

(١) ديوانه ٧٢٣

(٢) ديوانه ٢ : ١١١ ، : وفيه : « و أجسامهن » .

(٣) ديوانه ٣٠

(٤) ديوانه ١٧

(٥) لأبي نواس ، ديوانه ٣٦١ ، مختار الأغاني ٣ : ١٣٠

أبرزه الماتم لي كارهاً من بين رايات وحجاب
يبكى فيذري الدر من نرجس وبلطم الوردة بعناب
وقال عكاشة^(١) :

سقىا لمنزلنا الذي كا به يوم الخميس عشيةً أصحاباً
إذ نحن نسقاها شمولاً قرناً ندع الصحيح بعقله مرتاباً
من كف جارية كأن بناتها من فضة قد قومت عتاباً
وكان يمتاها إذا ضربت بها تلقى على يدها الشمال حساباً

وقال آخر :

وحوراء اللواحق بين قلبي وبين جفونها حرب البسوس
تري ماء النعيم يحول فيها كمثل الحرف في صافي الكتوس
كأن بناتها أقلام عاجٍ مرصعة الرأس بآبنوس

ووصف الخصور بالهيف ، وهو الضمر والرقعة ، وسندكر معها ما يستظرفه

وقد تقدم قول ابن عبد ربه :

يا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ ما بال قلبك لا يكون رقيقاً^(٢)

وقال ابن الرومي :

وهبت له عيني الهجوعاً فاثابها منه الدُّمُوعاً
ظلي كأن بخضره من ضميره ظمأ وجوعاً

(١) هو عكاشة بن عبد الصمد العمي ، منسوب إلى بني العم ، من شعراء الأغاني ،
والأبيات في مختار الأغاني ٤ : ٥٠٨ .

(٢) مطمح الأنس ٥٢ .

وقال عبيد^(١) الله بن عبد الله :

سَلَمَى وما سَلَمَى تَفُوقُ الْمَنَى
وَسَاحِبَهَا يَحْمَدُ خَلْجَآلَهَا
وَالْحُسْنَ أَوْصَافًا وَأَلْوَانًا
كَجَانِحٍ يَحْسُدُ شَبَعَانَا

وقال كشاجم في مقلوبه :

مَدْرَئَةُ الْكَلِّ غَيْرُ بَطْنٍ
حَجُّوْهَا الدَّهْرَ فِي اضْطِرَابٍ
مَنْقَلٍ فَهِيَ نَعْفَكَبُوتُ
وَوَشَحَهَا كَاطِمٌ صَمُوتُ

وقال حبيب :

مَهْمَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ
مَنْ الْهَيْفَ لَوْ أَنْ الْخَلَائِلَ صُيِّرَتْ
قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ^(٢)
لَهَا وَشُجًّا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَائِلُ

أخذه القاضي ابن لبّال فقال :

جَلُوتَ لَنَا شَيْئًا مِنَ الدَّرِّ عَاطِلًا
فَقَالَتْ وَلَمْ تَكْذِبْ خَشِيتُ سُقُوطَهُ
بَعِثِكَ لِمِ جَنْبَتِهِ الْجِيدَ وَالنَّجْرَا
وَأَوَمْتُ إِلَى فِيهَا فَنَظَّمْتُهُ ثَغْرَا
كَذَلِكَ إِنْ عَضَّ السَّوَارُ بِتَمَصِّمِي
وَحَازَرْتُ أَنْ يَدْمِيهِ حَمَلَتُهُ الْخَصْرَا

وأكثر ما يذكرون الخضر بالرقعة مع ذكر الكفل بالعظم ، كما قال

ديك الجن :

وَتَمَايَلْتُ فَضَحَكْتُ مِنْ أَرْدَاوِيهَا
تَسْقِيكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا
عَجَبًا ، وَلَيْكِنِّي بَكَيْتُ لَخْصَرِهَا^(٣)
وَرَدِيَةً ، وَمُدَامَةٍ مِنْ ثَغْرِهَا

وقال القاضي أبو حفص بن عمر :

(١) ط : « عبادة » ، وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وأخباره وشعره في
أمن خلكان ١ : ٢٧٣ ، والبيتان في ديوان المعاني ١ : ٢٥٠ .

(٢) ديوانه ٢٥٦

(٣) الأغاني ١٤ : ٥٥ .

مشت كالقطن يثنيه الذسيمُ ويمدوه الذسيمُ فيستقيمُ
لها ردْفٌ تعلق من ضعيفٍ وذلك الردْفُ لي ولها ظَلومُ
يعذبني إذا فكرت فيه ويتعبها إذا رامت تقومُ
وما حُبِّي لها إلا عذابٌ عليه من نضارتها نعيمُ

* * *

قوله: «سهواً». أي خطأ. والهامه: الرأس. وإلا فرمى الله جفني بالعمش،
إنما ذكر العمش والنمش وما بعده لأنها أضداد لما تقدم، وعند الإشارة لها بتبيين
من الغلام عند الوالي أضدادها، فيزداد حسناً.

* وبضدّها تتبينُ الأشياءُ * (١)

والعمش: انتشار شعر العينين. والنمش: أخفى من البرش. الجاح: الصلح،
وهو انحسار الشعر من النزعتين، وفعله جاح الرجل واجاح، كاسود. والطلع:
قد تقدم في الثانية، وإذا علته خضرة سُمي بلعاً. والبهار: نرجس المغرب،
وهو أصفر، والورد أحمر، فدعا له بعلّة تذهب جمال وجهه وتصفر حمرة خده.
والبخار: كالبخار: الذنن. والمسكة: أطيب المطر، فدعا له بتغير الرائحة. وتقدم
أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة. وتقدم في الثانية معنى قوله:
«ووردني بالبهار» منظرماً، وقال الصابي في البحر:

نطق ابن نصرٍ فاستطارت جيفةٌ في العالمين لنتن فيه الفاسدِ (٢)
فكانَ أهل الأرض كلهم فسواً متواطئين على اتفاقٍ واحدٍ
وقالت جنان في أبي نواس:

فإذا ما أردت أن تحمد اللهَ على ما أعطى وأولاك شُكراً
فليكن ذاك بالضمير فمن سَبَّحَ بالفسو نال إنمّا ووِزراً

(١) المتن ديوانه ١ : ٢٢ ، ومصدره :

* ونذيمهم وبهم عرفنا فضاهُ *

(٢) ينبة الدهر ٢ : ٢٦٣ .

وقال آخر :

أهدى زريق قطه لقمه قد لا كها في فم الأبتخر
فبادر القط إلى دفتها بحسبها من بعض ما قد خرى

قوله : «وبدرى بالمعاق» ، المعاق : أن يتمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شيء .
واحتراق الفضة : اسودادها . وشُعاعى بالظلام ، أى صباحة وجهه ووضاءته
بسواد اللحية ، أى عاجلنى لله بالالتحاء ، ويريد بهذا كله أن يكسو بياض
وجهه سواد الشعر ، فيكسد ولا يُلتفتُ إليه .

وقال ابن المعتز في مثل هذا الدعاء :

يا رب إن لم يكن فى وصله طمع وليس لى فرج من طول هجرته^(١)
فاشف السقام الذى فى طرف مقاته واستر ملاحه خداه باحيته
ونقل لفظ احتراق الفضة من قول أبى الحسين النعمانى^(٢) ، وهو من شعراء اليزيدية :

لى حبيب يزهى بحسن عجب وبقد مثل القضب الرطيب
أحدثت بالسواد فضة خد ه ، قد أحرقت سواد القلوب

[ذكر العذار والالتحاء]

ونذكر هنا ما يلىق بهذا الموضع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح
به ودُم ، قال ابن عبد ربه :

ومعذر نقش الجلال بمشكه خدًا له بدم القلوب مضرًا^(٣)
لما تيقن أن سيف جنونه من نرجس جمل النجاد بنفـجـا

وقال ابن صارة^(٤) :

(١) ديوانه ١ : ٧١

(٢) هو أبو الحسين محمد بن عمر النعمانى الكاتب ، من شعراء العراق ، والبيتان فى
اليزيدية ٢ : ٣٤٦ . (٣) المقدم ١ : ٣٣

(٤) ط : « صارمة » ، تصحيف ، والبيتان فى نهاية الأرب ٢ : ٨٦ .

ومعذر رقت حواشي حسنه
لم يكس عارضه السواد وإنما
وقال عبد المحسن الصوري :

ومعذر العذار إلى فؤادي
وكم أعرضت عنه فأعرضت بي
وإنما قلت إن الشعر بسعي
وقال أبو القاسم الزاهي :

لولا عذارك ما خلعت عذارى
ما كنت أحسب أن أعين أو أرى
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى
وللمعتمد بن عباد :

تم له الحسنُ بالعذار
أخضر في أبيض تبدى
لقد حوى مجلسي تماماً

وقال ابن حمدون :

ظل على خده العذار
وأبيض هذا واسود هذا
أغض عيني عنه لأنني

فقلوبنا حذرًا عليه رفاق
نفقت عليه سوادها الأخداق^(١)

لجسم سابق من مقلتيه^(٢)
عن الأعراض خضرة عارضيه
لقلبي في الخلاص سعى عليه

لكنك في وزر من الأوزار^(٣)
مخطبط ليل في بياض نهار
سقم القلوب ونزهة الأبصار

واختلط الليل بالنهار^(٤)
ذلك آبي وذأ بهاري
إن بك من ريقه عقاري

فافتضح الأس والنهار
واجتمع الليل والنهار
عليه من مقلتي أغار

(١) والبيان أيضا في الدخيرة ١ : ١ : ١٢٣ .

(٢) ينمية الدهر ١ : ٢٥٧ .

(٣) ينمية الدهر ١ : ١٩٩ .

(٤) الدخيرة ١ - في ٢ : ١١ ، ١٤ - في ٢ : ١٤ .

فهذا كله حسن في مدح العذار؛ وإن كان النذير بموت الجمال، فإذا تقوى العذار واسود؛ صاروا إلى نعيه، كما قال أبو بكر البلوي:

انظرُ إلى مَيِّتٍ وَلَكِنَّهُ خَلَوْا مِنَ الْأَكْفَانِ وَالْفَاسِلِ
قد كتب الدهر على خدّه بالشعر: هذا آخرُ الباطلِ
وله في ضده:

لَمَّا التَحَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ وَقَلْتُ رَسْمٌ قَدْ دَرَّ
عَابَتْ مِنْ طَلَّابِهِ زُمَرًا مُوَاصِلَةً زُمَرِ
وكذلك أصحاب الحديث نِفَاقِهِمْ عِنْدَ الْكِبَرِ

وكما قال أبو الحسن بن الحاج:

أَبَا جَعْفَرٍ مَاتَ فِيكَ الْجَمَالُ فَأَظْهَرَ خَدَّكَ لُبْسَ الْحِدَادِ
وقد كان ينبت زهر الرِّياضِ فَأَصْبَحَ يُنْبِتُ شَوْكَ الْقَنَادِ
أَبْنِ لِي مَتَى كَانَ بَدْرُ السَّمَاءِ يُدْرِكُ بِالْحُكُونِ أَوْ بِالْفَسَادِ!
وَهَلْ كُنْتَ فِي الْمَلِكِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ فَأَخْنَى عَلَيْكَ ظُهُورُ الْفَسَادِ
وقال سعيد بن حميد في غلام التحي:
هَلَّا وَأَنْتَ بِنَاءَ وَجْهِكَ يُسْتَقَى رَوْضُ الشَّبَابِ قَلِيلُ شَعْرِ الْعَارِضِ
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لَحْيَةٌ ذَهَبَتْ بِحَسَنِكَ مَلءَ كَفِّ الْقَابِضِ
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خَمْرُ عَصِيرِهَا بَعْدَ اللَّذَازَةِ مِثْلَ خَلِّ الْحَامِضِ
وقال علي بن بسام في أخيه جعفر^(١):

بَا مَنْ نَعَّمْتُهُ إِلَى الْإِخْوَانِ لَحْيَتُهُ أُدْبِرَتْ وَالْدَّهْرُ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ
قد كنتَ تَمَنَّيْهِ يَهْشُمُ النَّاظِرُونَ لَهُ تَغْفِرُ دُونَكَ أَسْمَاعٌ وَأَبْصَارُ
أَيَّامُ وَجْهِكَ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهُ وَلِلرِّيَاضِ عَلَى خَدِّكَ أَنْوَارُ

(١) هو علي بن محمد بن نصر بن بسام البغدادي، والأبيات في القديرة ١ - ق ١: ١١٩.

فيا لدهرٍ مضى ما كان أحسنه إذ أنت ممتنعٌ ، والشرط دينارُ
حانت منيته فاسودَّ عارضه كما تسودُّ بعد النيت الدارُ

وفيه يقول أياً :

حانت وفاتك يا أبا العباسِ فدع المكاس فلات حين مكاسِ
ما بال وجهك بعد كثرة نوره قد سودَّوه بحالك الأناسِ !
أين الدناير التي عودنها هيئات جاء الشعر بالإفلاسِ
كانت بخد ثيابه ديباجةً فاستبدلت حياءً من الأحلاسِ
وكذا البناء فقير مرتفع إذا كانت بليتة من الآساسِ

وقال مصعب الماجن :

قد صافحت أقطارَ خدك لحيةً تركته وهو مسودُّ الأقطارِ
فكان خط الشعر في جنباته ليل أقام على نجوم أو نهـارِ

وكان لحمد بن بشر بابان يُدخل من الأكبر أصحابه ، ومن الأصغر أصحابه ،
فجاء يوماً غلامٌ مليح ، وأراد الدخول من الأصغر على عادته ، فمنع ، فجعل يخاصم
البواب لإدلاله ، فبلغ ذلك ابن بشر ، فكتب إليه :

قل لمن رام مجـهـل مدخل الظبي الغـسـيرِ
بعد أن علق في خديـه به مخلاة الشعيرِ
ليته بدخل إن جا من الباب الكبيرِ

وقال ابن الأبار :

لست بصابٍ إلى معذر بل أنا في حبه معذرُ
لا أعشق الظبي ذا لجامٍ لأنه في الظباء منكرُ

أحسنُ ما فيه أن تراه بين مهاةٍ وبين جودز

ينظر قوله : «لأنه في الظبا منكر» إلى قول حبيب :

تعشّك الكبارَ يدلّ عندي على أنّ الرحيّ قلبتِ ثفالاً^(١)

وقال آخر :

لى في أبي يحيى ومعشوقيه شغل على ذى شغل شاغل

يا ليت شعري قول ذى حيرة منّ منها المفعول والفاعل !

وقال ابن حصين في محبوب صغير :

بأبي ظبي صغير السن حازت ثلث سيّ

سرّني أن ليس يدري مذهبي فيه وفني

فهو يدعوني عمّا وأنا أدمعه بابني

وللخبز أرزى :

قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في ربيع حسن دعاني لاتباع هوى

روض المحاسن حتى يدرك الثمر^(٢) لما تفتح فيه النور والزهر

وقال التّنوخى في جسيم :

من أين أستر وجدى وهو منتهك ما للمعتم في نيل الهوى درك^(٣)

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم الشّمس أعظم جسم ضمّه الفلك

والفقيه ابن حزم :

وذى عدلٍ فيمن سباني حسنه يُطيل ملاهى في الهوى ويقول^(٤) :

(١) ديوانه ٤ : ٤٢٠ (طبع المعارف)

(٢) يتيمة الدهر : ٣٣٨ .

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ٣١٨ .

(٤) الذخيرة ، القسم الأول ١ : ١٤٢ .

أفـي حـسـن وـجـهـ لـاح لـم تـر غـيـره
فـقـلـت لـه : أـسـرـفـت فـي الـلـؤـم ظـاهـراً
أـلـم تـر أـنـي ظـاهـرـي وأـنـي
ولـم تـدـر كـيـف الـجـسـم ، أـنـت قـتـيـل !
وعـنـدـي رـد لـو أـردت طـويـل
عـلـى مـا بـدأ حـتـى يـقـوم دـليـل !

وأحسن حبيب حين قال :

قـال الوـشـاء بـدا فـي الخـلد عـارـضـه
الحـسـن مـنـه عـلـى مـا كـنت أـعـهـدـه
أـحـلـى وأـعـذب مـا كـانت شـمـائـله
وـصـار مـن كـان يـلـحـى فـي مـودـته
فـقـلت لا تـنـكـروا و ما ذاك عـائـبه^(١)
والـشـعر حـزـز لـه مـن يـطـالـبه
إـذ لـاح عـارـضـه واخـضـر شـاربـه
إـن سـيـل عـنـى و عـنـه قـال صـاحـبه

وقال الحلواني :

قـالـوا التـحـى فـاتـحـت بالشـعر بـهـجـته
خـطـت يـد الحـسـن فـيـه فـوق و جـنـته
قـلـت : لـو لا اللـجـى لـم يـحـسـن التـعـر^(٢)
هـذـي مـحـاسـن - يـأ أـهـل الـهـوى - أـخـر

وله أيضاً :

لـي حـبـيـب إـذا شـكـوت إـلـيـه
لـست أـدـعو بالشـعر غـيـظاً عـلـيـه
غـيـر أـنـي أـدـعو بـقـلب نـسـيح
سـامـنـي بـالـهـوى عـذاباً شـديداً^(٣)
خـيـفـة أن يـكـون حـسناً جـديداً
أن أـراه مـثـلـي مـحـبباً عـمـيـداً

وقال غيره :

قـد حـل فـي سـوقـك الكـساد
كـأنـما الشـعر فـيـه زـرع
مـذ لـاح فـي خـدك السـواد^(٤)
والـتـنـف مـنـه لـه حـصـاد

(١) ديوانه ٤٣٢ ، وفيه : « لا تنكروا » .

(٢) نهاية الأرب ٨٥ : ٢ ، من غير نسبة الذخيرة ٤ - ١ : ٢٢٠ .

(٣) الذخيرة ق ٤ - ١ : ٢٠٠ (٤) الذخيرة ق ٤ - ١ : ٢٢٢ ونسبها إلى الحلواني أيضاً .

وقوله : « ودواتي بالأقلام » ، أي ابتلاه الله أن يلاطبه ، قال الفنجديهي :
أنشدني بعضُ الشعراء بمروروزي لبعضهم :

دوادار الأمير له دواةٌ كمثل الياسمين بغير صُوفٍ
يرى قلم الأمير بغوصٍ فيها مغاص عصيدة في حلق صوفي
ونقل لفظ الدواة والأقلام من قول ديك الجن ؛ وكان يهوى غلاماً من
خِص ، اسمه بكر ، فجلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر ، فقام بكر
لميشي ، فقال :

دع البدر فليغرب فانت لنا بدرُ إذا ما تجلّيت عن محاسنك الشفر^(١)
إذا ما اتقضى سحر الذين ببابل فانت لنا سحر وريقك لي خمرُ
ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى

لصحت بأعلى الصوت : يا بكرُ يا بكرُ !

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمنع ، فاجتال عليه قومٌ من خِص ،
فأخرجوه إلى منزله ، فأسكروه وفسقوا به ، فبلغ ذلك ديك الجن فقال :
يا بكر ما فعلت بك الأوطامُ يا دار ما فعلت بك الأيام^(٢)
في الدار بعدُ بقية نستمها أم ليس فيك بقية نشتامُ
شغل الظلامُ كراكتي أبوابهم^(٣) فتفرغت لدواتك الأقلامُ
وله فيه أيضاً :

قولا لبكر بن مهدي إذا اعتكرت

عساكر الليل بين الطامس والجسام^(٤)

(١) الأغاني ١٤ : ٦٠ ، وفيه : « من محاسنك الشفر » .

(٢) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « ما فعلت بك الأوطام » .

(٣) الأغاني : « في ديوانه » .

(٤) الأغاني ١٤ : ٦٢ ، وفيه : « قولا لبكر بن دهمرد » .

ألم أقل لك إنَّ الصَّكْبَ مَهْلَكَةٌ والْبَغْيُ والمُجْبِإُفسادٌ لأقْوَامٍ
قد كنتَ تفرِّقُ من سَهمِ تعابِنِه^(١) فصرتَ غيرَ رَمِيمٍ رَقعةَ الرَّأْيِ
وكنْتَ تفرِّعُ من لَمْسٍ ومن مُقْبَلٍ فَقَدْ ذَلَّتْ لإسراجٍ وإِجْسامِ
إن تَدَمَّ نَحْدَاكَ من ركضِ فَرَبْتِما أَمسى وقلبي منك المَوْجِعُ الدَّامِي

قال أبو علي بن رشيقي : كنت أوصي غلاماً وضيئاً ، كان يختلف إلى ،
وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه ، فأوقع به ،
فأخبرت بذلك ، فقلت :

ياسوء ما جاءت به الحالُ إن كان ما قالوا كما قالوا
ما أهدق الناس بصوغ الخنا صيغ من الخاتم خلخالُ
وهذا من قول ابن المعتز :

مَضَى خَالِدٌ والمال تسعون درهما وآب ورأس المال ثلث الدَّراهِمِ^(٢)

وهذا المعنى الخبيث يتبين بمقد التسمين والثلاثين في اليد .

وقال ابن رشيقي :

سقطت ثَنِيَّتُهُ فأوجِجَ قلبُهُ لسقوطها وجرى عليه عَظِيمُ^(٣)
فإذا مررتَ به فسلَّ فؤاده عنها وقلَّ صبراً كذاك الرِّيمُ
عجبا للؤلؤة هَوَتْ من سِلْكِهَا والسَّلكُ لا واهٍ ولا مَقْصُومُ
أَتَدَبَّأَ يا خطبُ وهو مصوّن أبداً بخاتم ربِّه مَخْتومُ

(١) الأغاني : « لغانية »

(٢) نقله في التنف ٨٠ .

(٣) نقله في التنف ٦٥ .

ويستحب لمن وُسم بوسمة الجبال ، أن يكون شديد التصاؤن ، قليل
للتبذُّل ، فذلك أدعى للسلامة ، وقد قال ابن وكيع في ذلك :

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعاً فقلت : هيهات عنكم أطيبة^(١)
لو جاد هان ، وقلت الجود عادته وإنما عَزَّ لَمَّا عَزَّ مطلبه

فإذا تبذَّل وأجاب كلَّ من دعاه صار عرضةً للظنون ، ونبت عن محاسنه
العيون ، لأنَّ النفس الحرَّة لا تنفك من غيرة ، وقد قال العباس بن الأحنف :

يا قومُ لم أهجركمُ لللالةِ مِنِّي ولا لمقالٍ واشٍ حاسدٍ^(٢)
لكنني جرَّبتكم فوجدتكمُ لا تصبرون على طعامٍ واحدٍ

وقال أبو الوليد بن حزم :

لَمَّا استمالكَ ممشراً لم أرضهمُ والقول فيك كما علمت كثيرُ
داويتُ دونك مُهيجتي فتماسكتُ من بعد ما كادت إليك تطيرُ
فأذهب فخير جوانحي لك منزلُ واسمعُ فخير وفائك الشكورُ

وله أيضاً :

يقول وقد لمتُه في الهوى فلان، وعرضت شيئاً قليلاً :
أتحمدُني؟ قلت : لا، والذي أحلك في الحب مرعى وبيلاً
وكيف وقد حلَّ ذلك الإزارُ وقد سلك الناس تلك السبيلاً

(١) يلبة الدهر ١ : ٣٣٢

(٢) ديوانه ١٠٦ ، الزهرة ١٥٠ ، الأغاني ١٥ : ١٣٢ (ساسي) ، الشعر والشعراء

وقال محمد بن السري :

قايستُ بين جماله وفعاله فإذا الملاحَةُ بالخيانةِ لا تنفي^(١)
والله لا كَلَمَته ولو أنه كالبدْرِ أو كالشمس أو كالسكتفي

وقال آخر :

أيا حسناً أزرْت قبايح فعله عليه كما أزرى الكسوف على البدرِ
لقد فُتَّت كل الناس حسناً وزينةً ولكننا قَبَّحَتْ ذلك بالفسدرِ

وقال ابن عينة :

ضمنت عهد فتى لعهدي حافظٌ في حفظه عجبٌ وفي تضيقك
إن تقتليه وتذهبي بفؤاده فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

* * *

فقال الغلامُ : الاصْطِلَاءُ بِالْبَلِيَّةِ ، وَلَا الْإِيْلَاءُ بِهِذِهِ الْأَيَّةُ ،
وَالْإِنْقِيَادَ لِلْقَوَدِ ؛ وَلَا الْحِلْفَ بِعَالَمٍ يَخْلِفُ بِهِ أَحَدٌ . وَأَبَى الشَّيْخُ
إِلَّا تَجَرِيَمَهُ الْيَمِينَ الَّتِي اخْتَرَعَهَا ، وَأَمَقَرَ لَهُ جُرْعَهَا . وَلَمْ يَزَلْ
التَّلَاحِي يَنْهَمَا يَسْتَعِيرُ ، وَمَحَجَّةُ التَّرَاضِي تَعِيرُ ، وَالْغُلَامُ فِي ضِمْنِ
تَأْيِيهِ ، يَخْلُبُ قَلْبَ الْوَالِي بَتْلَوِيهِ ، وَيُطِمْئِنُّهُ فِي أَنْ
يُلَبِّيهِ ، إِلَى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَلْبَ بِلَبِّيهِ ،
فَسَوَّلَ لَهُ الْوَجْدُ الَّذِي تِيَمُهُ ، وَالطَّمَعُ الَّذِي تَوَهُمُهُ ، أَنْ

(١) إنباء الرواة ٣ : ١٣٧ ، ابن خلكان ١ : ٥٠٣ ، وبعده هناك :

حلفت لنا ألا نَخُونُ عُهُودَنَا فكأنما حلفت لنا ألا تنفي

يُخَلِّصَ السُّلَامَ وَيَسْتَخْلِصَهُ ، وَأَنْ يُنْقِذَهُ مِنْ حَبَالَةِ الشَّيْخِ
ثُمَّ يَقْتَتِصَهُ .

• • •

قوله : «الاصطلاء» ، أى الاتصال والتلبس . والبلية ، أراد دعوة الباطل
التي ادعى عليه الشيخ . والإيلاء : الحلف . والألّية : اليمين . والقود : قتل النفس
بالنفس ، فيقول : الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التي لم يحلف
بها أحد اخترعها : استنبطها . أمتر : أمر ، من المتمر ؛ وهو الصبر .

[من ألوان من الحلف]

وهذه اليمين المخترعة ، حكى الأصمعيّ شبهها ، فقال : اختصم أعرابيان عند
بعض الولاة في دين ، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال المدعى :
دعنى من هذه الأيمان ، واحلف بما أقول لك ، فقال : ما قولك ؟ قال : قل : لا ترك
الله لك خفًا يتبع خفًا ، ولا ظلفًا يتبع ظلفًا ، وحتك من أهلك وولدك ، كما
يُحَات الورق من الشجر ؛ إن كان بقي لي هذا الحق قبلك . فأعطاه حقه ولم
يحلف له .

وحكى السعوى أن الفضل بن الربيع قال : صار^(١) إلى عبد الله بن مصعب
ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فقال : إن موسى بن عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد أرادنى على بيعته ، فأخبرت
الرشيده بذلك ، فجمع بينهما ، فقال الزبيرى لموسى : سمعتم علينا ، وأردتم نقض
بيعتنا ودولتنا ، فقال له موسى : ومن أنتم ! فغلب الرشيد الضحك حتى رفع
رأسه إلى السقف لئلا يظهر منه الضحك ، ثم قال موسى : يا أمير المؤمنين ، هذا
المشنع على ، خرج مع أخى محمد على جدك المنصور ، وهو القائل [من أبيات]^(٢) :
قوموا ببيعتهكم نهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بنى الحسن

(١) ط : « صار » ، وما أثبتته من ا ، ب . (٢) من السعوى .

وليست سعايته حياء لك ، ولا مراعاة لدولتك ؛ ولكن بغضاً لنا جميعاً
 أهل البيت^(١) ، وأنا أستحلفه بيمين ، فإن حلف بها أني قلت ذلك ، فدمي حلال
 لأمر المؤمنين . فقال له الرشيد : احلف له يا عبد الله ، فامتنع ، فقال له الفضل : لِمَ تمتنع
 وقد زعمت أنه قال ما ذكرته ؟ قال : فإنني أحلف له ، قال موسى : قل : تقابلت الحول
 والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ، إن لم يكن ما قلته حقاً . فخاف
 له ، فقال موسى : الله أكبر ! حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل
 الله له العقوبة قبل ثلاث » ، وهأنذا بين يدي أمير المؤمنين في قبضته ، فإن مضت
 ثلاث ولم يحدث له حادث ، فدمي حلال لأمر المؤمنين .

قال الفضل : فوالله ما صليت العصر في ذلك اليوم ، حتى سمعت الصراخ من
 داره^(٢) . فدخلت عليه ، فوالله ما كدت أعرفه : لأنه صار كالزق العظيم ، ثم اسودَّ
 حتى صار كاللحم ، فعرفت الرشيد في الحين ، فما انقضى كلامنا حتى عرفنا أنه قد
 مات ، فبادرت بتمجيده ، وتوليت الصلاة عليه . فلما وُورِيَ في قبره انخسف به ،
 وخرجت رائحة مفرطة النتن ، ومررت أحمال شوك على الطريق ، فأمرت بها فطرحتها
 في قبره ، فانخسف ثانية ، فأمرت بالواح ساج ، فطرحتها على قبره وألقى التراب عليها ،
 وانصرفت ، وأعلنت الرشيد . فأكثر التعجب ، وأحضر موسى ؛ فأعطاه ألف
 دينار ، وقال له : لِمَ عدلت عن اليمين المتعارفة عند الناس ؟ فقال : أخبرت بالسند
 المتقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حلف بيمين كاذبة مجّد الله
 فيها ، استحقها الله من تعجيل عقوبته ، ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيه حوله
 وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث^(٣) » .

* * *

قوله : « التلاحى » ، السباب والتشائم . على رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله

(١) بمدها في السعدي : « ولو وجد من ينتصر علينا جميعاً لكان معه ، وقد قلنا باطلاً » .

(٢) ب واللسعدي : « من دار عبد الله » .

(٣) الخبر في السعدي ٣ : ٣٥١ - ٣٥٣ .

عليه وسلم : « من لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته ، وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني من عبادة الأوثان » . وفي المثل : من لاحاك فقد عاداك .

يستمر : يتقد . محبة التراضي : أى طريق الرضا . تعبر : تصعب . وفى ضمن تيميه ، أى فى أثناء كلامه وامتناعه . يخلب : يخدع ويأخذ قلبه . تلويه : انعطافه . يطعمه : يدعوهُ للطعم . يلبيه : يجيبه لمراده . وران : غلب وغطى . أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد نُكْتُت فى قلبه نكته سوداء ، فإن تاب صُفِّت ، وإن عاد زادت حتى تعظم فى قلبه ، فذلك الران » ، قال الله تعالى : ﴿ كَذَلَا بَانَ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(١) .

ألب : أقام . لبه : عقله : سؤل : زين . الوجد : حرقه القلب . تيمه : عبده وذللّه ، والمتيم : المستعبد لهواه . توهمه : ظنه . يستخلصه : يختصه لنفسه . حباله : آلة الصيد . يمتنصه : بصيده ؛ يقول : إنَّ هذا الغلام فى أثناء كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ يُطمع الوالى فى الانقياد له ، وإنه إذا دعاه لما يريد منه أجابه ، وإنما فعل هذا حين رأى إدامة نظر الوالى فى وجهه ، واستحسانه كلامه ، ولو فسّر الوالى حال الغلام بمنظوم لأنشد :

يهدى لك الدر من لفظٍ ومبتسمٍ	ضربان : منتشر منه ومنظوم
يجنى الذنوب ، وأحنو أن أوأخذه	من أجل ذلك قيل الحسن مرخوم
ولأنشد إذا غلب عليه هواه :	
مرآك مرآك لا شمس ولا قمر	وورد خديك لاورد ولا زهر ^(٢)
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه	إن بنت بان فلا عين ولا أثر
لولا محلك من قلبى لما أسفت	نفسى عليك ، فرقاً أيها القمر

هذه الأبيات لأبى الوليد بن حزم ؛ وقد كرر معنى البيت الأخير فقال :

(١) المطففين ١٤

(٢) نفع الطيب ٤ : ٤ .

أذكيت من قلبي بنأبك لوعةً حتى خشيت على محلك فيه

ومما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر :

والأرمانى بالسهم نمداً وفيها نصال الهجر حتى امتلا صدرى ،
قلت له لا ترم قلبي فإنه مكانك والرمى أنت ولا تدرى

وقال آخر :

حلتك في قلبي فهل أنت عالم بأنك محول وأنت مقيم !
ألا إن شخصاً في فؤادي محله وأشتاقه ، شخص على كريم

وقال التهامي :

قلبي فداؤك وهو قلب لم يزل تذكى شهاب الشوق في أنثائه^(١)
جاورته شرّ الجوار وزرته لما حلت فناءه بفنائيه
حرق سوى قلبي ودعه فإني أخشى عليك وأنت في سودائه

وقال آخر :

أودع فؤادي حرقاً أودع نفسك تؤذى أنت في أضلعي
أمسك سهم اللحظ أو فارمها أنت بما ترى مصابّ معي
موقعها القلب وأنت الذي مسكنه في ذلك الموضع

* * *

فقال للشيخ : هل لك فيما هو أليق بالأقوى ، وأقرب
للتقوى ! فقال : إلام تشير لأتقيه ، ولا أقف لك فيه ؟ فقال :
أرى أن تقصر عن القيل والقال ، وتقصر منه على مائة مثقال .

لَا تَحْتَمِلْ مِنْهَا بَعْضًا ، وَأَجْتَنِبِ الْبَاقِيَ لَكَ عَرْضًا ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
 مَا مَنَى خِلَافَ ، فَلَا يَكُنْ لَوْعَدِكَ إِخْلَافٌ ، فَتَقْدَهُ الْوَالِي عِشْرِينَ ،
 وَوَزَعَ عَلَى وَزَعَتِهِ تَكْمَلَةً خَمْسِينَ . وَرَقَّ قُوبُ الْأَصِيلِ ، وَانْقَطَعَ
 لِأَجْلِهِ صَوْبُ التَّخْصِيلِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ مَارَاجَ ، وَدَعْ عَنْكَ اللَّجَاجَ ،
 وَعَلَى فِي غَدٍ أَنْ أَتَوَصَّلَ ، إِلَى أَنْ يَنْضَ لَكَ الْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ ،
 فَقَالَ الشَّيْخُ : أَقْبَلُ مِنْكَ عَلَى أَنْ الْأَزِمَةُ لِيَمْتِي ، وَيَرْطَاهُ إِنْسَانٌ
 مُقْلَقٌ ، حَتَّى إِذَا أَغْنَى بَعْدَ إِسْفَارِ الصُّبْحِ ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ
 الصُّلَحِ ، تَخَلَّصْتَ قَائِمَةً مِنْ قُوبٍ ، وَبَرِيَّ بَرَاءَةِ الذُّبِّ مِنْ
 دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ ، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : مَا أَرَاكَ سَمْتًا شَطَطًا ، وَلَا
 رُمْتَ فَرَطًا .

قال الحارث بن همام : فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَجَ الشَّيْخِ كَالْمُجَبِّجِ
 الشَّرِيعِيَّةِ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ عَلمُ السَّرُوجِيَّةِ

• • •

قوله : « أليق » أى أشكل وأصقل . بالأقوى : بصاحب القوة . والذي
 هو أقرب للتقوى ، هو العفو لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١) .
 أقتنيه : أتبعه . لا أقف لك فيه ، أى لا أتوقف فيما تشربه . تقصر : تكف . عن
 القيل والقال ، أى عن كل كلام . أجتبى : أجمع . عَرْضًا : كل ما ليس فيه
 روح من الأمتعة غير العين ؛ وهو ليس بنقد من السَّلَعِ الَّتِي يُتَجَرُّ فِيهَا مِنْ مَتَاعِ
 ورقيق وغير ذلك . أتحمل : أضمن ، وفلان حميل بكذا ، أى ضامن له . إخلاف :
 كذب وعد . نقده : أعطاه نقدًا . وزع : فرق . وزَعَتُهُ : شُرْطَتُهُ الَّذِينَ يَكْفُونَ

عنه الناس ، واحدهم وازع مثل كافر وكفرة ، وقد وزعته وَزَعًا كففته ،
 وأيضاً دفعته . وقال الحسن البصري رحمه الله : لا بد للسلطان من وَزَعَةٍ . الأصيل
 العشي . وثوبه : ضوء الشمس ، وهو في ذلك الوقت رقيق . صَوْب : وقع ، وصاب
 السهم صوباً وصَيَّباً : وقع بالرمية ، وصاب السحاب الموضع : أمطر . والتحصيل : أن
 يحصل بقية المال . راج : حضر وتيسر ، ويقال : راج الشيء رَوْجاً فهو رائج إذا
 جاء جاء سريعاً . قوله : « إنسان مقاتي » أي سواد عيني . يرعاه : يحفظه وينظره .
 أعنى : أتى بالبقية ، والعفاوة : بقية المرق في القدر . تخلصت : انفصلت . والقائبة :
 البيضة . والقوب : الفرخ ، وهذا مثل يضرب للرجلين يفرقان بعد الصحبة ،
 وجاء مقلوباً لأن الذي انفصل ويخرج إنما هو الفرخ من البيضة ، والقوب ، من
 تقوَّب الشيء إذا انتشر ، ومنه القوباء لداء الحزاز^(١) . وابن يعقوب هو يوسف
 عليهما السلام ، وبراءة الذئب من دمه ، هو ما يحكى أن إخوته لما جاءوا إلى
 أبيهم ليكون على يوسف ، علموا أنه لا يصدقهم ، فاصطادوا ذئباً فطأخوه بدم ،
 وأتوه بكون ، وقالوا له : هذا الذئب قد ضري ، أكل أغنامنا وأكل يوسف
 أخانا ، قال لهم : أطلقوه ، ودعا الله يعقوب أن ينطقه له ، فقال للذئب : أدن مني ،
 فجعل يبصص بذئبه ويدنو منه ، حتى وضع خذّه على فخذ يعقوب ، فقال له :
 لم أكلت ابني ، وفجعتني فيه ؟ فقال : لا والله يابني الله ، ما رأيته ولا أكلته ،
 وإني لغريب في أرضكم اليوم ، وصلت من مصر في طلب أخ لي فقدته ،
 فأوتقني هؤلاء وساقوني إليك ، فقال لهم يعقوب عليه السلام : الذئب مع أخيه
 أوئى منكم مع أخيك .

قوله : « سُمِت » : أي كَلِمَت . شَطَطاً : شيئاً بعيداً ، والشَّطَط : مجاوزة القدر .
 ورمت فَرَطاً : طلبت شيئاً متفاوتاً ، وكيف لم يسمه شططا ، وقد حرّمه لذة
 ليلة مع هذا الغلام أحسن من ليلة الخفاجي^(٢) حيث يقول :

(١) في القاموس : الحزاز ؛ ككتاب : وجع في القلب من غيظ أو نحوه .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خناجة الأندلسي ، صاحب الديوان المنسوب إليه .

وليلة طَلَقَةٍ قَضَنِي من موعدٍ للحبيب دِينًا^(١)
 بَدَنًا نَجَرَ الذِيُولَ فِيهَا والخمر تَمْشِي بنا الهَوِيَنِي
 أَرْسَلَ فِي رَوْضٍ وَجَنَّتِيهِ لحظةَ عَيْنٍ تَفِيضُ عَيْنًا
 كَأَنَّمَا اللَّحْظُ كَيْمِيَاءُ تَذْهَبُ مِنْ وَجْهِهِ لُجَيْنًا
 وَمَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ طَرْفًا يَقلِبُ عَيْنَ اللَّجِينِ عَيْنًا

أوليلة الآخر حين يقول :

لَمَّا رَأَى مَنْ ظَلَّتْ فِيهِ مَتْنًا جَسْمِي ضَيْلًا وَالْفَوَادَ مَوَلَّهَا
 جَادَتْ شِمَائِلُهُ عَلَى بَلِيلَةٍ أَهْدَتْ إِلَى الصَّبِّ الْمَعْنَى مَا شَتَّهَى
 عَانَقَتْ فِيهَا الْبَسْدُ لَيْلَةَ تَمَمِّهِ يَا مَنْ رَأَى بِدْرًا يَعاثُهُ الشُّبُهَا !

[ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية]

قوله: «الحجج الشريحية» منسوبة إلى أحمد بن سريج، وهو من كبار أصحاب الشافعي، وكان حسن الاحتجاج، مليح المناظرة.

وقال الفنجديهي: الشريحية منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن عمر ابن سريج إمام أصحاب الشافعي على الإطلاق، ومن لانفست ذات درّ بمثله في الآفاق، حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج، وأقواها وأمتنها على مرور الأيام والحجج، وكان يلقب بالبازي الأشهب، وبالشافعي الثاني، لتبحره في استنباط المعاني، من غوامض الأخبار والمثاني، دلائله في فنون العلم متينة، وبراهينه مبينة.

وقال: رأيت في المنام كأننا أمطرنا كبريتاً أحمر، فإلأت كمي وحجري وجيبي منه، فعبر لي أني أرزقُ علماً غزيراً كعزة الكبريت الأحمر.

وسمع يتمثل بهذه الأبيات :

فلا تحسد الكلب أكلَ العظامِ فعند الخسرة ما ترحة
تراه وشيكاً شيكاً إسته كلوما جناها عليه فمة
إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من بكرمه

وكان يناظر محمد بن داود ، فقال له ابن داود يوما وقد أكثر عليه .
السؤال : أبلغني ربي ، فقال له : قد أباعتك الدجلة والفرات ^(١) .

وقال له مرة : أمهلي ساعة ، فقال : قد أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم
الساعة ^(٢) .

وقال له ابن داود يوما : أكلك من الرجل وتجبيني من الرأس ! فقال له :
كذلك البقر إذا حفيت أظلافها ، وهنت قرونها .

واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الأصهباني في مجلس .
عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإيلاء ، فقال ابن سريج : أنت بقولك : من
كثرت لحظاته ، دامت حسراته ، أبصر منك في الكلام في الإيلاء ، فقال له
ابن داود : لئن قلت ذلك ، فإني أقول :

أنزّه في روض الحاسن مقلتي	وأمنع نفسي أن تنال مُحَرِّمًا ^(٣)
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه	يُصَبُّ على الصَّيْخِرِ الأصمَّ تَهْدِمًا :
وَيَنْطِقُ طرفي عن مترجم خاطري	فلولا اختلاسي رَدَّه لتكلمًا
رأيتُ الهوى دعوى من الناس كلهم	فلست أرى حُبًّا صحيحًا مسلمًا .

وقال له ابن سريج : بم تفتخر ؟ ولو شئت قلت :

(١) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ (طبع الحلبي) .

(٢) طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ .

(٣) طبقات الشافعية ٣ : ٢٧ .

وَمُسَاهِرٍ بِالْعُجْجِ مِنْ أَحْظَاتِهِ قَدْ بَتَّ أَمْنُهُمُ لَدِيدَ سِنَاتِهِ ^(١)
 أَصْبُو لِحْنِ كَلَامِهِ وَحَدِيثِهِ وَأَكْرَرُ اللَّحَظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
 حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ
 فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ! يَحْفَظُ عَلَيْهِ مَا قَال ، حَتَّى يَقِيمَ عَلَيْهِ
 شَاهِدِينَ عَدْلَيْنِ ، أَنَّهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَرِيحٍ : فَيُلْزِمُنِي فِي
 هَذَا مَا يُلْزِمُكَ فِي قَوْلِكَ :

• وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحْرَمًا •

فَضَحِكَ الْوَزِيرُ ، وَقَالَ : لَقَدْ جِئْتُكُمْ ظَرْفًا وَلَطْفًا وَعَدًّا وَنَهْمًا .
 اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى أَنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الْعَالَمَيْنِ عَلَى اشْتِهَارِهِمَا بِالْعِلْمِ
 وَالْفَضْلِ وَالدِّينِ كَانَا يَرْتَاخَانِ إِلَى التَّعَشُّقِ عَلَى سَبِيلِ التَّطَارُفِ وَالتَّزَامِ التَّعَفُّفِ
 عَلَى مَا يَلِيقُ وَيَشْكُلُ بِمَنْصِبِهِمَا ؛ وَإِذَا كَانَ التَّعَشُّقُ بِشَرَطِ الْعَفَافِ ، فَإِنَّمَا يَزِيدُ
 الرَّجُلَ الْفَاضِلَ رَقَّةً طَبِيعَ ، وَحِلَاوَةً شِمَائِلَ .

وَقَالَ ابْنُ سَرِيحٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ الْبَارِحَةِ كَأَنَّ
 قَائِلًا يَقُولُ : هَذَا رَبُّكَ يَخَاطِبُكَ ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ : مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَقُلْتُ :
 بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، قَالَ : قَلِيلٌ : مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ
 يُرَادُ مِنِّي زِيَادَةٌ فِي الْجَوَابِ ، فَقُلْتُ : بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ ، غَيْرَ أَنَا قَدْ أَضْبَعْنَا مِنْ
 هَذِهِ الذَّنُوبِ ، فَقَالَ : أَمَّا إِنِّي سَأَغْفِرُهَا لَكَ .

وَتَوَفَّى لِحْنِ مَضَيْنٍ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، وَبَلَغَ سَنَهُ
 سَبْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرَ ، وَدُفِنَ فِي حَجَرَةٍ بِسُوقَةِ غَالِبِ بَيْغَدَادَ رَحِمَهُ
 اللَّهُ عَلَيْهِ .

[طَائِفَةٌ مِنْ شَعْرِ النَّسِيبِ]

وَنَذَكُرُ الْآنَ مِنْ نَتِيسِ الشَّعْرِ الْمَضْمُونِ « مَنْ » ظَفَرَ مِنْ مَحْبُوبِهِ بِرَأْدِهِ مِنْ .

الوصول ، ثم عفا عما يخلّ بأهل الجلال » ، قال إدريس بن اليمان :

لم تدر ما خلّدت عينك في خلدي من الغرام ولا ما كابدت كبدي
أفديك من زائر رام الدنوّ فلم يسطعه من حرق في الدمع متقد
خاف الميون ، فوافاني على عجل معطلاً جيداً إلا من الغدير
عاطيته الكأس فاستجيت مدامتها من ذلك الشئب المعسول والبرد
حتى إذا غازلت أجنانه سنة وصيرته يد الصنهاء طوع يدي
أردت توسيده خدي وقل له فقال : كنك عندي أفضل الوسدي
فبات في حرم ، لا غدر يزعيجه وبث ظمان لم أضدِر ولم أُرِد
بدر ألم وبدر التّم منه حق والأفق محلوك الأرجاء من حسد
تخيّر الليل فيه ، أين مطامه أما دري الليل أن البدر في عضدي !

وقال الرمادي :^(١)

وليلة راقبت فيها الهوى على رقيب غير وشنان
والراح ما تنزل عن راحتي وقتاً ومن راحة ندماني
ورب يوم قبظه منضج كأنه أحشاء ظمان
أبرز من خدي لي رشحه طلاً على ورد وسوسان^(٢)
وكان في تحليل أزراره أقود لي من ألف شيطان
فتحت البعثة من جيبه فبت في جنة رضوان
مروءة في الحب تنهى بأن مجاهر الله بعصيان

وقال سعيد بن حميد :

زائر زارنا على غير وعير أهيف الكشح ، مُنقل الأرداف

(١) هو يوسف بن هارون الرمادي ؛ والأبيات في المطرب لابن دحية ؛

(٢) الرشع : العرق ؛ والطل : قطرات الندى .

غالب الخوف حين غالبه الشؤ ق فأخفى الهوى وليس يخافي
 غض طرفي عنه تقي الله واختر ت على بذله بقاء التصافي
 ثم ولي والخوف قد هز عطفه ، ولم تخل من لباس العفاف
 وقال بعض الطالبين :

رموني وإياها بشنعا هم بها أحق ، أدال الله منهم وعجلا
 بأمر تركناه ورب محمد جميعا ، فإما عفة أو تجملا

وسنزيد ما يستحسن في العفاف وضده في الثانية عشر .

قوله : « علم السروجية » ، أي مشهورها . والعلم : الجبل .

فلبثت إلى أن زهرت نجوم الظلام ، وانتشرت عقود الزحام ،
 ثم قصدت فناء الوالي ، فإذا الشيخ لفتي كالي ، فنشدته الله : أهو
 أبو زيد ؟ فقال : إي ومحل الصيد ! فقلت : من هذا الغلام ،
 الذي هفت له الأحلام ، قال : هو في النسب فرخي ، وفي
 المكتسب فحى ، قلت : فهلا كفيت بحاسن فطرتي ، وكفيت
 الوالي الافتنان بطرتي ؟ فقال : لو لم تبرز جبهته السين ، لما
 قنفشت الخمسين ، ثم قال : بت الليلة عندي أنطقي نار الجوى ،
 وندبل الهوى من النوى ، فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة ،
 وأحلى فامب الوالي نار حسرة .

لبئت : أقيمت . عقود : جمع عقد ، أراد ما يعتمد من جموع الناس في الزحام .
 انتثرت : افتترقت . زهرت : أضاءت . الفناء : ما حول الدار . ناشدته : سأله .
 هفت ، أي طارت . الأحلام : العقول . فطرته : خلقته . تبرز : تظهر . والطرّة :
 قد تقدمت ، وشبه اعتدال الشَّمَر على الجبهة بشكل السين على السطر ، وأخذه
 من قول التّهامي :

يارُبّ معني بعيد الشأن نسلكه ^(١)	في سلك لفظ قريب الفهم مختصر ^(١)
لفظ يكون لعقد القول واسطة ^(٢)	ما بين منزلة الإسهاب والخصر ^(٢)
إن الكتابة صارت تحت أنمله ^(٣)	والجود فالتقيا منه على قدر ^(٣)
ترد أقلامه الأرماح صاغرة ^(٤)	عكساً ، كعكس شعاع الشمس للقمر ^(٤)
وفي كتابك فاعذر من يهيم به	من المحاسن ما في أحسن الصور
الطرّس كالحد والنونات دائرة ^(٥)	مثل الحواجب والسينات كالطرر

ومن ملح الخبز أرزى :

وبنفسى من إذا خَشْتُهُ	نثر الورد عابيه ورقه
وإذا مَسَّتْ يدي طَرَّتُهُ	أفلتت منه فعادت حاقه

أخذها من حكاية لعمر بن أبي ربيعة ؛ حدث المغيرة بن عبد الرحمن ، قال :

(١) ديوانه ٤٥ ، وفيه : « أسلكه » .

(٢) الديوان : « سارت » .

(٣) الديوان : « فالتقيا فيه » .

(٤) بدء ، في الديوان :

يجلّو بياض المعاني سوداً أحرفها إن الظلام ليجلورونق السحر

(٥) الديوان « الطرس كالوجه » .

حجبت مع أبي وأنا غلام ، عَلَى جُمَّة^(١) ، فجننت عمرَ فسَلَّت عليه ، فجلست عنده ،
فجعل يمدُّ الخُصْلَةَ من شعري ثم يرسلها ، فترجع على ما كانت عليه ، ويقول :
واشباباه ! حتى فعل ذلك مرارا ، ثم قال لي : يا ابن أخي ، قد سمعتني أقول في
شعري : قالت وقلت ... وكلّ مملوكٍ لي حرّاً إن كنتُ كُشِفْتُ عن فرَجِ امرأةٍ
حرامٍ قطّ ، فسألت عن رقيقه ، فقيل لي : أما في الحوْكِ فسبعون سوى غيرهم^(٢) .
وساير عمرَ عُرْوَةَ بن الزبير يحدثه ، فقال : وأين زين المواقب ؟ - يعني ابنه
محمداً ، وكان يُعرف بذلك الجمال - فقال عروة : هو أمامك ، فركد بطلبه ، فقال له عروة :
يا أبا الخطاب ، أولسنا أ كفاء كراماً لحادثتك ! قال : بلى ، بأبي أنت وأمي ،
ولكني مغرّى بهذا الجمال حيث كان ، ثم التفت إليه ، وقال :

إني امرؤٌ مَوْلَعٌ بالحسن أتبعه لاحظْ لي فيه إلّا لَذَّةُ النَّظَرِ^(٣)

أخذه العباس بن الأحنف ، فقال :

أتأذنون لصبٍّ في زيارتِكُم فعندكم شهواتُ السَّمْعِ والبَصَرِ
لا يضرُّ السُّوءَ إن طالت إقامته عَفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النَّظَرِ

[مما قيل في حلق الشعر]

ومما يتعلق بذكر الشَّعرِ حِلاَقه ، والشعر فيه كثير ؛ فنلّم منه بالبسير .

وأول من قرّع هذا الباب - فيما يذكر - القائل :

حَلَفُوا رَأْسَهُ لِيَكْسُوهُ قُبْحًا خيفة منهم عليه وَشَحًّا

(١) الجمّة : شعر الرأس .

(٢) الخبر في الأغاني ١ : ٧٧ .

(٣) الأغاني ٣ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

كان من قبل ذاك ليلاً وصُبْحاً فمحووا كَيْلَهُ وأبقوه صُبْحاً
وقال أبو العباس القرَبيّ :

كان إلا قَمراً تحت دُجَى فانجلى الليلُ ولاح القمرُ
أو كزهرٍ في كمامٍ كامنٍ شقتُ عنه فتمَّ الزَّهرُ

وقال أبو العباس بن حَيّون :

حلقوك في تغيير حسنك رغبةً فازداد حسنك بهجةً وضياءً
كالخمر فضّ ختامه فتشمشتُ والشمع قُطَّ ذبأله فأضاء

قوله: «قَنَنْشْتُ» ، أى أخذت بسرعة ، تقول : قفشت الشيء ، قفشا إذا
جمعت عليه كفك بسرعة ، وقد انقششت العنكبوت ، إذا دخلت حُبْرَهَا .

قوله: «الجوى» ، أى مرض القلب. نُدِيل : نعوض ، والإدالة : أن يكون الشيء
لك مرة ولغيرك أخرى وهى من الدَّولة. النوى : البعد أو يريد : هلمّ لنجدد المودة
في هذه الليلة ، ويكون ذلك عوضاً من طول الفراق ، فقد عزمت على أن أنسلَّ
بالسَّحَر وأُفَرِّ ، والانسلال : الخروج مستخفياً . أصلي قلب الوالى : أجعله متحرِّقاً
بالتعسر والتنجع .

قال : فقَضَيْتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ في سَمَرٍ ، آنَقَ مِنْ حَدِيقَةِ زَهَرٍ ،
وَخَيْلَةِ شَجَرٍ ، حَتَّى إِذَا لَا أَلْفُ ذَنْبُ السَّرْحَانِ ، وَأَنَّ
انْبِلَاجُ الْفَجْرِ وَحَانَ ، رَكِبَ مَتْنِ الطَّرِيقِ ، وَأَذَاقَ الْوَالِي عَذَابَ
الْحَرِيقِ ، وَسَلَّمْ إِلَى مَسَاعَةِ الْفِرَاقِ ، رُقْمَةً مُحْكَمَةً الْإِلْصَاقِ ،

وقال : اذقمها إلى الوالى إذا سلب القرار ، وتحقق منّا
الفرار ؛ ففضضتها فعمل المتلمس ، من مثل صحيفة المتلمس .

قضيت : أتممت . سمر : حديث بالليل يُسمَر عليه . آ نق : أحسن . حديقة :
بستان ، ولا تكون إلا تحت حائط أو زرب . زهر : نور . خيلة : روضة فيها
شجر . لالأ : لمع وأضاء . الأفق : جهات السماء . ذنب السرحان ، هو الفجر
الكاذب ، وهو ضوء يظهر قبل الفجر دقيق متصعد إلى السماء . والسرحان : الذئب ،
شبه ضوءه بذنبه . آن : تحان وقرب . انبلاج الفجر : ظهور ضوئه . متن : ظهر .
الحريق : النار . سلم : ترك . محكة الإصاق : متقنة الطي . القرار : السكينة ، يريد
أن الوالى إذا أخبر بهر بناً ذهب عقله ، فجعل يتململ ولا يقتر . فضضتها : كسرت
ختامها .

[ذكر المتلمس وصحيفته]

والتلّمس ، شاعر مشهور ، اسمه جرير بن عبد المسيح ، وسمى التلّمس بقوله :

فهذا أوان العريض جنّ ذبابه زنايرُهُ والأزرق التلّمس^(١)

وهو مأخوذ من تلّس الرجل الحاجة ، إذا طلبها سرّاً من غيره ، وأصل ذلك
من اللّس باليد ، كالذى يلمس بيده فى الظلام مواضع خفية يطلب منها شيئاً ضاع
منه ، أو كلّس الأعمى شيئاً بيده .

(١) الشعر والقصائد ١٢٢ ، قال فى شرحه : العريض : الوادى ، ويروى : « حتى ذبابه » .
(٢٨ — شرح مقامات الحريرى ١)

ومن كلام عامتنا: فلان يتلمس، بسكون التاء، أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يشعر به.

والمتملس أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر القلّين في الجاهلية، وهم: المتملس والمسيب بن علس وحُصين بن الحُمام.

والمتملس، بالميم قبل اللام، هو المتخلص الذي يطلب السلامة والخلاص بسهولة، وقد أمس إذا خرج من بين القوم هارباً وهم لا يشعرون، وقد أمس الشيء، إذا سقط من يدك ولم تشعر به لئلاسته.

والصحيفة: الكتاب. وقصتها^(١) أن المتملس وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو ابن هند ملك الحيرة - وكان سيّء الخلق شديد، وهو الذي حرق من تميم مائة رجل، فهجوه، فقال فيه التامس - وكان طرده لشيء بلغه عنه:

أطردتنى حذر الهجاء ولا والألات والأنصاب لا تثل^(٢)
أى لا تنجو.

وقال فيه أيضاً:

إن الخيانة والمفالة وانحنا والفذر تركه ببلدة مفسد^(٣)
ملك بلاعب أمه وقطينها رخو المفاصل أيرؤه كالبرد
فإذا حلت ودون بيتي غاوة^(٤) فابرق بأرضك ما بدالك وارعد
وقال طرفة:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا تخور^(٥)

(١) جهرة الأمثال ١: ٥٧٩ - ٥٨٢، الميداني ١: ٣٩٩.

(٢) الأغاني ٢٣: ٥١٦ (طبع الثقافة ببيروت).

(٣) شعراء النصرانية.

(٤) غاوة: قرية من قرى حلب.

(٥) ديوانه ٩٠ - ٩٦، والرغوئ: الذبجة المرضع.

لعمر كإب قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير^(١)

في أبيات شهرتها تنبي وتغني عن ذكرها ؛ فاستحيا أن يقتلها بحضرته ،
ويدينها إدلال المنادمة ، فكتب لهما بصحيفتين ، وختمهما لئلا يعلم ما فيهما -
هو أول من ختم الكتاب - وقال لهما : اذهبا إلى عاملي بالبحرين ، فقد أمرته
أن يصلكما بجواز. فذهبا فمرا بطريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ،
ويتناول القمل من ثيابه ويقصعه ، فقال المتلمس : ما رأيت شيئا كالذي أحق
من هذا ! فقال الشيخ : ما رأيت من مُحَقَّى ! أخرج الداء ، وآكل الدواء ،
وأقتل الأعداء. وروى : أقتل عدوا ، وأدخل طيبا ، وأخرج خبيثا ، أحق والله
مَنِي مَنْ يحمل حنقه بيده .

فاستراب المتلمس بقوله ، وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب
العرب ، فقال له المتلمس : أقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففك الصحيفة فإذا فيها : فإذا
أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا : فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك ،
فإن فيها مثل هذا ، فقال طرفة : كلا لم يكن لي جترى على - وكان غرا صنيعة السن -
فقدف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

قذفتُ بها في النُّنْي من جنب كافرٍ كذلك أقنُو كل فظ مضال^(٢)
رضيت لها باللاء كَمَا رأيتها يجولُ بها النِّيار في كل جدول
وأخذ نحو الشام وقال :

ألقى الصحيفة كي يخفف رَحْله والزَّاد حتى نعله ألقاه
أراد : أنه تخفف للفرار ، فألقى مالا يثقل ، وما لا بد للسفر منه .

(١) النوك : الحنافة

(٢) الشعر والشراء ١ : ١٣١ . النني : منخلف النهر . كافر : اسم علم لنهر الحيرة ،
هو أقنو ، أي أجزي .

وقال حين نجا :

مَنْ مَبْلَغُ الشُّمَاءِ عَنْ أَخَوِيهِمْ خَبْرًا فَتَصَدُّقَهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسِ^(١)
أُرْدَى الَّذِي عَاقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا - حِذَارَ حَبَائِهِ - الْمُتَلَهَّسُ
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ ، لَا أَبَالِكَ إِيَّامًا يُخَشِّي عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ النَّفْسِ^(٢)

وأما طَرْفَةُ فوَصَلَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْعَامِلُ صَحِيفَتَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْمُتَلَهَّسِ .
فَأَخْبَرَهُ بِفِرَارِهِ ، عَفَا عَنْهُ لَصَدْقِهِ وَرِعَايَتِهِ لَطَائِعِ الْمَلِكِ حَيْثُ لَمْ يَفْكُهُ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ سَجَنَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ ، وَقَالَ لَهُ : مَا كُنْتَ لِأَقْتُلَ طَرْفَةَ ،
وَأَعَادَى بَيْلَتَهُ ، فَإِذَا أُرِدْتَ قَتْلَهُ ، فَابْعَثْ إِلَيْهِ مَنْ يَقْتُلُهُ . فَفَعَلَ وَخَيَّرَ فِي قَتْلِهِ ؛
فَإِذَا ارْتَأَى يُسْقَى الْخَمْرَ ، وَيُقَصَّدُ أَكْحَالُهُ^(٣) ؛ فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ نَزْفًا ، وَدُفِنَ .
بِهَجَرَ . وَقِيلَ فِي قَتْلِهِ غَيْرَ ذَلِكَ .

وقال البعْثَرِيُّ بِصَدَقِ مَا تَقْدَمُ :

وَلَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى الصَّدُودِ مِنَ الدَّوَى

وَالشَّرِّىُّ أَرَى عِنْدَ طَعْمِ الْحَنْظَلِ^(٤)

وَكَذَاكَ طَرْفَةُ حِينَ أُوجِسَ ضَرْبَةً فِي الرَّأْسِ هَانَ عَايَهُ فَصُدَّ الْأَكْحَالُ

وقال ، وَهُوَ فِي السَّجَنِ يُخَاطَبُ قَوْمَهُ :

أَسْلَمْنِي قَوْمِي وَلَمْ يَفْضُبُوا لِسُوءَةِ قِرْحَاتٍ بِهِمْ قَادِحَةٍ^(٥)

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالًا لَهُ لَا تَرَكُ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَةً

كَلَّمَهُمْ أَرْوَعُ مِنْ تَعْلَبٍ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالتَّارِحَةِ !

(١) الشمر والشمراء ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) النفوس : داء معروف والرجاين ، ونفسه في اللسان ٨ : ١٢٧ بالذاهية .

(٣) الأكحل : عرق في اليد ، ويسمى عرق الحياة .

(٤) ديوانه ١٧٤٣ .

(٥) المقدم الثمين ٥٤ .

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيقتي ولم أعطِكم بالطَّوعِ مالى ولا عِرضي^(١)
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا حنّا نيكِ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ
وقتل وهو ابن عشرين سنة ، والعرب تقول : أشعر الناس ابنُ العشرين
« وتعنيه ، إلا أن أبا العباس أنشد لأخته تربيته :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حَبَّةً فلما توفى واستوى سَيِّداً ضَخْمًا^(٢)
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّاهُ على خَيْرِ حَالٍ ، لا وليداً ولا قَحْطًا^(٣)
وهلك المتأس في الجاهلية ببُصرى.

* * *

فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ :

قُلْ لِّوَالٍ غَادَرْتُهُ . بَعْدَ يَدَيِ سَادِمًا نَادِمًا يَبْضُ الْيَدَيْنِ
سَلَبَ الشَّيْخُ مَالَهُ ، وَفَنَاهُ لَبَّهُ ، فَاصْطَلَى لَطَى حَسْرَتَيْنِ
جَادَ بِالْعَيْنِ حِينَ أُمَمَى هَوَاهُ عَيْنَهُ فَانْتَشَى بِلَا عَيْنَيْنِ
خَفَضَ الْحُزْنَ يَامَعْنَى فَا يُجْ لَدَى طِلَابِ الْآثَارِ مِنْ بَعْدِ عَيْنِ
وَكَيْنَ نَجَلٌ مَا عَرَكَ كَمَا جَلَّ لَدَى الْمُسْلِمِينَ رِزْءُ الْحَسَنِ
فَقَدَرِ اعْتَضَتْ مِنْهُ فُهْمًا وَحُزْمًا وَاللَّيْبُ الْأَرِيبُ يَبْغِي ذَيْنِ
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِهَا الْمَطَامِعَ وَاعْلَمْ أَنَّ صَيْدَ الظَّبَّاءِ كَيْسَ بِهِ سَيْنِ

(١) ديوانه ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الكامل للمبرد ١ : ٢٥٨ . وروايته : « فلما توفاهما » :

(٣) القحيم : الرجل المتناهي سنا .

لَا وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَلْبِجُ الْفَسْخَ وَلَوْ كَانَ مُخَدَّقًا بِالْحَبَيْنِ
وَلَكُمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَاصْطِرْ يَدٌ وَلَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفٍّ حُنَيْنٍ

* * *

قوله : « غادرته » ، أى تركته . بعض اليدى : تندماً . سادماً : متغيراً ،
والسادم : المتغير العقل من الغم ، من قولهم : ماء سديم ، ومياه سديم وأسدام ،
أى متغيرة ، وقيل : السديم : الحزين الذى لا يطيق ذهاباً ولا بقاءً ، من قولهم :
بغير سديم ، إذا منع من الضراب ، فكأن الحزين منع من الذهاب والرجوع ، فيقول :
تركت يديه تندماً وتأثماً . اللظى : لب النار ، وقد لظت النار : عملاً لها ؛
فيريد أن الشيخ أخذ ماله والذى عقله ، فاحترق بنار فجتمعتين . جاد : سمح .
العين : الذهب . هواه : تمشقه وميله : اثنى . رجع . بلا عينين ، أى بغير مال
ولا بصر . خفض : سكن . معنى : معذب . يجدى : ينفع ، والعين ها هنا :
الشخص .

* * *

[أصل المثل : طلب أثراً بعد عين]

وقولهم : طلب أثراً بعد عين ، كأن رجلاً تمكن من عدوه أو من صيد
ليرميه ، فتراخى عنه حتى فاته ، ثم شدّ في طلبه بعد القوت ؛ وأوّل من قال ذلك
مالك بن عمرو العامري ؛ وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماً كآ بسبب
قتيل كان له في عمالته ، فحبسهما زماناً ، ثم قال لهما : إني قاتل أحدكما ، ففعل كل
واحد منهما يقول : اقتلنى مكان أخى ، فقتل سماً كآ وختى مالكاً ، فقال سماً كآ
حين ظن أنه مقتول :

وأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصدة
برأس سبيل على مرقب ويوما على طرق واردة
أُمّ سماك فلا تجزعي فلموت إمام تليد الوالدة

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمنا . ثم إن ركبا مروا بهم وأحدهم
يغنى بهذا البيت :

* وأقسم لو قتلوا مالكا *

فسمعت بذلك أمّ سماك ، فقالت : يا مالكا ، قبح الله الحياة بعد سماك ! اخرج
في طلب ثار أخيك ، فخرج فلقى قاتل أخيه في ناس من قومه ، فقال : من أحسن
لي الجبل الأحمر ! فعرفوه ، فقالوا له : لك مائة من الإبل ، وكف عنه ، فقال :
لا أطلب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلاً ، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله^(١) .

* * *

قوله : « جَلَّ » ، أى عظم . عراك : قصدك . رزء الحسين : المصاب بقتله حين
قتل بكر بلاء .

[رزء الحسين *]

وحديثه أن معاوية لما مات أرسل إليه أهل الكوفة أن قد حبسنا أنفسنا
على بيعتك . وطولب بالمدينة أن يبايع يزيد ، فخرج إلى مكة ، وأرسل ابن عمه مسلم
ابن عقيّل إلى الكوفة وقال له : إن كان حقاً ما كتبوا به ، فعرفني ألق بك .
فخرج من مكة للنصف من رمضان ، وقدم [الكوفة] لخمس خلون

(١) جهرة الأمثال ٢ : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، وأورد في معنى الأثر قول حبيب :

قالوا أتبكي على رسم فقلت لهم من فاته العين هدى شوقه الأثر

(*) انظر خبر مقتل الحسين في تاريخ الطبري حوادث سنّ ٦٠ ، ٦١ .

من شوال، وأميرها النعمان بن بشير، فدخل مستتراً، فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً. فكتابته^(١) بذلك. فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له: يا بن عم، أهل العراق أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فقال له: يا بن عم، كتب إلى مسلم باجتماع أهل الكوفة عليّ، فقال له: قد جرت بهم، وهم أصحاب أبيك وأخيك، وقتلتك غداً مع أميرهم، إذا بلغ ابن زياد خبرك استفزهم، فكان الذين كتبوا إليك أشدّ عليك عن عدوك، فإن أبيت إلا الخروج فلا تخرجن بنسائك وولدك معك، فإني لخائف أن تُقتل كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه. فردّ عليه: لأن أقتل بموضع كذا^(٢)، أحبّ إليّ من أن أشتغل بمكة.

واتصل الخبر بيزيد، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتوليته الكوفة. فخرج مسرعاً، فدخلها في حشمه وهو ملثم، والناس يتوقعون قدوم الحسين، فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس، والناس يقولون: وعليك السلام يا بن رسول الله، قدمت خير مقدم، حتى انتهى إلى القصر.

فحسر اللثام، ففتح له النعمان الباب، وتنادى الناس: ابن مَرْجَانة، فحصبوه بالحصباء، فقاتلهم. ووضع الرصد في طلب مسلم، فصاح مسلم: يا منصور — وكان شعارهم — فاجتمع له في ساعة واحدة ثمانية عشر ألفاً. فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد، فلم يمس المساء ومعه مائة رجل. فلما رأى تفرقهم سار نحو أبواب كِنْدَةَ، فبلغ الباب ومعه ثلاثة، فخرج وليس معه أحد، فبقى حائراً لا يدرى أين يتوجه، فنزل من على فرسه، ودخل أحد أزقة الكوفة، فأنهى إلى باب مولاة ل محمد بن الأشعث، فاستسقاها فقتله، وأعلمها حاله،

(١) أي كاتب الحسين.

(٢) تاريخ الطبري: فقال له حسين: إني أستخير الله وأنظر ما يكون.

فرقت له ، فأوته وأعلنت محمد بن الأشعث بمكانه ، فمضى إلى ابن زياد ، فأعلمه ، فوجه معه سبعين رجلاً ، فافتحموا عليه ، فقاتلهم مسلم ، وأمنه محمد بن الأشعث ، وحمله إلى ابن زياد فضرب عنقه ، وبعث برأسه إلى يزيد بن معاوية ، فسلم جثته .

وانتهى الأمر إلى الحسين ، وقد بلغ القادسية ، فهم بالرجوع ، فقال له إخوة مسلم : لا نرجع أو نقتل ، أو نأخذ بثأرنا ، فقال الحسين : لا خير في العيش بعدكم ، فسار حتى لقي خيلاً لابن زياد ، وعاليها عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فعذل إلى كربلاء ، وهو في نحو خمسمائة فارس ، فلما كثرت المساكر أيقن أنه لا محيص له ، فقال : اللهم احسبكم بيننا وبين قوم دَعَوْنَا لِنُصْرَوْنَ ، ثُمَّ هُمْ يقاتلوننا ! ثم خطب قومه فقال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فإن الدنيا لو بقيت على أحد ، أو بقي عليها أحد ، لكانت الأنبياء أحق بها وبالبقاء ، غير أن الله خلقها للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهرة ، والدار قلع ، والمنزل تلة^(١) ؛ فتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنه وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ؛ وتولى قتله سنان بن أنس المخمى ، واحتز رأسه ، وانطلق به مسرعاً إلى ابن زياد ، وهو يقول :

أوقرُ ركابي فضةً وذهباً إني قتلت الملك المحجّباً
* قتلتُ خير الناس أمّا وأباً *^(٢)

وبعث معه الرأس إلى يزيد بن معاوية ، وعنده أبو برزة ، فجعل بنكت باله ضيق على فيه ، وهو يقول :

نفلق هاماً من رجالٍ أعزّة علينا ، وهم كانوا أعقّ وأظلماً^(٣)

(١) يقال : هو على قامة ، أي على رحله ، والتلة : مجرى الماء من أعلى بطون الأرض والزول عليه مخوف .

(٢) بعده في الطبري :

* وخيرهم إذ ينسبون نسباً *

(٣) حصين بن الحزام المزي ، من الفضلية ١٢

فقال له أبو برزّة : ارفع قضيبك عن فمه ، فلقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتئمهُ .

وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وقتل معه سبعة وثمانون ، منهم عليُّ ابنُه الأكبر ، ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ، ومن إخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو عليّ ، ومن بنى عمّه جعفر ومحمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر . ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ، ودفنهم أهل القادسيّة بعد قتلهم بيوم ، وقتلواهم من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانين .

* * *

قوله : « اعتضت » : اقتلعت من العوض . يعني ذين : يطلب هذين . الظباء : الغزلان . كيلج : يدخل . محذّقا باللجين ، أى محاذّا بالقضة ، والصائد يفرق حول الفخ حبّ القمح وشبهه ، فيلقطه الطائر حتى يتوصّل إلى ما نصب له فيقع ، فقال : ما كلُّ طائر يُخدع ، ولو خلّق له الفخ بحبّ اللجين بدلا من القمح ، وإني من هذا الصنف .

قوله : « ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد » ، من قول الصابي :
يا قمرأ كالتشف في نظرتِه وكالقضيب اللدن في نُصرتِه
خلتُك صيدا كان في قبضتي ففرت من صيدي في قبضتي
والسابق له كعب زهير بن في قوله :
طاف الرّماة بصيدِ راعهم فإذا بعضُ الرّماة بنبل الصيد مقتول^(١)

* * *

(١) لم يرد هذا البيت في ديوانه ، وأورده الميمنى في ملحق الديوان ٢٥٩ ، لا
عن الشريبي .

[أصل المثل : رجع بخفي حنين]

وخُفَا حُنَيْن ، يضرب بهما المثل للخائب الخاسر ، واختاف في حُنَيْن ، فقال يعقوب : إنه كان رجلاً مُدْعِيًّا ، فجاء إلى عبدالمطلب ، وعليه خُفَان ، فقال : يا عمّ - إني من ولدهاشم ، فأنتم النّظر فيه ، وقال : لا وعظام هاشم ، ما أرى فيك شمائل هاشم ، فارجع خائباً خاسراً .

وقيل : كان رجلاً مغنياً ، فدعاه قوم من أهل الكوفة . ليطربهم في نزهة ، فخرجوا به إلى الصحراء ، فضربوه وسلبوا ثيابه ، وتركوا عليه خُفِيَّةً ؛ فلما رجع إلى زوجته - وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمة النزهة - ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها : رجع حُنَيْن بخُفِيَّةٍ .

وقيل : إنه كان صانعاً ، فساومه أعرابي بخُفَيْن ، وما كسح حتى أخرجته . فلما ارتحل الأعرابي ، أخذ حنين إحدى الخفين فوضعهما على الطريق ، ثم مشى وألقى الأخرى في موضع آخر على الطريق ، وكن له ، فلما مرّ الأعرابي بالخلف قال : ما أشبه هذه بخُف حُنَيْن ؛ ولو كان معها الأخرى لأخذتها . فلما انتهى إلى الأخرى ، ندّم على ترك الأولى ، فأناخ راحلته ، وأخذها ورجع إلى الأولى ؛ فلما غاب عمّد حنين إلى راحلته بما عليها فركبها ، ومضى بها ، ورجع الأعرابي إلى قومه «خُفَيْن» ، فسكان إذا سئل عن حاله قال : رجعت بخُف حُنَيْن . فصار مثلاً .

وقيل : كان حنين لصّاً حقيراً فأخذ وُصْلِبَ ، فجاءته أمّه وعليه خُفَان . فأنزعتهما ورجعت ، فقيل : رجعت بخُف حُنَيْن ، أي رضيت منه بذلك .

تَبَصَّرَ وَلَا تَشِمْ كُلَّ بَرْقٍ رَبِّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنٍ
 وَاغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ مِنْ غَرَامٍ تَسْكُنِي فِيهِ ثَوْبٌ ذَلِ وَشَيْنٍ
 فَبَلَاءُ الْفَتَى اتِّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ وَبَذَرُ الْهَوَى طُمُوحُ عَيْنٍ

قال الراوى : فَمَزَّقْتُ رُفْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ أُبَلِّ أَعْدَلَ
 أُمَ عَذَرَ .

• • •

قوله « تبصر » : أى أحسن النظر . حَيْن : هلاك . والصاعقة : نار ترسل مع
 الرعد والبرق ، وجمعها صواعق ، وصعق الرجل إذا أصابته ، وصعق إذا مات ،
 وقيس تقول : صاعقة ، وبنو تميم صاعقة ؛ وقد صعق . غرام : عذاب الحب . شين :
 عيب . والبذر : زرع الحب فى الأرض .

طموح : ارتفاع يريد أن أهل العشق مداومة النظر ، ألم فيه بقول عيسى
 عليه السلام : « لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك » ؛ وقد تقدّم : من كثرت
 لحظاته دامت حسراته .

وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى :

وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادةً

وطول الهوى رَيْنٌ عَلَى الْقَلْبِ رَائِنٌ

فكن دافئاً للشر بالخير تسترح من الشر إن الخير للشر دافِنٌ

وقال آخر :

إذا أنت لم تعصِ الهوى فادّك الهوى

إلى كل ما فيه عليك مقالٌ

وقال المتنبي:

عريزٌ أسيٌّ مَنْ دَاوَاهُ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ عناء به مات المحبُّون من قبل^(١)
فمن شاء فليَنظُرْ إِلَى فَمَنْظَرِي نذيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَى سَهْلُ
وما هي إِلَّا لَحْظَةٌ بَعْدَ لَحْظَةٍ إِذَا تَزَلَّتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلُ الْعَقْلِ

وقال ابن زيدون :

مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدُهُ محضُ الْعِيَانِ الَّذِي يُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ^(٢)
أَمَا الضُّعْفُ فَجَنَّتْهُ نَظْرَةٌ عَنِّي كَانَتْهَا وَالرَّيْدَى جَاءَ عَلَى قَدَرِ
فَهَمْتُ مَعْنَى الْهَوَى مِنْ وَحْيِ طَرْفِكَ لِي
إِنْ الْحَوَارِ لَمَقَمٌ — وَمِنْ الْحَوَارِ

وقال العباس بن الأحنف :

الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِحَاجَةٍ تَأْتِي بِهِ وَتُسَوِّقُهُ الْأَقْدَارُ^(٣)
حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لِحْجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ

فهذا كله يبين بيت الحريري .

قوله : « مزقت » : قطعت . شذر مذر : قطعاً متفرقة في كل جهة ،
وأصل الشذر قطع الذهب ، ومذر اتباع لها .

لم أبل : أي لم أهال . عدل : لام . عذر : قبل للعذر .

(١) ديوانه ٣ : ١٨٠ .

(٢) ديوانه ٢٥١ .

(٣) ديوانه ١١٦ .

فهرس المقامات

صفحة	صدر المقامات
٤٦ - ١٢	المقامة الأولى ، وتعرف بالصنعانية ؛ تتضمن ظهور أبي زيد في مظهر الواعظ مم كشف حاله بعد ذلك
٧٤ - ٤٨	المقامة الثانية ، وتعرف بالحلوانية ، تتضمن محاسن من التشبيهات الرائقة في الشعر .
١٢٧ - ٧٦	المقامة الثالثة ، وتعرف بالدينارية ، تتضمن أشعاراً في مدح الدينار وذمّه .
١٥٧ - ١٣١	المقامة الرابعة ، وتعرف بالدمياطية ، تتضمن محاوره أبي زيد مع ابنه في المواصلة والقطيعة .
١٨٦ - ١٥٨	المقامة الخامسة ، وتعرف بالكوفية ، تتضمن وقوف أبي زيد إلى باب دار ابنه ، يطلب منه القرى ومجاوبته له
٢١٩ - ١٨٩	المقامة السادسة ، وتعرف بالمراغية ، تتضمن الرسالة التي فيها كلمات معجزة ، وكلمات غير معجزة
٢٢٤ - ٢٢٨	المقامة السابعة ، وتعرف بالبرقميدية ، تتضمن تعامى أبي زيد ، وقيام امرأته بقيادته ، وهو يبيع الرقاع المكتوبة
٢٧٢ - ٢٠٧	المقامة الثامنة ، وتعرف بالمرية ، تتضمن مخاصمة أبي زيد وابنة في الليل والإبرة
٢٣٠ - ٢٠٨	المقامة التاسعة ، وتعرف بالإسكندرانية ، تتضمن مخاصمة أبي زيد لامرأته ، وقيامه ببيع أثائها ومتاعها .
٢٦٥ - ٢٣٣	المقامة العاشرة ، وتعرف بالرحبية ، تتضمن دعوى أبي زيد على شخص أنه اعتدى على ابنه
٢٤٤ - ٢٧٥	

فهرس الموضوعات (*)

صفحة	
١١ - ٢	مقدمة الشارح
٢٤ - ٢٢	بديع الزمان الهمذاني
٢٥ - ٢٤	ذكر همذان
٢٨ - ٢٦	السبب في إنشاء الحريري للمقامات
٣٣	ذكر قدامة بن جعفر
٣٤	عدي بن الزناع
٣٦ - ٣٥	القديم و الحديث في الأدب
٤٠ - ٣٦	القول في الحمام
٤٢ - ٤١	من أقوالهم في الحق ذمًا وحمداً
٤٥ - ٤٤	مما ورد من الحكم على ألسنة البهائم وغيرها
٥١ - ٥٠	مدينة صنعاء
٥٧، ٥٦	نبذ من أقوال الشعراء في ذم الكبر
٦٤ - ٦٣	من لطائف التجنيس
٦٨ - ٦٦	نبذ من الأشعار في ذم الدنيا
٧١ - ٧٠	أبو نواس في مجالس الوعظ
٧٨	ذكر مدينة حلوان

(*) وهي الموضوعات التي وردت في أثناء الشرح .

صفحة	شعار السكدية
٧٩ - ٧٨	مما قيل في اللحي من الشعر
٨٩ - ٨٤	البحترى وبمض أخباره وشعره
٩٦ - ٩٠	وصية أبي تمام للبحترى
٩٧	ذكر النرجس ومقال الشعراء في تشبيه العيون به
١١٠ - ١٠٣	ذكر الوأواء الدمشقي وبعض شعره
١١٤ - ١١٠	من قولهم في الامتحان
١١٦	بديهة السلامي
١١٨ ، ١١٧	من نوادر صاعد بن الحسن الربيعي
١٢٣ ، ١٢٢	مما قيل في البديهة الحاضرة
١٢١ - ١١٨	نقد شعر الحريري
١٢٥ - ١٢٣	من أقوالهم في الفراق
١٢٦ ، ١٢٥	فصل في الحسد وما قيل فيه
١٣٨ - ١٣٥	قصة المثل : أنجز جرّ ما وعد
١٤٤ - ١٤٣	مما قيل في وصف الدينار من الشعر
١٤٤	فصل في الوعد ومذاهب الناس فيه
١٤٧ - ١٤٥	فصل في مدح الشيء وذمّه في وقت واحد
١٥٦ - ١٥٤	مما قيل في سواد الليل
١٦٢ - ١٦٠	مذاهب الشعراء في الغزو أو الانتصاف
١٧٢ - ١٧٠	مما ورد في الصبح من الشعر
١٧٣	نبذ مما قيل في الحمام شعراً وثراً
١٨٠ - ١٧٧	قولهم : حديث خرافة
١٨٨ - ١٨٦	

صفحة

١٨٩ - ١٩١	الكوفة
١٩١ - ١٩٣	مما ورد في وصف الملأل من الشعر
٢٠٣ - ٢٠٥	قصة موسى عليه السلام قبل مبعثه
٢٠٧	إبراهيم عليه السلام
٢٠٧ - ٢٠٨	مما قيل في القرى والأضياف
٢٠٩ - ٢١١	نبذ وحكايات في البؤس والحرمان
٢١١ - ٢١٣	ذكر مدينة فيد
٢١٩ - ٢٢٣	ذكر الكهيت في بعض أخباره وشعره
٢٣٢ - ٢٣٦	ذكر قطري بن النجاء
٢٣٩ ، ٢٤٠	الخطيئة وسعيد بن القاص
٢٤١ - ٢٥١	فصل في الدواة والقلم والمداد
٢٦٢ ، ٢٦٣	الضباع وما قيل فيها
٢٦٣ - ٢٦٥	نبذ مما قيل في أحوال الدهر
٢٦٥ - ٢٦٧	نبذ وأقوال في ذم الزمان
٢٨٦ - ٢٨٩	ذكر ابن عباس وبعض أخباره
٢٨٩ - ٢٩٢	ذكر إياس القاضي وبعض نوادره
٢٩٦ - ٣٠٠	ذكر المعنى وما ورد فيه من الشعر
٣٠٣ - ٣٠٦	استطراد بذكر أشعار في التشبيه راحة
٣٠٨	ذكر معرة النعمان
٣١٤ ، ٣١٥	القطا
٣٧٦ ، ٣١٨	مما قيل في رفو الثياب من الشعر

٣٢١ - ٣٢١

٣٣٩ - ٣٣٥

٣٣٤

٣٣٥ ، ٣٣٤

٣٤٥ - ٣٣٩

٣٤٧ ، ٣٤٦

٣٥٤ ، ٣٥٣

٣٧١ - ٣٦٨

٣٧٣ - ٣٧١

٣٨٣ - ٣٧٦

٣٨٨ - ٣٨٤

٣٩٣ - ٣٨٨

٣٩٥ - ٣٩٤

٤٠٩ - ٤١٨

٤٠٩ - ٣٩٨

٤٢٠ - ٤١٩

٤٢٧ - ٤٢٥

٤٢٩ - ٤٢٧

٤٣٢ - ٤٣١

٤٣٧ - ٤٣٣

٤٣٩ - ٤٣٨

٤٤٢ - ٤٣٩

- ٤٤٣

مما قالت الشعراء في الأطمار البالية

مما ورد من الشعر في السواد والبياض

ذكر فرغانة

ذكر غانة

باب في الحظ على السفر وترك المعجز

ذكر الإسكندرية

أصل المثل : لا عطر بعد عروس

ذكر الفرزدق وبعض أخباره

ذكر خبر الكسبي وقوسه

نيزد وحكايات مما ورد في الحسن والجمال

فصل في ذكر بعض أخبار الولاة

ذكر السليك بن السليكة

إبراهيم النظام وبعض أخباره وشعره

مما قيل في أنواع الحسن والجمال أيضا

ذكر المذراء الانحاء

من أنواع الخلف

ذكر أحمد بن سريج أحد أئمة الشافعية

طائفة من شعر النسيب

مما قيل في خلق الشعر

ذكر المتلمس وصحيفته

أصل المثل : طلب أثراً بعد عين

رزاء الحسين بن علي رضي الله عنه

أصل المثل : رجع بخفي حنين

استدراك وتعليق

صفحة	سطر	
٦	٢٠	أبو الحجاج الأندلسي خطأ ، وصوابه : « الأندلس » ، منسوب إلى أندلس ، مدينة من كورة بلنسية بالأندلس . وانظر الروض المطار ٣١ ، وبقية الملتبس للضي ٤٧٧ .
١٠	١٣	أبو عبد الله بن إمام الأئمة الراشدين ، هو محمد ابن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أحد ملوك دولة الموحدين بالمغرب ، بويغ بالخلافة سنة ٥٩٥ وتوفي في سنة ٦١٠ ، وابنه يوسف ولي عهده . وانظر المعجب في أحوال المغرب ٣٨٦ ، ٣٨٧ .
٢٥	٩	هو أبو بكر بن اللبابة الداني .
٥٦	٨	الصواب أن اسمه أبو حفص بن عمر السلي ، قاضي قرطبة . من أهل أغات ، وولي أيضاً فضاء فاس وتلماس وإشبيلية ، وله شعر كثير مطبوع . توفي سنة ٦٠٤ . وانظر نفع الطيب ١ : ٢٧٣ وصلة الصلة لابن الزبير رقم ٣٠ ، والتكلمة لابن أبار برقم ١٨٣١ .

(١) ومعظم هذه الاستدراكات مما أفدته من الصديق العلامة الدكتور محمود
مكي عند قراءته لهذا الجزء بعد طبعه .

- ص ٦٣ ٢ صواب كتاب البيت :
 فاحذر هدايا الناس تأمن من المنّ
 بها أو قول واش بشي .
- ص ٦٣ ١٧ الخبر والأبيات في زهر الآداب ٧٧ ، ٧٨
- ص ٦٦ ٢٢ (حاشية ٤) في ترجمة أبي عمران بن موسى بن عمران : توفي سنة ٦٠٤ ، وله تراجم أخرى في التكملة لابن أبار برقم ٢١٤٧ والمصون اليانة ١٣٥ ، وألف باء للبلوى ١ : ٢٣ ، ٣٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٣٨٩ .
- ١٠٧ ١ أبو جعفر بن برد ، خطأ والصواب أن اسمه أبو حفص بن برد ، والبيتان في الذخيرة ق ١ ج ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، وله ترجمة في جذوة المقتبس للحميدى ١٩٢ والذخيرة لابن بسام ق ١ ج ٢ : ١٨ - ٥٢ ، ومظمح الأنفس ٢٧ ، ٢٨ .
- ١٠٨ ٢ أبو بكر الأبيض ، وهو أحمد بن محمد الأنصارى الإشبيلي ، وانظر ترجمته في المطرب لابن دحية . ٧٠٦ .
- ١٢٨ ٢١ الحلواني القيرواني ، هو عبد الكريم بن فضال الحلواني القيرواني ، وله ترجمة في المطرب . ٥٩ ، ٧٥ ، والذخيرة لابن بسام ٤ : ٢١٩ ، والآيات لابن سعيد ١٠٧
- ١٣٩ ٣ هو أبو بكر بن الجدد

هو موسى بن عمران المارتلي	١٦	١٧٧
الصواب أن الأبيات لأبي عامر بن شهيد ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧	١٧ ، ١٦	١٧٧
هذه الأبيات تنسب للمنفعل ، وانظر الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٧ .	٦ - ٣	١٧٨
البيتان في الذخيرة لابن بسام ق ١ ج ١ : ٢٥٨	٨ ، ٧	١٧٨
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٢ ، ١١	١٧٨
نسبة البيتين لأبي بكر بن بقي ، وهما بهذه النسبة في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	١٣	١٧٨ ص
البيتان في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥٨	٢٨ ، ١٧	١٧٨
هو وهب بن سلمة القرطبي ، من أهل النسك والورع بالأندلس ، ذكره الرازي في كتاب أعيان الموالى برقم ٢٧٢٨ .	١٢	٢٠٩
الصواب : « الليكى » ، بالياء ، واسمه أبو بكر ابن يحيى بن سهل ، وانظر ترجمته في المغرب لابن سعيد ٢ : ٢٦٦	٢	٣١٣
الحلواني ، هو عبد الكريم بن فضال القيرواني ، والأبيات في الذخيرة ٤ : ٢٢٠	٩	٣١٧
الأبيات في قلائد العقيان ٣٠٠	١٣	٣٢٠
الفقرة في الاصطلاح الأندلسي ضرب من العبادة أو الطلابة	٢٢ (الحاشية ١)	٣٢١

كذا في جميع الأحوال بنسبة هذا البيت ،
إذا لم أجد في بلدة ما أريده

٦ ٣٤٢

فعمدي لأخرى عزمة وركاب

إلى أبي الطيب ، والصواب أن البيت لأبي فراس

من قصيدته البائية الرومية ، ديوانه ٣٨

يكتب هكذا : مما قيل في أنواع الحسن والجلل
أيضاً .

٩ (العنوان) ٣٩٨

ادارۃ القرآن والعلوم الاسلامیہ کی چند جدید و مفید اردو کتب

- اسوۃ رسول ﷺ حضرت ڈاکٹر عبدالحیؒ = ۱۵۰/
- احکام میت حضرت ڈاکٹر عبدالحیؒ = ۶۹/
- جدید فقہی مباحث مولانا مجاہد الاسلام قاسمی جلد ۵ = ۹۰۰/
- طبی اخلاقیات مولانا مجاہد الاسلام قاسمی = ۱۹۵/
- جدید فقہی مباحث مولانا مجاہد الاسلام قاسمی جلد نمبر ۱۰ (طبی اخلاقیات) = ۱۹۵/
- جدید فقہی مباحث مولانا مجاہد الاسلام قاسمی جلد نمبر ۱۱ (مشروط نکاح) = ۱۹۵/
- اہم فقہی فیصلے مولانا مجاہد الاسلام قاسمی = ۷۵/
- دل کی دنیا مفتی اعظم پاکستان حضرت مولانا مفتی محمد شفیع رحمۃ اللہ علیہ = ۷۲/
- متاع نور (سوانح حیات حضرت مولانا نور احمد صاحب رحمۃ اللہ علیہ)، رشید اشرف سیفی = ۱۵۰/
- جو تم مسکراؤ تو سب مسکرائیں حضرت سید رضی الدین احمد فخریؒ = ۱۵۰/
- نبیوں کی سچی کہانیاں حضرت سید رضی الدین احمد فخریؒ = ۱۲۰/
- درود شریف کے فضائل و آداب (ترجمہ القول البدیع) رضی الدین فخریؒ ... = ۹۰/
- دور نبوی کا نظام حکومت (ترجمہ التراتیب الاداریہ للکتانیؒ) رضی الدین فخریؒ .. = ۱۵۰/
- رہنمائے سعادت تلخیص کیمیائے سعادت سید رضی الدین فخریؒ = ۱۲۰/
- تلخیص حجة اللہ البالغہ سید رضی الدین احمد فخریؒ = ۱۲۰/

ادارۃ القرآن والعلوم الاسلامیہ

ناشران قرآن مجید و اسلامی، عربی، اردو، انگریزی کتب، مرکز مطبوعات پاکستان، بیروت و بلاد عربیہ، تفسیر، حدیث، فقہ، اسلامی قانون، تاریخ اسلام، اصلاحی، تصوف، لغت، ادب عربی، اعلیٰ معیار کی عربی، اردو، انگریزی، فارسی کمپیوٹر کمپوزنگ ہر قسم کی اسلامی کتب کی طباعت کیلئے رجوع فرمائیں

۷۲۳/ ڈی گارڈن ایسٹ نزد نسیم چوک۔ کراچی پاکستان۔ فون : 7216488 فون / فیکس : 7223688

E.Mail: quran@biruni.erum.com.pk